

السّمات المشتركة

بين المذاهب الفكرية المعاصرة

« عرض ونقد »

أصل الكتاب رسالة علمية

مقدمة لنيل الدرجة العالمية العالية (الدكتوراه)

تأليف
د. إسماعيل يوسف جبر



الطبع والنشر والتوزيع

السّمات المشتركة

بين المذاهب الفكرية المعاصرة

«عرض ونقد»

ح) إبراهيم يوسف عبدي، ١٤٤٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عبدي، إبراهيم يوسف

السمات المشتركة بين المذاهب الفكرية المعاصرة عرض ونقد /

إبراهيم يوسف عبدي - ط ١ - المدينة المنورة، ١٤٤٤هـ.

٦٣٥ ص، ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٩-٣٣٩١-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

١- الإسلام والمذاهب السياسية أ. العنوان

١٤٤٤/٣٣٠٤

ديوي: ٢١٤.٣٢٠٥

رقم الإيداع: ١٤٤٤/٣٣٠٤

ردمك: ٩-٣٣٩١-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

السّمات المشتركة

بين المذاهب الفكرية المعاصرة

« عرض و نقد »

أصل الكتاب رسالة علمية

مقدمة لنيل الدرجة العالمية العالية (الدكتوراه)

تأليفُ

و. اَللّٰهُمَّ رَسُوْلُ حَبْرَةٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ

وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]

الملف ٧

الحمد لله رب العالمين وصل الله وسلم وبارك علي نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن من تحديات الإسلام اليوم ومعوقاته الشائكة التي شهدها العصر الحاضر بث أفكار دخيلة من الغرب، ومن تلك الأفكار المذاهب الفكرية المعاصرة، التي تغلغت سمومها إلى العالم الإسلامي، والمجتمع الإسلامي، بأفكارها الخطيرة المحدثه وسمومها الفتاكة؛ نتيجة اتصال العالم الإسلامي بالشرق والغرب.

والتأمل لهذه المذاهب الفكرية يجد أن لها سمات مشتركة، قد تعود إلى النشأة، والأهداف، والأصول والمنهج، والغايات، والأفكار الثقافية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والأخلاقية، ومن أبرز هذه السمات، الإلحاد، والفلسفات، وتعظيم العقل وتقديسه، والبحث عن الحريات، والفردية، وغير ذلك من السمات التي تربو على ثلاثين سمة كلها تخالف شرع الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وتحارب الدين، والضرورات الخمس.

والبحث عن الحرية في جميع مجالات الحياة، واللهث وراء الشهوات الإنسانية.

وغير ذلك مما يضاد ويحارب مقومات الإنسان أو الضرورات، كالدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال، فلا شيء أبقت من الحياة إلا دخلت

هذه الأفكار الهدامة فيه، ووصل تأثيرها إلى المراكز التعليمية والمدارس والجامعات، وخاصة في الأقليات المسلمة التي استقت هذه الأفكار الغربية والشرقية، وطبقوها حذو القذة بالقذة.

كما بيّن ذلك رسول الله ﷺ: «ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من قبلهم من أهل الكتاب حذو القذة^(١) بالقذة^(٢)».

وحاصل الكلام: أن هؤلاء المنظرين يخططون ليلاً ونهاراً لتطبيق المذاهب الفكرية المعاصرة على العالم الإسلامي، محاربة للدين، وتدميرًا للقيم، والأخلاق.

وبناء على هذا سوف يدور البحث على كشف عوار هذه المذاهب الهدامة مركّزًا على السمات المشتركة بينهم، والأسباب التي أدت إلى ذلك،

(١) أي كما تقدر كل واحدة منهما على قدر صاحبها وتقطع. يضرب مثلا للشئين يستويان ولا يتفاوتان: النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، المكتبة العلمية-بيروت، ١٣٩٩هـ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي-محمود محمد الطناحي، (٢٨/٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، اب: مسند الإمام أحمد بن حنبل، بتحقيق: شعيب الأرنؤوط-عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ، (٣٥٩/٢٨). ورواه الطبراني في المعجم الكبير، بتحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية-القاهرة، ط٢، (٢٨١/٧).

واختلف في صحّة الحديث فمنهم من ضعفه، ومنهم من حسّنه كالألباني وقال: هذا إسناد حسن في الشواهد، ذكر هذا في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، (٩١٣/٧).

منبهاً على الوسائل والأساليب التي تستخدم هذه المذاهب من أجل نشر أفكارها، وأسسها في العالم الإسلام، وسبل مواجهتها، في أوساط المجتمع الإسلامي، والتي تحمل هذه السمات الهدامة، والتحذير من سريانها إلى المجتمعات الإسلامية. وبيان دور الدعاة في التحذير من هذه السمات، والمؤسسات العلمية والتربوية والمراكز الإسلامية.



شكرو وتقدير

أحمد الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على عظيم نعمه، وجزيل ثوابه، وموفور عطائه والآئه، وواسع فضله، وكرمه، وجوده، على ما منّ عليّ من نعمٍ لا تُحصى ولا تُعدّ.

ومن أعظم ما منّ به عليّ نعمة الإسلام، ونعمة طلب العلم في (طبيّة الطيّبة) مدينة رسول الله على ساكنها أفضل الصلاة، وآتمّ التسليم، كما أحمده **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** جلّ شأنه وتقَدّست أسماؤه على ما يسر لي من إتمام هذه الرسالة التي أخذت قدراً كبيراً من حياتي، سواء (حركاتي وسكناتي).

ثم لا يفوتني أن أتوجه بخالص الشكر والعرفان، والدعاء، ووافر الثناء والامتنان إلى والديّ الكريمين الجليلين الفاضلين الذين كانا سبباً في وجودي بعد الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وقاما بنشأتي وتربيتي وإرشادي منذ نُعمّة أظفاري إلى أن وافتهما المنية، ﴿رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]. اللهم وسع قبرهما، واجعله لهما روضة من رياض الجنة، ولا يفوتني أن أقدم شكري الجزيل لعمي يوسف حفظه الله ورعاه.

وأشكر حكومة المملكة العربية السعودية؛ التي حققت لي بُغيتي خلال دراستي في جامعتها وهيأت لي جميع ما يوصلني لتحقيق أُميّاتي، فاللهم أدم أمنها، واستقرارها، ورخاءها، وعزّها وحفظ ولاة أمرها من كل سوء ومكروه ووفّقهم لما تحبه وترضاه.

ثُمَّ اتَّوَجَّهَ بِخَالِصِ الشُّكْرِ وَالْعِرْفَانِ إِلَى جَامِعَتِي الْعَرِيقَةِ - (الْجَامِعَةُ
الْإِسْلَامِيَّة) بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، الَّتِي انتَشَرَ نُورُهَا فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا،
وَالَّتِي لَمَعَتْ أَنْجُمُهَا فِي ظُلُمَاتِ الْقَارَاتِ وَهِيَ الَّتِي لَا تَغِيبُ عَنْهَا الشَّمْسُ،
مُمَثِّلَةً لِرَأْسِهَا صَاحِبِ السُّمُوِّ الْأَمِيرِ، الدُّكْتُورِ مَمْدُوحِ بْنِ سَعُودِ آلِ سَعُودِ
حَفَظَهُ اللَّهُ وَرَعَاهُ، وَعَمَدَاءِ الْجَامِعَةِ، وَاخْصُصْ بِالذِّكْرِ عَمِيدَ كَلِيَّةِ الدَّعْوَةِ
وَأَصُولِ الدِّينِ، وَوَكَلَائِهَا، وَرُؤَسَاءِ الْأَقْسَامِ، وَبِالْأَخْصِ رَأْسَ قِسْمِ الدَّعْوَةِ
وَالثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَالْقَائِمِينَ عَلَى شُؤْنِ التَّعْلِيمِ.

وَأَشْكُرُ مُشْرِفِي عَلَى هَذِهِ الرِّسَالَةِ، فَضِيلَةَ شَيْخِي الْفَاضِلِ الدُّكْتُورِ:
خَالِدَ بْنَ لَطِيفِ الْهَبِيدِي عَمِيدَ عِمَادَةِ الْجُودَةِ وَالْإِعْتِمَادِ الْأَكَادِيمِيِّ، وَالْمُشْرِفِ
عَلَى وَكَالَةِ الْجَامِعَةِ لِلشُّؤْنِ التَّعْلِيمِيَّةِ، صَاحِبَ الْجَهْدِ، وَالْيَدِ الْبَيْضَاءِ، وَقَدْ
فَتَحَ لِي قَلْبُهُ قَبْلَ بَابِهِ، فَرَأَيْتُ مِنْهُ رِحَابَةَ الصَّدْرِ، وَطِيبَ النَّفْسِ، فَلَهُ مِنِّي
الْثَّنَاءُ، أَوْفَرُهُ، وَمِنَ الشُّكْرِ، أَجْزَلُهُ، مَهْمَا قُلْتُ فَلَنْ أُؤَفِّيَهُ حَقَّهُ، وَمَهْمَا شَكَرْتُ،
فَلَنْ أَجْزِيَهُ أَجْرَهُ، فَلَقَدْ كَانَ حَفَظَهُ اللَّهُ نَعَمَ الْمُشْرِفِ، وَالْمَوْجَّهَ، وَنَعَمَ الْمُرْشِدَ
لِي عَلَى رِسَالَتِي حَتَّى خَرَجْتُ بِهَذِهِ الصُّورَةِ، تَعَلَّمْتُ مِنْهُ أَدَبَ الْعُلَمَاءِ، فَجَزَاهُ
اللَّهُ عَنِّي خَيْرَ مَا جَازَاهُ طَالِبًا عَنْ شَيْخِهِ، اللَّهُمَّ أَصْلِحْ شَأْنَهُ كُلَّهُ، وَارْزُقْهُ طَوْلَ
الْعُمْرِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَمَرْضَاتِهِ، وَصَلَاحِ الْعَمَلِ، وَحُسْنِ الْحَاتِمَةِ.

كَمَا أُنْقَدِّمُ بِالشُّكْرِ الْجَزِيلِ إِلَى أَعْضَاءِ اللَّجْنَةِ الْمُوقَّرةِ، فَضِيلَةِ الْأَسْتَاذِ
الدُّكْتُورِ: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَمْرُو، حَفَظَهُ اللَّهُ وَرَعَاهُ، فَجَزَاهُ عَنِّي خَيْرَ الْجَزَاءِ
عَلَى مَا سَيَقْدُمُهُ مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْمُلْحُوظَاتِ الْقِيَمَةِ، أَسْعَدُهُ اللَّهُ فِي الدَّارَيْنِ،

وباركِ اللَّهُمَّ في عُمره، وعَلَمه، وذُرِّيَّته، وأسألُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُطِيلَ عُمره في طَاعَتِهِ، وَيَرْزُقَهُ حُسْنَ الخَاتِمَةِ.

وأشكر فضيلة الشيخ الدكتور: أحمد بن عبد العزيز الخلف، صاحب فكرة هذا البحث، الذي كان مرشداً لي قبل أن يكون مناقشا، وقد استفدت كثيراً من توجيهاته السديدة، وإرشاداته القيّمة، فجزاه الله عني خير ما جزى طالباً عن شيخه، وباركِ اللَّهُمَّ في عُمره وعَمَلِهِ، وذُرِّيَّته، وأوقاته، واجعله مُباركاً أين ما كان.

كما أشكر جميع مَنْ قَدَّمَ لي يدَ العونِ بأيِّ وجهٍ كان، فجزاهم الله عني خيرَ الجزاء، فاللهَ أسألُ أَنْ يَنْفَعَنِي بما عَلَّمَنِي، وَأَنْ يُعَلِّمَنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَأَنْ يَجْعَلَ عَمَلِي هَذَا خَالِصاً لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَلِعِبَادِهِ نَافِعاً. ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

هذا ولا أدعي أنني أتيت بما لم تستطعه الأوائل فالبحث شأنه عظيم وتوضيح معالمة يحتاج إلى نفس أرق وفقه أدق، وذكاء أكبر، وإيمان أعمق، فالعصمة والكمال لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ومن ظن أنه قد أحاط بالعلم فقد جهل نفسه، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥].

فالعلم بحر لا شاطئ له. وما أصدق الشاعر إذ يقول:

قل لمن يدعي في العلم فلسفة حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء ^(١)

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/ ٤، ١٤١٨ هـ، (٣٧٨/٥).

ويقول الثعالبي: لا يكتب أحد كتاباً فيبيت عنده ليلة إلا أحبّ في غيرها أن يزيد فيه أو ينقص منه، هذا في ليلة فكيف في سنين معدودة؟.

وقال العماد الأصبهاني: إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدّم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل^(١).

ولا يسعني أن أقول إلا ما قال الشاعر:

أسير خلف ركاب القوم ذا عرج	مؤملاً جبر ما لاقيت من عوج
فإن لحقت بهم من بعد ما سبقوا	فكم لرب السماء في الناس من فرج
وإن ظللت بقعر الأرض منقطعاً	فما على أعرج في ذاك من حرج ^(٢)

وصلّى الله وسلّم وبارك وأنعم على رحمته المهداة ورسوله المجتبي النبي الأمي الأمين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) النكت الوفية بما في شرح الألفية، لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، مكتبة الرشد ناشرون، ط ١، ١٤٢٨هـ، (١/ ٢٢).

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان، لعبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلطان، ط ٣٠، ١٤٢٤هـ، (١/ ١٠).

التمهيد

التعريف بمصطلحات البحث

وتحتة أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم المذاهب الفكرية المعاصرة، وتسميتها.

المبحث الثاني: مفهوم السمات بين المذاهب الفكرية المعاصرة.

المبحث الثالث: مفهوم المعاصرة.

المبحث الرابع: العلاقة بين الموضوع ومسار الدعوة.

المبحث الأول

مفهوم المذاهب الفكرية المعاصرة، وتسميتها

المطلب الأول

تعريف المذاهب لغةً واصطلاحاً

أولاً: كلمة مذاهب في اللغة والاصطلاح:

لغةً: مذاهب جمع مذهب: وهو مصدر ميمي، وقد يطلق على الزمان والمكان من نفس الفعل، وقد وردت كلمة ذهب بمعان عدة منها: ذهب: أي مضى ومرّ.

قال ابن فارس: يقال ذهب يذهب ذهاباً وذهوباً. وقد ذهب مذهباً حسناً ذهاب الشيء: مضيه^(١).

المعنى الثاني: ذهب بمعنى: السير والمرور. قال ابن منظور: ذهب: الذهاب: السير والمرور؛ ذهب يذهب ذهاباً وذهوباً فهو ذاهب وذهوب. **المعنى الثالث:** ذهب بمعنى: أزال وانمحي:

قال ابن منظور: وذهب به وأذهبه غيره: أزاله. ويقال: أذهب^(٢). وفي التنزيل قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾^(٣).

(١) مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، (٣٦٢/٢).

(٢) لسان العرب، لمحمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، دار صادر-بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ (٣٩٣/١).

(٣) مقاييس اللغة، (٣٦٢/٢).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «ذهب النور الذي ينفعهم وبقي لهم الإحراق والدخان»^(١).

المعنى الرابع: مذهب: المعتقد الذي يذهب إليه؛ وذهب فلان لمذهبه الذي يذهب فيه. ويقال: ذهب فلان مذهبا حسنا.

المعنى الخامس: المذهب، الذهب التبر، القطعة منه ذهبة، وعلى هذا يذكر ويؤنث، وأذهب الشيء: طلاه بالذهب. والمذهب: الشيء المطلي بالذهب. وأهل الحجاز يقولون: هي الذهب، ويقال نزلت بلغتهم: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤].

ولولا ذلك، لغلب المذكر بالمؤنث. قال: وسائر العرب يقولون: هو الذهب.

المعنى الخامس: ذهبة للمطرة، واحدة الذهب. أبو عبيد عن أصحابه: الذهب الأمطار الضعيفة؛ ومنه قول الشاعر:

توضحن في قرن الغزالة، بعد ما ترشفن درات الذهب الرقائق

الذهاب: الأمطار اللينة؛ وفي الكلام مضاف محذوف تقديره: ولا ذات شقان ذهابه. المعنى السادس: الذهب، بفتح الهاء: مكيال معروف لأهل اليمن، والجمع ذهاب^(٢).

(١) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م (١/١٨٦).

(٢) لسان العرب، لابن منظور، (١/٣٩٤).

ويزاد في الفعل: «ذهب» همزة فيصير متعديا: فيقال: أذهب عنا الأذى جاء في التنزيل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر: ٣٤].

الخلاصة: إن كلمة «ذهب» تأتي بمعان وهي: المضي والمرور، والسير، والإزالة، والإنمحاء، والتبر من الذهب، والمطر الضعيف. والمعتقد، والرأي، لكن الذي يتوافق مع البحث هو المعتقد الذي يذهب إليه الإنسان ويؤمن به اعتقاديا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، وأخلاقيا.



المذهب في اصطلاح العلماء:

للعلماء في تعريف «المذهب» آراء ونظريات متنوعة، وذلك تبعا لاختلاف تخصصاتهم ومجالات اهتماماتهم ودراساتهم، واتجاهاتهم مع اختلافهم في التعريف إلا أنني سأبين اتجاهين أساسيين في المراد بالمذهب.

الاتجاه الأول: اتجاه العلماء الذين يصدر عن مبدأ واحد، وتجمعهم عقيدة واحدة.

وتؤلف بينهم أصول يتفقون عليها، ويدينون بها، وينطلقون منها. ولا يختلفون حول هذه الأصول.

وإنما يأتي اختلافهم، وتعدد مذاهبهم وآرائهم، بسبب اختلافهم حول فهمهم هذه الأصول، وحول شرحها، وما يتفرع عليها.

يتضح من هذا أن أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة ليسوا مبتدعين ولا منشئين في الأصول وإنما هم متبعون لكن حصل اختلاف في الفروع وبعض المسائل الفقهية.

وما يقع من خلاف بين مذهب ومذهب إنما يكون في فرع أو فروع لأصل من الأصول التي يعتقدونها ويصدرون في كل آرائهم عنها. ويدخل في هذا الاتجاه أصحاب المذاهب الفقهية، فإنهم جميعاً يصدرون عن الأصلين الأساسيين: الكتاب والسنة ويجتهدون في إطارهما. وقد يدخل في ذلك -مع كثير من التحفظ- المذاهب الكلامية.

الاتجاه الثاني: هو اتجاه يكثر في الباحثين في الفلسفة والاجتماع والنفس والأخلاق والاقتصاد والسياسة والإنسانيات بصورة عامة. وهؤلاء لا يصدر أكثرهم عن مبدأ واحد. ولا ينطلقون من أصل متفق عليه فيما بينهم، بل لكل منهم رؤيته الخاصة، ومذهبه، المعين، الذي قد لا يتفق مع غيره في أصل ولا فرع^(١).

وعليه فإن مصطلح المذاهب الفكرية يختلف باتجاهات العلماء ومشاربهم ومنابعهم واختلاف أفهامهم فمنهم من عرّف بأنّه.

١ - مجموعة من الآراء والأفكار حول موضوع معين ارتبط بعضها ببعض بشكل يجعل منها وحدة متسقة^(٢).

(١) مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، للدكتور: محمود محمد مزروعة، المملكة العربية السعودية، مكتبة كنوز المعرفة، ط ٢، ١٤٢٥هـ، (ص ١٦، ١٧).

(٢) مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، للدكتور: محمود محمد مزروعة، (ص ١٦، ١٧).

٢- مجموعة الاتجاهات والأنساق التي تصدر عن العقل البشري نتيجة نظر عقلي أو تجربة حسية كانت ذات طابع أو سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي، أو علمي، أو نحو ذلك بحيث يعتنقها بعض الناس في الزمن الحاضر في أي مكان من العالم^(١).

وكل ما سبق من التعاريف يركز على جهة معينة أو اتجاه واحد، والذس يظهر لي أن الأقرب في تعريف المذاهب الفكرية أنها: (مجموعة من الآراء والأفكار البشرية حول قضايا معينة وفق منطلقات عقلية)^(٢).

شرح التعريف:

قوله: «مجموعة من الآراء والأفكار» المقصود بها الفلسفات التي أخذت من اليونان وغيرهم وجمعها وضم بعضها إلى بعض حتى صارت مذاهب يعتقد بها الإنسان ويقلدها؛ لأن المذاهب مجموعة من الآراء والأفكار المستمدة من فكر الإنسان

وقوله: «البشرية» لأنها نبتت من أفكار الإنسان وفلسفاته العقلية والفكرية. وقوله: «حول قضايا معينة» المقصود أن المذاهب جاءت لتحقيق رغبات الإنسان وشهواته الإنسانية والبحث عن الحرية المطلقة.

وأن أكثر المذاهب الفكرية أنشأت لهدم ومحاربة الدين الإسلامي والقيم، بل جاءت لمحاربة كرامة الإنسان وتدميره.

(١) مذاهب فكرية معاصرة في ميزان الإسلام، للدكتور: محمد عبد رب النبي سيد، مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٣٥ هـ، (ص ١٠).

(٢) تعريف للباحث.

ثانيًا: كلمة (فكرية) نسبة إلى (فكر).

قد جاء في مقاييس اللغة: الفاء والكاف والراء تردد القلب في الشيء. يقال تفكر إذا ردد قلبه معتبرًا ورجل فكير: كثير الفكر^(١).

وجاء في لسان العرب: معنى الفكر هو: إعمال الخاطر في الشيء. ويجمع أفكارًا خلافًا لسيويه الذي أنكر الجمع.

يقال رجل فكير أي كثير الفكر. والتفكر هو التأمل. وقد يأتي عدم الحاجة إلى الشيء مثل: ليس لي في هذا الأمر فكر أي ليس لي فيه حاجة^(٢).

وجاء في المعجم الوسيط: (فكر): في الأمر فكرا أعمل العقل فيه ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى مجهول.

(الفكر) إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول^(٣).

وخلاصة ما سبق أن كلمة (فكر): تأتي بعدة معان وهي: تردد القلب في الشيء، إعمال الخاطر في الشيء، عدم الحاجة إليه. الفكر والفكر شغل العقل بمشكلة ما.

و«الفكر» «والفكرة» والتفكير «والأفكار» هو الوظيفة الأساسية للعقل، وفي القرآن الكريم يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس، (٥/ ١٠٠).

(٢) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (٥/ ٦٥).

(٣) ينظر: المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة (٢/ ٦٩٨).

الفكرة: هي التصور الذهني لأمر ما، أو هي الصورة الذهنية. يقال: إنسان «مفكر» ومفكر «وفكير» أي كثير التفكير.

وكلمة «فكرية» قيد في العنوان تخرج ماعدا المذاهب الفكرية، مثل:

١- المذاهب الكلامية. ٢- المذاهب الفقهية.

كما أنه يدخل في البحث الأحزاب السياسية أو المذاهب السياسية كالديمقراطية والقومية وتشمل الدراسة أيضًا المذاهب الاقتصادية مثل الشيوعية والرأسمالية والاشتراكية وكلها مذاهب تركز على الجانب الاقتصادي.

والواقع أن الفروق تكاد تكون مطموسة غير واضحة بين المذاهب السياسية والمذاهب الاقتصادية: وكلتا الطائفتين من المذاهب هي في الأصل مذاهب فكرية لذلك كانت متضمنة داخل هذه الرسالة العلمية^(١).



(١) مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، للدكتور: محمود محمد مزروعة، (ص ١٨، ١٩).

المطلب الثاني

أهمّ المذاهب الفكرية المعاصرة

وتحتة خمسة عشر مسألة:

- المسألة الأولى: الوضعية.
- المسألة الثانية: الإنسانية.
- المسألة الثالثة: البرجماتية.
- المسألة الرابعة: الديمقراطية.
- المسألة الخامسة: الرأسمالية.
- المسألة السادسة: الوجودية.
- المسألة السابعة: الماركسية.
- المسألة الثامنة: العلمانية.
- المسألة التاسعة: القومية والوطنية.
- المسألة العاشرة: الماسونية والصهيونية.
- المسألة الحادية عشرة: الليبرالية.
- المسألة الثانية عشرة: الحداثة.
- المسألة الثالثة عشرة: العولمة.
- المسألة الرابعة عشرة: نظرية الدارونية (التّطور والارتقاء).
- المسألة الخامسة عشرة: عبادة الشيطان^(١).

(١) هذا التقسيم استفدت من كتاب الوجيز لشيخى الدكتور: أحمد بن عبدالعزيز الخلف، (ص ٥٧-٣٠٣).

المسألة الأولى

الوضعية

التعريف وأبرز الشخصيات، وأهم معتقداته

أولاً: التعريف:

مذهب فلسفي ملحد يرى أن المعرفة اليقينية هي معرفة الظواهر التي تقوم على الوقائع التجريبية^(١).

ثانياً: بداية النشأة وأبرز المؤسسين:

تأسس المذهب الوضعي على يد الفيلسوف «كونت» ومن بعده عيال عليه حيث طبق منهجه في العلم والمعرفة ومن أبرز المؤسسين:

١- اوجست كونت (١٧٩٨-١٨٥٧م)^(٢).

٢- سان سيمون^(٣).

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠هـ، (٢/ ٨١١).

(٢) هو أوغست كونت ١٧٩٨-١٨٥٧م فيلسوف فرنسي، ولد في بمونلتي في أسرة شديدة التعلق بالكتلة؛ ولكنه فقد الإيمان منذ الرابعة عشر. وكان تلميذاً ممتازاً في الرياضيات، وهو مؤسس الفلسفة الوضعية أو المذهب الوضعي الواقعي وكان يرى أن الفكر الإنساني لا يعلم إلا الظواهر المحسوسة في العالم وما ينشأ من علاقات محسوسة أما العلل التي وراء هذه الظواهر فهي أوهام لا علاقة لها بالواقع، ولهذا أهمل عالم الغيب كله وفي آخر حياته أصيب بمرض ينظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، ليوسف كرم، مكتبة دار المتنبي، الدمام، ط١، ١٤٤٠هـ، (ص ٣٤٣-٣٤٤).

(٣) سبقت: ترجمته.

٣- ريتشاد كونجريف^(١).

٤- زكي نجيب محمود^(٢).

ثالثاً: مبادئ ومعتقدات المذهب الوضعي:

١- إنكار وجود الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

٢- الاعتماد على الفلسفة اليونانية.

٣- يرى أن الفلسفة يجب أن تتجاوز ثلاث مراحل، اللاهوتية، والقضية التجريبية، والمبني على التجربة والملاحظة^(٣).

٤- الاعتقاد بالتقدم العقلي^(٤).



-
- (١) هو: مفكر إنكليزي ناصر الوضعية واعتنق أفكارها، المرجع السابق: (٢/ ٨١١).
- (٢) هو: مفكر عربي مصري، تبع الفلسفة الوضعية الملحدة، وتبنى أفكارها.. وألف كتاب المنطق الوضعي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٢/ ٨١١).
- (٣) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، لمحمد البهي، مكتبة وهبه، ط ١٠ (ص ٣٨٩).
- (٤) الفكري الإسلامي الحديث، (ص ٢٦١-٢٦٤). الموسوعة الفلسفية المختصرة، (ص ٢٢٥).

المسألة الثانية

الإنسانية

التعريف:

النزعة الإنسانية هي اتجاه فكري عام تشترك فيه العديد من المذاهب الفلسفية والأدبية والأخلاقية والعلمية، ظهرت النزعة الإنسانية في عصر النهضة^(١).

وسميت عالمية أو أممية نسبة لدخول كثير من المفكرين من مختلف البلدان الأوروبية وغيرها فيها، قوي أمرها في نصف القرن الثامن عشر، عصر التحرر في أوروبا^(٢).

ومحصل الكلام أن الإنسانية: تيار فلسفي تقوم على رؤية تمجيد الإنسان وتقديس كل ما يتصل به وأنّ الإنسان هو مركز الكون وسيّده، وأنّ الثّوابت الطبيعة هي التي تحكم الكون والتاريخ وهي من وضع الإنسان.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

ومن أسماء الرواد الأوائل للمذهب الإنساني ما يأتي:

(١) أراسمس^(٣).

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي (٧٩٩/٢).

(٢) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، لغالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية-جدة، ط١، ١٤٢٧هـ، (٨٢٧/٢).

(٣) روتردام ولد في عام ١٤٦٦م ويعد من أكبر ممثلي المذهب الإنساني من ناحية معرفت- بالأدب اليوناني واللاتيني. في فرنسا مثل المذهب ستيفانوس وسكاليجر ودوليه. ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٧٩٩/٢).

(٢) رينيه ديكارت^(١).

(٣) سبينوزا^(٢).

(٤) فرانسيس بوتر^(٣).

والإنسانية تنزع وترتقي إلى النزعة القومية، بدوافع يخيل أنها مثالية، إلا أن قوتها في الناس أضعف من قوة النزعة القومية، نظراً إلى أن مصالح النزعة الإنسانية قد تسير في اتجاه مضاد لمصالح النزعة القومية، والإنسان بتلقائيته مشدود بقوة إلى مصالح أنانية فردية أولاً ثم الأسرية ثم القبلية ثم القومية ثم الإنسانية على وجه عام.



(١) هو: الفيلسوف الفرنسي ولد في عام: (١٩٥٦-١٦٥٠م). من أنصار المذهب الإنساني ولكنه

يؤمن بوجود الله تعالى. المرجع السابق: (٧٩٩/٢).

(٢) الفيلسوف الهولندي وهو يشبه ديكارت في الاعتقاد. وكتابات جان جاك روسو ١٧١٢-

١٧٧٨م تحمل الطابع الإنساني. المرجع السابق: (٧٩٩/٢).

(٣) هو الأديب الإنجليزي ألف كتاباً بعنوان المذهب الإنساني بوصفه ديانة جديدة ت. س. إليوت

١٨٨٨-١٩٦٥م يعتبر نفسه من أتباع المذهب الإنساني، وهو من أبرز ممثلي الشعر الحرة. المرجع

السابق: (٧٩٩/٢).

المسألة الثالثة

البرجماتية (pragmatism)

التعريف به ومسمياتها:

لغة: كلمة براجماتزم، مأخوذة من براج أو براجما ومعناها العمل، أو الفعل باللغة اليونانية، وهي من وضع تشارلس بيرس كفكرة مفردة لعام: (١٨٧٨م)

واصطلاحاً: مذهب فلسفي سياسي اجتماعي مادي بحث يقيس القضية بنتائجها العملية^(١).

وتطلق البرجماتية الذرائع ويقصدون بها جمع أفكار الناس مجرد ذرائع يستعين بها الإنسان لحفظ بقاءه، ثم البحث عن الكمال، وعند ما تتضارب الأفكار فإن أصدقها هو الأنفع.

أهم الأفكار والمعتقدات لمذهب البرجماتية:

- ١ - الحقيقة توجد في التجربة لا في الفكر النظري البعيد عن الواقع.
- ٢ - المعرفة آلة تخدم لمتطلبات الحياة..
- ٣ - الصلة بين العلم والدين ترجع إلى الصلة بين العقل والإرادة.
- ٤ - إهدار القيم والأخلاق السامية المتفق عليها لدى جميع الأديان.
- ٥ - معارضة وحدة الوجود.

(١) ينظر: ثقافة الداعية من معجم المصطلحات المعاصرة، لحمد يسر إبراهيم، دار اليسر، ط ١، ١٤٣٩هـ، (ص: ١٧٨).

٦- إلغاء دور العقل في الإفادة من معطيات النقل أو الوحي^(١).

رموز مذهب البرجماتية:

من أبرز رموز المذهب وأغلبهم من الأمريكيين:

- ١- تشارلس بيرس^(٢).
- ٢- ولیم جیمس^(٣).
- ٣- جون ديوي^(٤).
- ٤- شيلر^(٥).

(١) ينظر المرجع السابق: (٨٣٤ / ٢).

(٢) ولد في عام (١٨٣٩-١٩١٤م)، ابتدع كلمة البرجماتية في الفلسفة المعاصرة. عمل محاضراً في جامعة هارفارد الأمريكية، وكان متأثراً بدارون ووصل إلى مثل آرائه.. وكان أثره عميقاً في الفلاسفة الأمريكيين.

(٣) ولد في عام: (١٨٤٢-١٩١٠م) عالم نفسي وفيلسوف أمريكي من أصل سويدي بنى مذهب الذرائعية البرجماتية على أصول أفكار بيرس ويؤكد أن العمل والمنفعة هما مقياس صحة الفكرة ودليل صدقها. كان كتابه الأول: مبادئ علم النفس ١٨٩٠م الذي أكسبه شهرة واسعة ثم توالى كتبه: موجز علم النفس ١٨٩٢م وإرادة الاعتقاد ١٨٩٧م وأنواع التجربة الدينية. ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٨٣٢ / ٢).

(٤) ولد في عام: (١٨٥٦-١٩٥٢م) فيلسوف أمريكي، تأثر بالفلسفة الذرائعية، وكان له تأثير واسع في المجتمع الأمريكي وغيره من المجتمعات الغربية، إذ كان يعتقد أن الفلسفة مهمة إنسانية قلباً وقالبا وعليها أن نحكم عليها في ضوء تأثيرها الاجتماعي أو الثقافي. وعلم النفس وعلم الجمال والدين، وأهم مؤلفاته: دراسات في النظرية المنطقية ١٩٠٣م، وكيف تفكر ١٩١٠م والعقل الخالق ١٩١٧م والطبيعة الإنسانية والسلوك ١٩٢٢م وطلب اليقين ١٩٢٩م، ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٨٣٢ / ٢).

(٥) ولد في عام: (١٨٦٤-١٩٣٧م). فيلسوف بريطاني، كان صديقاً لوليم جيمس، وتعاطف معه في فلسفة الذرائعية: وقد أثر أن يطلق على آرائه وموقفه: المذهب الإنساني أو المذهب الإرادي. ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٨٣٢ / ٢).

المسألة الرابعة

الديمقراطية

أولاً: الديمقراطية لغة واصطلاحاً:

لغة: السلطة والحكم والسيادة للشعب ^(١).

واصطلاحاً: النظام الذي يتولى فيه الشعب اختيار حاكمه، ووضع القوانين والتشريعات التي تحكم به الشعب، كما أنه يتولى الرقابة على الحكومة، وكل ذلك إن لم يكن بنفسه مباشرة، فمن طريق ممثليه الذين يختارهم لينوبوا عنه فيما يسمى: المجالس النيابية ^(٢).

ثانياً: أهم مبادئ وأسس وعناصر الديمقراطية إجمالاً:

إن أهم عناصر الديمقراطية تتلخص في ثلاث ركائز مهمة وهي:

أولاً: سيادة الشعب: وذلك في جميع سلطات الدولة: التشريعية، والقضائية، والتنفيذية. مخالفاً لقول الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]. فالتشريع من الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**. وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ﴾ [الشورى: ١٣].

ثانياً: الحقوق والحريات المكفولة: ويقصدون بالحريات هنا: حرية الرأي والقول، حرية العقيدة والدين، وحرية المساواة وعدم التفريق بين حقوق الرجال والنساء، وحرية التملك، والحرية الشخصية.

(١) العلمانية، الليبرالية، الديمقراطية، الدولة المدنية في ميزان الإسلام، جمع وترتيب: اللجنة العلمية بجمعية الترتيل، تحت إشراف: الشيخ محمد عبد العزيز أبو النجا، قدم له: الأستاذ الدكتور محمد نعيم محمد هاني الساعي، ط ٣، (١ / ٢١).

(٢) ينظر: الديمقراطية وحكم الاسلام فيها، حافظ صالح، دار النهضة الإسلامية، الحقوق محفوظة، ط ٣، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، (ص ٥).

ثالثاً: إقامة الدولة المدنية.

ثالثاً: أركان الدولة المدنية عندهم تتركز ثلاث دعائم، وهي كالآتي:
- القومية أو الوطنية-العلمانية أو اللادينية-الديمقراطية^(١).

رابعاً: نقد الديمقراطية:

سيادة الشعب وتسلمه على جميع السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية هي بحد ذاتها كفر بالله العظيم، لجعلهم الشعب مصدراً تشريعياً وهم ينازعون في توحيد الألوهية والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هو المشرع الذي لا يشاركه أحد من مخلوقاته لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرهم، وأن من لم يتحاكم إلى شرع الله ولم يرض بقضائه وحكمه فليس بمؤمن كائناً من كان. قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

والحكم بما أنزل الله-تعالى-من توحيد الربوبية؛ لأنه تنفيذ لحكم الله الذي يقتضى ربوبية الله ووحدانيته وعظيم ملكه وكماله وأنه يتصرف في جميع شؤون الحياة ولذا سمى المتبوعين في غير ما أنزل الله أرباباً لمتبعيهم فقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ [التوبة: ٣١]. فسمى الله-تعالى-المتبوعين أرباباً حيث جعلوا مشرعين مع الله-تعالى-، وسمى المتبعين عبداً حيث إنهم ذلوا لهم وأطاعوهم في مخالفة حكم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

(١) ينظر: العلمانية، الليبرالية، الديمقراطية، الدولة المدنية في ميزان الإسلام. (ص ٢٣، ٢٤).

وقد قال عدي بن حاتم^(١) لرسول الله ﷺ: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه»^(٢).

وعليه فإن أركان الديمقراطية وعناصرها تنصب في عنصر واحد وهو فصل الدين عن الحياة سواء كان من الناحية السياسية أو الاجتماعية أو الاخلاقية أو الاقتصادية في جميع جوانب وشؤون حياة البشر، وأن الإنسان هو الذي يضع نظم حياته وقوانين سلوكه ولا يتأتى له ذلك إلا إذا تحققت له السيادة وتوفرت له ممارسة الإرادة أي تمكنه من الحريات العامة وممارسته لها، وتركز الحريات المختلفة حرية الرأي وحرية الشخص، وحرية الجنسية وحرية القول وكل هذا كذب وافتراء وزهور وتلاعب في أفهام وعقول البشر وفي الحقيقة لا يوجد سلطة في يد الشعب ولا الحرية عندهم ولا السيادة ولا المدنية.

(١) عدي ابن حاتم ابن عبد الله ابن سعد ابن الحشرج صحابي شهير وكان ممن ثبت على الإسلام في الردة وحضر فتوح العراق وحروب علي ومات سنة ثمان وستين وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل مائة،: تقريب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد-سوريا، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، (ص ٣٨٨).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، تحقيق وتعليق، أحمد محمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي-مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن-دار الثريا، الطبعة: الأخيرة-١٤١٣هـ، (٢/١٤٠)، وشرح ثلاثة الأصول، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الثريا للنشر، ط٤، ١٤٢٤هـ (ص ١٥٤).

المسألة الخامسة

الرأسمالية (Capitalism)

التعريف:

الرأسمالية نظام فلسفي اقتصادي اجتماعي وسياسي، يقوم على أساس إشباع حاجات الإنسان الضرورية والكمالية، وتنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها، متوسعا في مفهوم الحرية قاصدا على سياسة فصل الدين نهائيا عن الحياة^(١).

ويتلخص من هذا المذهب أنه يوجد نظام طبيعي للكون يتضمن توافقا اقتصاديا طبيعيا بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع، دون حاجة إلى التدخل من جانب أية سلطة سياسية وأن المنافسة الحرة كفيلة بتحقيق أكبر قدر من الإنتاج والرخاء في المجتمع، وقد أدّى التطور المعاصر لمذهب الليبرالية الاقتصادية إلى المزيد من المنافسة الحرة التي فيها أكبر ضمان لمصلحة المستهلكين، كما يحقق لهم إشباع رغباتهم بأقل تكلفة ممكنة، أي أنه يقوم على أن هناك قوانين ثابتة مثل قانون العرض وطلب تحكم النشاط الاقتصادي وأن مخالفتها هذه القوانين أو تدخل السلطة السياسية في سيرها يؤدي إلى أضرار كبرى تلحق بالمجتمع وتعوقه عن مسيرة التقدم^(٢).

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٢/ ٩١٠).

(٢) ينظر: الأخلاق والسياسية في الفكر الإسلامي والبرالي والماركسي، لمحمد ممدوح العربي (ص ٢٩٥).

والطبيعة كما يقولون تحترم الحرية، فمن الطبيعي أن يتمتع الإنسان بحريته الكاملة في خلال سعي كل فرد لتحقيق مصلحته الذاتية، وتم التعبير عن هذا المضمون وأوضح هذه الفكرة آدم سميث ودافيد ريكاردو في كتابيهما^(١).

نقد الرأسمالية والفرق بينها وبين نظام الإسلام؛

الرأسمالية تنظيم جاهلي اقتضته الظروف المعيشية التي مرت بها أوروبا في عصورها المظلمة دعا إليه بعض الساسة والمفكرين والكتاب للخروج من أغلال رجال الكنيسة، وعن الأوضاع الاقتصادية المتردية وقد يبدو أن لهم مبررات كثيرة في تلك الثورات الهائلة إلا أنه يؤخذ عليهم أنهم لم يطرقوا باب الإسلام ولم يطلعوا على ما فيه من حلول تسعد بها البشرية لو طبقوها على امتداد تاريخ وجودهم بل كان اهتمامهم كله يتركز على محاربة الدين وأنظمتهم كلها واستبدال قوانين الرأسمالية بكل ذلك.

ولقد أتت الرأسمالية أنظمة كثيرة تخالف الإسلام من الشريع ووضع القوانين الوضعية واستبدال الأحكام الجاهلية وما جرى مجراها بأحكام الشرع قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

(١) ينظر: الليبرالية في الفكر العربي، لحسين معلوم، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، ط. ١٩٩٢م، (ص ١١). مفهوم الديمقراطية البرالية في التطور الديمقراطي في مصر، قضايا ومناقشات، لإكرام بدر الدين، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٦م، (ص ١٩٠). بواسطة: مذاهب فكرية معاصرة في ميزان الإسلام، لمحمد عبد رب النبي سيد محمد، (ص ١١٩).

فالإسلام لا يقر أي تنظيم أو تشريع للبشر بعضهم للبعض الآخر بل ويعتبره حكما جاهليا وتطاولا على حق الخالق العظيم. ويفترق النظام الرأسمالي عن التشريع الإسلامي في جوانب كثيرة جدا لأن الإسلام يمقت الشح والتكالب على المال والحرص عليه. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وأمر بالتكافل بين الغنى والفقر، بينما يتميز الإسلام في معالجة للمشكلة الاقتصادية عن الرأسمالية التي تشجعها في قلة المورد^(١).



(١) ينظر: موسوعة الاقتصاد الإسلامي دراسات ومقارنة، لمحمد عبد المنعم الجمال، ط٢، درا الكتاب المصري القاهرة، درا الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٦هـ، (ص٣٨).

المسألة السادسة

الوجودية

أولاً: لغة واصطلاحاً:

أما لغة: فهو من وجد الشيء عن عدم، فهو موجود، مثل حم فهو محموم؛ وأوجده الله ولا يقال وجده، كما لا يقال حمه ووجد عليه في الغضب يجد ويجد وجدا وجدة وموجدة ووجدانا: غضب^(١).

واصطلاحاً: إبراز قيمة الوجود الفردي^(٢).

والمقصود به: استقلال الإنسان بوجود نفسه عن الآخرين، واستقلال هدايتها وضلالها وأن يسبر غور وجوده.

أبرز أقطاب الوجودية:

١- كير كجرد^(٣).

٢- جان بول سارتر^(٤).

(١) لسان العرب، (٤٤٦/٣).

(٢) الاتجاهات الفكرية المعاصرة، (ص ٧٧).

(٣) هو: سورين كير كجرد: ولد عام ١٨١٣م وكانت طفولته حزينة منقبضة أراد له والده أن يكون راعياً من رعاة الكنيسة البروتستانتية، كان دميماً إلى حد أنه كان هو يسخر من دمامته. من مؤلفاته: رهبة واضطراب، توفي سنة: ١٨٥٥م، ينظر: المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، لعبدالرحمن عميرة، دار الجليل، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٦هـ، (ص ٢١٥).

(٤) هو: جان بول سارتر فيلسوف وأديب فرنسي، ويعتبر المؤسس الفعلي للفكر الوجودي، ولد في عام: ١٩٠٥م، درس في الفلسفة وتعرف إلى كثير من روزها، وعمل في المجال العسكري أثناء احتلال فرنسا من قبل الألمان، أحرقت جثته تنفيذاً لوصيته. ينظر: موسوعة الفلسفة، لعبدالرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٨٤م، (ص ٥٧٠).

٣- كامو^(١).

من أهداف الوجودية إشباع النفس والجسد وله أدلة منها:

قول جون بول سارتر: «إن ما ينبغي أن تكون عليه حياة الوجودي هي توديع ما يسميه الجبناء وجدائاً وضميراً والاستجابة لداعي الحيوانية، وتلبية كل ما تدعو إليه شهواته ونبذ كل التقاليد والتعاليم الاجتماعية...»^(٢).

ويقول الدكتور الفرنسي روجيه جارودي^(٣) الوجودية على هذا النحو: فلسفة هدم لا بناء فلسفة تدمير للشخصية الإنسانية، فلسفة إسقاط النفس الإنسانية في مجالات اللذة والشهوات، بحيث تصبح غير قادرة على الدفاع عن نفسها أو تركيز وجودها.

(١) هو: ألير كامو فيلسوف وجودي وكاتب مسرحي وروائي فرنسي. ولد في قرية الذرعان التي تعرف أيضاً ببلدة مندوفى بمقاطعة قسنطينة بالجزائر، ٧ نوفمبر ١٩١٣-٤ يناير ١٩٦٠م، فلسفته تعاييش عصرها، وأهله لجائزة نوبل فكان ثاني أصغر من نالها من الأدباء. تقوم فلسفته على كتابين هما ((أسطورة سيزيف)) ١٩٤٢ والمتمرد ١٩٥١، أو فكرتين رئيسيتين هما العبثية والتمرد. ينظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة: <https://ar.wikipedia.org/wiki> تاريخ الزيارة: ١٥/١١/١٤٤١هـ، الساعة: ١٤:٨م.

(٢) الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها، لجمعة الخولي، مطبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١، ١٤٠٧هـ (ص٧٩).

(٣) هو: رجاء جارودي والمشهور روجيه جارودي كاتب فرنسي وفيلسوف ولد في فرنسا، لأم كاثوليكية وأب ملحد. درس في كل من جامعة مرسيليا وجامعة إيكس أون بروفانس وانضم إلى صفوف الحزب الشيوعي الفرنسي، وفي عام ١٩٣٧ عين أستاذا للفلسفة في مدرسة الليسيه وكان عضواً في الحوار المسيحي-الشيوعي في الستينيات، وبدأ يميل إلى الإسلام في هذه الفترة في ٢ يوليو ١٩٨٢ أشهر جارودي إسلامه، في المركز الإسلامي في جنيف، عام ١٩٨٢. ينظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة: <https://ar.wikipedia.org/wiki> تاريخ الزيارة: ١٥/١١/١٤٤١هـ، الساعة: ١٤:٨م.

والوجودية المعاصرة مدرسة في الفلسفة ذات ثلاث شعب، والأساس المشترك بين الشعب الثلاث للوجودية، أن الوجود الإنساني هو المشكلة الكبرى، فالعقل وحده عاجز عن تفسير الكون ومشكلاته، وأن الإنسان يستبد به القلق عند مواجهته مشكلات الحياة وأساس الأخلاق قيام الإنسان بفعل إيجابي، وبأفعاله تتحدد ماهيته، وإذن فوجوده الفعلي يسبق ماهيته.

نقد الوجودية:

إن الوجودية فوضوية بكل ما تحمله الفوضوية من معان آخذة من دعوى الحرية الشخصية ستاراً، مع أن هذه الدعوى تعادل بالتعبير الصحيح الفوضى، وليست الحرية التي يفهمها العقلاء، وإنما هي حرية حيوانات لا حد لجماحها ونزواتها، حرية انحطاط وتخلف شائن واستعباد للشهوات دون أدنى تمييز أو تفكير، فإن من تأمل مذهب الوجودية سيتضح له تماماً أنها تدعو إلى الحياة البهيمية، وأن يعيش الإنسان مكبا على وجهه لا يرتبط بأية فضيلة أو سلوك، بعيداً عن تكريم الله للإنسان ورفعته فوق كثير من الخلق، وهي دعوى إلى عبادة الإنسان لنفسه وهواه، وقد قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وفي الفتن كما قال الشاعر:

يقضي على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن



المسألة السابعة

الماركسيّة (Communism)

الشيوعية الماركسيّة^(١) تيار قديم عريق مشهور بالإلحاد ومحاربة الأديان وخاصة محاربة دين الإسلام علناً واعتقاد المادة المحسوسة فقط واعتبار عالم الغيب وهما، وخرافة وحصر الوجودي الحقيقي على العالم الماديّ الكثيف المحسوس.

والنظام الشيوعي الاشتراكي والمذهب الماركسي اتجاه فكري يشمل جميع شؤون الحياة وجوانبها الدينية والاجتماعية والاخلاقية والاقتصادية، ولم يترك شأنًا، من شؤون الحياة إلا دخلت وأفسدت ودمرت.

وغير ذلك من الفساد العريض ومعاداة للدين والإسلام في كل مجالاته.

أولاً: تعريف الاشتراكية ونشأتها وتطورها:

التعريف: تحويل المجتمع الرأسمالي على مجتمع اشتراكي أو شيوعي^(٢).

النقطة المركزية في الاشتراكية هي: «الاقتصاد».

(١) نسبة إلى كارل ماكس (١٨١٨-١٨٨٣م) من أصل يهودي ألماني درس القانون ثم انصرف إلى الاقتصاد والفلسفة، اضطهد في ألمانيا بسبب نشاطه الثوري، فانتقل منها إلى باريس حيث التقى بفردريك انجلز وتعاونوا على إصدار الوثيقة الشيوعية الأولى في عام (١٨٤٨) أصدر الجزء الأول من كتابه (رأس المال) ينظر: عصر الإلحاد خلفيته التاريخية وبداية نهاية، لمحمد تقي الدين الأميني الندوي، دار الصحوة للنشر والتوزيع، بالهند، (ص ١٦٤).

(٢) تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة، لمحمد عبد الله عنان، إدارة الهلال بمصر، ط ١، ١٩٢٦م (ص ١٧٦).

الشيوعية: مذهب سياسي اقتصادي اجتماعي ملحد، بنى قواعده الفكرية على انكار وجود خالق لهذا الكون.

نماذج من أقطاب الشيوعية:

١ - كارل ماركس^(١).

٢ - لينين^(٢).

٣ - تروتسكي^(٣).

من أهم مبادئ الماركسيّة وأنواعها:

لكل مذهب فكري له مبادئه وأسسها التي ينطلق اليها ويدافع عنها وآراء كارل ماركس وفرويد في البيان الشيوعي تتلخص في المبادئ الآتية:

أولاً: الايمان بالمادّة المحسوسة والدّعوة إلى الإلحاد.

ثانياً: تغيير العالم كله بالثّورة والصّراع الطبقيّ.

(١) هو كارل هنريك ماركس. وليس هذا لقب الأسرة الأصلي، وغنما لقبها الحقيقي هو «لاوي» أو ليفي. ولد في شهر مايو ١٨١٨م، في مدينة تربر بألمانيا، وفلسفته خليط من فلسفة هيغل ومن الاقتصاديين البريطانيين، حيث إن فلسفته تقليدية مادية فاشلة في الميدان والواقع. ينظر: المذاهب المعاصرة، لعبد الرحمن عميرة (ص ١٩٠-١٩٣).

(٢) اسمه الحقيقي فلاديمير ألتيش بوليانوف، وهو قائد الثورة البلشفية الدائمة، فهو الذي قاد الثورة على القيصرية الروسية عام ١٩١٧م وتولى زمام الحكم الشيوعي إلى أن مات عام ١٩٢٤م. ولئن كان ماركس هو المؤسس الأول للشيوعية بأفكاره النظرية ولينين هو المنفذ لهذه الأفكار؛ فهو الذي وضع الشيوعية موضع التنفيذ. موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، (٢/ ١٧٤).

(٣) ولد سنة ١٨٧٩م واغتيل سنة ١٩٤٠م بتدبير من ستالين، وهو يهودي واسمه الحقيقي بروشتاين. له مكانة مهمة في الحزب وقد تولى الشؤون الخارجية بعد الثورة ثم أسندت إليه شؤون الحزب.. ثم فصل من الحزب بتهمة العمل ضد مصلحة الحزب ليخلو الجولستالين الذي دبر اغتياله للخلاص منه نهائياً. موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، (٤٢/ ١٠٠).

ثالثاً: تفسير التاريخ بناء على أساس مادي اقتصادي بحث (١).

نقد الشيوعية والاشتراكية الماركسية:

من المعلوم أن الاشتراكية تتنافى مع الإسلام في جميع مبادئها وأفكارها سواء كان في العقيدة أو الشريعة أو الأخلاق أو في الأحكام والتطبيق أو في الأخلاق وحتى في الاقتصاد هذا من ناحية، وعليه فإن الاشتراكية تصادم مع الفطرة البشرية السليمة، وتبيح الظلم والتعدي على الآخرين والجور وأخذ أموال الناس بالباطل. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: ٢٩].

والشريعة حرمت أكل أموال الناس بالباطل في غير ما آية وفي غير ما حديث ومن ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر فقال: «يا أيها الناس أي يوم هذا؟»، قالوا: يوم حرام، قال: «فأي بلد هذا؟»، قالوا: بلد حرام، قال: «فأي شهر هذا؟»، قالوا: شهر حرام، قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا» (٢).

وكما حرمت الشريعة الظلم والعدوان والبغي والحسد والجور وغير ذلك من مساوئ الاخلاق ومنكراتها في نصوص عدة.

(١) الشيوعية وموقف الاسلام منها، لحمود بن احمد الرحيلي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ، (ص ٤٦، ٤٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الخطبة أيام منى، برقم الحديث: (١٧٣٩) (٢/١٧٦). ومسلم في صحيحه، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، برقم الحديث: (٣٠). (٣/١٣٠٦).

والإسلام يدعو إلى التعاون والتّضامن والتّكافل الاجتماعي بين المجتمع أفرادا وجماعات^(١). قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

وغير ذلك من النصوص التي توضح وتبين فوائد التعاون بين البشر والتكافل الاجتماعي مخالفاً لأنظمة الاشتراكية والشيوعية الماركسيّة.

(١) ينظر: الشيوعية وموقف الاسلام منها، (ص ٥٤، ٥٥).

المسألة الثامنة

العلمانية

تعريف العلمانية في اللغة والاصطلاح:

العلمانية لغة: لم توجد لفظ العلمانية في معاجم اللغة العربية القديمة، إلا أنها وردت في بعض المعاجم المعاصرة، ومن ذلك: العامي الذي ليس بإكليريكي^(١). وما ليس كنسياً ولا دينياً^(٢). ولعل المعنى الصحيح لترجمة كلمة العلمانية هي اللادينية أو الدنيوية^(٣).

تقول دائرة المعارف البريطانية العلمانية حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالدنيا.

والعلمانية في الاصطلاح: هي دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين، وتعنى في جانبها السياسي بالذات في الحكم، وهى اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم والمذهب العلمي^(٤).

(١) ينظر: معجم المعلم بطرس البستاني، والكيرس أو الإكليرس: جماعة مفرزون ومكرسون لخدمة الكنيسة المسيحية كالشمامسة والقساوسة والأساقفة ويقابلهم العلمانيون، يونانيتها: كليس ومعناه قرعة؛ لأنهم كانوا في القديم ينتخبون بالقرعة، الواحد إكليريكي جمعه كليريكيون، ويلاحظ أن المعلم بطرس البستاني لم يضع لفظة علمانيين في مادة (ك ل ي) ولكنه وضعها في مادة (ع ل م). انظر: جذور العلمانية، دكتور السيد أحمد فرج (ص ١٥٤).

(٢) المعجم العربي الحديث د/ خليل الجسر.

(٣) ينظر: قاموس المورد لمير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٧م.

(٤) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (ص ٣٦٧).

ولا شك أن كلمة العلمانية اصطلاح جاهلي غربي يشير إلى انتصار العلم على الكنيسة النصرانية التي حاربت التطور باسم الدين^(١).

ومن هذا يتضح لنا أنه لا علاقة لكلمة العلمانية بالعلم، وإنما علاقتها قائمة بالدين على أساس سلبي وهو نفي الدين عن مجالات الحياة: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والفكرية... إلخ^(٢).

والخلاصة: أن العلمانية عمت جميع شؤون الحياة في الحكم والاقتصاد والأخلاق والقيم والاجتماع، والعلم والأدب والفن ودخلت في كل باب وأفسدت إلا الدين، فلم تقبل منه شيئاً في الحياة.

من أهم مبادئ العلمانية:

- ١ - إنكار وجود الله.
- ٢ - إقصاء الدين عن الحياة كلياً.
- ٣ - إقامة الحياة على أساس العلم المطلق وتحت سلطان العقل والتجريب.
- ٤ - إقامة عالم سميك بين عالم الروح والمادة، والقيم الروحية لديهم قيم سلبية^(٣).

نقد العلمانية:

إن مذهب العلمانية يناقض الإسلام وجميع مجالاته وأركانه تتنافى مع شريعة الله من ناحيتي الحكم بغير ما أنزل الله والشرك في عبادة الله؛ لأن من منهج العلمانية إنكار وجود الله.

- (١) ينظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة (ص ١٠٣).
- (٢) العلمانية وموقف الإسلام منها، للدكتور: حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١ - السنة ٣٤ - ١٤٢٢ هـ، (ص ٣٣٣).
- (٣) الموسوعة الميسرة، (٢/ ٦٨٢).

ومما سبق يعلم أن المذاهب الفكرية المعاصرة نشأت في أوروبا خروجًا من مأزق الكنيسة والتفقت رجالها واستعبادها التي اضطرت الناس إلى التخلص من الدين وإلغائه في جميع جوانب الحياة.

والعلمانية تقوم على ثلاث أسس وأركان:

الأساس الأول: حصر اهتمام الإنسان وشغلها الشاغل على الدنيا فقط وتأخير منزلة الحياة عن الدين.

الأساس الثاني: فصل العلم والأخلاق والفكر عن تعاليم الدين.

الأساس الثالث: إقامة دولة ذات مؤسسات سياسية على أساس غير ديني^(١).

والإسلام يرفض العلمانية في جميع جوانبها وأركانها ومبادئها لأن العلمانية تفصل الدين عن الحياة، والدين والدولة، والإسلام دين كامل وشامل في جميع شؤون الحياة دينًا ودولة عقيدة وشريعة وأخلاقًا ومعاملة واقتصادًا وسياسية واجتماعًا، وليس صحيحًا أن الدين يعيق عن العمل والتطور في الحياة فالمسلم يعمل للآخرة من خلال عمله في الدنيا.

فليس هناك تعارض بين الإسلام والعمل في الحياة قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

ومما امتازت به الشريعة الغراء تقريرها توحيد العبادة والتحاكم إلى الكتاب والسنة وهذا ما عطلته العلمانية واستبدلت به قوانينها الوضعية

(١) ينظر: الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان، جمع وترتيب: شحاتة صقر - دار الخلفاء، (ص ١٢).

ويدعون إلى حكمها ليلاً ونهاراً ويروج لها أناس ينتسبون إلى الإسلام لابسين شعار الإسلام ﴿يَقُولُونَ بِالسِّنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١].

الحكم بما أنزل الله من أصول الدين وقواعده وصنف من أصناف التوحيد وقد ورد في ذلك أدلة من الكتاب والسنة غير محصورة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

وقد أجمع العلماء على أن من زعم أن حكم غير الله أحسن من حكم الله، أو أن هدي غير رسول الله ﷺ أحسن من هدي الرسول ﷺ فهو كافر، كما أجمعوا على أن من زعم أنه يجوز لأحد من الناس الخروج عن شريعة محمد ﷺ أو تحكيم غيرها فهو كافر ضال^(١).



(١) ينظر: مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، لعبد العزيز بن عبد الله بن باز، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، (١/٢٦٩).

المسألة التاسعة

القومية والوطنية (Nationalism.nationality)

تعريف القومية والوطنية:

القومية لغة: نسبة إلى القوم، وقوم الرجل شيعته، للرجال دون النساء وربما دخل النساء فيه على سبيل التبع لأن قوم كل نبي رجال ونساء، والقوم يذكر ويؤنث^(١).

والوطنية لغة: منسوب إلى وطن مصدر صناعي ويراد به حب الوطن والتضحية والاخلاص من أجل الوطن، الوطنية تعمل ولا تتكلم.

القومية اصطلاحاً: النظام الذي يدعو إلى الولاء والتجمع لأمر معين يعيش من أجله ويدافع عنه ويخلص له بدالات من الذي، سواء كان جنساً أو لغة أو أصلاً أو تاريخاً^(٢).

يقول ساطع الحصري^(٣): الوطنية والقومية من أهم النزعات الاجتماعية التي تربط الفرد البشري بالجماعات، وتجعله يحبها ويفتخر بها ويعمل من

(١) ينظر: لسان العرب، (١٢/٥٥٥).

(٢) الوجيز في المذاهب الفكرية المعاصرة عرض ونقد، للدكتور: أحمد بن عبدالعزيز الخلف، (ص ٢١٣).

(٣) هو: ساطع بن محمد هلال الحصري، أبو خلدون: ولد في عام: ١٣٠٠هـ، كاتب باحث، من علماء التربية. ترك ثم تعرب. حليبي الأصل. ولد بصنعاء وكانت وفاته ببغداد، عام ١٣٨٨هـ: الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط ١٥ - أيار / مايو ٢٠٠٢ م، (٣/٧٠).

أجلها ويضحى في سبيلها^(١).

أما الوطنية فهي التي تقبل كل تناقضات المذاهب المختلفة، وهي في الواقع لا تقبلها كما يدعون، بل ترمي بها كلها وتؤخذ بدلا عنها شعار القومية والوطنية، ومن هنا قدسوها ورفعوها فوق كل اعتبار، واجتمعوا على التفاخر والتباهي بها، حتى صار كل قوم يدعون أنهم هم أفضل الجنس البشري وغيرهم في الدرجة الدنيا، ولهذا تسمع وتعجب حين يفتخر كل قوم أو كل شعب بأنهم أرقى أمة وأفخرها، فما دام قد انحل الوكاء فما الذي يمنع كل جنس أو قوم من الافتخار بل والتعالي على الآخرين، راكبين كل صعب وذلول في تقرير ذلك، فكثرت تبعاً لذلك القداسات المزيفة لهذه الفئات من البشر، كما كثرت الأماكن والأرضي المقدسة عندهم، كما يقتضيه شرع القومية والوطنية^(٢).

يقول فرنارد لويس^(٣): فالليبرالية والفاشية والوطنية والقومية والشعبوية والاشتراكية كلها أوروبية الأصل مهما ألقمها وعدلها أتباعها في الشرق الأوسط^(٤).

نماذج من أعلام القومية:

١ - ماكيافيلي^(٥).

(١) ينظر: فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام، لصالح بن عبد الله العبود، الرياض، دار طيبة، ط ١، ١٤٠٢ هـ، (ص ٢٧).

(٢) ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، (٢/ ٩٠٩).

(٣) سبق ت ترجمته.

(٤) ينظر: العرب والشرق الأوسط، تعريب د. نبيل صبحي، (ص ١٧٩).

(٥) هو «نيقولا مكيافيلي» إيطالي، ولد في «فلورنسا» وعاش ما بين عام (١٤٦٩-١٥٢٧ م). ينظر: عصر الاتحاد خليفته التاريخية وبداية نهايته، لحمد تقي الأميني، ترجمة مقتدى حسن ياسين دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، (ص ٦١).

٢- هردر^(١).

٣- فيختي^(٢).

وهلم جرا فهذا اختلاف من دعاة القومية^(٣).

نقد القومية والوطنية:

فإن من طبيعة البشر حب الوطن والحنين إلى مسقط الرأس ومحل الولادة والنشأة وهذا شعور فطري جبلي يتوافق مع مقاصد الشريعة، والمنطق السليم.

تحقيقاً للمصالح العامة؛ وتوفيراً لمقومات العيش، وأحياناً يعدّ الدفاع عن البلد من أوجب الواجبات وأسمى مقاصد الشريعة والمصالح العامة الضرورية التي حثت الشريعة على كل فرد ينتمي إلى الوطن أو البلد حيث يقدم مصلحة الوطن فوق كل مصلحة أخرى مجرداً عن الانتماءات الأخرى والسعي في تحقيق وإنجاح متطلبات الوطن ونهضته وعمارته وإحيائه وحضارته وتطويره من البذل والإنفاق والنصرة للمظلوم وإغاثة الملهوف

(١) هردر ولد في عام ١٧٤٤ - وتوفي: ١٨٠٣ م، أديب ومفكر ونقد ألماني، أشهر مؤلفاته (فكره في فلسفة تاريخ الإنسانية). تاريخ الفكر الأوروبي، (٧٧٢).

(٢) فيخته (Fichte Johan Gotlib). ولد (١٧٦٢-١٨١٤ م) كان من فلاسفة عصر الأنوار من ألمانيا، كان يشتغل بالفكرات المحضة وينزع إلى العالمية، فيلسوف نادى بالقومية الألمانية وقد وضع مشروعاً لإقامة مجتمع الماني يستند على دولة قومية، ينظر: ما هي القومية أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات، لأبي خلدون ساطع الحصري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ١٩٨٥ م، (ص ٥٠).

(٣) نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع، لعبد العزيز بن عبد الله بن باز، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة، ط ٦، ١٤١١ هـ، (ص ٧).

وإعانة الآخرين، وإقراء الضيف وإعانة نواب الدهر، وتدير شؤونه على الوجه الأكمل والأفضل، وغير ذلك من مقومات الحياة ومصلحة الوطن وازدهاره وتقدمه، وتحقيق سعادة المجتمع في الدارين حيث إن القلوب تهوى إلى حبّ البلد والشوق إليه مهما طال غربة الشخص عن وطنه.

فالنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عند هجرته إلى المدينة وهو واقف على الحزرة فقال: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت»^(١).

وقديما قالوا: كل شيء يرجع إلى أصله ويقول الشاعر:

بلادي وإن جارت علي عزيزة وأهلي وإن ضنوا علي كرام^(٢)

فحب الوطن والقوم ليس بدعاً في الإسلام لكن يكون ممقوتاً إذا كان الولاء للوطن من دون الله والمؤمنين أو الإسلام، أو كان نعرات جاهلية أو عصبية جاهلية للقوم وللوطن مع علمه مخالفة للحق والصواب.

أما المواطنة: وتعني أن يكون الانتماء إلى الوطن والدولة والقانون المدني متقدما على أي انتماء آخر كالعائلة والعشيرة والإقليم والدين والطائفة والعرق كما يعني معاملة الأفراد على هذا الأساس.

وقد كشف عوار القومية والوطنية علماء أجلاء بعضهم عاشوا في عصرها وبداية نشاطها وألفوا كتباً ومقالات لتفنيدها وبيان خطورتها للناس

(١) أخرجه الترمذي في سننه، باب في فضل مكة، برقم الحديث: (٣٩٢٥). وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، بتحقيق: (٢٠٧/٦).

(٢) أبيات مختارة تشتمل على: عقيدة، نصائح، مواعظ، وصايا، حكم، أمثال، أدب، لعبد الله بن محمد البصري، مطابع الحميضي، ط ١، ١٤٢٢هـ، (ص ٦٧).

وأن أسسها تخالف قواعد الشريعة وتحارب هوية الإسلام وبيضة المسلمين حيث يريدون التكتل براية القومية أو الوطنية.

يقول الشيخ ابن باز ^(١) رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «من زعم أن الدين من عناصر القومية من دعاة القومية فقد فرض أخطاء على القوميين وقال عليهم ما لم يقولوا؛ لأن الدين يخالف مبادئهم وأسسهم التي بنوا القومية عليها، ويخالف صريح كلامهم ويباين ما يقصدونه من تكتل العرب على اختلاف أديانهم تحت راية القومية...» ^(٢).

ثم ذكر الشيخ أوجه بطلان وأخطاء القومية العربية.

سأنقل الأوجه هنا جملة مختصرة:

الوجه الأول: الدّعوة إلى القومية العربية ينشأ عنها التفرق والتناحر بين المسلمين.

الوجه الثاني: القومية تنادي إلى التّفرق والتّمزق والاختلاف بين المسلمين وتفرق صفوفهم.

الوجه الثالث: نهي الإسلام عن دعوى الجاهلية والتحذير منها: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن

(١) هو: العلامة الفقيه المحدث الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن عبد الرحمن آل باز: ساحة المفتي للملكة العربية السعودية، ورئيس هيئة كبار العلماء، والبحوث والإفتاء رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ١٣٣٠هـ - ١٤٢٠هـ: نثل النبال بمعجم الرجال الذين ترجم لهم فضيلة الشيخ المحدث أبو إسحاق الحويني، جُمع من كتب: الشيخ أبي إسحاق الحويني، جمعه ورتبه: أبو عمرو أحمد بن عطية الوكيل، الناشر: دار ابن عباس، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، (٤/ ٣٥).

(٢) ينظر: نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع، لعبد العزيز بن عبد الله بن باز، (ص ٩).

من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة: فهو من عزاء الجاهلية، ونعراتها وخصالها التي حذر الإسلام منها»^(١).

الوجه الرابع: القومية سلم إلى تحقيق موالاة كفار العرب وملاحدتهم. الوجه الخامس: الدعوة إلى القومية دعوة إلى رفض القرآن^(٢).



(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية الحراني، (٣٢٨/٢٨).

(٢) ينظر: نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع، لعبد العزيز بن عبد الله بن باز، (ص ٩).

المسألة العاشرة

الماسونية والصهيونية (Free-mason)

وتحتها مسائل، تمهيد، ومسائل:

التمهيد:

الماسونية ربيبة الصهيونية في العداء والتخطيط وتدمير العالم الإسلامي تقود راية المذاهب الفكرية والتيارات الضالة والآراء المنحرفة بثًا لسمومها بين الأمة الإسلامية وتحقيقًا لإضعاف قوة المسلمين وكسر بيضتهم تفريقًا وتشريدًا وتشتيًا، واستيلاء على خيراتها، وهذا هدف ثمين ونفيس من أهداف الغزو الفكري الأجنبي، ومنها الماسونية التي تخدم الصهيونية لاستيلاء على أرض فلسطين لكثرة الخيرات فيها واستراتيجيتها، ولا يتحقق ذلك إلا بمحاربة دين الإسلام باستخدام وسائل مباشرة أو غير مباشرة لإيجاد نحل وملل هدامة ضالة ونشر الفساد والاحاد والفوضى فقد جاء في بروتوكولات صهيون يجب علينا أن نحطم كل عقائد الايمان، وأن تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي ثمار الملحدين، فلمن يدخل هذا في موضوعنا، ولكن سيضرب مثلاً للأجيال القادمة التي ستصغي إلى تعاليمنا على دين موسى، الذي وكل إلينا واجب إخضاع الأمم تحت أقدامنا^(١).

قبل الخوض إلى معمعة الموضوع لابد من تعريف الماسونية.

(١) ينظر: خطر الصهيونية بروتوكولات صهيون، البروتوكول الرابع عشر، (ص ٢٢٩).

أولاً: تعريف الماسونية، لغةً واصطلاحاً:

لغةً: البناء، مصطلح معرب أجني إنجليزي ويضاف إليها كلمة الحر، أي البناؤون الأحرار. ومقصود البناء بناء هيكل سليمان زعمًا وبهتانًا وزرورًا وهدفهم الأساسي سيطرة اليهود على العالم. وفي عام ١٧١٧م، انضم لها عدد كبير من مشاهير وزعماء العالم ويتعارفون فيما بينهم بإشارات وشعارات رمزية^(١).

واصطلاحاً هي: أخطر تنظيم سري إرهابي يهودي متطرف، يحتوي على حثالات البشر؛ من أجل السيطرة السياسية والاقتصادية والثقافية في كل أنحاء المعمورة^(٢).

ثانياً: من أهداف الماسونية:

- ١ - محاربة الدين.
- ٢ - إقامة دول إلحادية لا دينة تحت شعار الديمقراطية.
- ٣ - إقامة دولة إسرائيل الكبرى^(٣).

ثالثاً: نقد الماسونية:

سبق الحديث عن انتماء الماسونية إلى اليهودية وزعمائها وأنها تخدم، منظمة أو حركة سرية تحارب جميع الأديان خاصة دين الإسلام والنصرانية وأن الماسونية لمصلحة الصهيونية، وأن اليهودية أهدافها واضح جلي حيث حذرنا الله في كتابه في آيات كثيرة وحذرنا رسولنا ﷺ من مكائد

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عبد الحميد عمر، (٣/ ٢٠٦١).

(٢) ينظر: رسائل في الأديان والفرق والمذاهب لمحمد الحمد - (ص ١١٠).

(٣) ينظر: أسرار الماسونية، للجنرال جواد رفعت، مطبعة الحافظ، (١٩٦٦م). (ص ٢٩).

اليهود ومكرهم وأنها يريدون السيطرة على العالم الإسلامي، وقد أرشدنا القرآن الكريم في مخططات اليهود وأغراضهم في غير ما آية فما أكثر حديث القرآن عن اليهود وكيدهم ومكرهم وصفاتهم السلبية الخبيثة منذ أن خلق الله اليهود إلى يومنا هذا وهم يتربصون الدوائر والسوء على المسلمين في كل عصر وفي كل زمان علناً وجهراً.

وقد تكرر التنبيه التحذير من أتباع اليهود واتباع سبيلهم وتوليهم، فقال تعالى: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠].

فمن رضي بالدخول في هذه المنظمات والانتساب إليها على علم وبصيرة فهو منهم وموَالٍ لهم.

فكل ماسوني هو وقف على الصهيونية ويعد في جملة أدواتها، وهذه الحركة التي أسسها اليهود على منطلقات وأسس نابغة من روحهم الشريرة المعادية للدين وللإنسانية^(١).

وقد نافح العلماء الأجلاء في الانتساب الى الماسونية وهتكوا سترها وبينوا زيفها وضلالها بعد ذلك الخفاء الطويل ومع ذلك فهي لازالت في حكم المجهول لدقة سريتها وتنظيماتها المحكمة الغائصة في الكتمان والسرية^(٢).

والدخول فيها كفر بالله العظيم؛ لأنها تخدم وتنفذ مخططات اليهود وتحقق أهدافها.

(١) ينظر: الماسونية نشأتها وأهدافها، (ص ١٢٩).

(٢) ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة لغالب عواجي (١/ ٤٩٤).

صدرت قرارات وفتاوى عن المؤسسات والمؤتمرات الإسلامية في تحريم الانتساب إلى الماسونية ومن تلك الفتاوى^(١).

وقد جاء في قرار المؤتمر الدولي المنعقد في بروكسل: يجب أن لا يغرب عن الأذهان أن الماسونية هي التي دبرت الثورة الفرنسية في محافلها لأجل تحقيق أغراضها ص ١٢٤ وجاء في محفل الكرسي الأكبر سنة ١٩٢٢ م أن الماسونية التي لها أثر في إشعال الثورة الفرنسية يجب أن تكون على أهبة الاستعداد للقيام بأية ثورة منتظرة في المستقبل^(٢).

وغير ذلك من فتاوى العلماء والمشايع والمؤلفين الذين ألفوا كتباً وكتبوا مقالات في ردود الماسونية وكشف عوارها وزيفها وبطلان حجتها وهتك ستارها؛ ذلك أن الماسونية أصلها يرجع إلى فلاسفة اليونان المزيغ من مبادئ الوثنية والمجوسية والفلسفات القديمة، وأن أخص فكرة التي اعتقدت الماسونية الإيمان بالمادة أو الطبيعة الذي يقتضي ويستلزم إنكار وجود الله. واعتبار أن الإنسان غني عن الخالق وأنه سيد نفسه، ومحاربة الدين الإسلامي وكل عقيدة نبعت من الوحي فهي دعوة مرفوضة عند الماسونية.

رابعاً: مفهوم الصهيونية:

الصهيونية مذهب علماني، أهم أهدافه هو تجميع اليهود في فلسطين، وقد كانت العودة إلى فلسطين حلماً يراود اليهود منذ أخرجوا منها، ولكن

- (١) للقراءة والاطلاع على هذه الفتاوى ينظر: قرارات المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، الدورة الأولى (١٣٩٨ هـ) - الدورة التاسعة عشرة (١٤٢٨ هـ)، من القرار رقم (١) إلى القرار رقم (١١٢)، جمع وترتيب: الباحث جميل أبو سارة، (١/١).
- (٢) للقراءة والاطلاع المزيد ينظر: الماسونية، لعبد الرحمن الدوسري، (ص ٣). والفكر الماسوني في ميزان الاسلام، لحمد حلمي، (ص ١٧٨، ١٧٩).

كثيراً منهم كان يرى أن العودة إليها يجب أن تكون بطريقة معجزة على يد المسيح المخلص، فلما جاء الصهاينة نادوا بالعودة إلى فلسطين، وقيام دولة علمانية لا علاقة لها بالدين، أو بفكرة العودة بطريقة معجزة، وكان أكبر الدوافع لتأسيس هذا الكيان وبروزه هو: الاضطهاد الأوروبي لليهود الذي كان أكبر سبب لبروز الصهاينة، كما كان سبباً لتجميع أكثر اليهود تحت لواء الصهيونية لتحقيق ذلك الهدف وهو العودة إلى فلسطين.

ومن أوائل الصهاينة الذين بدأوا بالفعل العمل الصهيوني الجاد لتحقيق الأهداف الموضوعية له هو «ثيودور هرتزل» الصحفي النمساوي العلماني اللاديني، الذي ألف كتابه «الدولة اليهودية» ونادى فيه إلى قيام دولة علمانية في فلسطين، وذلك عام ١٨٩٤م، وابتدأ بعدها في التخطيط الفعلي للتجميع في فلسطين^(١).



(١) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، للدكتور: سعود بن عبد العزيز الخلف مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٤، ١٤٢٥هـ، (ص ١٥٠).

المسألة الحادي عشر

الليبرالية (Liberalism)

الليبرالية لغة واصطلاحاً:

لغةً: مصطلح أجنبي معرب ومعناه الحرية المطلقة.

واصطلاحاً: مذهب سياسي فلسفي يقرر أن وحدة الدين ليست ضرورية للتنظيم الاجتماعي الصالح يجب أن يكفل حرية الرأي والاعتقاد^(١).

تعريف الفيلسوف السويسري جان جاك روسو^(٢). بأنها الحرية الحقة في أن نطبع القوانين التي اشترعنا لأنفسنا^(٣).

والليبرالية مذهب فكري أوروبي يسعى لتحقيق الحرية الشخصية أو الفردية، ويرى وجوب احترام استقلال الأفراد. ويوجبون على الحكومة حماية حريات المواطنين^(٤).

ومن المتأثرين بالفكر الليبرالي محمد أركون حيث قال: الإيمان بالمعنى التقليدي أو التسليمي غير الإيمان بالمعنى الحديث يعني التعقل قبل الإيمان أو

(١) ينظر: المعجم الفلسفي، (١/٤٦٥).

(٢) جان جاك روسو فيلسوف فرنسي وكاتب، ولد في عام: ١٧١٢م، وتوفي ١٧٧٨م من أشهر كتبه، (كتاب العقد الاجتماعي) يؤيد فيه الليبرالية وخاصة الديمقراطية، وكان لكتابات أثر في إلهاب نيران الثورة الفرنسية، وتوفي عام: (١٧٧٨م).

(٣) ينظر: دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة، نشأتها، منطلقاتها الفكرية، للدكتور: أحمد بن علي عبدالعال، (ص ٢٧٨، ٢٧٩).

(٤) ينظر: حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها، لسليمان بن صالح الخراشي، ط ١، ١٤٢٩هـ، بدون دار الطباعة، (ص ١٢-١٣).

الإيمان بعد التعقل. وهناك فرق بين مؤمن كل الثورات العلمية التي حصلت في القرون الأخير وبين مؤمن لا يزال مشحوناً بحساسية القرون الوسطى، أي إيمان ما قبل الحداثة وما قبل العلم وإذن فهناك تاريخ للإيمان أيضاً^(١).

وعليه فإن الليبرالية مذهب فكري عقلي يركز على النزعة الفردية أساساً وجوهره الحرية المطلقة وهي إطلاق الإنسان إلى الحرية التامة من غير قيود خارجية دينة أو سياسية أو اجتماعية، وجذورها ترجع إلى الثقافة الأوروبية الوثنية الرومانية، والدين المحرفة، وتقوم الليبرالية على أساسين: الحرية والعقلانية، وعدم الإضرار للآخرين. وهذا من شروطهم ولذا فإن التراضي بين رجل وامرأة على ممارسة الزنا والعياذ بالله خارج بيت الزوجية مثلاً لا يعتبر منكراً ومثله الزواج المثلي، أو الشذوذ الجنسي، طالما أن ذلك يتم برضا الطرفين أما إذا لم يتحقق شرط الرضا فيعتبر عندئذ اغتصاباً يعاقب عليه القانون.

ويقال هذا أيضاً في تعاطي الخمر، والانتحار ونحو ذلك مما يدخل في إطار الحرية الشخصية التي لا يترتب عليها إضرار بالغير.

نقد الليبرالية:

الليبرالية فكرة غربية مستوردة وليست من إنتاج المسلمين، وما يناقض من تعاليم الإسلام بألوان مختلفة ومتعددة من الكفر والشرك والتناقضات الباطلة وأذكر بعض نواقض الإيمان في الليبرالية منها:

(١) ينظر: قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم، لمحمد أركون، ترجمة وتعليق، هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، (ص ٩٣).

١- الليبرالية تدعو إلى الإلحاد ورفض الأديان؛ إذا تعترف بهيمنة الدين على الحياة الإنسانية.

٢- يتحقق فيها كفر الاستحلال وهو: أن يعتقد في المحرمات أنها مباحة، فيجوز فعلها مع علمه بأن الله حرمها. وقد اجتمع العلماء على أن المستحل لما حرمه الله تعالى مما هو معلوم من الدين بالضرورة ومتواتر، كافر خارج عن دين الإسلام^(١).

وقد أجمع العلماء على المستحل لكل ما حرمه الله تعالى مما هو معلوم من الدين بالضرورة ومتواتر فهو كافر خارج عن دين الإسلام^(٢).

يقول ابن باز رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله المنزلة خصوصاً في المعاملات أو الحدود أو غيرها وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة؛ لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرم الله إجماعاً، وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة كالزنا والخمر والربا والحكم بغير شريعة الله فهو كافر بإجماع المسلمين»^(٣).

(١) ينظر: حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها، عبد الرحيم السلمي، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط ١، ١٤٣٢ هـ، (ص ٨٣).

(٢) ينظر: شرح السنة، (١/١٠٣).

(٣) ينظر: العقيدة الصحيحة وما يضادها ونواقض الإسلام، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، (ص ٤٠) للقراءة والاطلاع المزيد ينظر: حقيقة الليبرالية، لعبد الرحمن السلمي، (ص ٨٣).

المسألة الثانية عشر

الحداثة

التعريف:

الحداثة: مذهب فكري أدبي علماني، بني على أفكار وعقائد غربية خالصة.

مثل الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية، وأفاد من المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته مثل السريالية والرمزية وغيرها.

يزعمون زوراً وبهتاناً أنهم يريدون التطور، ومحاربة التخلف والرجعية^(١).
وقد زينّ الشيطان أعمالهم، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨].

والحداثة هي تصور إلهادي جديد للكون والإنسان والحياة، ومذهب فكري أدبي علماني يسعى لهدم كل موروث، والقضاء على كل قديم، والتّمرّد على الأخلاق والقيم والمعتقدات، وبني على أفكار وعقائد غربية^(٢).

وعليه فإنّ الحداثة مذهب إلهادي ماديّ علماني بحث يدعو إلى التّحرر من مأزق الكنيسة ورجالها وتنادي إلى الاباحية والفساد والحرية المطلقة

(١) ينظر: الوحي والإنسان - قراءة معرفية، لمحمد السيد الجليلند، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (ص ١٨٧).

(٢) ينظر: السيف البتار في نحر الشيطان نزار ومن وراءه من المرتدين الفجار، جمع وتأليف: ممدوح بن علي بن عليان السهلي الحربي، وقرطه، سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية، الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، المحدث العلامة حمدي السلفي، ط ٢، ١٤٢٠ هـ، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة، (ص ٦).

بدون ضوابط وحدود مخالف للشريعة الغراء السمحاء؛ كما أنها تقدس العقل خارج حدوده ودائرته غير ما ورد في الشرع وتحارب خاصة الدعوة السلفية الصحيحة، والمنهج القويم ويظهر كثيرًا في التناقض والاضطراب في المنهج والتعريف والتقييد ولا يوجد شيء من الثوابت وكل نحا اتجاهها منفردا عن غيره في مفهوم الحداثة وبيانها وتعريفها بحسب مشاربهم ومناهم وأفكارهم، ترفض أن ترجع لسلطان الكنيسة الذي تحررت من قبل ذلك.

ومن أبرز رموز مذهب الحداثة من الغربيين:

- (١) شارل بودلير^(١).
- (٢) غوستاف فلوبر^(٢).
- (٣) مالا راميه^(٣).

ومن رموز مذهب الحداثة في البلاد العربية:

- (١) يوسف الخال^(٤).
- (٢) أدونيس (علي أحمد سعيد)^(٥).

(١) سبقت: ترجمته.

(٢) ولد في عام: (١٨٢١-١٨٨٠ م). أديب فرنسي، ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٢/ ٨٦٧).

(٣) ولد في عام: (١٨٤٢-١٨٩٨ م) شاعر فرنسي ويعد أيضا من رموز المذهب الرمزي، ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٢/ ٨٦٧).

(٤) الشاعر النصراني وهو سوري الأصل رئيس تحرير مجلة شعر الحداثيّة. وقد مات منتحرا أثناء الحرب الأهلية اللبنانية، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٢/ ٨٦٧).

(٥) نصيري سوري، ويعد المروج الأول لمذهب الحداثة في البلاد العربية، وقد هاجم التاريخ الإسلامي، والدين والأخلاق في رسالته الجامعية التي قدمها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة «القدّيس يوسف» في لبنان وهي بعنوان الثابت والمتحول، ودعا بصراحة إلى محاربة الله عزّ وجلّ. =

(٣) د. عبد العزيز المقالح^(١).

الأفكار والمعتقدات:

نجمل أفكار ومعتقدات مذهب الحداثة كما هي عند روادها ورموزها وذلك من خلال كتاباتهم وشعرهم فيما يأتي:

- رفض مصادر الدين الكتاب والسنة والإجماع وما صدر عنها من عقيدة إما صراحة أو ضمناً.

- رفض الشريعة وأحكامها كموجه للحياة البشرية.

- الدعوة إلى نقد النصوص الشرعية، والمناداة بتأويل جديد لها يتناسب والأفكار الحداثيّة.

- الدعوة إلى إنشاء فلسفات حديثة على أنقاض الدين^(٢).

نقد الحداثة:

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في دورة انعقاد مؤتمره الحادي عشر بالمنامة في مملكة البحرين، من ٢٥ - ٣٠ رجب ١٤١٩ هـ، الموافق ١٤ - ١٩ تشرين الأول نوفمبر ١٩٩٨ م.

= وسبب شهرته فساد الإعلام بتسليط الأضواء على كل غريب، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٢/ ٨٦٧). أعلام وأفزام في ميزان الإسلام، جمع وترتيب: أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة-السعودية، ١٤٢٤ هـ، (٢/ ٢٦)

(١) وهو كاتب وشاعر يمني، وهو الآن مدير لجامعة صنعاء وذو فكر يساري.

(٢) للقراءة والاطلاع على توصيات مجمع الفقه الإسلامي، ينظر: العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام، لأبي سفيان مصطفى، (ص ١٠٣).

قرّر ما يأتي:

أولاً: الحداثة بالمفهوم المنوّه به مذهب إلحادي يأباه الله ورسوله والمؤمنون لمناقضته الإسلام في أصوله ومبادئه، مهما تلبست بمظهر الغيرة على الإسلام ودعوى تجديده.

ثانياً: إن في قواعد الإسلام وخصائص شريعته ما يفي بحاجة البشرية في كل زمان ومكان من حيث بناؤه على ثوابت يقينية لا تستقيم الحياة الإنسانية إلا بدوام وجودها، ومتغيرات تكفل التقدم والتطور، وتستوعب كل جديد صالح من خلال الاجتهاد المنضبط المعتمد على مصادر التشريع المتنوعة^(١).

وقد تحولت الحداثة «بكل ما يتضمنه دينها من علمانية وعقلانية إلى جوهر مطلق يحتوي جملة من الشروط والتعريفات المقدسة والمنزلة، فإن جوهرها المتعالى يفقد إنسانيته ويتجه على يد قساوسته.

والحداثة في أوروبا يتحدثون اليوم ما بعد الحداثة باعتبار أن الحداثة ظاهرياً انتهت مع نهاية القرن التاسع عشر بوصفها مرحلة تاريخية قامت في أعقاب عصر الأنوار القرن الثامن عشر هذا العصر الذي جاء هو نفسه في أعقاب عصر النهضة القرن السادس عشر الميلادي»^(٢).

(١) ينظر: العلمانية والمذهب المالكي، لأبي سفيان مصطفى باخو السلاوي المغربي، جريدة السبيل، المغرب، ط ١، ١٤٣٣ هـ، (ص ١٩٢).

(٢) المرجع السابق: (ص ١٤٢-١٤٩).

خلاصة القول: إن التّحول في اتجاه الحداثة للغرب جاء لسد الفراغ والفجوة الذي حصل بين المجتمع فأنشأت الحداثة كبديل الوحيد لدى الغرب وأذنبه^(١).

وهو بديل مضطرب وتغيير مستمر يناقض بعضه بعضاً فما يقر اليوم يتم نقضه غدا وما كان بالأمس يكون ماضيا وهكذا لأنه فكر بشري يعتريه ما يعتري الكفر البشري وابداعاته

والحداثة مذهب يحاد الله ورسوله ويحارب دين الإسلام الحنيف بكل وسائل وأساليب من السيطرة في الاندية الثقافية، وإقامة الندوات والامسيات الشعرية والقصصية والنقدية والمسرحية.

نشر الإرهاب الفكري مع مخالفاتهم واتهامهم بشتى التهم والنعوت، والتركيز على الوسائل الإعلامية، وغير ذلك من التقنيات الحديثة^(٢).

ويدعو إلى سفاسف الأمور ورداءة الأخلاق وهضم القيم ومكارم الأخلاق؛ بل يحارب الإنسانية وكيانها. حيث يقدس العقل ويعطي بكل صلاحية وتصرفات مطلقة.

(١) ينظر: المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية، لعبد العزيز حمودة، عالم المعرفة، الكويت، ط١، ١٤٢٢هـ، (ص ١٩٨).

(٢) الحداثة في ميزان الاسلام، (ص ١١٥-١٣٠). بتصرف.

المسألة الثالثة عشر

العولمة (Globalization)

مصطلح العولمة مصطلح جديد في الساحة إلا أنه ظهر تخطيطه مبكراً وهو من مكاييد اليهود. والعولمة ^(١).

معنى العولمة في اللغة: من العالم وهو ما سوى الله تعالى من الجن والانس مم عاصر النبي ﷺ إلى قيام الساعة ^(٢). قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

واصطلاحاً: عالمية العادات والقيم والثقافات لصالح العالم المتقدم اقتصادياً، وبمعنى آخر: محاولة سيطرة قيم وعادات وثقافات العالم الغربي على بقية دول العالم، خاصة النامي منها بشكل يؤدي إلى خلط كافة الحضارات وإذابة خصائص المجتمعات هذا بالإضافة إلى تهميش العقائد الدينية ^(٣).

والخلاصة:

أن العولمة مقصودها العالم كله الذي يعيش فيه جميع المخلوقات والغاية في ذلك إلغاء الفوارق بين البشر في جميع شؤون الحياة الدينية والسياسية

(١) الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، لبكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد، دار العاصمة، ط ١، ١٤١٧هـ، (ص ١). بتصرف.

(٢) تفسير الألوسي روح المعاني، لشهاب الدين محمود الحسيني الألوسي، دار الكتب العلمية (٩/٤٢٢).

(٣) العولمة، لسليمان بن صالح الخراشي، دار بلنسية للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ص ٧).

والفنية والحدودية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والمعرفية وتوفير فرص التجارة ويكون العالم كله تحت سقف واحد وسوق متكامل موحد تحت إدارة واحدة والفتح على مصراعيه بدون حماية ومراقبة وبأئنا من أي تدخل حكومي أو غيرها.

وعليه فإن العولمة نوع جديد من أنواع الاستعمار والسيطرة على الدول النامية خاصة الدول الإسلامية؛ بل الهيمنة على العالم كله.

وتقديم نموذج للإسلام العصري العلماني الذي يراه الغرب النموذج الوحيد الصالح الآن لإعماله في البلاد الإسلامية بغرض نقلها من التخلف إلى الحداثة، وإدماجها في العولمة أو النظام العالمي الجديد، وإنقاذها بالطبع من التطرف والإرهاب^(١).

يقول محمد بن علي العقلا^(٢) إن هناك أهدافاً غير معلنة لهذا التوجه العالم الجديد ومن ابرز هذه الأهداف محاربة الإسلام بما ينطوي عليه من مبادئ وقيم سامية ومنهج في التطبيق لا يعلو عليه أي منهج آخر، وهو ما يتعارض مع مصالح العالم المادي الغربي الذي يسانده تيار العولمة بكل ما يملك^(٣).

نقد العولمة:

إن العولمة تصادم الشريعة الإسلامية وتناقض مبادئها وأساسها؛ لأنها

(١) السلفيون وحوار هادئ مع الدكتور علي جمعة، شحاتة محمد صقر، دار الخلفاء الراشدين-دار الفتح الإسلامي، الإسكندرية، (ص ٥٧).

(٢) فضيلة الأستاذ الدكتور معالي مدير الجامعة الإسلامية سابقاً.

(٣) العولمة، لسليمان بن صالح الخراشي، (ص ٩).

تحقق جعل العالم واحدًا في جميع الحياة ديانة واعتقادًا واجتماعًا واقتصادًا وتقدمًا علميًا وحضاريًا وغير ذلك من مما يتعلق بشؤون حياة البشر.

وبناء عليه فإن العولمة تنافي الشريعة الإسلامية في جميع الجوانب، لأنها تنادي وحدة الأديان وتقارب الأديان الباطلة مع دين الإسلام الحنيف وهذا مرفوض ومناهض لثوابت ومبادئ الشريعة.

فالدين الصحيح المقبول عند الله هو دين الإسلام الذي جاء به نبينا محمد ﷺ وهو خاتم الأنبياء والمرسلين ورسالاته خاتمة شاملة كاملة عالمية وناسخة لجميع الرسالات السماوية

وعلى هذا فإن العولمة تغريب للعالم كله وهيمنة عليه تقلبها كيف تشاء وتُسَـتَـعمر الدول الإسلامية والدول النامية وغيرها.

فالعلماء نافحوا العولمة وكشفوا زيفها وعوارها للبشر وخاصة للمسلمين وردوا عليها بأساليب مختلفة ضمن كتاباتهم ومؤلفاتهم وفتاويهم وأقاموا لأجلها ندوات علمية ومؤتمرات علمية ناقشوا فيها وأضحوا للناس فسادها وعوارها وأنها تخالف الشريعة الإسلامية من جميع النواحي، ومن تلك الفتاوى ما يأتي:

فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء استعرضت ما ورد إليها من تساؤلات، وما ينشر في وسائل الإعلام من آراء ومقالات بشأن الدعوة إلى وحدة الأديان دين الإسلام، ودين اليهودية، ودين النصرى، وما تفرع عن ذلك من دعوة إلى بناء مسجد وكنيسة ومعبد في محيط واحد، في رحاب

الجامعات والمطارات والساحات العامة، ودعوة إلى طباعة القرآن الكريم والتوراة والإنجيل في غلاف واحد، إلى غير ذلك من آثار هذه الدعوة، وما يعقد لها من مؤتمرات وندوات وجمعيات في الشرق والغرب. وبعد التأمل والدراسة فإن اللجنة قررت^(١).

ثانياً: فتوى ابن باز رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فقد اطلعت على المقال المنشور بجريدة الشرق الأوسط بعددها رقم (٥٨٢٤) وتاريخ ٥ / ٦ / ١٤١٥ هـ كتبه من سمى نفسه: عبد الفتاح الحايك تحت عنوان: الفهم الخاطيء. وملخص المقال: إنكاره لما هو معلوم من دين الإسلام بالضرورة، وبالنص والإجماع. وهذا الذي فعله كفر صريح، وردة عن الإسلام، وتكذيب لله سبحانه ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما يعلم ذلك من قرأ المقال من أهل العلم والإيمان.

والواجب على ولي الأمر إحالته للمحكمة لاستتابة والحكم عليه بما يقتضيه الشرع المطهر^(٢).

وغير ذلك من ردود وفتاوى العلماء وقرارات المجامع الإسلامية في العالم الإسلامي في بيان خطورة العولمة وتنفيذ شبهاتها وتقويض مبادئها عبر وسائل والتقنيات الحديثة عبر شبكة العنكبوتية الإنترنت في جميع أركانها، المحادثات المباشرة وغير المباشرة، وفتح صفحات في فيس بوك وإنشاء

(١) للقراءة والاطلاع على القرارات ينظر: فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويشن، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الرياض، (٢٧٤ / ١٢).

(٢) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، لعبد العزيز بن عبد الله بن باز، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، (١٩٦ / ٨).

مجموعات وفتح قنوات في اليوتوب وتويتر وفتح الواتساب وتلجرام وغير ذلك من الوسائل الحديثة التي تنشر الدعوة عن طريقها يكون توجيهها وإرشادًا وتعليماً للمشاركين والمتابعين لبرامج الإنترنت.



المسألة الرابعة عشر

نظرية الدارونية (التطور والارتقاء)

The theory Of Evolution

التطور لغة: من الطور ومعناه تارة بعد تارة، والانتقال من حال إلى حال وجمعه أطوار على حالات شتى. وقد جاء في لسان العرب: أن الحالات المختلفة والتيارات والحدود، واحدها طور، أي مرة ملك ومرة هلك ومرة بؤس ومرة نعم^(١).

واصطلاحاً: نظام التغيير والتحول والصيرورة الذي لا يمكن وقفة أو عكسه، والذي بمقتضاه تصير الكائنات في حالة تنوع وتكامل مستمرين^(٢).

خلاصة نظرية دارون^(٣) ونظرية التطور:

تتلخص نظرية دارون أن الأصل من كل شيء جاء من كائن وحيد الخلية كالأميبا فطريات متعددة الخلايا، نبات، نبات يشبه الحيوان كالهيدرا حيوان يشبه النبات كالمرجان حيوانات لا فقارية، حيوانات فقارية دنيا كالأسماك

(١) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (٥٠٧/٤).

(٢) المرجع السابق: (ص ٣٦٤).

(٣) هو تشارلز دارون بريطاني (١٨٠٨-١٨٨٢) بدأ دراسته الطب، ولم يكمل مسيرته، وانتقل إلى دراسة اللاهوت، ثم اتجه نحو دراسته علم الأحياء ودون بعضها من بعض من ظاهرة التشابه في التكوين الجسماني فيما بينها. ومن مؤلفاته، كتابه المشهور: «أصل الأنواع» نشر عام: ١٨٥٩م، وكتابه، «أصل الإنسان» نشر عام: ١٨٧٤م، وقد خصا هذا الكتاب لموضع التطور الإنساني.

والطيور حيوانات فقارية أرقى كالثدييات الدنيا الثدييات العليا، القردة الدنيا، القردة العليا الغوريلا والأورانج أوتانج إنسان الغاب والشمبانزي والجيبون الحلقة المفقودة القرد الشبيه بالإنسان أو الإنسان الشبيه بالقردة العليا، الإنسان^(١).

وقال دارون -فيما قال وهو يشرح نظريته-: إن الطبيعة تخلق كل شيء ولا حد لقدرتها على الخلق. وقال كذلك: إن الطبيعة تخطط خطط عشواء وبصرف النظر عن صحة المعلومات الواردة في نظريته وصحة تفسيراته لها أو عدم صحته فقد أنشأت رجة كبيرة في المجتمع الغربي، اهتزت لها الكنيسة من جهة والدوائر العلمية من جهة أخرى والجهاهير من جهة ثالثة.

من القوانين التي قامت عليها نظرية دارون باختصار:

١- قانون الملائمة بين الكائن الحي والبيئة التي يعيش فيها.

٢- قانون استعمال الأعضاء أو عدم استعمالها.

٣- قانون البقاء للأصلح أي للأقوى.

ويقول دارون: لا نستطيع أن نفرد الإنسان بأصل كمغاير لأصول ذوات الثدي ما دامت مشابهته الطبيعة لها بالغة ذلك المبلغ البعيد، أو نفرض أنه قد نشأ بطريقة مخالفة للطريقة التي نشأت بها تلك الحيوانات^(٢).

ينظر: دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة نشأتها، منطلقاتها الفكرية، للدكتور: أحمد بن علي عبد العال، دار الاوراق الثقافية، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤٣٤ هـ، (ص ١٦).

(١) ينظر: دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة، للدكتور: أحمد بن علي عبد العال، (ص ١٦).

(٢) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، لمحمود محمد مزروعة (ص ٣٨١-٣٨٥).

نقد نظرية داورن:

إن تلك النظرية قد ظهر بطلانها لدى الغربيين أنفسهم، وقد رفضت في البيئة التي نشأت بها، بل إن الغرب قد شيع جنازة النظرية منذ زمن، وقد أعلن العلماء هناك رفضهم إياها، ورموا بها وبصاحبها في مزابل المذاهب، ومقبرة الأفكار. وإن تعجب من ذلك؛

فعجب أن ينفض الغرب يده من النظرية والقائلين بها ونحن في المجتمعات الإسلامية ما نزال نستمسك بها وندرسها لأولادنا على أنها حقيقة علمية..^(١).

«ولا شك أن النظرية تقف في الخط المعاكس للدين الإسلامي وتتنافى مع مسلماته وأسسها مبنية على الفرض والخيالات التي لا تعتمد على حقائق علمية وخالفت العقل والعلم والواقع، تدعو إلى الالحاد والكفر بالله وتقلبها الناس، لأنها جاءت في وقت كانت الشعوب الأوروبية تفوق إلى أي نظرية أو فكرة تحمل محل فكرة الإله الخالق والدين الذي جاء بها...»^(٢).

(١) النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها - دراسة نقدية، لحسن بن محمد حسن الأسمرى، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة ١، ١٤٣٣ هـ، (١/٥١٩). وينظر: مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، لمحمود محمد مزروعة، (ص ٤١١، ٤١٢).

(٢) ينظر: الوجيز في المذاهب الفكرية المعاصرة، لأحمد بن عبدالعزيز الخلف، (ص ٢٩٦، ٢٩٧).

المسألة الخامسة عشر

عبادة الشيطان (Satanism)

كلمة الشيطان ترجع إلى أربعة أصول لغة:

شطن، شيط، الشاط، وشط، وقد وردت على عدة معان أهمها ما يأتي:

١ - البعد والمخالفة، لاحتراق: فالشيط من شاط الشيء، إذا احترق. يقال شيطت اللحم^(١). الهلاك والبطلان: يقال: حتى شاط في رماح القوم أي هلك^(٢).

التمرد والعتوّ.

الشيطان: معروف، كل عات متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان^(٣).

الشيطان اصطلاحاً: تأتي بمعنيين عام وخاص.

فالمعنى العام يطلق على: كل من خالف أمر الله عزّ وجلّ من إنس وجنّ وغيرهما.

قال أبو جعفر: والشيطان، في كلام العرب: كل متمرد من الجن والإنس والدواب وكل شيء. وكذلك قال ربنا جل ثناؤه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١١٢]. فجعل من الإنس شياطين، مثل الذي جعل من الجن^(٤).

(١) معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (٣/ ٢٣٤).

(٢) لسان العرب، لابن منظور، (٣/ ٣٣٨).

(٣) لسان العرب، لابن منظور، (١٣/ ٢٣٨).

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ، (١/ ١١١).

فأما الخاص: لكلمة «شيطان» فهو مخلوق من مخلوقات الله تعالى خلق من النار.

كما قال تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السُّمُورِ﴾ [الحجر: ٢٧].

قال ابن عباس: **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: «أن الجان خلق من هب النار»^(١).

وأبوهم إبليس كما أن آدم أصل البشر، كان إبليس من الجنّ فتمرد وعصى ربه باستكبار السجود لآدم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** فاستحق بذلك اللعن والطرده عن رحمة الله إلى يوم القيامة.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ أَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠].

التعريف بعبادة الشيطان يتلخص في معنيين هما:

المعنى العام لعبادة الشيطان:

فهي كل عابدة لا يتوجه بها إلى الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**^(٢).

ولها أدلة كثيرة من القرآن والسنة في التحذير عن الشيطان وذريته.

منها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٠].

(١) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، (٤/٥٣٣).

(٢) ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مجموعة من الباحثين، مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، ط ٢، ١٩٩٩م، (٧٢/١٦).

يقول ابن كثير **رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى**: «هذا تقرّيع من الله للكفرة من بني آدم، الذين أطاعوا الشيطان وهو عدو لهم مبين، وعصوا الرحمن وهو الذي خلقهم ورزقهم؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي: قد أمرتكم في دار الدنيا بعصيان الشيطان، وأمرتكم بعبادتي وهذا هو الصراط المستقيم، فسلكتهم غير ذلك واتبعتم الشيطان فيما أمركم به^(١).

أهم شخصيات عبدة الشيطان:

الشخصية الأولى: كراولي^(٢).

الشخصية الثانية: أنطون ليفي^(٣).

المعنى الخاص لعبدة الشياطين:

ممارسة تأليه العفاريات أو الأرواح الشريرة التي انتشرت في عصور الخرافات والجهل^(٤).

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦/ ٥٨٤).

(٢) ولد كراولي من عائلة عادية متوسطة الحال، وتخرج من جامعة «كامبرج» في بريطانيا، ودافع عن الإثارة والشهوات الجنسية في كتابه المسيء «الشيطان الأبيض» ويليم باتس: «مؤلف رواية «داركولا» ومصاص الدماء» وأصبح كراولي بعد ذلك هو المعلم الأول للجماعة عبد الشيطان. وفي عام ١٩٠٠م ترك «وتعاطى المخدرات وشرب الخمر وغير ذلك من مملذات الشهوات الانسانية، فمات على ذلك. ينظر: موسوعة الفرق والمذاهب والأديان المعاصرة، لممدوح الحربي، (ص ٢٤٤).

(٣) هو أصل يهودية أمريكية الجنسية تزعم هذه العابدة بعد وفاة كراولي المؤسس الأول، ويدعي «لفي» أن الله **عَزَّوَجَلَّ** ظلم إبليس تعالى الله عن ذلك علوات كبيرا كما ينكر الأديان جميعها ويطالب بدليل مادي على وجود الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** مؤكداً أن الأدلة التي تثبت وجود الشيطان كثيرة على حسب زعمه، وكانت أبرز سمات المعبد الذي أنشاه «لفي» في عام ١٩٦٦م، والاستماع بكل ما حرّمته الأديان والاستعانة بالسحر والسحرة. المرجع السابق: (ص ٢٤٥).

(٤) الموسوعة العربية العالمية (١٦ / ٧٢).

نقد عبدة الشيطان:

إن الدعوة إلى عبادة الشيطان دعوة إلى الكفر والإلحاد وعدم الإيمان بالله وإنكار الذات الإلهية ويكون تقديسًا للشيطان وأتباعه. وقد حذرنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في غير ما آية من كتابه العزيز منذ خلق أبانا آدم عَلَيْهِ السَّلَام. فأقسم إبليس بعزة الله أنه سيغوي بني آدم فقال: ﴿وَلَأُضِلَّهُمْ وَلَا مُنِيْنَهُمْ وَلَا مُرْتَهُمْ فَلْيُبَيِّنْ كُنَّ ءَاذَانَ الْآئِنَعِمِ وَلَا مُرْتَهُمْ فَلْيُغَيِّرْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

فالعِدو اللدود الموسوس لبني آدم هو الشيطان وذريته ليدعو البشر إلى حزبه وجماعته الشيطانية قال تعالى: ﴿أَسْتَحْذَرُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ﴾ [المجادلة: ١٩]. فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى حذر عباده المؤمنين من عدو الشيطان ومكره وكيده فقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِّنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

وغير ذلك من الأدلة والنصوص التي تحذر من اتباع الشيطان تجث على البعد عن حبائله وشبكاتة والوسائل التي يستخدم لإضلال البشر وانحرافهم عن الصراط المستقيم والطريق الحق والسوي ولهم رموز وشعارات يتبنى جماعة الشيطان وحزبه يسوقونها ليلاً ونهاراً عبر قنوات الانترنت وصفحاته وبرامجه.



المبحث الثاني

مفهوم السّمات بين المذاهب الفكرية

المطلب الأول

مفهوم السّمات

السّمات لغة من: وسم يقول ابن فارس: الواو والسين والميم: أصل واحد يدل على أثر ومعلم.

ووسمت الشيء وسما: أثرت فيه بسمة.

والوسمي: أول المطر، لأنه يسم الأرض بالنبات.

قال الأصمعي: توسم: طلب الكلاء الوسمي والوسام: ما وسم به البعير من ضروب الصور.

والميسم: المكواة أو الشيء الذي يوسم به الدواب، والجمع مواسم ومياسم، الأخيرة معاقبة؛ قال الجوهري: أصل الياء واو، فإن شئت قلت في جمعه مياسم.

الوسم أثر كية، تقول موسوم أي قد وسم بسمة يعرف بها، إما كية، وإما قطع في أذن أو قرمة تكون علامة له. وفي التنزيل العزيز ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ﴾ [الفلم: ١٦].

موسم الحج سمي موسماً لأنه معلم يجتمع إليه^(١).

(١) لسان العرب: الآية: (١٢/٦٣٦).

واصطلاحاً: العلامة المميزة والخصائص التي تفردت واستقلت لمذاهب الفكرية المعاصرة.

والمتبصر للمذاهب يدرك أن لهم سمات وقاسم مشترك بينهم وبه يدافعون مذهبهم.

ويقاتلون لأجلهم ويذبون عن حوضهم لتحقيق هذه السمات المشتركة لهم.

وكل هذه السمات تعترض المباحث الإلهية والتوجيه الرباني.

بل تعارض وتصادم الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها قال تعالى:
﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهُ لِيَخْلُقَ اللَّهُ﴾ [الروم: ٣٠].

والعاقل الحصيف يعلم أن ما جاءت به وما وضعت المذاهب الفكرية من أسس وقواعد وأصول ومعالم ومبادئ يعارض مطلقاً الفطرة السليمة والعقل السليم الذي أكرم الله الإنسان في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

إن انحطاط كرامة الإنسان سمة بارزة من سمات المذاهب الفكرية حيث جعلوا فكر الإنسان كالمادة الصماء.

فمن تأمل قراءة المذاهب الفكرية يجد أن أصولهم محاربة الأديان بزعمهم أنها تحارب أفكارهم ومناهجهم وتخالف قواعدهم التي وضعوا لبث أفكارهم وسمومهم.

وهذا تقليد لسلفهم في ردّ ومحاربة الأديان أو الإصرار على الكفر والعناد والجحود، والشك في وجود الله بل تطمس وتدنس عقول الإنسان وفطرته التي هي الإسلام والإيمان بـ **جود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

ولكل قوم وارث.

ورث المذاهب الفكرية المعاصرة من رحم متعفن وقذرة التابعة للكفرة والملحدين والمعاندين للوحي الإلهي ورموا بدعايات باطلة تتكرر كل زمان ومكان.

حيث استخدموا جميع الوسائل والأساليب لمعارضة دين الإسلام.

قال تعالى: ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣].

ومن سمات المذاهب الفكرية سمة الشك، والريب، والاختلاف وهذا منزّه عن القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿الْمَ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١، ٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّتخِلِفٍ﴾ [الذاريات: ٨].

والتأمل في المذاهب الفكرية يرى أنها كثيرة الريب والشك والاضطراب والتناقض في الفهم والمنهج والخطّة، بل أكثرها تلفيقات في الأصول والأهداف والغايات قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤].

ومن الأسباب التي نشأت المذاهب في أوروبا محاربة الطغيان الكنيسي ورجالها حيث استعبدوا المجتمع وذلّلوا وضعفوا حتى صاروا الناس عبداً

للكنيسة ورجاها وإدارتها، أدى ذلك إلى حرب الأديان جملةً وتفصيلاً، ردّاً لفعل الكنيسة، وبحثاً عن الحرية المطلقة وتحقيقاً لرغبات الشهوة والديمقراطية كما يزعمونها.



المطلب الثاني

أهمّ السّمات المشتركة بين المذاهب الفكرية المعاصرة

من العرض السابق يظهر لنا أنّ أهمّ السّمات المشتركة بين المذاهب الفكرية يتمثل إلى عدة جوانب أساسية، منها ما يتعلق بال عقيدة، ومنها ما يتعلق بالاجتماع، ومنها ما يتعلق بالأخلاق والسلوك، ومنها ما يتعلق بال مصادر والأصول، ومنها ما يتعلق بالوسائل والأساليب. وجوانب أخرى ويمكن إجمالها بما يأتي:

أولاً: سمات مشتركة بين المذاهب الفكرية في العقائد؛

وينحصر فيما يأتي:

- ١- جميع المذاهب الفكرية قائمة على الآراء والاستحسان والاهواء.
- ٢- أنها مبنية على الإلحاد؛ بل تدعو إليه.
- ٣- أن جميع المذاهب الفكرية تنكر الأمور الغيبية، ومن ذلك وجود الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

٤- أنها تصادم الفطرة السليمة.

٥- يعتقدون أن الانسان لم يخلق بل جاء صدفة.

٦- تقديس رجال المذاهب الفكرية.

٧- الإيمان بالدهر وشؤونه في الحياة.

ثانيًا: سمات مشتركة بين المذاهب الفكرية في المصادر:

ويتلخص في الآتي:

- ١- مذاهب فلسفية.
- ٢- الإيمان بالمحسوس.
- ٣- الإعتماد على الظن والتّخرص.
- ٤- مرجعية المذاهب الفكرية إلى ثقافات أجنبية قديمة مثل ثقافة اليونانية والهندية.
- ٥- المذاهب الفكرية تمثل رجوعاً إلى الجاهلية الظلماء في جميع المجالات.

ثالثًا: الاضطراب والاختلاف في المناهج والقواعد والمبادئ:

ويمكن إجمالها فيما يلي:

- ١- التّغيّر والتّبدّل والاضطراب في المنهج والقواعد.
- ٢- التّخبط في التعاريف وحقيقة المذاهب.
- ٣- التّناقض في التأسيس والمؤسس.
- ٤- أنّ كلّ مذهب يعارض ما قبله من المذاهب وينقد أسسه ومبادئه.
- ٥- أنّ جميع المذاهب الفكرية تدعي البحث عن السّعادة الحقيقية.
- ٦- العنصرية المتناحرة.

رابعًا: سمات النتائج المشتركة بين المذاهب في الشؤون الاجتماعية:

ويتلخص فيما يأتي:

- ١- البحث عن مطلق الحرية.

- ٢- البحث عن التّرف والرّفاهيّة والتّلذذ بمتاع الحياة الدنيا.
- ٣- كشف ستر الإباحيّة والعريّة.
- ٤- تفكك الأسرة وانهارها.
- ٥- تحديد النّسل.
- ٦- العزوف عن الزّواج.
- ٧- الشذوذ الجنسيّ.
- ٨- القلق والتّمزق والضّياع.
- ٩- الاختلاف والتّفرق والتّمزق.

خامساً: سمات مشتركة بين المذاهب في الوسائل والأساليب:

ويمكن بيانها على العناصر الآتية:

- ١- كثرة استخدام التّلبيسات والتّمويهات والشعارات البراقة الملبّسة، مثل: الحرّيّة، والديمقراطية، والبحث عن الحقيقة.
- ٢- فصل الدّين عن الحياة.
- ٣- محاربة اللّغة العربيّة.
- ٤- محاربة دين الإسلام.
- ٥- هضم مقّومات الإنسان.
- ٦- استخدام أسلوب العناد والكبر والمكابرة عن الحقائق المشاهدة.
- ٧- التّشكيك في وجود الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** مثل: سؤال: من خلق الله؟

سادسًا: سمات مشتركة بين المذاهب في الأخلاق والقيم:

وينحصر في الآتي:

- ١- فصل الدّين عن الأخلاق.
- ٢- الإنسان هو واضع الأخلاق.
- ٣- الأخلاق غير ثابتة.
- ٤- الأخلاق ليست غاية.
- ٥- الأخلاق ما يتعارفه البشر من خير أو شرّ^(١).



(١) من اختراعي بعد قراءة كتاب الوجيز لشيخ الدكتور أحمد الخلف حفظه الله.

المبحث الثالث

مفهوم المعاصرة

المطلب الأول

تعريف العصر لغةً واصطلاحاً

كلمة عصر وردت في معاجم اللغة على معان عدة:

- فالأول دهر وحين، والثاني ضغط شيء حتى يتحلب، والثالث تعلق بشيء وامتساك به.

- فالأول العصر، وهو الدهر^(١).

قال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ [العصر: ١].

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ [النبا: ١٤].

- والعصار: الحين؛ يقال: جاء فلان على عصار من الدهر أي حين^(٢).

قال ابن عباس: والدهر.

قيل: أقسم به لأن فيه عبرة للناظر.

وقيل: معناه ورب العصر.

وكذلك في أمثاله.

أراد بالعصر الليل والنهار، يقال لهما العصران.

- من بعد زوال الشمس إلى غروبها.

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (٤/ ٣٤٠-٣٤٤).

(٢) لسان العرب، لابن منظور، (٤/ ٥٧٦).

- آخر ساعة من ساعات النَّهار. وقال مقاتل: أقسم بصلاة العصر وهي الصّلاة الوسطى^(١).

مفهوم العصر اصطلاحاً: العصر يطلق على الزّمان وهو العصر الذي نعيش فيه الآن^(٢).

والحقيقة أن مفهوم المعاصرة هي تلك المذاهب والأفكار المؤثرة في أجيال العصر الحاضر ويتبن مما سبق أن لكلمة «عصر» لها معان عديدة في لسان العرب بيد أن المقصود والهدف من الدراسة الزمن أو الحين أو الدهر الذي نعيش فيه ويمتد إلى القرون الماضية لأن إنشاء فكرة ما تحتاج إلى زمن طويل حتى تنضج وتشر وتطور من حين إلى آخر، لأنها لا تولد في لحظات ولا تظهر في أيام معدودة بل تتطور من عصر إلى عصر، ومن قرن إلى قرن آخر ومن المشهور لدى المفكرين والمختصين للمذاهب الفكرية أنها أخذت زمناً طويلاً في إنشائها وسط مجتمع أوروبا التي هلكت في غياهب ظلام الكنيسة ورجال الدين وتحريف الدين النصرانية حتى وصلت إلى العالم الإسلامي وغيره، ثم انكشف عورها بعد انتشارها وبث سمومها إلى ديار الشرق لأن منبع المذاهب الفكرية جاءت من المغرب ولذا فتحديد مدلول المعاصرة يمتد إلى القرون الثلاث الماضية وحتى في عصرنا الحاضر.

(١) مختصر تفسير البغوي، لعبد الله بن أحمد الزيد، دار السلام، الرياض، ط ١، ١٤١٦هـ، (٣/ ١٠٣١).
(٢) الغلو في حياة المسلمين المعاصرة، للدكتور: عبدالرحمن الويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ، (ص ٢١).

المطلب الثاني

تسمية المذاهب الفكرية المعاصرة

نسبة إلى الفكر الذي تميز به الإنسان عن بقية المخلوقات التي تشاركه الوجود في الأرض، ويعرف بأنه صنعة العقل الإنساني ومسرح نشاطه الذهني وعطاؤه الفكري فيما يعرض له من قضايا الوجود والحياة سواء أكان صواباً أو خطأ.

وقد نسبت المذاهب إلى الفكر لأنها جاءت من ذلك المصدر وهو الفكر أي أنها لم تستند في وجودها على الوحي الإلهي أصلاً أو استعانت به وبما توصل إليه الفكر من نتائج جاءته إما عن طريق الوحي أو التجارب أو أقوال من سبق أو أفعالهم، وقد تكون تلك النتائج صحيحة وقد تكون خاطئة في نفس الأمر.

وأما بالنسبة لاستنادها إلى الوحي فقد لا يكون ذلك بل ربما كانت تلك الأفكار محاربة له فتنسب إلى مؤسسيها فيقال الفكر الماركسي أو الفكر الفلسفي اليوناني أو الفكر الصوفي أو غير ذلك من الأفكار التي تنسب إما لشخصيات مؤسسيها أو لبلدانهم أو لاتجاهاتهم وغير ذلك. ومن هنا يتضح أنه إذا أطلق لفظ الفكر فإن المراد به هو ما يصدر عن العقل من شتى المفاهيم والمبتكرات الدينية أو الدنيوية.

سميت مذاهب فكرية نسبة إلى المذهب الذي تنسب إليه كل طائفة ونسبة كذلك إلى أفكارها التي تعتنقها مبتكرة لها أو مقلدة، وقد انتشرت في العالم أفكار عديدة باطلة سندرس إن شاء الله أهمها ونبين مفاهيم تلك الأفكار عند أهلها مع كشف عوارها وتفنيدها وموقف الإسلام منها^(١).



(١) المذاهب الفكرية المعاصرة لغالب عواجي (١ / ٤١). بتصرف.

المبحث الرابع

العلاقة بين الموضوع ومسار الدعوة

إن مما وفد في عصرنا الحاضر مذاهب وأفكار وتيارات هدامة غزت الأمة الإسلامية، وسيطرت على هويتها وعبثت بالعقائد الدينية، والمبادئ والأخلاق والنظم ومناهج السلوك، للأمم والشعوب، وشر مستطير، وأمست منذرة بانهايار ساحق، ودمار ماحق، وكثير من هذه المحدثات من دفائن الأولين.

وصار لزاماً على دعاة الحق وأهل الفكر أن يكشفوا للناس زيوف هذه المذاهب، وما اشتملت عليه من باطل كثير فصارت واجبا في رد الباطل ومالا يتم الدعوة الا بها فهو واجب ومن الدعوة إلى الله النهي والإنكار وتفنيـد كل مخاطر تشوه سمعة الدعوة وتؤدي إلى التحريف والتبديل والغلو عن مسار الدعوة الصحيحة الصافية المنبثقة عن كتاب الله المبين وسنة النبي ﷺ المستفيض ولا تتم الدعوة إلا بفعل ما أمر الله ﷻ وما أحبه الله تعالى وترك ما يبغض الله ﷻ سواء كان فعلا أو قولاً ظاهراً أو باطناً^(١).

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م (١٥/ ١٦٤).

فعلاقة الموضوع بمسار الدعوة هي علاقة بيان، ورد كل ما يشوه سمعة الدعوة إلى الله ويدس إليها أفكارا دخيلة من مذاهب وتيارات فكرية الحادية غربية مضللة؛ فالدعوة لا بد أن تقوم بدورها وهو بيان الحق للخلق في كل زمان ومكان وفي كل عصر ومصر كما قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خطبته «الحمد لله الذي امتن على العباد بأن جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى ويحيون بكتاب الله أهل العمى كم من قتل لإبليس قد أحيوه وضال تائه قد هدوه بذلوا دماءهم وأموالهم دون هلكة العباد فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم يقبلونهم في سالف الدهر وإلى يومنا هذا فما نسيهم ربك ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

وجعل قصصهم هدى وأخبر عن حسن مقاتلتهم فلا تقصر عنهم فإنهم في منزلة رفيعة وإن أصابتهم الوضیعة»^(١).

إذا فالدعوة إلى الله محفوظة بمنهجها المستمد من الكتاب والسنة على فهم سلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين ومحفوفة برجالها ودعاتها الذين يذبون حماها بكل وسائل للحراسة والحفاظ عن أدران البدع والشرك والأفكار العقلية المتناحرة المتناقضة، كما قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن الله عند كل بدعة كيد بها الإسلام ولياً من أوليائه يذب عنها وينطق بعلا ماتها

(١) البدع والنهي عنها، لأبي عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع المرواني القرطبي، تحقيق ودراسة: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة-مصر، مكتبة العلم، جدة-السعودية، ط ١، ١٤١٦ هـ، (ص ٢٦).

فاغتنموا حضور تلك المواطن وتوكلوا على الله»^(١).

وليس هناك نبي يبعث بعد رسول الله ﷺ؛ مع أن الله حفظ دينه من التحريف والتبديل والنسخ والعبث إلى أن تقوم الساعة.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

وقيض الله لحفظ دينه رجالاً وعلماء اختارهم الله للذب والدفاع عن حوض الدعوة وما يطرأ عليها من أفكار ومذاهب أجنبية ضالة منحرفة عن المنهج القويم والصراط المستقيم، حملاً لمسؤولية الدعوة وبياناً للحق إلى الخلق وهذ الطائفة موجودة في كل عصر ومصر قائمين لحفظ الدين ونفيهم عن تحريف الغالين وانتحال المضلين وتأويل الجاهلين»^(٢).

العلاقة بين الموضوع ومسار الدعوة يتلخص فيما يأتي:

١ - الدعوة إلى الله تعالج القضايا المستحدثة والوافدة في المجتمع الإنساني.

٢ - من أهداف الدعوة إلى الله بيان سبيل المجرمين: قال تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٥٥].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: حجتنا وأدلتنا، على المشركين من عبدة الأوثان، وميزناها لك وبينها، كذلك نفصل لك أعلامنا وأدلتنا في كل حق ينكره أهل الباطل من سائر أهل الملل والنحل والفرق^(٣).

(١) المرجع السابق، (ص ٢٨).

(٢) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين، لسليمان بن أحمد الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ، (١/ ٣٤٤).

وصححه الالباني في مشكاة المصابيح، للتبريزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، (١/ ٨٢).

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، (١١/ ٣٩٤).

٣- إن الدعوة الإسلامية ساعدت الغرب على الخروج من سباته وجهله، فكان ان رد له الغرب ذلك الجميل وتلك اليد، بنقل هذه المذاهب إليه هدية سوء وجهل وإلحاد^(١).

٤- إن الدعوة عاجلت الجانب الروحي والجانب المادي ودافعت كل ما يطرأ على حياة الانسان وشؤونه الدنيوية بينما المذاهب الفكرية حاولت أن تحقق بعض رغبات الإنسان وشهواته الدنيوية فقط.

إن الدعوة إلى الله ورسوله جهاد بالقلب وباللسان، وقد يكون أفضل من الجهاد باليد^(٢).

٥- إن المذاهب الفكرية المعاصرة وفدت على عالمنا الاسلامي من الغرب عبر وسائل شتى ومنافذ مختلفة زادها التطور التكنولوجي سهولة في اختراق عقول بين الأمة والتأثير عليهم شبابا وشيبا؛ بل الرزية كل الرزية أن تجد أناساً من بني جلدتنا يتكلمون بألسنتنا، وينتسبون إلى عالمنا، وثقافتنا، ويتظاهرون بالانتماء لديننا بينما قلوبهم تنطوي على حقد وكرهية للإسلام وثقافته وحضارته، منخدعين بدعايات الغربية لهذه المذاهب الزائفة^(٣).

٦- إن من أصول الدعوة إلى الله وخصائصها وسماتها الشمولية في جميع جوانب الدين عقيدة، وشريعة وأحكاما، وأخلاقا، ومعاملة، وسياسة

(١) مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، للدكتور: محمود محمد مزروعة، مكتبة كنوز المعرفة، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤٢٧، (ص ٩).

(٢) أحكام أهل الذمة، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري-شاكر ابن توفيق العاروري، رمادي للنشر-الدمام، ط ١، ١٤١٨ هـ - (٣/ ١٢٥٤).

(٣) مذاهب فكرية معاصرة في ميزان الإسلام، للدكتور: محمد عبد الرب النبي سيد محمد، مكتبة الرشد ناشرون، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٣٥، (ص ٦، ٥).

واقتصادًا، فهي الشمولية لجميع مناحي الحياة، أما المذاهب الفكرية منوطة بالمادة.

للدّعاة حول تفنيد الأهواء والبدع والأفكار المنحرفة المبثوثة في أوساط المجتمع قال شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: يجب على الرجل المعين ما يقدر عليه من ذلك إذا لم يَقم به غيره وهذا دأب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبليغ ما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والجهاد في سبيل الله وتعليم الإيمان والقرآن وقد تبين بذلك أن الدّعوة نفسها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر فإن الداعي طالب مستدع مقتض لما دعي إليه وذلك هو الأمر به؛ إذ الأمر هو طلب للفعل المأمور به واستدعاء له ودعاء إليه ^(١).



(١) مجموع الفتاوى (١٦٦/١٥).

الفصل الأول

السّمات المشتركة

بين المذاهب الفكرية في عوامل النشأة

وتحتة أربعة مباحث:

المبحث الأول: الاشتراك في عوامل النشأة وظروفها.

المبحث الثاني: سمة عصر النهضة.

المبحث الثالث: جذور السّمات المشتركة بين المذاهب.

المبحث الرابع: مصادر السّمات المشتركة بين المذاهب

التمهيد

إن من الأمور الجلية المشتركة بين المذاهب الفكرية المعاصرة بداية إنطلاقها وإنشائها حيث إنّ كل مذهب من تلك المذاهب عانت وذقت سوء العذاب المهين من طغيان الكنيسة ورجالها وما جرى مجراها، فكل واحد منها يبحث عن الخروج من هذا المأزق والشبكة الشرسة التي لم تذر اليابس والأخضر، والغث والسمين، والدين والدنيا إلا عمّ ظلمها وفسادها وخبثها باسم دين المسيح، وتحت رداء أنهم خليفة الله في الأرض ظلماً وعدواناً وتجبراً والتّعالي على المجتمع المنكوب الضعيف، فدنسوا القيم والمبادئ الإنسانية والقيم والأخلاق، التي لم يعرف في التاريخ قديماً وحديثاً، فعاثت الفساد والطغيان بجميع مجالاته، وأشكاله، حتى فلق صبح المذاهب الفكرية بحثاً عن حياة الحرّة والسّعادة والعيشة الهنيئة، فاخترت أفكاراً جديدة تراها مناسبة لنشر مذهبها، وآرائها، وقواعدها، اتّباعاً بكل الوسائل والأساليب لتحقيق هذا الهدف؛ خروجاً من ظلمات وطغيان الكنيسة ورجالها، وما حرّفوه من دين المسيح **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، وغير ذلك من الأسباب والعوامل التي أدت إلى خروج وبروز المذاهب الفكرية المعاصرة في أوساط المجتمع الأوروبي الذي ما بلغته ديناً صحيحاً.

إذاً فالسّمات المشتركة بين المذاهب الفكرية المعاصرة بداية نشأتها وتأسيسها في أوروبا كانت بسبب طغيان الكنيسة ورجالها اقتداءً بإمامهم بولس في التحريف والتبديل في دين المسيح **عَلَيْهِ السَّلَامُ** إذاً فالسّمة الأولى المشتركة بين المذاهب الفكرية يتلخص فيما يأتي:

المبحث الأول

الاشتراك في عوامل النشأة وظروفها

المطلب الأول

الدين المحرف

﴿إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَخْلُقِ الْخَلْقَ عَبَثًا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥]. بل خلق لأجل العباداة: قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. ولم يترك الخلق هملاً بل أرسل إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين. قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]. فمن رسل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى نبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَام. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

كان نبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَام رسول بشريّ أرسله الله عَزَّوَجَلَّ كما قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥]. ثم بدأ تحريف دين الله الذي أنزل على نبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَام عندما نبعت عقيدة التثليث وطبيعة المسيح هل هو إنسان أم إله، وهذه العقيدة نشرها بولس اليهودي الذي دخل النصرانية لأجل تغييرها وتحريفها ولم ير عيسى عَلَيْهِ السَّلَام عيسى ولم يسمع منه شيئاً بل افترى عليه وحرّف دينه، وزعم أنه يوحى إليه وأن يأخذ التعاليم من المسيح مباشرة.

ويقول وهو في دمشق أو قريبا منها. لماذا تضطهدين؟ فقال: بولس شاول وهو مرتعد ومتحير: يا رب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له: قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل وبعد أن قاده رفاقه إلى دمشق، واستقر فيها، أتاه حنانيا، وكان هذا رجلاً مشهوداً له بالتقوى من جميع اليهود السكان كما يذكر بولس فأخبره بأن الله قد اختاره ليعلم الدين ويكرز بالمسيحية، أي: يعظ بها ويدعو إليها.

وبعد قيام بولس الدعوة إلى دين النصارى وأعلن فكرة أن المسيح ابن الله^(١).

فقد حصل صراع بين الفريقين:

الفريق الأول: من يعارض ربوبية المسيح **عَلَيْهِ السَّلَامُ** وعلى رأسهم آريوس ولم يكتب النصر النهائي لأنصار عقيدة التثليث الابن، الأب، روح القدس إلا في مجمع نيقية عام ٣٢٥ م مع أنهم كانوا أقلية فيه

الفريق الثاني: من ينشر إلهية عيسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** وعلى رأسهم (بولس)^(٢)

وأثنائوس) وأوضحت دائرة المعارف البريطانية أن نبي الله عيسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ**

(١) مناظرة بين الإسلام والنصرانية لمناقشة العقيدة الدينية بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية، المؤلف: مثل الجانب الإسلامي في المناظرة كل من الشيخ الدكتور محمد جميل غازي والأستاذ إبراهيم خليل أحمد واللواء المهندس أحمد عبد الوهاب، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض-المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، (ص ١٥٢).

(٢) المؤسس للدين المعروف حالياً باسم (المسيحية)، واسمه الأصلي (شاول) اليهودي، وهو الذي أثار موضوع ألوهية المسيح لأول مرة مدعياً أنه ابن الله، وهو النموذج الذي احتذا حذوه عبد الله بن سبأ اليهودي لإفساد الإسلام، فأسس دين التشيع وفروعه: العلمانية وموقف الإسلام منها، لحمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١٥ - السنة ٣٤ - ١٤٢٢ هـ، (ص ٣٤٠).

لم تصدر أيّ دعوى تفيد أنه من عنصر الإلهي وما حصل فهو افتراء وكذب وهراء^(١).

وكل هذا الانحراف الذي حدث على أمة عيسى عليه السلام هو أنهم زاغوا عن منهج الله الشرعي، واستبدلوه بأفكار هدامة، ومذاهب ضالة؛ لتسدّ الفراغ النفسي الذي لا بد للإنسان أن يعتقد ويؤمن شيئاً ما قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠].

فالأمور تنقسم إلى قسمين لا ثالث لهما: اتباع لما دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم واتباع الهوى^(٢). ولذا لم يبلغ أوروبا الدين الحق الذي أنزل على عيسى عليه السلام بل عرفوا الدين بعد التحريف والتبديل وأخذوا دينهم عن رجال مثلهم، اتخذوا أخباراً ورهباناً من دون الله. تركوا النصارى دينهم واتبعوا أهوائهم واستبدلوه بمذاهب فكرية معاصرة تحارب دين الله عز وجل وتضاهي شرع الله وتعارضه، عقيدة، ومنهجاً، وأخلاقاً، ومعاملةً. وحقّ عليهم القول، لكل بضاعة سوق ولكل صائح صدى. ولكل شيء له سبب وبدايات، فمن الأسباب التي أبرزت المذاهب الفكرية المعاصرة عوامل عدة بعضها ظاهرة وبعضها خفية أما الظاهرة فتتخصّر في المطالب الآتية:

التحريف في أسس الدين الذي أنزله الله على عيسى عقيدة وشريعة.

(١) الجفوة المفتعلة بين العلم والدين، لمحمد على يوسف، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٦م، (ص ١٤، ١٥) بتصرف.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، (٢١٠/٤).

(أ) أما العقيدة فالنصارى آمنوا واعتقدوا بأن عيسى عليه السلام إله يتجسد أو يحل بالإنسان وهو ما يسمونه ثلاثة وهو ثلاثة أقانيم الآب والابن والروح القدس وهذه العقيدة ابتدع شاؤول بولس اليهودي الذي دخل في دين النصارى للتحريف والتبديل واستخفاف عقول النصارى بحيث أنه أدرك نبي الله عيسى ولم يؤمن به بل كان من أعدائه وواعدا كال من آمن واتبع عيسى وكان بولس يعذب النصارى ويسومهم سوء العذاب بألوانه المختلفة، وفي النهاية دخل دين النصارى تحقيقاً للرؤية الذي رآه عيسى في ذهابه إلى دمشق فبغته أ برق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له: شاؤول شاؤول لماذا تضطهدي؟ فقال: من أنت يا سيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده....

فقال وهو مرتعد ومتحير: يا رب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل وحينذاك بدأ ينشر رسالة مبدأ التثليث وأن عيسى ابن الله تحريفاً وتبيديلاً لدين المسيح عليه السلام وقد نجحت خطته الذي دخل في دين النصارى^(١).

وبناء على ما سبق يتبين أن دين النصارى دخل عليها تحريفات كثيرة بعوامل مختلفة من جهات مختلفة سواء كان من قبل أعداء النصارى أو من أنفسهم، ولم يبلغ أوروبا دين صحيح سليم.

(١) ينظر: أعمال الرسل الاصحاح التاسع، (ص ٢٠-٣٠)، والأسفار المقدسة لعللي وافي، ومنهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، للدكتور: أحمد بن أحمد الرحيلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٤هـ، (ص ٣٠٩).

المطلب الثاني

طغيان الكنيسة ورجالها

من السّمات المشتركة بين المذاهب الفكرية المعاصرة سمة ردّة طغيان الكنيسة ورجالها.

فالكنيسة بغت واعتدت على المجتمع الأوروبي بالسيطرة على أمور دينهم وديناهم، بحمل الأثقال وفرض الضرائب، ودفع الأموال الطائلة غير شرعية وغير مستحقة بل لا حقيقة لها في الواقع والمنطق، من تعبيد الناس في حرث مزارع الكنيسة وحراستها فرضت الضرائب اليومية والشهرية والسنوية، ونزع يد المجتمع الحرية التامة والتصرف الكامل في ممتلكاتهم الخاصة واستباحة أعراضهم، وأنسابهم، إلا في نطاق ضيق جداً، هذا من ناحية الدنيا، وأما من الناحية الدينية، فقد أفسدت الكنيسة عقائد الناس وفطرتهم وعلقوا الناس بالكنيسة ورجال الدين وأنهم بمثابة الإله، تضر وتنفع، وتغفر الذنوب، وتمنح الأرزاق، وتذهب الأولاد، وتوزع صكوك الغفران، للأحياء والأموات، ويتجاوز السيئات.

ولم يعطوا فرصة لمعرفة الناس برهم بدون وساطة الكنيسة ورجالها فاعتقدوا بهذه العقيدة مكرهين مقهورين، ومن لم يعتقد بهذه الفكرة ويعارض الكنيسة ورجالها إما أن يسجن أو يعذب بعذاب أليم، أو يحرق أو يقتل أو يسفر، وما زال وضع أوروبا هكذا يسام بأنواع العذاب، حتى

شمل صنوف العذاب في جميع مجالاته الروحية، والبدنية، والعقلية والفكرية فالحرب شامل في جميع هذه الأنواع والطّغيان قد سال فيضه.

وكان ذلك العصر ما بين القرن الرابع إلى القرن الخامس عشر الميلادي المعروفة بالعصور الوسطى أو العصور المظلمة^(١).

إذ إنّ الكنيسة هيمنت في جميع شؤون الحياة وهي الرائدة للمجتمع كله فاتخذوا من دون الله كهانا يارسون سلطاناً روحياً هائلاً على الجماهير، وتحيط بهم هالة من الغموض والأسرار، وأصبحوا هم الوسطاء بين الناس وإلههم الذي يعبدون غير الله^(٢).



(١) ينظر: الوجيز في المذاهب الفكرية المعاصرة عرض ونقد، للدكتور: أحمد بن العزيز الخلف، دار الإمام مسلم، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، (ص ١٧).

(٢) ينظر: المرجع السابق: (ص ٢٧).

المطلب الثالث

أنواع طغيان الكنيسة

أولاً: الطغيان الروحي؛

فيتمثل في جوانب كثيرة أهمها:

١- تعميد الناس ليصيروا نصارى، وليدخلوا ملكوت الرب، ويقبلهم الرب في ملكوت سماواته-ويلحق ممن فدى وطهر من الخطيئة في قضية الصلب والفداء، فالنصرانية دخولها عن طريق القس بالتعميد والرش بالماء المقدس ويصير بذلك نصرانياً وحق عليهم قول الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء»^(١).

٢- حرمان النصراني من ملكوت الرب، وابعاده من الكنيسة والمعابد لأنه خرج عن طاعة الكنيسة وثار عليها وخالف أوامر البابا والقساوة ورجال الكنيسة.

٣- اعتراف النصراني عن خطئه أمام البابا أو القيس ثم يغفر له وهذا يلي الترتيب بعد التعميد أو التنصير. وهذا يسمون النصارى صكوك الغفران الذي شوه سمعة الكنيسة ورجالها ولم يعرف في التاريخ مثل هذا.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب ما قيل في أولاد المشركين، (٢/١٠٠) وأخرجه مسلم في باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، (٤/٢٠٤٧).

٤- المناولة الأخيرة، ويقصدون بها: حضور القس إلى الإنسان النصراني حال مرض موته، وهو في النزاع، وتلقى اعترافه وهو على فراش الموت، ثم منحه غفران ذنوبه كلها، ثم منحه صكا يثبت فيه أنه قد غفر له جميع ذنوبه بمقتضى الصلاحية التي منحها الرب، وأنه قد منحه من الجنة مقدرا كذا وكذا، وأهل الميت يضعون هذا الصك مع جثة الميت في حفرة، حتى يستعملها الميت في الآخرة مطالبًا بمستحقاته التي إياه القس في المناولة الأخيرة^(١).

ثانيًا: الطغيان السياسي؛

حققت سلطة البابا الكنيسية الدينية بفرض السيطرة والهيمنة على السلطة الادارية والسياسية حتى وصل الى مرحلة يختار من يشاء ويخلع عن المنصب من يشاء، وجعل نفسه خليفة الله في الأرض يتصرف في الكون كيف يشاء، ويجب على الأباطرة والملوك الانقياد والخضوع لأمر البابا طوعا أو كرها. ومن خلع البابا جريجوري السابع الإمبراطور الألماني «هنري» الرابع وحرمه، وأحل أتباعه والأمرء من ولائهم له، وألبهم عليه، فعقد الأمرء اجتماعًا قرروا فيه أنه إذا لم يحصل الإمبراطور على مغفرة البابا فإنه سيفقد عرشه إلى الأبد.

فاضطرب هذا الإمبراطور حفاظًا على عرشه أن يسعى لاسترضاء البابا سنة ١٠٧٧م، فاجتاز جبال الألب في شتاء بارد مسافرًا إلى البابا الذي كان في قلعة بمرتفعات كانوسا في تسكانيا. وظل واقفا في الثلج في فناء القلعة

(١) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (٢/ ٣٦٢).

ثلاثة أيام، وهو في لباس الرهبان متدثرا بالخيّش، حافي القدمين، عاري الرأس، يحمل عكازه، مظهرًا ندمه وتوبته، حتى ظفر بعفو البابا، وحصل على رضاه^(١).

ثالثًا: الطغيان المالي؛

من فساد رجال الدين في عصر سلطنتهم فرض ضرائب هائلة على المجتمع الأوروبي صاغرين أذلاء فلم يتركوا بابًا من أبواب التّكسب والتّرزق وجباية الأموال إلا سلكت الكنيسة بأوجه مختلفة وفي وسائل متنوعة، تارة باسم أوقاف الكنيسة، وتارة باسم العشور، وتارة باسم الهبات والسخرة، وتارة باسم ضريبة السنة الأولى.

أما الهبات والوصايا فإنها تمنح للكنيسة حيث يوصي المحتضر أمام القسيس وقت كتابة الوصية. وأما السخرة فحدث ولا حرج.

وكل هذا استيلاء للأراضي الزراعيّة الواسعة لوقفها على الأديرة والكنائس، حتى ملكت الكنيسة ثلث أراضي إنجلترا وتأخذ الضرائب الباهظة من الباقي^(٢).

يقول كرسون: «كانت الفضائل المسيحية كالفقر والتواضع والقناعة والصوم والورع، والرحمة، كل ذلك كان خيرًا للمؤمنين وللقسيسين وللقديسين وللخطب والمواعظ، أما اساقفة البلاط والشخصيات الكهنوتية

(١) ينظر: قصة الحضارة (١٩٧/١٥)، وتاريخ أوربا لفيشر (١٩٤/٢).

(٢) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (٣٦٢/٢).

الكبيرة فقد كان لهم شيء آخر: البذخ والأحاديث المتأنقة مع النساء والشهرة في المجالس الخاصة والعجلات والخدم والأرياح الجسمية والموارد والمناصب»^(١).

كل هذه ضرائب باطلة غير مستحقة للكنيسة لكن البابا فرض عليهم إجباراً لا إحساناً وبرّاً.

رابعاً: الرهبانية وفضائح الأديرة:

بداية أعرف المصطلحات الآتية: الراهب، الأديرة، الكنيسة، الصومعة.

أولاً: لفظ الراهب في اللغة والاصطلاح:

أما لغةً فهو: المتعبّد في الصومعة، وهو واحد رهبان النصراني، ومصدره: الرهبة والرهبانية جمعه الرهبان، والرهانة خطأ، والرهبان بالضم قد يكون واحداً كما يكون جمعاً، فمن جعله واحداً جعله على بناء فعالن، أنشد ابن الأعرابي:

لو كلمت رهبان دير في القلل لانحدر الرهبان يسعى فنزل^(٢).

واصطلاحاً: هو العالم في الدين المسيحي من الرهبانية وهو الانقطاع من الخلق والتوجه إلى الحق^(٣).

(١) المشكلة الأخلاقية، لأندرية كريسون، دار الرشاد للنشر والتوزيع، (ص ١٦٧).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (٢/ ٥٤٠).

(٣) دستور العلماء جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمّد نكري، دار الكتب العلمية-لبنان / بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ، (٢/ ٩٢).

ثانياً: لفظ الأديرة:

ولفظة الدير هي مثل أكثر الألفاظ النصرانية من الألفاظ المعربة -عربت من أصل سرياني هو دير بمعنى دار -أي بيت الراهب^(١).

أديرة: جمع دير، وهو خان النصارى، ويبت يتعبد فيه الرهبان، ويكون في الصحاري ورؤوس الجبال، وإذا كان داخل المصر فهو كنيسة أو بيعة^(٢).

ثالثاً: لفظ الكنائس:

جمع كنيسة، والكنيسة متعبد اليهود أو النصارى أو الكفار^(٣).

رابعاً: لفظ الصومعة:

«الصومعة» بفتح مهملتين وبميم. وهي نحو المنارة ينقطع فيها رهبان النصارى^(٤).

خلاصة ما سبق: أن المسجد للمسلمين و الكنيسة لليهود، والبيعة للنصارى، والصومعة للرهبان، ويبت النار: للمجوس^(٥).

إنّ من أصول الشرائع السماوية العناية والإهتمام بالطّهارة والنّظافة في حياة الإنسان

(١) المفصل (٦/٦٥٣)، (ص ٦٥٤)، غرائب اللغة (ص ١٨٢).

(٢) يراجع: لسان العرب (٤/٣٠٠، ٣٠١) مادة (دير)، ومعجم البلدان (٢/٤٩٥).

(٣) يراجع: القاموس المحيط (٢/٢٥٦).

(٤) مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، لجمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفتني الكجراتي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط ٣، ١٣٨٧ هـ، (٢/٣٧٢).

(٥) فقه اللغة وسر العربية، لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، لعبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، (ص ٢١).

أما ما ابتدعته رهبانية النصارى من ترك الاغتسال والنظافة والطهارة عموماً واعتبروها من عمل الشيطان ومن عوام الخلق: فهو أمر محدث عار عن الدليل والحقيقة.

يقول: الراهب أتهينس: إن الراهب أنتوني لم يرتكب إثم غسل الرجلين طول عمره، وكان الراهب أبراهام لم يمس وجهه ولا رجله الماء خمسين سنة وقد أبت العذراء سلفياً أن تغسل جزءاً من جسدها عدا أصابعها، وكان في أحد الأديرة النسائية راهبة لم تستحم واحدة منهم قط أو تغسل قدميها، إلا أن الرهبان مالوا إلى استخدام الماء في آخر القرن الرابع، وسخر الأب إسكندر من هذا الانحطاط، فأخذ يحث إلى تلك الأيام التي لم يكن فيها الرهبان يغسلون وجوههم قط^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «إنَّ النَّصْرَانِيَّ يقوم من على بطن المرأة يتغوط ويبول ولا يمس ماء ولا يستجمر. والبول والنحو ينحدر على ساقه وفخذه ويصلي كذلك وصلاته صحيحة تامة عنده ولو تغوط وبال وهو يصلي لم يضره؛ فضلاً عن أن يفسو أو يضرط. ويقولون: إن الصلاة بالجنابة والبول والغائط أفضل من الصلاة بالطهارة؛ لأنها حينئذٍ أبعد من صلاة المسلمين واليهود وأقرب إلى مخالفة الأمتين»^(٢).

(١) تحجيل من حرف التوراة والإنجيل، لصالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء الهاشمي، تحقيق: محمود عبد الرحمن قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، (٢/٥٩٤).

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أحمد الحاج، دار القلم-دار الشامية، جدة-السعودية، ط ١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، (٢/٤٨٣).

فالنّصارى استدّلوا بالرهبانية والإنقطاع عن الدنيا وترك العمل قول المسيح **عليه السّلام**: «من ترك زوجة من أجلي فإنه يعطي للواحد مائة ضعف ويرث الحياة الدائمة»^(١).

والعبارة الصحيحة هي: «من ترك بنين وبنات أو حقولاً فإنه يعطي»^(٢). وذلك مما لا نصّحه عن المسيح إذ لا يجوز إجراء هذا الكلام على ظاهره، فإن الفرار عن الأولاد والأطفال وتركهم بلا كافل يكفلهم ومنفق ينفق عليهم مما لا يجوز، ومن نسب المسيح إلى الجهل بذلك فقد كفر بالمسيح **عليه السّلام**^(٣). ثمّ على تقدير صحّته معارض بنصّين عن المسيح؛ أحدهما: قوله في جواب الزنادقة الذين جاؤوا متعتين له: «إن الذي زوّجه الله لا يقدر أحد على تفريقه»^(٤).

وممن طبق العزوبة وترك النكاح من النصارى المارسيون أتباع مرسيون الذي ظهر في عام ١٤١٠ م. والمانوية أتباع ماني.

والإنكراتيون أتباع تاتيان، والساويرسيون أتباع ساويرس^(٥).

(١) متى (٢٩/١٩)، مرقس (٢٩/١٠).

(٢) متى (١٩/٣-٦)، مرقس (٢٩/١٠).

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، لصالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء الهاشمي، (٢/٦١٢).

(٤) متى (١٩/٣-٦)، مرقس (٢٩/١٠).

(٥) تاريخ الكنيسة (ص ٢٢٧، ٢٢٨)،

والواقع أنّ رهبان النّصارى والبابوات والقساوس حرّموا الزواج
المباح على أنفسهم لكنّهم انغمسوا في الملذات والشّهوات والزنا المحرمة
واتخذوا صواحب والسراري يتمتعون بها حتى أصبحت الأديرة والكنائس
مأوى للزنا والفواحش والمعاصي والنجاسة، والانحلال الخلقي والصحي
والنّفسي.



الرد على رهبانية النصارى من الكتاب والسنة وأقوال السلف

أولاً: من الكتاب العزيز:

فقد أخبر الله تعالى في كتابه العزيز أن النصارى ابتدعوا رهبانية ما أنزل الله من سلطان.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَارِعُوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧].

قال ابن كثير **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى**: «ابتدعتها أمة النصارى».

ما شرعناها لهم، وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم.

وأنهم قصدوا بذلك رضوان الله، قال سعيد بن جبير، وقتادة. والآخر: ما كتبنا عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله.

فما قاموا بما التزموه حق القيام، وهذا ذم لهم من وجهين، أحدهما: في الإبتداع في دين الله ما لم يأمر به الله. والثاني: في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قرينة يقرهم إلى الله، **عَزَّوَجَلَّ**^(١).

(١) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ، (٢٨/٨).

فالله أباح ما في الأرض جميعاً ووضع حدوداً في التحليل والتّحريم والنّهي والمعروف، تلك حدود الله فلا تعتدوها، أما الرّهبانية فهي إنقطاع عن الدّنيا والتّعبّد في الأديرة منعزلاً عن المجتمع كلها وهذا مذموم في الشّرائع كلها ولا أحد من الأنبياء والرّسل **عليهم السّلام** أمر بذلك أو أرسل لأجلها، فالإنسان لا بدّ أن يحدّد لنفسه وقتاً للتّكسب والعمل والترزق ويعيش في أوساط النّاس ليصبر على آذاهم، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويقيم فيهم العدالة والإحسان بين النّاس وصلة الأرحام والأقارب.

ثانيًا: من الأحاديث:

ومن الأحاديث التي تحذر الرهبانية في الإسلام، قصة الثلاثة الذين جاءوا إلى بيوت رسول الله **صلى الله عليه وسلّم** يسألون عن عبادته، فلما أُخبر كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي **صلى الله عليه وسلّم**؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله **صلى الله عليه وسلّم** إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(١).

ثالثًا: من أقوال السلف:

ومن أقوال السلف في الرد على الرهبانية قول طاووس مرفوعاً بلفظ: «لا زمام ولا خزام ولا رهبانية ولا تبتل ولا سياحة في الإسلام»^(٢).

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب الترغيب في النكاح، (٢/٧).

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، وقال الألباني: رجاله ثقات. (٣٨٧/٤).

رابعاً: بيع صكوك الغفران إلى المجتمع:

حقيقة صك الغفران هو: «افتداء الروح من عذاب المطهر بدفعة مالية». إن تجرؤ قساوسة الكنيسة على ادعائهم غفران خطايا النصارى يعتبر سرا من أسرار الكنيسة السبعة، ويسمى (سر الاعتراف وغفران الذنوب)، وقد قرره الكنيسة حقاً لنفسها في المجمع الثاني عشر (الإيتاني الرابع) سنة ١٢١٥م، وتمادت في ذلك إلى أن أصدرت الكنيسة (صكوك الغفران) لاستغلال النصارى وجمع الأموال للكنيسة وقساوستها، وقد كانت مسألة غفران الذنوب من أبرز الأسباب التي دعت إلى ظهور حركة الإصلاح الكنسي وظهور فرقة البروتستانت^(١).

ويترتب على استلام صكوك الغفران اباحة كل محظور وتحليل كل حرام مادام الصك رهن بيده.

وعليه فلم يكن ليحظى بالحصول على صك الغفران إلا أحد اثنين:

١- رجل ذو مال يشتري الصك من الكنيسة حسب التسعيرة التي تحددها هي.

٢- رجل يحمل سيفه ويبذل دمه في سبيل نصره الكنيسة والدفاع عنها وحراسة مبادئها.

أما الآخرون فكانت قلوبهم تعصر أسى لأنهم لا يملكون ثمن الصك، أو لا يستطيعون أن يشتركوا في الحروب إما لعجزهم وإما لكونهم

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، لصالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء الهاشمي، (ص ٤٠٩).

غير مستعدين للموت من أجل الكنيسة، لكنهم يظلون اسرى لصراع نفسي مرير، وشعور بالحرمان قاتل.

فقد أصدر مجمع لاتيران سنة ١٢١٥ القرار التالي لتقرير أن الكنيسة تملك حق الغفران للمذنبين:

صورة من صك الغفران:

يرحمك يا فلان، ربنا يسوع المسيح ويملك باستحقاقات آلامه الكلية القداسة، وأنا بالسلطان الرسولي المعطي لي أحلك من جميع القصاصات، والأحكام والطائلات الكنسية التي استوجبتها، وأيضاً من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة، ومن كل علة، وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا، والكرسي الرسولي، وأمحو جميع أقدار المذنب وكل علامات الملامة التي ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرصة، وأرفع القصاصات التي كنت تلتزم بمكابدتها في المطهر وأردك حديثاً إلى الشركة في أسرار الكنيسة وأقرنك في شركة القديسين، وأردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كانا عند معموديتك، حتى إنه في ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذي يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب، ويفتح الباب الذي يؤدي إلى فردوس الفرح، وإن لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة، حتى تأتي ساعتك الأخيرة باسم الأب والابن والروح القدس^(١).

(١) محاضرات في النصرانية (تبحث في الأدوار التي مرّت عليها عقائد النصاري وفي كتبهم ومجامعهم المقدسة وفرقهم)، لمحمد بن أحمد أبي زهرة دار الفكر العربي - القاهرة، ط٣، ١٣٨١هـ (ص١٧٢).

قول متى: «إن عيسى جمع الحواريين يوماً قبل موته وتناول خبزه وكسرها وناولهم كسرة لكل إنسان وقال لهم كلوا هذا جسми ثم ناولهم خمرا وقال لهم اشربوا هذا دمي؛ نظر الجهلة والذبح من الناس»^(١).

خلاصة نتائج الصكوك النصرانية:

- ١- إزدياد مكانة رجال الكنيسة في نظر الجهلة والسذج من الناس.
- ٢- أثرت الكنيسة من عملية بيع الصكوك ثراء فاحشاً، حتى أصبحت بحق أغنى طبقات المجتمع الأوروبي آنذاك، مزاحمة الإقطاعيين بما لها من مساحات واسعة من الأراضي، وبما تكسب في خزائنها من أموال تدفقت عليها من العطايا والهبات^(٢).
- ٣- الرد على بيع صكوك الغفران.

من المعلوم بالضرورة شرعاً وعقلاً أنّ غفران الذنوب من خصائص الربوبية والألوهية ولا يستطيع أحد غير الله أن يغفر الذنوب ويبين من تاب إليه كائنا من كان في كل عصر ومصر وفي كل وقت؛ ولذا فقد ذكر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في موضع كثيرة من القرآن الكريم أن الله هو غافر الذنوب والعفو الصفح لخطابا بني آدم، ولا يشاركه أحد في ذلك لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا نبي من أنبياء الله قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

(١) المرجع: السابق: (ص ١٧٢).

(٢) إنجيل متى (ص ١١٠).

لا أحد يغفر الذنوب إلا الله كما هو منصوص في آخر الآية الكريمة.
أمّا البابوات والقساوسة ورجال الكنيسة هم محتاجون مفتقرون إلى خالقهم بالهداية وغفران الذنوب.

وخلاصة هذه المسألة: أنّ القسيس بشر يخطئ ويصيب، والبابا بشر يخطئ ويصيب وإن ادعوا العصمة، وبالتالي فإن القائم بهذه المهمة والمخول له هذه السلطة يحتاج إلى من يغفر له ذنوبه فمن هو إذن الذي يغفر الذنوب لكل البشر؟ لا شك أنّه ربّ البشر **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

خامساً: مساندة الكنيسة للظلم السياسي والاقتصادي والاجتماعي المتمثل في الإقطاع؛

إنّ الكنيسة النصرانية ساهمت كل ما كان يجري في أوروبا وما يسام مجتمعهم من ألوان العذاب والعقاب لمن خالف تعاليم النصارى أو عارض أوامر الكنيسة فقد ساندت الكنيسة بنهب الأموال والسرقة البناء من رجال الكنيسة وجمع الهبات والإثارات والعشور والهدايا والنهب حتى أصبحت الكنيسة غنية فائقة عن الأباطرة وأمراء الإقطاع^(١).

ومن ثم ما من موقف من مواقف الظلم والنهب واستعباد الناس واستحلال دمائهم واستباحة أعراضهم وأخذ أموالهم بالباطل إلا ساعدت الكنيسة، وصارت مكتوفة الأيدي بل تذود الباطل والظلم والعدوان وتحارب كل المصالح المجتمعية العامة والخاصة.

(١) ينظر: محاضرات في النصرانية، لمحمد بن أحمد أبي زهرة دار الفكر العربي، (ص ١٧٢).

فلم يزل النَّاس في هذه البؤس والحالة السيئة حتى احتكر المجتمع الأوروبي بالعالم الإسلامي وتفتحت عقولهم وأصبحوا مدنيين حضاريين يتكيفون مع العالم الإسلامي الذي أيقظهم من سباتهم العميق وأخرجهم من دجاجيج الظلام وغياهيب الظلمات.

وطرق احتكاكهم بالعالم الإسلامي بمنفذين أساسيين مهمين وهما:

أحدهما: الاحتكاك الحربي في الحروب الصليبية في المشرق الإسلامي.

والآخر: الاحتكاك السلمي بطلب العلم في مدارس المسلمين في الأندلس والشمال الإفريقي وصقلية وغيرها من الأماكن القريبة من أوروبا، وفي كلاهما تفتحت عيون أوروبا على عالم مختلف كل الاختلاف عن عالمها، لا من ناحية العلم والحضارة فقط، بل من حيث القيم والمبادئ وآفاق الحياة وآفاق التفكير^(١).

فأما العلم فمعروف أن أوروبا بدأت نهضتها بالتلمذ على علوم المسلمين.. ودعك من المكابرة الأوروبية المغرورة التي تقول إن المسلمين لم يكن لهم فضل في ذلك إلا الاحتفاظ بعلوم الإغريق في الفترة التي غفلت فيها أوروبا عنها في عصورها المظلمة، فلما استيقظت أوروبا -كأنها استيقظت من ذات نفسها!!- استردت بضاعتها القديمة وانطلقت -منها- تبني حضارتها^(٢).

(١) دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة، للدكتور: أحمد بن علي العال، (ص ٢٦، ٢٧).

(٢) ينظر: المرجع السابق: (ص ٧٠).

ويشهد أن أوروباً تعلمت العلم والحضارة والتقدم من المسلمين «روجر بيكون» التي قال فيها: من أراد أن يتعلم شيئاً فليتعلم العربية^(١).

ومما سبق يتبين: أنّ الكنيسة باءت بالفشل في جميع مجالات الحياة الدينيّة، والسياسيّة، والاجتماعيّة، والأخلاقيّة، والاقتصاديّة، حيث ساندت الطّغيان في شتى صنوف العذاب والظلم والتّعالي على المجتمع الأوربي حتى انسلخ النّاس من الدّين وشعائره فنبذوها وراء ظهورهم وكل ما يتعلق باسم الدّين وثاروا على الطّغاة المجرمين. المشوهين لصورة الدّين وهم يزعمون أنهم رجال الكنيسة والدّين لكن أراد الله أن يزيل هؤلاء الطّاغين المتكبّرين للمجتمع واستعبدوهم وظلموهم.

سابعاً: محاكم التفتيش:

قبل العرض عن الحديث في المحاكم التفتيش سأعرّف ببعض المصطلحات المتعلّقة بفهم العنوان منها: الهرطقة، الكاثوليك، محاكم التفتيش، البدعة عند النصارى، الكاثوليكية

أولاً: «الهرطقة» لغة:

أصلها من اليونان ومعناها: البدعة في الدّين.
وعند النّصارى: الأخذ والتّمسك بالدّين.
ويقال الهرطقة: الملحد^(٢).

(١) ينظر: تجديد الفكر الديني في الإسلام، لمحمد إقبال ترجمة عباس محمود من الترجمة العربية (ص ١٤٨).

(٢) تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دُوزي، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمّد سليم النّعمي، وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية ط١، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠م، (١١/١٢).

واصطلاحاً: التعاليم المخالفة لما عليه النصارى^(١).

الهرطقة، تُعرف الهرطقة وهي: أي اعتقاد أو نظرية تتعارض مع المبادئ الدينية الراسخة لاسيما وحدة الإيمان، ويجب توافر ثلاثة شروط في الهرطقة المسيحية:

- ١- أن يكون الشخص معمدًا في الكنيسة.
- ٢- أن يصّر على الاستمرار في هذا الخطأ.
- ٣- أن يكون الخطأ الذي ارتكبه من عقله يخالف ويعارض المبادئ الدينية.

أما الشخص الذي ابتدعها الهرطقة: الراهب (مرتان لوتير)^(٢) الألماني^(٣).

ثانيًا: الكاثوليك:

يراد بها: أكبر الكنائس النصرانية في العالم، وتدعي أنها أم الكنائس ومعلمتهن.

يزعم أن مؤسسها بطرس الرسول وتتمثل في عدة كنائس تتبع كنيسة روما وتعترف بسيادة بابا روما عليها، وسميت بالكنيسة الغربية أو اللاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتيني خاصة.

(١) ينظر: كتاب تاريخ الكنيسة، لجون لوريمر (٨٩-١٥١). وتاريخ المسيحية حبيب سعيد (١/٤٦-٦٢).

(٢) ستأتي: ترجمته.

(٣) نهر الذهب في تاريخ حلب، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي، الشهير بالغزي، دار القلم، حلب، ط٢، ١٤١٩هـ، (٣/٥٨٧).

ثالثاً: البدعة عند النّصارى:

يقصد بها مجموعة من الأفراد الذين يعتنقون أفكاراً يعتبرها الدّين خاطئة.

فعلى سبيل المثال يُعتبر الدوناتيون نسبة إلى دونا أسقف قرطاجة في القرن الرابع الميلادي بدعة، فهم يرهنون صحة الأسرار الدينية بقداسة من يقدمها، والبدعة تعتبر أقل خطورة بنظر الكنيسة من الهرطقة؛ لأن البدعة تمس الكنيسة في حين الهرطقة تمس وحدة الدين.

رابعاً: الكاثارية:

تقوم هذه العقيدة على تصوّر مفاده أن لهذا العالم إلهين إله الخير، وإله الشر يتصارعان منذ الأزل، وهي بذلك تُناقض جوهر المسيحية التي تقوم على وجود إله واحد، ظهرت هذه العقيدة في القرن الثاني عشر الميلادي في جنوب فرنسا وإيطاليا^(١).

خامساً: تعريف محاكم التفتيش لغةً واصطلاحاً:

أما لغةً: فمن فتش ويأتي بمعنى التفتيش: بحث السّلطة في مكان معيّن، أثناء التّحقيق القضائيّ، للعثور على ما يفيد الكشف عن الحقيقة.

واصطلاحاً: محكمة أو محاكم دينية أنشئت لمعاقبة أرباب البدع والاهتمام بحماية الأخلاق والدين في أوروبا في القرون الوسطى^(٢).

(١) المرجع السابق (٣/ ٥٨٧).

(٢) انبعاث الإسلام في الأندلس، لعلي بن محمد المنتصر بالله الكتاني، دار الكتب العلمية-بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٦هـ (ص ٢٠).

وعرّف أحد فقهاءهم بأنّه: يترأس جلساتها الشيطان بذاته، ويكون من بين مستشاريه الغش وعمى البصيرة^(١).

وقال فقيه آخر عنهم: قضاة التفتيش الكفرة بطرقهم الشيطانية، يدفعهم إبليسهم ليقموا أنفسهم قضاة على ضوائر الخلق، ويجبرونهم بالقوة على اتباع معتقداتهم الملعونة الكافرة الضالة^(٢).

إنشاء محاكم التفتيش:

أول محكمة للتفتيش أنشئت في شبه الجزيرة الإيبيرية في مملكة أراغون في القرن الثالث عشر الميلادي وحدد نظامها سنة ١٢٤٢ م، عرفت بالديوان القديم^(٣).

محاكم التفتيش التي استعملت من أنواع التعذيب بالمخالفين الذين أطلق عليهم رجال الدين لقب الهراطقة ما لا يتصوره العقل، حيث كانت المحكمة عبارة عن سجون مظلمة تحت الأرض، بها غرف خاصة للتعذيب، وآلات لتكسير العظام وسحق الجسم البشري، وكان الزبانية يبدأون بسحق عظام الأرجل، ثم عظام الصدر والرأس واليدين تدريجياً حتى يهشم الجسم كله، ويخرج من الجانب الآخر كتلة من العظام المسحوقة والدماء الممزوجة باللحم المفروم، وكان لدى المحكمة آلات تعذيبية أخرى، منها آلة على شكل تابوت تثبت فيه سكاكين حادة، يلقون الضحية في التابوت ثم يطبقونه عليه

(١) المرجع السابق (ص ٢٠).

(٢) انبعاث الإسلام في الأندلس، لعلي بن محمد المنتصر بالله الكتاني، (ص ٢٠).

(٣) المرجع السابق (ص ٦٦).

فيمزقه إرباً إرباً، وآلات كالكلاليب تغرز في لسان المعذب، ثم تشد فتقطعه قطعة قطعة، وتعزر في ثدي النساء حتى تتقطع كذلك، وصور أخرى تتقرز منها النفوس وتشمئز لذكرها^(١).

كانت محاكم التفتيش تحاكم أحياناً الموتى فتنبش قبورهم وتخرج جثثهم لتعاقب. وتتابع محاكم التفتيش الغائبين كذلك^(٢).

محاكم التفتيش بلغ اثني عشر مليون نسمة كانوا مسيحيين، قتلوا بأيدي مسيحية. ودولة إسبانية وحدها أهلكت ثلاثمئة ألف وأربعين ألفاً من المسيحيين، واثنان وثلاثون ألفاً منهم أحرقوا أحياء^(٣).

يقول «ول ديورانت»^(٤): بعد أن عدد مبادل البابوات وانحرافات رجال الدين في النص الذي أشرنا إليه آنفاً: «وإذا ما عفونا عن بعض هذا الشذوذ الجنسي والانهاك في ملاذ.....

(١) ينظر: التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، لمحمد الغزالي، نهضة مصر، للطباعة والنشر، مصر، ط٦، ٢٠٠٥م، (ص ٣١١-٣١٨).

(٢) انبعث الإسلام في الأندلس، علي بن محمد المنتصر بالله الكتاني، (ص ٧٠).

(٣) رحمة للعالمين، للقاضي محمد سليمان سلمان المنصور فوري: (ص ٤٦٩-٤٧٥)

(٤) المؤرخ الغربي الأمريكي الكبير وله كتب مؤلفات مثل (قصة الحضارة)، والذي اعترف له النقاد بأنه كتب موسوعته: بموضوعية، ومنهج علمي سليم، ومع الالتئام الأخلاقي وكان من إنصافه اللافت للنظر: نقطة بدء التاريخ، إذ بدأ كتابته من آسيا، مخالفاً عادة الغربيين الذين كانوا يظنون أن تاريخ الإنسان بدأ من اليونان والرومان. ومما قرّر في كتابه أن لحم الإنسان في (أيرلندا) كان يباع على أنه ألد أنواع الطعام، وأن ذلك دام في (الدنمارك) على أنه من لوازم العيش دام ذلك إلى القرن الحادي عشر، الرد الجميل على المشككين في الإسلام من القرآن والثورة والإنجيل والعلم، لعبد المجيد حامد صبح، دار المنارة للنشر والتوزيع والترجمة، المنصورة-مصر، ط٢، ١٤٢٤هـ (ص ٤٧).

المأكل والمشرّب فإننا لا نستطيع أن نَعفو عن أعمال محاكم التفتيش^(١).

ولهذه الشّهادة دلالتها في استفظاع تلك الأعمال التي كانت تقوم بها محاكم التفتيش، ذلك أن الأعمال التي سمح «ول ديورانت لنفسه أن يعفو عنها هي في الحقيقة أعمال لا تغتفر من الرجال الذين - في زعمهم - وهبوا أنفسهم لنشر العقيدة التي يؤمنون بها، وتثبيت أركانها في الأرض.. فكيف بالأعمال التي لم يجد في نفسه القدرة على العفو عنها، وهو بهذه الدرجة من التساهل فيما وقع من رجال الدين من انحرافات، الحقيقة أنها كانت أبشع من أن يعفو عنها أحد في قلبه ذرة من مشاعر الإنسانية^(٢)».

يقول ويلز: شهد القرن الثالث عشر تطور منظمة جديدة في الكنيسة هي محكمة التفتيش البابوية. ذلك أنه جرت عادة ألبابا قبل ذلك الزّمان بأن يقوم في بعض الأحيان بتحقيقات أو استعلامات عن الإلحاد في هذا الإقليم أو ذاك، ولكن إنوسنت الثالث وجد الآن في عقد الرهبان الدومينيكيين الجديد أداة قوية للقمع، ومن ثم نظمت محاكم التفتيش كأداة تحقيق مستديمة تحت إدارتهم. وبهذه الأداة نصبت الكنيسة نفسها لمهاجمة الضمير الإنساني بالنار والعذاب، وعملت على إضعافه مع أنه مناط أملها الوحيد في السيادة على العالم.. وقبل القرن الثالث عشر لم تنزل عقوبة الإعدام إلا نادراً بالملاحظة والكفار. فأما الآن فإن كبار رجال الكنيسة كانوا يقفون في مائة ساحة من ساحات الأسواق في أوروبا ليراقبوا أجسام أعدائها - وهم في غالبية الأمر

(١) قصة الحضارة (١/٨٦).

(٢) المرجع السابق (ص ٨٢).

قوم فقراء لا وزن لهم-تحترق بالنار وتحمد أنفاسهم بحالة محزنة، وتحترق
وتحمد معهم في نفس الحين الرسالة العظمى لرجال الكنيسة إلى البشرية
فتصبح رمادًا تذرّوه الرياح^(١).



(١) معالم تاريخ الإنسانية (٣/٩٠٨، ٩٠٩).

المطلب الرابع

الصّراع بين الكنيسة والعلم

حدث صراع عنيف بين العلم والكنيسة حيث سيطرت الكنيسة السلطة المطلقة خلال القرن الوسطى في أوربا في الوقت الذي وقعت الحروب الصليبية بين المسلمين والأوروبيين.

ويُعدّ هذا الصّراع سمة مشتركة بين المذاهب الفكرية المعاصرة، حيث استمر الحرب في عقدي الحادي عشر والثاني عشر الميلادي، واحتك أوروبا خلالها بالمسلمين، ثم تأثروا بصفات الإسلام ورونقه الجميل، وسماته الرفيعة في جميع مجالات العلم في الأندلس والشمال الأفريقي حيث كانت المدارس والجامعات متوفرة في جميع البلدان الإسلامية يؤمها طلاب العلم ومنهم الأوروبيون الذين وفدوا للتعلّم من المسلمين، وترجمت بعض الكتب إلى لغات أجنبية مثل الإنجليزي^(١).

وبعد انتهاء دراستهم رجعوا إلى أوروبا وعلموا أنّ الكنيسة ورجالها استعبدوا النّاس واستخفوا عقولهم وظهرت أفعالهم القبيحة من الجدل والظلم لعباد الله، ثم بدأوا المقاومة للكنيسة ورجالها وأعلنوا كشوفاتهم العلمية والجغرافية، وأنشأت الكنيسة محاكم للتفتيش دفاعاً عن كيائها وما يهدد سلطتها ورجالها ملاحقة حملة الأفكار المخالفة لآرائها وأفكارها^(٢).

(١) ينظر: الموجز في الأديان (ص ١٠٥)

(٢) ينظر: احذروا الأساليب (ص ١٩٧).

ولهذا حصل الصراع بين الكنيسة وبين العلم، واصطدمت حقائق العلم بزيوف الكنيسة؛ فقامت الكنيسة بالقبض عليهم، وتكذيبهم، ومحاربة أفكارهم.

ومن ثم نشأت الفكرة القائلة: إن العلم لا صلة له بالدين، وإن الدين يجارب العلم^(١).

وكانت الثورة الفرنسية: نتيجة لهذا الصراع بين الكنيسة من جهة وبين الحركة الجديدة من جهة أخرى، كانت ولادة الحكومة الفرنسية سنة ١٧٨٩ م وهي أول حكومة لا دينية تحكم باسم الشعب. وهناك من يرى أن الماسون استغلوا أخطاء الكنيسة والحكومة الفرنسية وركبوا موجة الثورة لتحقيق ما يمكن تحقيقه من أهدافهم.

يتبين مما سبق: أن الصراع بين الكنيسة والعلم انتهى بنصر العلم؛ وأن الكنيسة لا مجال لها في التدخل لشؤون الدولة، وتقف حدودها وقراراتها داخل الكنيسة، والعلم له السلطة الحاكمة والإدارة العليا للمجتمع بالأسلوب المناسب البذيء رآه في سير شؤون الحياة بغض النظر عن الصحة والفساد، أو متفقاً مع قواعد ومبادئ الدين أو لا تتفق وتنطبق معها.

(١) ينظر: رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، لمحمد الحمد، (ص ٥٤١، ٥٤٢).

المطلب الخامس

دور اليهود في إفساد أوروبا

النزعة الماديّة الشديدة، والعداوة العميقة القديمة عند اليهود للنصارى أدّت إلى سيطرة اليهود في أوروبا بجميع مجالات الحياة الدينيّة والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، والإدارية، لأنهم مغرورون في تصرفات كما أخبر الله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

يأخذون كل ما عرض لهم من متاع الدنيا وملذاتها سواء كان حلالاً أم حراماً وكل ما جاءت لهم عروض ثانية دنيوية من الرشا والمكاسب الخبيثة، طمعاً وحرصاً على الدّنيا وفساداً في الارض منها فسادهم في أوروبا حيث دخلوا شؤون الدولة وسيطروا على اقتصادهم المالية، حتى أدى فسادهم إلى ظهور المذاهب الفكرية المعاصرة في أوروبا كرها وبغضا لسيطرة اليهود؛ وذلك لأسباب كثيرة منها:

١- تحلل اليهود وفساد أخلاقهم مما جعلهم يستحلون كل ما حرّم الله من الربا، والزنا، وسفك الدم؛ لدرجة أنهم كانوا يقتلون أطفال النصارى، ويأخذون دماءهم لكي يدخلوها في بعض شعائرهم الدينية. فقد كانوا

يذبحون الأطفال في عيد الفصح، ويمزجون دمائهم بعجين الفطائر، وهذه حقيقة وردت في كتبهم المقدسة. فقد جاء في سفر أشعيا الإصحاح السابع والخمسين: أقبلوا يا بني الساحرة.. أستم أنتم الذين يذبحون الأطفال في الوديان وتحت شقوق الصخور^(١).

٢ - ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

٣- اعتقاد النصارى أنّ اليهود هم الذين تآمروا علي المسيح وقتلوه، ولذلك كانوا يكرهونهم المسيح أشد الكراهية، وكانت جريمة صلب عيسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** في اعتقادهم من أكبر جرائم اليهود التي لاحقتهم جيلا بعد جيل يقول المؤرخ اليهودي الفرنسي جون إيراك^(٢): إنّه من المألوف إذا طلب يهودي في المدرسة من طفل مسيحي أن يلعب معه، أن يرد عليه الطفل المسيحي قائلاً: كلا لأنكم قتلتم المسيح **عَلَيْهِ السَّلَامُ**^(٣).

٤- إحساس اليهود بعقدة التفوق والتميز العنصري، فقد كانوا ضيوفاً ثقلاء ورغم ذلك كانوا يدعون أنهم أفضل عنصراً من اصحاب البلاد، ومن سوء حظهم أن ظهرت في ألمانيا حركة عنصرية أخرى هي: الحركة النازية التي كانت تقوم علي أساس أنّ الألمان عنصر ممتاز خلقاً لكي يسود البلاد.

(١) الأسفار المقدسة، (ص ٣٢). وكتاب: اليهود في الأندلس، للدكتور: محمد بحر عبد الحميد، الهيئة المصرية العامة، سنة. ١٩٧٠م، (ص ١٢).

(٢) كاتبة بريطانية ناشطة نسوية ولدت عام: ١٩٩٨م، مقرها في بريطانيا العظمى، وهي عضو في الفريق الاستشاري للشباب في خطة المتحدة، وسفير ختان الإناث لخطة المملكة المتحدة، تحارب ضد التناسلي للاناث، ينظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة. <https://ar.wikipedia.org/wiki> الزيارة: ١٧/٤/١٤٤٢هـ، الساعة: ١١:٢٧م.

(٣) إسرائيليات، للدكتور: أحمد بهاء الدين، (ص ١٩٥).

٥- فقدان الولاء للأوطان التي نزلوا ضيوفاً عليها، فقد كانوا يعيشون في أحياء خاصة بهم أطلقوا عليهم اسم الجيتو وهي تشكل مجتمعاً مستقلاً وكان هذا المجتمع مصدراً للخيانةات والمؤمرات ضد كل بلد نزلوا فيه^(١).

أساليب اليهود في الوصول إلى أغراضهم على وجه الإجمال:

- أولاً: السيطرة على الاقتصاد العالمي.
- ثانياً: محاولة التدخل في نظم الحكم في العالم.
- ثالثاً: هدم الأديان وإشاعة النظريات الإلحادية.
- رابعاً: السيطرة على الصحافة العالمية ودور النشر والتوزيع.
- خامساً: الاعتماد على التنظيمات السرية.
- سادساً: إشاعة الفرقة وإشعال الحروب بين سائر الأمم.
- سابعاً: إعلان الشعارات البراقة مثل شعارات الحرية، والإخاء، والمساوات.
- ثامناً: الإعلان عن العداء للسامية.
- تاسعاً: محاولة السيطرة على الجامعات^(٢).

أما الآيات التي تحدثت عن فساد اليهود كثيرة لكن أخص

مضمونها وهي كالآتي:

١- أخبر الله تعالى أنّ بني إسرائيل سيفسدون في الأرض مرتين، وهذا الفساد معناه طغيان وعدوان منهم على عباد الله، وخروجهم عن الطريق القويم.

(١) العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، للدكتور: سعد الدين السيد صالح، مكتبة الصحابة، الإمارات، الشارقة، (ص ٧٠).

(٢) العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، للدكتور: سعد الدين السيد صالح، (ص ١٩٩-٢٥٠).

٢- أخبر الله تعالى عنهم أنهم لما طغوا وبغوا، سلّط الله عليهم من ينتقم منهم.

٣- بعد الانتقام الأول، عادوا إلى الطريق الجادة فانتصروا على أعدائهم، لكنهم لم يلبثوا أن عادوا للفساد، فحقّ عليهم وعيد الله تعالى.

٤- سلّط الله سبحانه، عليهم في المرة الثانية، من أذلّهم وهدم هيكلهم، وقضى عليهم وعلى ملكهم.

٥- ذكر الله تعالى، أنه يشملهم برحمته إذا تابوا إليه، فإن عادوا للفساد عاد عليهم بالعقاب^(١).

قال الأستاذ سرجي نيلوس^(٢) في تعليقه على البروتوكولات عندما نشرت ومن خلال الفساد الحالي الذي نلجأ إليه مكرهين أي أن فساد اليهود وسيلة لإفساد الناس وليس غاية في ذاته؛ ومن ثم قال كاتب البروتوكولات:

(١) الموسوعة القرآنية، خصائص السور، جعفر شرف الدين، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية-بيروت، (٦٤/٥). الطبعة: الأولى-١٤٢٠هـ.

(٢) كان روسيا ينشر البروتوكولات الروسية وحارب الدولة العثمانية لقضائها تنفيذاً لمخططات اليهود وحدث ذلك بعد موته بسنين، واستطاع من جراء هذه المقارنة أن يتنبأ بكثير من الأحداث الخطيرة التي وقعت بعد ذلك بسنوات كما قدرها، والتي كان لها دوي هائل في جميع العالم، كما كان لها أثر في توجيه تاريخه وتطوراتها، منها نبوءته بتحطيم القيصرية في روسيا ونشر الشيوعية فيها وحكمها حكماً استبدادياً غاشماً واتخاذها مركزاً لنشر المؤامرات والقتل في العالم، ومنها نبوءته بسقوط الخلافة الإسلامية العثمانية على أيدي اليهود قبل تأسيس إسرائيل. ومنها نبوءته بعودة اليهود إلى فلسطين وقيام دولة إسرائيل فيها، ومنها نبوءته بسقوط الملكيات في أوروبا، ينظر: الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة: محمد خليفة التونسي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، (ص ٣٤).

إن الغاية تبرر الوسيلة.. وعلينا ونحن نضع مخططنا ألا نلتفت إلى ما هو خير، وأخلاقي.. من المسيحيين أناس قد أضلتهم الخمر، وانقلب شبابهم مجانين بالكلاسيكيات.. والمجون المبكر الذي أغراهم به وكلاؤنا ومعلمونا وخدمنا.. ومن إليهم، ونساؤنا في أماكن لهوهم^(١).



(١) تهافت العلمانية في الصحافة العربية، المستشار سالم علي البهنساوي (المتوفى: ١٤٢٧هـ)، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة - مصر، ط١، ١٤١٠هـ، (ص ١٥١).

المطلب السادس

الثورة الفرنسية

لقد سجلت التاريخ في ثورة عملاقة غيرت مجرى التاريخ الغربي، وهي الثورة الفرنسية نتيجة لطغيان الكنيسة ورجالها، وما أفسدته وأظلمت الحياة البشرية في جميع مجالاتها الدينية، والسياسية، والاجتماعية، والأخلاقية، ودمرت جميع متطلبات الإنسان، واستعبدت الأمة الأوروبية جمعاء حتى جاءت الثورة الفرنسية التي قام بها نابليون الأول عام ١٧٨٩م، وهي من السمات المشتركة بين المذاهب الفكرية، التي نبعت في أوروبا، بحثاً عن الحرية والوحدة والمساواة.

ونادات بشعارات كثيرة منها: لا جريمة ولا عقاب بلا نص .

ومنها: اقضوا على آخر ملك بأمعاء آخر قسيس لا نريد رباً ولا سيّداً^(١).

وأنتجت الثورة الفرنسية مصطلحين مشهورين في العالم الحاضر.

أولاً: مصطلح اليمين: للدلالة على المحافظين.

ثانياً: مصطلح اليسار: للدلالة على الثوريين^(٢).

(١) القضايا الكبرى، لمالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي، إشراف: ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر بيروت-لبنان / دار الفكر دمشق - سورية، الطبعة: ١٤٢٠هـ، (ص ١٣٦).

وينظر: الثورة البائسة، د موسى الموسوي، (ص ٤٥).

(٢) اليمين واليسار في الإسلام، لأحمد عباس صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٧٣م، (ص ٥).

بداية هذين المصطلحين:

إنّ اصطلاح اليسار واليمين قد كان في البدايته اصطلاحاً سياسياً، فقد نتج عن الثورة الفرنسية أن انعقدت الجمعية التشريعية في أول أكتوبر سنة: ١٧٩١ م، لتنفيذ الدستور وحماية نتائج الثورة ومكاسبها، وقد انقسم أعضاؤها إلى يسار ويمين ووسط.

(أ) حزب اليسار ويضم أنصار اليعاقبة الذين ينقمون على الدستور اعتداله في عرفهم ونادوا بالجمهورية وإلغاء طبقة الإقطاع.

(ب) حزب اليمين وكان من أنصار جماعة القويان الذين يعضدون الدستور ويحافظون عليه.

(ج) حزب الوسط ويشمل الذين غلب عليهم طابع الحذر والتردد فليسوا من أنصار اليمين أو اليسار^(١).

وخلاصة القول: أنّ الثورة الفرنسية المشهورة لدى العالم كانت بسبب الانفجار الذي حصل في أوروبا نتيجة الطغيان الكنسي ورجالها، وكانت أول ثورة غيرت حياة مجتمع أوروبا بعد حروب شنيعة، وأهلكت الحرث والنسل بسبب تحقيق فكرة الديمقراطية.



(١) تاريخ القرن التاسع عشر «المحمد قاسم وحسين حسني»: (ص ١٨ عام ٤٩).

المطلب السابع

الرجوع إلى الفلسفات القديمة الإغريقية

إنّ من السّمات المشتركة بين المذاهب الفكرية رجوعها إلى العقيلة الإغريقية؛ ذلك أنّ العلاقة بين الغرب والفلسفة الإغريقية لم تنقطع نهائياً مهما حاربت الكنيسة النّصرانية واضطهدت جميع مجالات اليونانية والرومانية السياسية والآداب، بيد أن الحياة الغربية رجعت إلى التراث اليوناني تدريجياً تدريجاً حتى اكتملت، ثم فرخت، وباتت تبنى على تلك القواعد مباني شاهقات.

نعم إن الأسباب التي أنتجت هذه الحركات العظيمة كانت تعمل من قبل هذا التاريخ، ولكن لم يتم تكوين النهضة إلا في النصف الأخير من القرن الخامس عشر، عندما سقطت المملكة الشرقية، وعاصمتها القسطنطينية، في يد الأتراك، فهجر علماء اليونان بلادهم، والتجئوا إلى إيطاليا، وابتدأت تلك الأسباب تعمل على إيجاد النهضة، من أيام الحروب الصليبية^(١).

وكانت أوروبا قد أخذت الفلسفة عن علماء المسلمين، أمثال ابن رشد وغيره في القرن الثالث عشر، وأهم وظيفة لابن رشد أنه شارح فلسفة أرسطو كلها تقريباً، وقد وضع على هذه الكتب ثلاثة شروح؛ صغيرة، ومتوسطة، وكبيرة^(٢).

(١) مبادئ الفلسفة، لرابوبرت، بترجمة أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، عام: ٢٠١٢م، (ص ١٠٥-١٠٨).

(٢) **ظهر** الاسلام، لأحمد أمين، الناشر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٥، (٣/ ٢٥٠).

ومما سبق يتبيّن أن أوروبا رجعت إلى العقليّة الإغريقيّة القديمة بعدما عانت طغيان الكنيسة بحثاً عن السّعادة والعيش الهنية والديمقراطية المزعومة، وهي سمة عامة لجميع المذاهب الفكرية المعاصرة.



المبحث الثاني سمة (عصر النهضة)

المطلب الأول

مفهوم النهضة، وأعلامها

النهضة في اللغة: الطاقة والقوة والثبة في سبيل التّقدم الاجتماعي أو غيره ويقال كان من فلان نهضة إلى كذا حركه وهو كثير النهضات محدثه^(١).

مفهوم عصر النهضة الأوروبية: هي: عصر التّجديد الأدبي والفني والعلمي ابتداءً في إيطاليا وعم أوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر^(٢).

النهضة بمفهومها الخاص هي: حركة إحياء التراث القديم.

أما بمعناها الواسع فهي: عبارة عن ذلك التطور القديم في كل من الفنون والآداب والعلوم، وطرق التعبير، و الدراسات، وما صاحب ذلك من تغير في أسس الحياة الاجتماعية، والاقتصادية والدينية والسياسية.

(١) المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة، (٢/٩٥٩). وينظر: معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة) لأحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، دار مكتبة الحياة - بيروت، ١٣٨٠هـ. (٥/٥٦٢).

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، للد أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، (٢/٢٢٩٤).

أعلام النهضة الأوروبية:

لقد تطورت شأن النهضة الأوروبية بدعم من بعض الأسر المشهورة، ورجال من المبدعين والمفكرين في زمانهم تلاشيًا للعقبات الطارئة للنهوض والتّقدم المادي والعلمي والثقافي ومن تلك الأعلام المشهورة: ومن الرجال المبدعين في عصر النهضة.

أولاً: مارتن لوثر^(١) بدأ ثورته عام: ١٥١٧م وامتدت إلى وفاته ١٥٤٦م ثورة ضد فساد الكنيسة في روما ومحاولة لتصحيح ما أصاب العقيدة المسيحية من ضعف واضطراب، فقد هاجم نظام الكنيسة الكاثوليكية، وهاجم قوانينها، ووصفها بأنها تخرج عن تعاليم الكتاب المقدس، وركز كثيرًا على فساد البلاط البابوي، وانغماسه في الترف والبذخ.

ثانيًا: كال فن^(٢).

(١) ولد مارتن لوثر في العاشر من نوفمبر عام ١٤٨٣م - ١٥٤٦م في إيسلين Eisleben بألمانيا، ونشأ في بيئة كاثوليكية تعج بالخرافات والاعتقادات الزائفة. زعيم حركة الإصلاح الديني الكنسي التي أدت إلى ميلاد البروتستانتية قام بترجمة الكتاب المقدس إلى الألمانية، كان له أثر كبير في تطور اللغة الألمانية الحديثة، (انفصل عن الكنيسة بشأن ما تدعيه من سلطان لها على غفران الذنوب وحرمان من تحرم من رحمة الله وإكرام القديسين والرهبان، ورفعهم إلى مرتبة الألوهية ١٤٨٣ - ١٥٤٦م). الموسوعة العربية العالمية، هذه الموسوعة ترجمة بتصرف عن دائرة المعارف العالمية، الناشر: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، (١٧٥/٢١). وينظر: حصان طروادة الغارة الفكرية على الديار السّنية، للدكتور: عمرو كامل عمر، قدم له: د. محمد موسى الشريف، دار القمري، ط ٢، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، ص ٢٦٦.

(٢) هو: زعيم الإصلاح الديني في عصر النهضة، من عام: (١٥٠٩/١٥٦٤م) كان أكثر ما يعتمد على التوراة لا سيما في انتهاج القوة وقد قرر كثير من المؤرخين أنه يهودي الأصل، ولعل هذا سبب خطأ من يظن أنه كان موحّدًا، ينظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، (٣/٩١).

المطلب الثاني

عوامل النهضة الأوربية

وتحتة مسألتان:

المسألة الأولى: المشارب والمنابع:

مفهوم المشارب والمنابع:

المشرب لغة: لقد وردت في لغة العرب كلمة مشرب بمعان عدة.

المعنى الأول: المشرب: اسم لما يُشرب، وكلّ شيء لا يمضغ فإنه يقال

فيه: يشرب.

قال تعالى: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَجَلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣].

المعنى الثاني المشربة: الغرفة، وهي عند العامة: المشربة التي تكون في

صفة. والمشربة: أرض لينة لا يزال فيها نبت أخضر ريان^(١).

عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «جئت فإذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مشربة له»

أي في غرفة^(٢).

وقن على الفردوس أول مشرب أجل جبر إن كانت أبيحت دعاثره^(٣)

(١) كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق، د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (٦/ ٢٧٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، رقم الحديث: (٧٢٦٣)، (٩/ ٨٩).

(٣) **الدغرة:** أخذ الشيء اختلاسا، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، (٢/ ٦٥٨).

المعنى الثالث: وافق الأمر مشربه: أي: هواه وميوله.

قال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠].

المسألة الثانية: أقسام المشارب والمنايع:

أولاً: المشارب الحسية وهي: تكون بالحواس الخمس مثل التقليد لمذهب معين وفكرة معينة، وإتباع طريق معين ووجهة معينة، أو التزام بكتب معين، وأساليب معينة، وطرق خاصة، وتقليد هيئة معينة.

من المسلم أن من السّمات المشتركة بين المذاهب الفكرية اتحادهم واتفاقهم في المنهل والمشب وأول منبع استقوا هذه الأفكار عن طريقين:

الطريق الأول: اختلاط الشعوب الغربية بالمسلمين من خلال

التّعليم في الأندلس وغيرها:

ومن طريق البعثات التعليمية التي كانت تتراد الجامعات والمعاهد العلمية والأخذ من حضارة المسلمين وتقديمهم مثل حضارة المسلمين في الأندلس؛ حيث خلد عرش الخلافة الإسلامية في الأندلس قرابة ثمانية قرون بلغت التّقدم والازدهار والحضارة بأوجهها المختلفة المتنوعة خاصة في مدن منها: قرطبة وأشبيلية وغرناطة، وطليعة، مستقر الخلافة، ومجمع العلماء وموطنهم وطلاب العلم^(١).

ومما تقدمت الخلافة الإسلامية في ذلك الزّمن، التّقدم في الجامعات، والازدهار الرهيب في دراسة الطبّ، والصيدلة، والكيمياء، جنباً إلى جنب

(١) ينظر: ابن رشد الرشدية، ارنست رينان، ترجمة عاد زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٧م، (ص ١٧).

مع العلوم الشرعية، وكانت هذه الجامعات معروفة للأوروبيين حتى كانت مرجعًا وعلاجًا للأمراء المسيحيين، طلبًا للرعاية والطبقة.

ومما نهل الغرب منه الكتب الإسلامية: حيث استقوا منها أفكارًا كثيرة من الحضارة والتقدم التي أدت إلى الخروج من سلطة الكنيسة ورجالها ومحاولة الإبداع والابتكار بأفكار جديدة حتى تواصلوا إلى بعض المذاهب الفكرية المعاصرة^(١).

أما في صقلية فقد فتحت على يد الأغلبية في النصف من القرن الثالث الهجري؛ حيث ازدهرت فيها حضارة الإسلام، ولا سيما في مجال الزراعة والصناعة والتجارة، واستخراج المعادن كالذهب والفضة، حتى انتشرت المدارس الطبية والجامعات وبلغت أثرها إلى إيطاليا ومن ثم أوروبا، وكان هذا أثر كبير جدًا في تغير مشرب ومنهل الحياة الغربية الأوروبية^(٢).

والخلاصة: أنّ احتكاك المسلمين بالغرب عن طريق التعليم كانت سببًا في اختلاط وامتزاج الغربيين وابتكار بنات أفكارهم مستقين من منبع التعليم الإسلامي في الأندلس.

الطريق الثاني: الاحتكاك المباشر:

من خلال الحروب الصليبية - وهي الحروب التي امتدت ما بين القرن الخامس والسابع الهجري الموافق عام: ١٠٩٥-١٢٩٧م وغيرها.

(١) المرجع: السابق: (ص ١٧).

(٢) ينظر: ابن رشد الرشدية، ارنست رينان، (ص ١٧).

وبالاتصال من خلال تلك الحروب عرف الأوروبيون المسلمون عن كتب، فعرفوا فيهم الشّجاعة والتّسامح، والنّظافة، والتنّظيم لشؤون حياتهم، وتعاونهم وطاعتهم لأمرائهم.

نماذج حيّة من مشرب ومنبع المذاهب الفكرية من احتكاك

المسلمين:

يقول أحد علماء اليهود مبيناً هذا الأثر: إنّهُ لم يبق بين اليهود الخاضعين للعرب واحد لم يترك دين إبراهيم، ولم تفسده ضلالات العرب أو ضلالات الفلاسفة^(١).

ويقول فولتير^(٢) الذي سحره العرب أثناء الحروب الصليبية بأخلاقهم وحضارتهم فقال: أبعد هذا ننقلب إلى الغرب الكئيب، بعد ما أفاء الله علينا، وبدل الغرب إلى الشرق^(٣).

لقد كاد روجر بيكون^(٤) (١٢١١-١٢٩٤م) أن يعدم حرّقا بسبب شغفه بكل ماهو عربي، وتحمه لعلومهم وإشاداته بآلاتهم وأجهزتهم، وتدوينه لتجاربهم، ونقده الدائم للنظام الكنسي^(٥).

(١) ينظر: المرجع السابق (ص ١٧).

(٢) فرنسي ولد في باريس، من نوابغ فلاسفة زمانه، أقام في بروسيا وسويسرا، تزعم حركة الفلسفة العقلية المادية، نقد رجال الكنيسة، تطرّف في فلسفته، وخرج عن الخط الديني عندما تعرّض لأزلية المادة والإرادة الإلهية. ينظر: البحث عن الحقيقة الكبرى، لمحمد عيسى موسى، (ص ١٦٩).

(٣) الله ليس كذلك، لزيغريد هونكه، ترجمة غريب محمد غريب، درا الشرق، القاهرة، ط ٢، ١٤١٧هـ، (ص ٤٢). وانظر: عن العلمانيون والقران الكريم، (ص ٣٣، ٣٤).

(٤) إنجليزي، ١٢١٤-١٢٩٤م Roger Bacon تلقى علومه في أكسفورد وباريس حيث نال الدكتوراه في اللاهوت، ترجم عن العربية كتاب مرآة الكيمياء نورمبرج ١٥٢١م. ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٢/ ٦٨٨).

(٥) المصدر السابق: (ص ٨٦).

الطريق الثالث: فتوحات البلقان:

التّعريف عن البلقان وموقعها:

تقع أرض بلقان في الجزء الجنوبي من قارة أوروبا، في شرق شبه الجزيرة الإيطالية، يحدها من الغرب أو الشمال منطقة الأناضول، وسميت بلقان نسبة إلى سلاسل جبال المغطاة بالغابات الممتدة من الغرب إلى الشرق، وتعرف البلقان قديماً باللغة التركية هاموس بالتركية، وباليونانية، ويعرف في بعض المصادر حالياً جنوب شرق أوروبا^(١).

عدد السّكان والدول الدّاخلية تحت مسمى أراضي بلقان:

تعتبر أراضي بلقان دول عدة منها: ألبانيا، البوسنة والهرسك، بلغاريا، الجبل الأسود، كوسوفو، مقدونيا، واليونان، وصربيا، كرواتيا، سلوفينيا، رومانيا، وتركيا، وجزء من إيطاليا ويكثر في المنطقة ثروات طبيعية كما أنها تجمع اللغات والأديان ويبلغ عدد سكانها حوالي ٤٧٧, ١٤٧, ٤٩ نسمة^(٢).

دخول بلقان إلى الإسلام:

دخلت في الإسلام بعد الإنتصار العثماني على الصرب عام ١٣٨٩م بقيادة السلطان مراد الأول وأتمه ابنه بايزيد وظلت البلاد تحت حكم العثمانيين فترة من الزمن ثم أخذتها الصرب وارتكبوا فيها المذابح ثم تمتعت بالحكم الذاتي عقداً من الزمن، ثم عادت إليها الهيمنة الصربية سنة ١٩٨٩م حتى انفجار الأحداث الدامية في كوسوفا^(٣).

(١) Islam Ansiklopedisi (MEB). Cilt 2, s. 280281-

(٢) المرجع: السابق: تاريخ الزيارة: ١٧/٤/١٤٤٢هـ. الساعة: ١١:٥٤م.

(٣) ينظر: التاريخ الإسلامي أ/ محمود شاكر (٨/ ٨٢) ومجلة الوعي الإسلامي العدد رقم ٤٠١ المحرم ١٤٢٠هـ/ إبريل ومايو ١٩٩٩م وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت، (ص ١٢).

فتوحات بلغان:

لقد توالى في عهد محمد الفاتح عدّة فتوحات كلها من دول البلقان منها رومانيا الأفلاق سنة ١٤٦٢ م، ومنها البوسنة بشكل تام، ودخل أهلها الإسلام، ثم فتح ما جاورها من كرواتيا ومنها البحر ضد اللاتين، وهي أول حملة بحرية يقودها سلطان عثماني شخصياً، وشيد قلعتين متقابلتين على طرفي مضيق الدردنيل جنق قلعة^(١).

وفي سنة ١٤٦٣ م قاد الغزوة السادسة عشرة، وقصد البوسنة ثانية، ولكنه وصل إلى صوفيا عاصمة بلغاريا، ثم عاد إلى أدرنة، وضاعف التجهيزات، وقاد الغزوة السابعة عشرة، وتوجه إلى البوسنة سنة ١٤٦٤ م، ففتحها، واعتنق أهلها الإسلام، ثم فتح ما جاورها من كرواتيا، وحاول ملك المجر استرداد البوسنة في ثلاث محاولات فاشلة سنة ١٤٦٥، وسنة ١٤٧١ م، وسنة ١٤٧٩ م^(٢).

وقاد الفاتح الغزوة الثامنة عشرة سنة ١٤٦٦ م، فألغى إمارة قره مان في قونيا، وولى عليها ابنه الأمير مصطفى، ثم قاد الغزوة التاسعة عشرة ضد المرتد إسكندر بك الأرناؤوطي سنة ١٤٦٦ م، وهرب إسكندر بك نحو الجبال، وبنى الفاتح قلعة الباسان، ثم قاد الغزوة العشرين ضد الأرناؤوط سنة ١٤٦٧ م، وبعد ذلك مات إسكندر بك سنة ١٤٦٨ م، وانتهى عصيان الأرناؤوط^(٣).

(١) ينظر: التاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر (٨/ ٨٢).

(٢) المرجع السابق (٨/ ٨٢).

(٣) ينظر: مجلة الوعي الإسلامي العدد رقم ٤٠١ المحرم ١٤٢٠ هـ / إبريل ومايو ١٩٩٩ م وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، (ص ١٢).

والخلاصة: أنّ من السّمات المشتركة بين المذاهب الفكرية المعاصرة هي اتحاد المشارب والمنابع والمنافذ وتلقي العلم المادي من فتوحات بلغان التي وصلت أو تلقوا العلم المادي من فتوحات البلغان: حيث إنّ البلقان جزء كبير من دول أوروبا وحتى مازالت تابعا لها إذا فمقصود إيراد تاريخ البلقان وفتوحاته هي إحدى المنافذ التي دخلت الحضارة الإسلامية وعلومها المتنوعة مادياً ومعنوياً.

ثانياً: المشارب المعنوية: مثل اتباع الهوى، والعقل الباطن، والإلهام، والمنامات، والخيالات، والنفسيات، ومن أسباب الضلال الغي، والفجور في الدنيا قال شيخ الاسلام بن تيمية **رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى**: إن أسباب الضلال والغي التي هي البدع في الدين والفجور في الدنيا مشتركة تعم بني آدم لما فيهم من الظلم والجهل فبذنب بعض الناس يظلم نفسه وغيره بفعل الزنا أو التلوط أو غيره أو بشرب خمر أو ظلم في المال بجناية أو سرقة أو غصب ونحوه^(١) ذلك أن من المشارب قد يكون نوعاً من مخاطبة الشياطين كما قال شيخ الاسلام بن تيمية **رَحِمَهُ اللهُ** في رده على شبه النصارى وما يحتجون به على باطلهم: احتجاجهم بخوارق العادة وما يجريه الله لأصحاب الخوارق، أو على أيديهم كمخاطبة الشياطين من الأصنام أو القبور أو غيرهما مما عبد مع الله، وقد يتراءى الشيطان لبعضهم في صورة من يعتقد فيه، أو يتنسب إلى رجل صالح ويتسمى باسمه كالخضر وعبد القادر^(٢).

(١) الاستقامة، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي تحقيق: د. محمد رشاد سالم، المدينة المنورة، ط ١، ١٤٠٣هـ، (٢/٢٤٢).

(٢) مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام لعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ، لعبد العزيز =

أخذت أوروبا عن المسلمين من تلك المنافذ المذكورة لكن حصروا في التطور والتّقدم الجانب المادي تحقيقاً لرغائب شهواتهم وضيعوا أو أعرضوا عن الجانب الديني الذي هو الأهم والمشتغل على سعادة الدارين.

اهتمت أوروبا في العصور الوسطى إلى الزّهد، والتّكشف في الدّنيا نتيجة لسيطرة الكنيسة ورجالها حيث انحصر التّرف والبذخ والمعرفة في علماء الكنيسة، أما المجتمع يسبّحون في جهل وضلال في شؤون حياتهم الدينيّة والدينيّة نتيجة لمحاربة المفكرين والمثقفين، واحتكار زعامة المجتمع حتى أصبح مجتمع الأوروبي أمياً لا يقرأ ولا يكتب متخلفاً أيضاً في جانب الحضارة والتّقدم والإزدهار السّياسي والاجتماعي والأخلاقي والاقتصادي إضافة إلى ما يعاني من ويلات الحروب الإقطاعية والتّجزئة السّياسية، وما زال حال الأوروبي في هذا الوضع المؤلم والجاف حتى بزغ نور النّهضة لأسباب منها:

١- المخترعات الحديثة.

٢- انتعاش التّجارة وازدهار المدن التّجارية الأوربيّة.

٣- استعمال اللغة الوطنيّة.

كانت اللغة اللاتينية وهي لغة العلم والثقافة محصورة في رجال الدين، لكن تنبه الأوروبيون إلى ضرورة استعمال اللغة الوطنيّة التي يتكلمها معظم أبناء الشعب، وقد كان لتشجيع بعض الحكومات الأوروبيّة للغات القوميّة

= ابن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والأرشاد، ١٤٢٤هـ، (٣/٤٦٨).

وإقبال بعض الكتاب على التأليف بها أثر كبير في نشر الثقافة بين طبقات الشعب وهي للغة الأم للغات شعوب أوروبا الحالية مثل اللغات الفرنسية والانجليزية وغيرها^(١).

٤- سقوط القسطنطينية: أدى سقوط القسطنطينية إلى هجرة عدد كبير من العلماء إلى إيطاليا خاصةً، وحملوا معهم كل ما استطاعوا من كتب إغريقية وتمائيل وأدوات قديمة. وهناك تعاونوا على بعث الثقافة اللاتينية وتطويرها في قالب جديد كان نواة للنهضة الأوروبية.

والسّمات المشتركة بين المذاهب الفكرية المعاصرة توافقت المراحل التي مرت بها من تغيرات من الأفكار، والحالة الاجتماعية والثقافية، المشتركة بين تلك المذاهب الفكرية ومنها سمة عصر النهضة وهي مرحلة تسمى عصر الإصلاح الديني؛ ويقصد به عصر تفتح العقلية الأوروبية، بسبب المعاناة التي ترجع إلى استبداد الحكم الإقطاعي ورجال الكنيسة، واندفاع الكنيسة إلى محاربة كل الاتجاهات الفكرية، التي تسعى إلى تحرير عقل الإنسان ونفسه. وهذه العوامل كلها لم يكن لها وجود في الإسلام، عقيدة وشريعة، أو حضارة^(٢).

وثمة مسألة، ينبغي ذكرها وهي: أن فكرة حقوق الإنسان التي نشأت في داخل القارة الأوروبية، استخدمت في تحرير الإنسان الأوروبي من طغيان

(١) حقوق الإنسان في الإسلام، للدكتور: عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد-المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ، (ص ١٣).

(٢) المرجع السابق (ص ١٣).

السلطة ورجال الكنيسة، ولم تمتد هذه الفكرة، لتشمل بالحماية شعوبا بأكملها، خضعت للاستعمار الأوروبي في العصر الحديث، بل لاقت منه ^(١).

وفي عصر النهضة الأوروبية أصبح اللفظ يطلق على الآداب، والفنون ^(٢).

ويتلخص في عصر النهضة الأوروبية في تفتح العقلية والتقدم الحرية التامة من سلطة الكنيسة ورجالها أمورًا:

أولاً: استقلال الحكم الشخصي على الأشياء.

ثانيًا: تحرر أفكار الأوروبيين من قيود رجال الدين.



(١) المرجع السابق (ص ١٣).

(٢) أعضاء على الثقافة الإسلامية، للدكتورة نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة، ط ٩،

١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، (ص ١٤).

المطلب الثالث

نتائج النهضة الأوروبية وسماتها

لقد نتج عن عصر النهضة آثار سيئة تعكس على المجتمع من الناحية الدينية والأخلاقية والاجتماعية ومن الآثار السيئة ما يلي:

١- انحلال الإقطاع؛

سار نظام الإقطاع في عصر النهضة على طريق التلاشى والزوال نتيجة موت عدد كبير من أمراء الإقطاعيين في الحروب الصليبية، وانصراف بعض الإقطاعيين إلى ممارسة التجارة، فتحرر الفلاحون والأقنان، ولم يتمكن من بقي من الإقطاعيين من مقاومة التغيرات التي حصلت نتيجة النهضة.

٢- ظهور الدّول الحديثة؛

عبر تطوير أساليب الحكم، وقد ساعدتهم في ذلك الأفكار الجديدة مثل أفكار المفكرين ميكافيلي الإيطالي^(١)، وجون رودان الفرنسي، والانجليزي هوبس، وتدفق الثروات الناتجة عن الكشوفات الجغرافية الكبرى، واستغلال مناجم الذهب والفضة للقارة الأمريكية، خاصة من طرف إسبانيا، والبرتغال في البداية. فساندت الطبقة المتوسطة الملوك على استتاب الأمن والنظام،

(١) نيكولو دي برناردو دي ماكيافيللي ولد ٣ مايو ١٤٦٩ - ٢١ يونيو ١٥٢٧ في فلورنسا، كان مفكراً وفيلسوفاً سياسياً إيطالياً إبان عصر النهضة أصبح الشخصية الرئيسية والمؤسس للتنظير السياسي الواقعي، والذي أصبحت فيما بعد عصب دراسات العلم السياسي. الموسوعة الحرة ويكيبيديا، تاريخ الزياة: ٢١/١٢/١٤٤١هـ، الساعة: ١٠:٥٨م.

والقضاء على الإقطاع فضلاً عن تكون الرأي العام، ونمو اللغات المحلية وظهور الروح القومية، ولقد كان لهذه العوامل أثرها الفعال في قيام الدول الأوروبية الحديثة^(١).

٣- إحياء الدراسات القديمة:

استهوت الدراسات الإغريقية واللاتينية عقول الكثيرين من الأوروبيين، وقد وجدوا معظم مجلداتهم في الكنائس والأديرة، فعكفوا على دراستها، وترجمتها إلى اللغات المحلية مما فتح نوافذ المعرفة أما غالبية الشعب للمرة الأولى.

٤- معارضة البابا وسلطانه:

تكالب جهود منظري النهضة الاوربية التخلص والتفقت من تعبد وسيطرة البابا وما تفرض الكنيسة من استعباد واستخفاف للعقول الأوروبية، ولكن لم تكن النهضة صالحة للدين ولا الدعاة حيث بقوا على عقيدة التثليث وألوهية عيسى **عَلَيْهِ السَّلَام** ولم يهتموا بالجوانب الاجتماعية والحضارية، فباء بالخسران المبين كلا المذهبيين القديم والجديد حيث لم يتميز الدعاة الدينين في عصر النهضة بالصدق والخلق والحوار البناء والشفافية الواضحة.

سمة عصر النهضة الأوروبية:

من المشهور أنّ كل عصر له ميزة وسمة يتميز به عن غيره ومن تلك السّمات التي تميز به عصر النهضة الأوروبية، مع كثرة المفاهيم والأفكار

(١) أعضاء على الثقافة الاسلامية، للدكتورة نادية شريف العمري، ٢٠٠١م، (ص ١٤).

الغربي من قبل النصارى إلا أنّه لم يتجاوز حدوده الديني وجعله مصدرًا للسيادة والمعرفة والثقافة، وأنّ الدين مقدّم للعقل والتّجارب والحسّ، بينما جعل عصر التنوير الذي كان عام ١٦٩٠ إلى ١٧٣٠ م العقل مصدرًا للمعرفة والقيادة، وقدموا العقل على الدين، ثم جاء بعده عصر سيادة الحسّ ومقصوده أنّ الحسّ أو الطّبيعة لها السّيادة المطلقة والقيادة العامة قبل العقل وأنّه رابط بالتّجارب الحسيّة وعدم اعتباره دليلًا مستقل^(١).



(١) ينظر الوجيز في المذاهب الفكرية المعاصرة عرض ونقد، لأحمد بن عبدالعزيز الخلف، (ص ٣٤-٣٦).

المبحث الثالث

جذور السّمات المشتركة بين المذاهب

إنّ للمذاهب الفكرية المعاصرة جذورًا ترجع إليها وتنطلق منها في الأصول والأسس والمبادئ لكن قبل أن أتطرق يحسن مايلي:

أولاً: تعريف الجذور لغة واصطلاحاً:

الجذور جمع جذر ومعناه القطع والأصل وقد يأتي جذر العنق مغرزها عن الهجري^(١).

وأما اصطلاحاً الجذور هو: أساس يقام عليه، وأول الشيء ومادته التي يتكون منها^(٢).

مفهوم الجذور في البحث هي: الأصول والأسس المشتركة بين المذاهب الفكرية المعاصرة أو أغلبها^(٣).

من خلال ما تقدّم في بيان أصل كلمة الجذر ومعناها الأصل هو أو أصل الشيء وأساسه ومصدره، فإنّ المذاهب الفكرية المعاصرة يرجع أصلها

(١) المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى، تحقيق: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ. والقاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ٨، ١٤٢٦هـ، (ص ٣٦٣).

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٩هـ (١/١٠٠).

(٣) من الباحث.

وجذرهما إلى مزيج وخليط من أفكار ومذاهب عريقة قبل ظهور الإسلام، حيث يتضح أن أفكارهم ومغزاهم ينصب إلى أصول فارسية. ويونانية، ورومانية، ويهودية، ونصرانية وغيرهم من المذاهب الهدامة التي فشت فسادًا في أمور العقيدة والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية، والسياسية، وجميع شؤون الحياة.

يقول الشهرستاني^(١) رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «وكان مزدك ينهى الناس عن المخالفة، والمباغضة والقتال، ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والأموال، أحل النساء، وأباح الأموال، وجعل الناس شركة فيهما، كاشتراكهم في الماء، والنار والكلاء. وحكي عنه أنه أمر بقتل الأنفس، ليخلصها من الشر ومزاج الظلمة»^(٢).

وهذه جذور السمات المشتركة بين المذاهب الفكرية حيث يعتمد أصول أفكارهم الإباحية والاشتراكية في الأموال والأولاد والنساء محاربين للقيم والأخلاق الفطرية السليمة.

(١) أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني المتكلم على مذهب الأشعري؛ كان إمامًا مبررًا فقيهاً كانت ولادته سنة سبع وستين وأربعمائة بشهرستان، هكذا وجدته بخطي في مسودتين وما أدري من أين نقلته، وقال ابن السمعاني في كتاب الذيل: سألته عن مولده فقال: في سنة تسع وسبعين وأربعمائة وتوفي بها أيضًا في أواخر شعبان سنة ثمان وأربعين وخمسائة، وقيل سنة تسع وأربعين، والأول أصح، ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم خلكان الإربلي تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ١٤، (٢٧٣/٤).

(٢) الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، مؤسسة الحلبي، (٥٤/٢).

ولذا سأعرض أصول وجذور السمات المشتركة بين المذاهب الفكرية

المعاصرة وهي كالتالي:

ثانيًا: مقصود الجذور الفكرية للسمات المشتركة بين المذاهب الفكرية:

إن بين المذاهب الفكرية المعاصرة اشتراك في المصادر والجذور حيث لا تستند على وحي منزل من عند الله، ولا تعتمد على حجة بيّنة؛ بل ترجع أصولها إلى الفكر وإعمال العقل، وأنه هو المرجع الأساسي والركن اليميني لقاعدة المذاهب الفكرية المعاصرة، ويعلم أن المذاهب تحارب الدين السماوية؛ كلها لأن الدين لا تتماشى مع أفكارهم السخيفة والرديلة إما أن تنسب إلى مؤسسها فيقال: الماركسي، أو الفكري الفلسفي اليوناني، أو الفكر الروماني، أو اليهودي، أو النصراني، أو تنسب إلى بلدان وقوميات أو شخصيات، أما المذاهب الأخرى المنحرفة مثل المذهب الشيعي، والمذهب المعتزلي، والمذهب الخارجي، تنتسب وتدعي استنادها إلى الكتاب والسنة.

والمعلوم أن المذاهب الفكرية تشكك عقول الناس وتسيطر على أفهامهم، وتأثيرها على البيئة والمجتمع أقوى وأخطر من الغزو العسكري «لأن الغزو الفكري ينحو إلى السرية وسلوك المسارب الخفية في بادي الأمر، فلا تحس به الأمة المغزوة ولا تستعد لصدّه والوقوف في وجهه حتى تقع فريسة له، وتكون نتيجته أن هذه الأمة تصبح مريضة الفكر والإحساس، تحب ما يريده لها عدوها أن تحبه وتكره ما يريد منه أن تكرهه. وهو داء عضال يفتك بالأمم ويذهب شخصيتها ويزيل معاني الأصالة والقوة فيها، والأمة

التي تبلى به لا تحس بما أصابها ولا تدري عنه؛ ولذلك يصبح علاجها أمراً صعباً وإفهامها سبيل الرشد شيئاً عسيراً^(١).

والأفكار الهدامة معاول لهضم منظومة القيم في حياة البشرية.



(١) الغزو الفكري ووسائله، لسماحة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة الخامسة عشر-العدد التاسع والخمسون-رجب-شعبان-رمضان ١٤٠٣هـ، (ص ١١٥).

الجدور الهندية للسّمات المشتركة بين المذاهب

قال الشهرستاني: إن مجتمع الهند أمة كبيرة، وآراؤهم مختلفة وملة عظيمة، فمنهم وهم المنكرون للنبوات أصلاً، منهم البراهمة ومنهم من يميل إلى الدهر، ومنهم من يميل إلى مذهب الثنوية، ويقول بملة إبراهيم **عليه السلام** وأكثرهم على مذهب الصابئة ومناهجها فمن قائل بالروحانيات، ومن قائل بالهياكل، ومن قائل بالأصنام، إلا أنهم مختلفون في شكل الهياكل التي ابتدعوها، وكيفية أشكال وضعوها، ومنهم حكماء على طريق اليونانيين علماً، وعملاً.

فمن كانت طريقته على منهاج الدهرية والثنوية والصابئة فقد أغنانا حكاية مذاهبهم قبل عن حكاية مذهبه، ومن انفرد عنهم بمقالة ورأي فهم خمس فرق: البراهمة، وأصحاب الروحانيات، وأصحاب الهياكل، وعبداء الأصنام، والحكماء. ونحن نذكر مقالات هؤلاء كما قد وجدنا في كتبهم المشهورة^(١).

الجدور اليونانية للسّمات المشتركة بين المذاهب:

أولاً: مفهوم اليونان ونسبتهم:

اليونان من من يون: اليون اسم موضع؛ قال الهذلي:

جلوا من تهام أرضنا، وتبدلوا بمكة باب اليون، والريط بالعصب^(٢)

(١) الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، (٢/ ٥٤).
(٩٥/٣).

(٢) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر-بيروت، ط ٣-١٤١٤ هـ، (١٣/ ٤٦٥).

مرجع اليونانيين: يرجعون إلى جدهم يونان بن يافث بن نوح، أو نسبة إلى الايون وهي قبائل سكنت هذه الأرض في جزيرة كريت جنوب اليونان عند بحر إيجة

وعرف اليونانيون باسم الهلنيين في أوائل القرن السابع قبل الميلاد، من قبل بعض الشعراء. ومعنى المفردة؛ اتحاد الإغريق. والإغريق لقب أطلقه الرومان على اليونانيين^(١).

ثانياً: جذور الديانة اليونانية:

يعتقد اليونانيون بآلهة كثيرة يأكلون ويشربون ويتمتعون مثل الانسان، ومن تلك الالهة:

- ١- جوبتير: رئيس الآلهة.
- ٢- زيوس: إله السماء.
- ٣- بروميثيوس: إله النار.
- ٤- أورانس: من الهة الكواكب.
- ٥- إسلليبيوس: إله الشفاء.
- ٦- ديونيوس: إله الخمر.
- ٧- بوسيدوس: إله البحر.
- ٨- أبولون: إله المعرفة: علم الغيب والتنبؤات.
- ٩- أرثميس (إله أنثى) آلهة الصيد.

(١) مقدمة في التاريخ الحضاري، لطفي عبد الوهاب، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١، ١٩٥٨م، بواسطة كتاب تاريخ الاديان، (ص٣٠٩).

١٠- هليوس: إله الشمس.

١١- إيوس وهو أكبرها: من يلهه الريح.

وغير ذلك من الآلهة الباطلة الكثيرة، حيث إن كل أسرة لها إله له خاص تعبده، بل كل قبيلة، وكل بلدة وقرية لها إله خاص تعبده^(١). اشتهرت بلاد اليونان قديما بالعناية بجملة من العلوم المختلفة من علوم الطبيعة والطب والهندسة وغيرهما من العلوم الاخرى، غير انهم لم يقفوا عند تلك العلوم المفيدة^(٢). وانما اطلقوا عنان العقل في مجال الغيب الذي لا يمكن معرفته إلا عن طريق الوحي الالهي، ولذلك كثر تخبطهم في الامور الغيبية، وتكلموا في الالهيات فخلطوا في ذلك واضطربت اقوالهم، مما أدى بعضهم الى انكار الخالق، وتخطب آخرون فاثبتوا للعالم صانعا لا يتصور وجوده حتى قال بعضهم: الباري لما اتقن العالم تفرقت أجزائه فيه فكل قوته في العالم^(٣).

وقد لبس إبليس على أقوام من أهل ملتنا، فدخل عليهم من باب قوة ذكائهم وفطنتهم، فأراهم أن الصواب اتباع الفلاسفة؛ لكونهم حكماء قد صدرت منهم أفعال وأقوال دلت على نهاية الذكاء، وكمال الفطنة كما ينقل من حكمة سقراط، وأبقراط، وأفلاطون، وأرسطاطاليس وجالينوس، وهؤلاء كانت لهم علوم هندسية ومنطقية وطبيعية واستخرجوا بفطنتهم أمور خفية إلا أنهم لما تكلموا في الإلهيات خلطوا؛ ولذلك اختلفوا فيها ولم يختلفوا في الحسيات والهندسيات،

(١) ينظر: تاريخ الأديان، (ص ٣٠٩، ٣١٠).

(٢) ضحى الاسلام، (١/ ٢٦٦).

(٣) تلبس إبليس، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، (ص ٤٥).

وقد ذكرنا جنس تخليطهم في معتقداتهم وسبب تخليطهم أن قوى البشر لا تدرك العلوم إلا جملةً والرجوع فيها إلى الشرائع، وقد حكى لهؤلاء المتأخرين في أمتنا أن أولئك الحكماء كانوا ينكرون الصانع ويدفعون الشرائع ويعتقدونها نواميس وحيلا فصدقوا فيما حكى لهم عنهم، ورفضوا شعار الدين، وأهملوا الصلوات ولا بسوا المحذورات واستهانوا بحدود الشرع وخلعوا ربقة الإسلام^(١).

ومما دعا فلاسفة اليونان القول بشيوعية النساء كما قرر ذلك أفلاطوني آرائه في المدينة الفاضلة^(٢).

مصادر عقيدة اليونان:

يظهر أنهم تأثروا بعدة روافد حضارية مجاورة منها:

١ - هجرة قبائل الأخيقي بالهنود مباشرة أو بواسطة الفرس، ويتضح ذلك من خلال عقيدة براهما وتوالد الآلهة.

٢ - المصريون القدماءى كما في طقوس ما بعد الموت من صلوات وارشادات وهي في عمومها مأخوذة من كتاب الموتى عند المصريين.

٣ - الحضارات الشرقية: ببلاد الشام والعراق وفارس كالبابلية والصائبة والكلداني والآشوريين.

٤ - تأثرهم بالرسل والأنبياء، أب أنبياء بني إسرائيل وإن كان قليلاً. ومعلوم اتصال بعض الفلاسفة اليونانيين مثل أينارقليس الذي اتصل بدادود

عليه السلام ولقمان الحكيم.

(١) تلبيس إبليس، (ص ٤٦).

(٢) الفلسفة اليونانية، (ص ٢٤).

٥- نجد في متاحف اليونان مجسّدت أصنام وآلهة مصنوعة من العاج وهو دليل على مؤثرات إفريقية أو آسيوية^(١).

الجدور اليهودية للسّمات المشتركة بين المذاهب:

ولما بعث الله محمداً ﷺ كان أهل الأرض صنفين: أهل الكتاب، وزنادقة لا كتاب لهم، وكان أهل الكتاب أفضل الصنفين، وهم نوعان: مغضوب عليهم، وضالون.

اليهود: فالأمة المغضوب عليهم هم اليهود: أهل الكذب والبهت والغدر والمكر والحيل، قتلة الأنبياء وأكلة السحت والربا والرشا، أخبث الأمم طوية، وأرداهم سجية، وأبعدهم من الرحمة، وأقربهم من النعمة، عادتهم البغضاء، ودينهم العداوة والشحناء، بيت السحر والكذب والحيل، لا يرون لمن خالفهم في كفرهم وتكذيبهم ولو نبياً حرمة، ولا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، ولا لمن وافقهم عندهم حق ولا شفقة، ولا لمن شاركهم عندهم عدل ولا نصفة، ولا لمن خالطهم طمأنينة ولا أمانة، ولا لمن استعملهم عنده نصيحة، بل أخبثهم أعقلهم وأصدقهم أغشهم، وسليم الناحية وحاشا أن يوجد فيهم وبينهم - ليس بيهودي على الحقيقة، أضيق الخلق صدوراً، وأظلمهم بيوتاً، وأنتمهم أفنية، وأوحشهم سحنة، تحيتهم لعنة، ولقاؤهم طيرة، شعارهم الغضب، ودثارهم المقت^(٢).

(١) الفلسفة اليونانية، (ص ٢٤).

(٢) هداية الخيارات في أجوبة اليهود والنصارى، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أحمد الحاج، دار القلم - دار الشامية، جدة - السعودية، ط ١، ١٤١٦ هـ، (ص ٢٢٧).

من مبادئهم:

أولاً: عقيدة الوصية والامامة.

ثانياً: عقيدة التشبيه ووصف الله تعالى بالنقائص.

الجذور النصرانية للسّمات المشتركة بين المذاهب الفكرية المعاصرة:

من المعلوم والثابت لدى المفكرين والباحثين أن العلمانية ولدت من رحم الديانة النصرانية التي كانت تدين بها أوروبا بدءاً من اعتناق الإمبراطورية الرومانية لها زمن الإمبراطور قسطنطين عام ٣٢٥م، وهو العام الذي عقد فيه مجمع نيقية كأول مجمع مسكونية مسيحي، أعلنت على أثره المسيحية عقيدة رسمية للإمبراطورية. ومن هنا فإن العلمانية: تعد أكبر مذهب فكري أخذت منه أوروبا عن بكرة أبيها في شؤون حياتهم السياسية وتصادية والاجتماعية والأخلاقية والعقائدية، بينما ترجع جذر العلمانية إلى الديانة النصرانية المحرّفة الباطلة المبتدعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى**: «دين النصارى الباطل إنما هي دين مبتدع، ابتدعوه بعد المسيح **عَلَيْهِ السَّلَامُ** وغيروا به دين المسيح، فضل منهم من عدل عن شريعة المسيح إلى ما ابتدعوه ولما بعث الله محمداً **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كفروا به فصار كفرهم وضلالهم من هذين الوجهين: تبديل دين الرسول الأول، وتكذيب الرسول الثاني، كما كان كفر اليهود بتبديلهم أحكام التوراة قبل مبعث المسيح، ثم تكذيبهم عيسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ**»^(١).

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحاراني الحنبلي تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، دار العاصمة،

وقال ابن القيم: المشهور أن هذه الأمة ارتكبت محذورين عظيمين، لا يرضى بهما ذو عقل ولا معرفة.

أحدهما: تنقص الخالق وسبه، ورميه بالعظائم، حيث زعموا أنه -سبحانه وتعالى عن قولهم علواً كبيراً- نزل من العرش عن كرسي عظمته، ودخل في فرج امرأة، وأقام هناك تسعة أشهر يتخبط بين البول والدم والنجو، وقد علته أطباق المشيمة والرحم والبطن، ثم خرج من حيث دخل، رضيعاً صغيراً يمص الثدي، ولف في القمط، وأودع السرير، يبكى ويجوع، ويعطش. وثانيها: الغلو في المخلوق، حتى جعلوه شريك الخالق وجزئاً منه، وإلهاً آخر معه، وأن يكون عبداً له^(١).



السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ، (١/١٠٩).

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، (٢/٢٨٢).

الجزور الثقافيّة للسّمات المشتركة بين المذاهب

إن أصول الثقافة الغربيّة المشتركة بين المذاهب الفكرية تستند إلى جذور قديمة وحضارة كبيرة يعتبر من أعظم الحضارات والثقافات التي مرت في العصور الوسطى ومن تلك الثقافات التي ترجع إلى المذاهب الفكرية المعاصرة.

أولاً: الثقافة الرومانية:

ثانياً: الثقافة اليونانية.

وهما ثقافتان متشابهتان في الفروع والنتائج، وان اختلفتا في الأصول والمشارب.

فالثقافة اليونانية ثقافة وثنية مادية مغرقة في وثنيّتها وما ديّتها، تضرب الوثنية والمادية في جسدها حتى النخاع ومن المعلوم أن الفكري اليوناني بدأ في الحدود التي وعها التاريخ بالمدرسة الطبيعية، وهي مدرسة أو مدارس -كمات هو واضح من اسمها- كانت عنايتها كلها منصبة على الطبيعة المادية التي صنع منها الكون، دون اهتمام لما وراء الطبيعة من قوة خالقة مدبرة حكيمة. مبدعة فلك يكن بحثهم عن الله خلق الكون، بل كان بحثهم عن المادة التي صنع منها الكون.

أما لا خالق الصانع المدبر فقد أهملوا البحث فيه في تلك الحقبة. وقد انقسموا فيما بينهم حول قضية بحثهم هذا المدارس.

١- منهم من قال: إن أصل الكون هو الهواء.

٢- منهم من ذهب إلى أن أصله الكون من الماء.

٣- وذهب بعضهم أن أصل الكون من التراب.

٤- وذهب بعضهم أن أصل الكون من النار.

ثم اتفقت آرائهم مدارسهم بأن أصل الكون ناشئ عن تلك العناصر الاربعة التي سبق ذكرها وهي الماء والهواء والتراب والنار^(١).

أما الثقافة الرومانية: فكانت وثنية مادية تماثل تماما عقائد اليونان، وعقائد كل الأمم الوثنية التي تنحصر في عبادة عدد من الآلهة، وهذه الآلهة رموز لظواهر الطبيعة الي تؤثر في حياة الناس، ولذلك كان طبعاً أن يتماثل عدد الآلهة بعدد ظواهر الطبيعة التي تهتم الناس وتؤثرهم في مسيرة حياتهم.

ظل الرومان على ذلك حتى اعتنقت روما الديانة النصرانية، فانتقلت من وثنية إلى وثنية.

فقد حرّف بولس ويسمى شاول اليهودي رسالة المسيح **عَلَيْهِ السَّلَامُ** التي هي الاسلام، والتي تقوم على التوحيد الكامل، والتي تمشي في نطاق الرسائل الالهية الحقّة للرسول الذين سبقوه ورسالة محمد **صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الخاتمة^(٢).

(١) مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، للدكتور: محمود محمد مزروعة، (ص ٤٤، ٤٥). بتصرف يسير.

(٢) المرجع السابق (ص ٤٧).

ومما سبق يتضح أن جذور الثقافة والحضارة لدى إنسان الغرب مرجعها إلى الوثنية الخالصة المادة البحتة بحيث يقدسونها ويضعون بها ثقافتهم وحضارتهم وتقدمهم ومنا تنطلق عقائدهم وأفكارهم ومن آثار ذلك تلك السمات المشتركة بين المذاهب الفكرية المعاصرة.



الجدور البربرية للسّمات المشتركة بين المذاهب الفكرية

أولاً: كلمة بربر في اللغة وأصولهم:

أما لغة لكلمة بربر: الأسد: زأر وبربر: دمدم، زجر، همهم من بين أسنانه، تتمم^(١).

وأسكن البربر في فضفض... مكارم في الناس تعلو الغمام^(٢).
وأما أصول البرابرة:

قد اختلف في نسبهم اختلافاً كثيراً منها:

ذهبت طائفة من النسابين إلى أنهم من العرب ثم اختلف في ذلك.
ف قيل: أوزاع من اليمن.

وقيل: من غسان وغيرهم تفرقوا عند سيل العرم، قاله المسعودي.

وقيل: خلفهم أبرهة ذو المنار، أحد تبابعة اليمن حين غزا العرب.

وقيل: من ولد لقمان بن حمير بن سبأ، بعث سرية من بنيهِ إلى المغرب ليعمروه فنزلوا وتناسلوا فيه. وقيل: من لحم وجُذام كانوا نازلين بفلسطين

(١) تكملة المعاجم العربية، لرينهارت بيتر آن دُوزي، نقله إلى العربية وعلق عليه، محمد سليم النعيمي، جمال الحياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط ١، من ١٩٧٩-٢٠٠٠م، (٢٧٠/١).

(٢) الأنساب، لأبي المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم الصحاري العوتبي (ص ٧٥)

من الشام إلى أن أخرجهم منها بعض ملوك فارس فلبجأوا إلى مصر، فمنعهم ملوكها من نزولها، فذهبوا إلى الغرب فنزلوه

وذهب قوم إلى أنهم من ولد يقشان بن إبراهيم عليه السلام.

وذكر الحمداني أنهم من ولد بر بن قيذار بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وأنه كان قد ارتكب معصية فطرده أبوه، وقال له: البر، البر، اذهب يا بر، فما أنت بر.

وقيل: هم من ولد بربر بن كسلو حيم بن حام.

وقيل: من ولد تميلة بن مأرب بن قاران بن عمرو بن عمليق بن لاوذ ابن إرم بن سام بن نوح.

وقيل: من ولد قبط بن حام بن نوح.

وقيل: أخلاط من كنعان والعماليق.

وقيل: من حمير ومصر، والقبط.



المبحث الرابع

مصادر السّمات المشتركة بين المذاهب

المطلب الأول

مصادر السّمات المشتركة بين المذاهب

تقوم المذاهب الفكرية المعاصرة على أسس ومصادر تشترك في جميع اتجاهاتها وتياراتها المتنوعة تكاد تتفق في سمات معينة توجد في كل مذهب من تلك المذاهب الفكرية كما أن كل مذهب له مميزات خاصة لجميع الافكار الاخرى ومن تلك السمات المشتركة بين المذاهب يكون كالتالي:

المصدر الأول: العقل:

تعددت تعاريف أهل اللغة في تفسير العقل منها:

العقل: العلم، أو بصفات الأشياء، من حسننها وقبحها، وكما لها ونقصانها، أو العلم بخير الخيرين، وشر الشرين، أو مطلق لأمر، أو لقوة بها يكون التمييز بين القبح والحسن، ولمعان مجتمعة في الذهن^(١).

والعقل نقيض الجهل، عقل يعقل عقلاً فهو عاقل، والمعقول ما تعقله في فؤادك.. وعقل بطن المريض بعدما استطلق، استمسك، وعقل المعتوه

(١) القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ، (ص ١٠٣٣).

ونحوه، والصبي، إذا أدرك وزكا، وعقلت البعير عقلاً، شددت يده بالعقل أي الرباط.. وعقلت القتل عقلاً، أي ودبت ديته من القراية لا من القاتل والعقل في الرجل اصطكاك الركبتين، وقيل التواء في الرجل، والعقل ثوب تتخذه نساء الأعراب ويقال هي ضربان من البرود والعقل الحصن وجمعه العقول^(١). والعقل: وهو الحابس عن ذميم القول والفعل^(٢).

والعقل الحجر والنهى ضد الحمق رجل عاقل وهو الجامع لأمره ورأيه، مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه، وقيل العاقل هو الذي يحبس نفسه، ويردّها عن هواها، أخذ من قولهم قد اعتقل لسانه، إذا حبس ومنع الكلام.. والعقل الثبّت في الأمور، والعقل القلب.. وعقل الشيء يعقله عقلاً فهمه.. والعقل ضرب من المشط، يقال عقلت المرأة شعرها عقلاً^(٣).

معنى العقل في الشرع:

لم يرد لفظ العقل في القرآن، وإنما ورد الفعل منه نحو يعقلون، وتعقلون ونحوهما، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَاكِِلْمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وفي القرآن الكريم الأسماء المتضمنة له كاسم الحجر والنهى والألباب ونحو ذلك.

(١) العين (١/١٥٩، ١٦٠)، وانظر: معجم مقاييس اللغة ٤ (٦٩، ٧٠)، الصحاح (٥/١٧٦٩-١٧٧١).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٤/٦٩).

(٣) ينظر: الصحاح: (٥/١٧٦٩-١٧٧١)، ولسان العرب (١١/٤٥٨-٤٦٥)، والمصباح المنير (٢/٤٢٢، ٤٢٣).

وكذلك في الحديث لا يكاد يوجد لفظ المصدر في كلام النبي ﷺ في حديث صحيح، إلا الحديث الذي في الصحيحين^(١) عن أبي سعيد الخدري^(٢) قال: «قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى، فمر على النساء، فقال: «يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار» فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: «تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن»، قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: «أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل» قلن: بلى، قال: «فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم» قلن: بلى، قال: «فذلك من نقصان دينها»^(٣).

وجه الشاهد من الحديث: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين» حيث إن رسول الله ﷺ استخدم كلمة العقل في الحديث الشريف. وقد ورد في السنة كلمة «العقل» بمعان عدة منها، الدية، ومنها،

(١) بغية المرتاد (ص ٢٤٨، ٢٤٩).

(٢) هو: سعد ابن مالك ابن سنان ابن عبيد الأنصاري أبو سعيد الخدري له ولأبيه صحبة واستصغر بأحد ثم شهد ما بعدها وروى الكثير مات بالمدينة سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين وقيل سنة أربع وسبعين، ينظر: تقريب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد-سوريا ط ١، ١٤٠٦ هـ، (ص ٢٣٢).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، باب ترك الحائض الصوم، رقم الحديث: (٣٠٤). تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢ هـ (١/٦٨)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، رقم الحديث: (١٣٢). بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت (١/٨٦).

الإمساك، ومنها الربط، ولكن ليس هنا محل البسط والتفصيل خوفاً من الإطالة والخروج عن ماهية البحث.

وقد فصل ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ وأطال عليها الكلام وخلاصته يقول: «من الناس من يقول العقل هو العمل بموجب تلك العلوم، ومنهم من يقول العقل هو علوم ضرورية، والصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا، وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في الإنسان، التي بها يعلم، ويُميز، ويقصد المنافع دون المضار»^(١).

وبناء على ما سبق أن العقل يطلق ويراد به، العلم، والتمييز بين القبح والحسن، والغريزة التي بها يعلم، والعمل، على هذا فتعريف لفظ العقل هو أنه لفظ يُراد به الغريزة التي بها يعلم، ويراد به أنواع من العلم، ويراد به العمل بموجب ذلك العلم.

فالعقل إذا يدل على الحبس والمنع والإمساك.

مرادفات العقل الحجر، النهى، اللب، فالليب هو الموصوف بالعقل^(٢).

لقد تعددت التعريف التي تحدثت مفهوم العقل؛ وذلك لاختلاف مشارب المعرفين ومناهم ومصادرههم وكل عرّف العقل حسب منهجه وفكرته ومبدئه الذي يعتقده، ومن تلك التعاريف ومنها:

(١) مجموع الفتاوى (٢٨٧/٩)، وانظر: بغية المرتاد (ص ٢٥١)، الصفدية (٢/٢٥٧).

(٢) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (١/٧٢٩).

التعريف الأول هو: تعريف المتكلمين للعقل فقالوا:

- عبارة عن علوم كلية بديهية^(١).
- العقل علوم ضرورية^(٢).

وهذا التعريف ليس تعريفاً جامعاً مانعاً لأنّ العقل لا يختص بالعلوم الضرورية بل العقل مجموع العلم، والعمل، والتمييز، والضرورة، والغريزة.

التعريف الثاني: تعريف الفلاسفة:

وقد اختلفوا في مفهوم العقل عدة تعريفات منها:

التعريف الأول: العقل هو: التصورات، والتصديقات، الحاصلة للنفس بالفطرة^(٣).

التعريف الثاني: العقل هو: قوة للنفس تقبل ماهيات الأمور الكلية، من جهة ما هي كلية^(٤).

التعريف الثالث: العقل هو: مبدأ لتحريك القوة الشوقية، إلى ما يختار من الجزئيات، من أجل غاية معلومة، أو مظنونة.

(١) المحصل (ص ١٠٤).

(٢) البرهان في أصول الفقه، لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٨ هـ، (١/ ١٩)، وانظر: المواقف (ص ١٤٦).

(٣) معيار العلم في فن المنطق، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، عام النشر: ١٩٦١ م، (ص ٢٨٧).

(٤) معيار العلم في فن المنطق، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، عام النشر: ١٩٦١ م، (ص ٢٨٧).

وهذه قوة محرّكة، وليست من جنس العلوم، وإنما سميت عقلية لأنها مؤتمرة للعقل، مطيعة لإشاراته بالطبع^(١).

ثم يقال لقوى كثيرة من العقل النظري عقل؛ فمن ذلك العقل الهولاني، والعقل بالملكة، والعقل بالفعل، والعقل المستفاد، والعقول الفعالة.

التّعريف الرابع: العقل هو: الهولاني، وهو قوة للنفس، مستعدة لقبول ماهيات الأشياء، مجردة عن المواد، وبها يفارق الصبي الفرس وسائر الحيوانات، لا بعلم حاصر، ولا بقوة قريبة من العلم. وهي المرتبة الأولى للنفس الإنسانية، التي يسمونها الناطقة.

التّعريف الخامس: العقل هو: الملكة لاستكمال العقل الهولاني، حتى يصير بالقوة القريبة من الفعل، كما في الصبي عندما ينتهي إلى حد التمييز. وهي المرتبة الثانية للنفس الناطقة.

التّعريف السادس: العقل هو: استكمال للنفس بصورة ما، أي صورة معقولة، حتى متى شاء عقلها، أو أحضرها بالفعل. وهي المرتبة الثالثة للنفس الناطقة^(٢).

التّعريف السابع: العقل هو: ماهية مجردة عن المادة، مرتسمة في النفس على سبيل الحصول من خارج. وذلك بأن تكون المعلومات حاضرة في ذهنه،

(١) المصدر السابق (ص ٢٨٧).

(٢) المرجع السابق (ص ٢٨٧).

وهو يطالعها ويلابس التأمل فيها، وهو العلم الموجود بالفعل، الحاضر، وهي المرتبة الرابعة للنفس الناطقة^(١).

فالعقل الهولاني، والعقل بالملكة، والعقل بالفعل، والعقل المستفاد، هي مراحل العقل للنفس الإنسانية التي يسمونها الناطقة، وهي عبارة عن قوة للنفس وقدرة على تصور الأشياء تبدأ من مجرد مفارقة الإنسان للحيوان، ثم تترقى إلى أن تصل إلى وجود المعلومات في الذهن والقدرة على تأملها ومطالعتها. وأما العقل العملي فهو القوة التي تحرك نحو الاختيار والعمل بأمر العقل النظري.

والعقل الفعال هو: نمط آخر، وهو كل ماهية مجردة عن المادة أصلاً وحده من جهة ما هو عقل أنه جوهر صوري، ذاته ماهية مجردة في ذاتها -لا بتجريد غيرها لها- عن المادة، وعن علائق المادة، بل هي ماهية كلية موجودة وحده.

وحده من جهة ما هو فعال أنه جوهر بالصفة المذكورة، من شأنه أن يخرج العقل الهولاني من القوة إلى الفعل، بإشرافه عليه^(٢).

والعقول الفعالة هي العقول المفارقة.

ثم حصرت الفلاسفة بأن جميع الموجودات لا تخرج عن ثلاثة أشياء.

(١) الحدود لابن سينا ضمن المصطلح الفلسفي للدكتور الأعسم (ص ٢٤٠، ٢٤١)، معيار العلم (ص ٢٧٧-٢٧٩)، موسوعة مصطلحات جامع العلوم (ص ٦٠٠، ٦٠١).

(٢) الحدود لابن سينا ضمن المصطلح الفلسفي للدكتور الأعسم (ص ٢٤٠، ٢٤١)، معيار العلم (ص ٢٧٧-٢٧٩)، موسوعة مصطلحات جامع العلوم (ص ٦٠٠، ٦٠١).

أولاً: أجسام وهي أحسها.

ثانياً: عقول فعالة وهي أشرفها؛ لبراءتها عن المادة وعلاقة المادة، حتى أنها لا تحرك المواد أيضاً إلا بالشوق.

ثالثاً: النفوس وهي تنفعل من العقل، وتفعل في الأجسام، وهي واسطة، ويعنون بالملائكة السماوية نفوس الأفلاك؛ فإنها حيّة عندهم، وبالملائكة المقربين، العقول الفعالة^(١) وهي العقول المجردة التي هي جواهر قائمة بأنفسها، لا تتحيز ولا تتصرف في الأجسام، والصور الجزئية تفيض على النفوس السماوية منها^(٢).

والعقل الكلي: هو المعنى المعقول، المقول على كثيرين مختلفين بالعدد، من العقول التي لأشخاص الناس، فلا وجود له في القوام، بل في التصور.

وعقل الكل: يقال لمعنيين، لأجل أن الكل يقال لمعنيين: أحدهما: جملة العالم، والثاني: الجرم الأقصى، أي الفلك التاسع الذي يدور في اليوم واللييلة، فيتحرك كل ما هو حشوه من السماوات كلها، فيقال لجِرمه جرم الكل، ولحركته حركة الكل، وهو المراد بالعرش عندهم.

فعقل الكل باعتبار المعنى الأول، هو جملة الذوات المجردة عن المادة من جميع الجهات، التي لا تتحرك لا بالذات، ولا بالعرض، ولا تحرك إلا بالشوق. وآخر رتبة هذه الجملة، هو العقل الفعال، المخرج للنفس

(١) معيار العلم (ص ٢٨١، ٢٨٢).

(٢) تهافت الفلاسفة، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط٦، (ص ٢٢٤).

الإنسانية، في العلوم العقلية، من القوة إلى الفعل^(١). وهم يقولون إن المبدأ لجميع الحوادث في هذا العالم إنما هو العقل الفعال^(٢).

وعقل الكل باعتبار المعنى الثاني، هو العقل الذي هو جوهر، مجرد عن المادة من كل الجهات، وهو المحرك بحركة الكل على سبيل التشويق لنفسه، ووجوده أول وجود مستفاد عن الموجود الأول^(٣).

وهم يقولون عن الله بأنه عقل وعقل وعقل، فهو عقل؛ لأنه واجب الوجود، مجرد عن المادة، وعوارض المادة. وبما يعتبر له من أن هويته المجردة لذاته، فهو معقول لذاته، وبما يعتبر له من أن ذاته لها هوية مجردة، هو عاقل ذاته^(٤).

فالله -عند الفلاسفة- عقل، صدر عنه عقل الكل وهو العقل الأول، وهو جوهر مجرد عن المادة، وهو المحرك بالحركة الشوقية وهناك عقول أخرى تسمى عقل الكل، وهي العقول الفعالة، وهي الملائكة المقربون، وهي جواهر مجردة عن المادة، وهي تتحرك بالشوق. وعدد العقول بعد المبدأ الأول عشرة، وهو المشهور، وقيل أحد عشر، وذهب المعلم الأول إلى أنها خمسون^(٥).

(١) المرجع السابق (ص ١٤٢).

(٢) شرح الإشارات للرازي (١/ ١٨٦)، موسوعة مصطلحات الرازي (ص ٤٦١).

(٣) الحدود لابن سينا ضمن المصطلح الفلسفي للدكتور الأعسم (ص ٢٤٢، ٢٤٣)، معيار العلم (ص ٢٨٢، ٢٨٣).

(٤) أبكار الأفكار في أصول الدين، لعلي بن محمد بن سالم التغلبي، أبو الحسن، سيف الدين الأمدي، تحقيق: أ. د. أحمد محمد المهدي، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة، ط ٢، ١٤٢٤ هـ، (ص ٣٢٤).

(٥) تهافت الفلاسفة (ص ٨٩)، المطالب العالية (٧/ ٣٨٣)، موسوعة مصطلحات جامع العلوم (ص ٥٩٩).

الرد على الفلاسفة: تقسيم الفلاسفة للعقول بهذه الطريقة هو اصطلاح لهم بعباراتهم، وهو غير ملزم، وإنما نناقشهم فيما اخطأوا فيه، أما تعريف العقل بأنه التصورات والتصديقات، فكما سلف هذا تعريف ناقص. وأما قول الفلاسفة في العقول الفعالة المفارقة، وإطلاقهم لفظ العقل على الله - تعالى -، وتسمية النفس البشرية عقلاً، فباطل من وجوه:

الأول: أن العقل في الكتاب، والسنة، وكلام الصحابة، والأئمة ليس ملكاً من الملائكة، ولا جوهرًا قائمًا بنفسه بل هو العقل الذي في الإنسان، ولم يسم أحد من المسلمين قط

أحدًا من الملائكة عقلاً، ولا نفس الإنسان الناطقة عقلاً بل هذه من لغة اليونان، ومن المعلوم أن حمل كلام رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أو كلام الله - تعالى - على ما لا يوجد في لغته التي خاطب بها أمته، ولا في لغة أمته، وإنما يوجد في لغة أمة لم يخاطبهم بلغتهم^(١) أمر باطل.

الثاني: أن هؤلاء المتفلسفة يقولون إن العقول التي يسميها من يتظاهر بالإسلام منهم ملائكة، يقولون إنها معلولة، متولدة عن الله، لم يخلقها بمشيئته وقدرته، ويقولون إنها هي رب العالم، فالعقل الأول أبدع كل ما سوى الله عندهم، والثاني أبدع ما سوى الله وسوى العقل الأول، حتى ينتهي الأمر إلى العقل العاشر الفعال، المتعلق بفلك القمر، فيقولون إنه أبدع ما تحت الفلك،

(١) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ط ٣، ١٤١٥ هـ، (ص ٢٥١).

فهو عندهم المبدع لما تحت السماء من هواء، وسحاب، وجبال، وحيوان، ونبات، ومعدن، ومنه يفيض الوحي، والعلم، على الأنبياء وغيرهم، وهذا من أعظم الأقوال منافاة لأقوال الرسل، وهو من أعظم الكفر في دين الله^(١).

الثالث: أن ما يدعونه من المجردات، والمفارقات؛ كالعقول، والنفوس، إنما وجودها في الأذهان لا في الأعيان^(٢).

فما تدعي الفلاسفة إثباته من الجواهر العقلية، لا حقيقة لها في الخارج، وإنما هي أمور معقولة في الذهن، يجردها العقل من الأمور المعينة، كما يجرد العقل الكليات المشتركة بين الأصناف، كالحيوانية الكلية، والإنسانية الكلية، والكليات إنما تكون كليات في الأذهان لا في الأعيان^(٣). وهذا يفضي إلى إنكار وجود الملائكة.

الرابع: أن إطلاقهم على الله لفظ العقل، إطلاق مبتدع، وهو يحمل معنى باطلاً، لأنه يتضمن نفي صفات الله - تعالى - بل نفي وجوده^(٤).

وخلاصة ما سبق: أن العقل سمة من السمات المشتركة بين المذاهب الفكرية حيث كبروا العقل وجعلوه مصدرًا من مصادر التشريع في جميع

(١) الصفدية (١/ ٨-٩، ٢/ ٢٥١-٢٥٢) بغية المرتاد (ص ٣٥٧)، منهاج السنة (١/ ٣٤٢).

(٢) الرد على المنطقيين (ص ٢٧٨)، الصفدية (١/ ٢٤٣).

(٣) مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٢٨).

(٤) الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، لآمال بنت عبد العزيز العمرو، بدون الطبعة والدار والسنة، (ص ٣٥٠-٣٥٣). وينظر: مصطلحات في كتب العقائد، لمحمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد درا بن خزيمة، الطبعة: الأولى، (ص ١٢٧). وينظر: منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين للدكتور: مصطفى محمد حلمي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١ - ١٤٢٦ هـ، (ص ١٤٧).

شؤون الحياة بإدراك المصالح والمنافع دون الحاجة إلى قوى خارجية، وقد تم استقلاله نتيجة تحريره من الاعتماد على السلطة اللاهوتية الطاغية.

ونلاحظ أن الاعتماد على العقل وتحييد الدين جاء بصورة متدرجة، ولكنه استحكم في عصر التنوير، وزاد ترسيخه كمصدر وحيد للمعرفة في القرن التاسع عشر الذي هو سمة من سمات المذاهب الفكرية. وقد صار المصدر الوحيد في قيادة الحياة الأوروبي بعيداً عن منهج الله والقيم والأخلاق.

حدود العقل ومناطه في الإسلام:

من النعم الجسيمة التي امتنَّ الله على البشر نعمة العقل الذي يميز الطيب من الخبيث والحسن من السيئ ومناط التكليف وأساس قيام الحجة وجميع المأمورات والمنهيات وقد ذكر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في تنزيله الحميد اثنان وعشرين موضعاً في العقل، تارة في صياغ المدح وتارة في صياغ الذم وتارة في صياغ التعب، وغير ذلك من المناسبات الواردة في شأن العقل، ومن تلك المواضع في القرآن قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وجه الشاهد من الآية: ﴿لَا يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

كما أن القرآن مليء في ذم الذين أهملوا عقولهم وعطلوهم وركنوا إلى التقليد الأعمى، واتبعوا ما ألفوا عليه آباءهم من غير ما بينة أو أثارة من علم. ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

وتارة سمى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الذين لا يعقلون شرّ الدواب قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢]. شر ما

خلق الله على وجه الأرض الذين يصمون عن الحق لئلا يستمعوه، فيعتبروا به ويتعظوا به، وينكصون عنه إن نطقوا به، الذين لا يعقلون عن الله أمره ونهيه، فيستعملوا بهما أبداً منهم^(١).

وقد ورد في السنة بلفظ العقل حديث واحد قد سبق ذكره.

وقد قرر السلف أن العقل الصحيح الذي لا تخالطه شهوة ولا شبهة ولا الشوائب والمزالق والخرافات الزاهقة، لا يخالف النقل الصحيح الصريح لكن إذا توهم تعارض العقل بالنقل فإن النقل يؤخذ ويتع ويرد فهم العقل المجانب للصواب، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللهُ**: «إن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** علّم المسلمين ما يحتاجون إليه في دينهم فيأخذ المسلمون جميع دينهم من الاعتقادات والعبادات وغير ذلك من كتاب الله وسنة رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها -رضوان الله عليهم أجمعين- وليس ذلك مخالفاً للعقل الصريح؛ فإن ما خالف العقل الصريح فهو باطل وليس في الكتاب والسنة والإجماع باطل ولكن فيه ألفاظ قد لا يفهمها بعض الناس أو يفهمون منها معنى باطلاً فالآفة منهم لا من الكتاب والسنة»^(٢)؛ فإن الله تعالى قال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا﴾ [النحل: ٨٩].

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، (١٣/٤٥٩).

(٢) مجموع الفتاوى، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ، (ص ٤٩٠).

وليس ثمة عقيدة تقوم على احترام العقل الإنساني، وتكريمه، والاعتماد عليه في فهم النصوص كالعقيدة الإسلامية^(١).

ولكن لما كان للعقول في إدراكها حد تنتهي إليه لا تتعداه، لم يجعل الله لها سبيلاً إلى الإدراك في كل مطلوب^(٢)؛ فلم يجعل لها سبيلاً لإدراك أغلب مسائل الاعتقاد؛ إذ لا يمكن للعقول أن تستقل بمعرفتها لولا مجيء الوحي بها وبأدلتها العقلية. وما على العقول إلا فهمها وتدبرها.

وأيضاً، فإن كثيراً من مسائل الاعتقاد لا تدرك العقول حقيقتها وكيفياتها، ولو فهمت أدلتها وتدبرتها؛ كالروح التي في أجسادنا: عسر على الناس التعبير عن حقيقتها لما لم يشهدوا لها نظيراً^(٣).

وكذا صفات ربنا **عَزَّجَلَّ** رغم أننا فهمنا معانيها بعقولنا من اعتبار الغائب بالشاهد إلا أن حقيقتها وكيفياتها لا تدركه عقولنا؛ لأن العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف والموصوف **عَزَّجَلَّ** ليس كمثله شيء؛ فهو متصف بصفات الكمال التي لا يماثله فيها شيء^(٤). وكذا ما أخبر الله جل جلاله عنه من أمور الآخرة؛ كالجنة ونعيمها، والنار وجحيمها، وغير ذلك من المغيبات، ليست من مدارك العقل، ولا في متناوله مع أن العقل يقر بها ولا يحيلها^(٥).

(١) ينظر: النبوات لابن تيمية (ص ١٨٩).

(٢) ينظر: الاعتصام للشاطبي (٢ / ٣١٨).

(٣) ينظر: انظر تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية (ص ٢٠٢).

(٤) ينظر: الرسالة التدمرية لابن تيمية (ص ٤٤، ٤٥).

(٥) ينظر: المصدر نفسه (ص ٤٦).

وإذا كان كذلك فالعقل مطالب بالتسليم للنصوص الشرعية الصريحة، ولولم يفهمها أو يدرك الحكمة التي فيها؛ فالأمر ورد بقبولها والإيمان بها فإذا سمعنا شيئاً من أمور الدين، وعقلناه، وفهمناه، فمن الله التوفيق وله الحمد والشكر على ذلك وما لم ندركه أو نفهمه آمنا به وصدقناه^(١).

تعارض النص الصريح من الكتاب والسنة مع العقل الصحيح غير متصور أصلاً، بل هو مستحيل فإذا توهم التعارض بسبب فهذا عدم فهم للنقل، أو فساد في العقل، فإن الوحي مقدم ومحكم.

المصدر الثاني: الفلسفة؛

أن الفلسفة سمة من السمات المشتركة بين المذاهب الفكرية المعاصرة بحيث تنبثق أصولها وركائزها في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية، والأخلاقية والنظرية^(٢).

المصدر الثالث: الحس؛

أن مدركات الإنسان صنفان:

- ١- محسوسات.
- ٢- معقولات.

فالأشخاص هن محسوساته، وأنواعها وأجناسها ومبادئها هن معقولاته وله إدراك إدراك بالحس للأشياء المحسوسات، وإدراك بالعقل للأشياء المعقولات؛ لأن كل شيء إنما يدرك بشكله.

(١) ينظر: صون المنطق والكلام للسيوطي (ص ١٨٢).

(٢) سيأتي تفصيل الفلسفة في الفصل الثالث.

فإدراكه المحسوسات يسمى كماله الأول وحياته الأولى، وإدراكه المعقولات يسمى كماله الثاني وحياته الأخرى، فإذا كان العالم كله صنفين محسوس ومعقول وكان كمال جوهر الإنسان بإدراكهما معا، وكان مهياً بفطرته لذلك، صار الإنسان إذا أدرك المحسوسات والمعقولات فقد تصور بصورة العالم الأكبر، فالإنسان إذن يستحق أن يسمى عالماً صغيراً من جهتين: **إحداهما: خلقة لا عمل له فيها.**

والثانية: اكتساب يكتسبه إلا أن سعادته إنما هي بالاكتساب وحصول العقل المستفاد، وأما الخلقية فإنها هي هيئة واستعداد جعل معرضاً بهما لنيل السعادة إن فهم ذاته وعلم مرتبته من العالم أي مرتبة تحصيل هي نجا وسعد، وإن جهل ذاته ولم يعرف ما الغرض بكونه آخر الموجودات هلك وطال شقاؤه.

عن سفيان الثوري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «النّاس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا»^(١).

وبعضهم رفعوه إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «النّاس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»^(٢).

وقال لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تقرب إلى الله بعقلك إذا تقرب الناس إليه بأعمالهم^(٣).

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، السعادة-بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ، (٥٢/٧).

(٢) أورده الغزالي (٢٠/٤) مرفوعاً إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! فقال الحافظ العراقي وتبعه السبكي (٤/١٧٠)، (١٧١): لم أجده مرفوعاً، وإنما يعزي إلى علي بن أبي طالب، ونحوه في «الكشف» (٢/٣١٢) وقال الألباني: لا أصل له. ينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني، دار النشر: دار المعارف، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ، (١/٢١٩).

(٣) الحقائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر-دمشق-سورية، ط١، ١٤٠٨هـ، (ص٧٠٢).

المصدر الرابع: التّخرص:

وهو سمة من السمات المشتركة بين المذاهب الفكرية، حيث إن أصحابها يستندون بالظن والتّخرص وهو الكذب المحض الصراح أشد من الظن والشك والأوهام، فيحسن أن أعرف معنى التّخرص أصلها من خرصا لئاء والراء والصاد أصول متباينة جدًّا.

الخرص، وهو حزر الشيء، يقال خرصت النخل، إذا حزرت ثمره. والخراص: الكذاب، وهو من هذا؛ لأنه يقول ما لا يعلم ولا يحق. وأصل آخر، يقال للحلقة من الذهب خرص.

وأصل آخر، وهو كل ذي شعبة من الشيء ذي الشعب. فالخريص من البحر: الخليج منه. والخرص: كل قضيب من شجرة، وجمعه خرصان. قال:

ترى قصد المران تلقى كأنه تذرع خرصان بأيدي الشواطب

ومن هذا الأصل تسميتهم الرمح الخرص. قال: عض الثفاف الخرص. ومنه الأخراص، وهي عيدان تكون مع مشتار العسل.

وأصل آخر، وهو الخرص، وهو صفة الجائع المقرور، يقال خرص خرصا.

والخرص: مصدر خرصت النخل أخرصه خرصًا، والخرص: جوع من برد، ويقال: رجل خرص، إذا كان جائعًا مقرورًا، خرصت النخل

خرصا، وكم خرص أرضك، مكسورة الخاء، ويقال: ما في أذنها خرص أي حلقة^(١).

الثاني: التخرص: قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٧].
قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧].
وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَنْخَلِقُ﴾ [ص: ٧].

فسمي الكذب اختلاقاً؛ لأنه يقدر ويزين ليتشبه بالصدق^(٢).

ما للكوكب من صنع ومن عمل إلا التخرص من قوم بها اكتسبوا^(٣)

أما التخرص والاعتماد على واقع الناس، والاستدلال بما تفعله الجماهير فليس حجة في الدين عند أحد يعرف أن الإسلام هو دين الله الذي أنزله على رسوله ورضيه لهم منهجاً في العبادات والمعاملات والأخلاق والآداب والسلوك؛ فأكملة وأتم به النعمة على المسلمين وبينه رسوله ﷺ لأتمته أتم بيان.

ثم قال: بأن التخرص والتخمين وقياس الماضي بالحاضر والاعتبار بواقع الناس في عصر من العصور ما كانت هذه الأمور يوماً من الأيام مصادر علم تقام على أساسها الأحكام^(٤).

(١) إصلاح المنطق، لابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٢٣ هـ، (ص ٦٢-٢٠٥).

(٢) الوجوه والنظائر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن مهران العسكري، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٨ هـ، (ص ٢٠٧).

(٣) القول في علم النجوم للخطيب، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، درسه وحققه: الدكتور يوسف بن محمد السعيد، دار أطلس للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤٢٠ هـ، (ص ٢٠٣).

(٤) صحيح المقال في مسألة شد الرحال، لعبد العزيز بن عمر الربيعان، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط ١ السنة الحادية عشرة-العدد الثالث-ربيع الأول ١٣٩٩ هـ/، (ص ١٨٢-١٨٩).

من معاني التخرص عند أهل العربية: الحزر والتقدير. وهو مرادي هنا بلا ريب.

المصدر الخامس: العقلية الاغريقية؛

الواقع أن العلاقة بين الغرب والفلسفة الاغريقية لم تنقطع نهائيا بعد انتشار النصرانية، وإن كانت النصرانية قد اخذت بريقها وسيطرتها، وأبقت في خزائن المكتبات، لا يطلع عليها إلا الخاصة.

كانت الكنيسة على العموم تضطهد آداب اليونان والرومان وعلومها وتحارب من اشتغل بها، وتعارض نشر الحياة العقلية والمدنية القديمتين، وتحدد الدائرة التي يجول فيها الفكر، ذلك أنها اعتقدت أن الحقيقة قد وصلت إليها من الوحي المعصوم^(١).

لقد مرت الحياة الغربية في عودتها إلى التراث اليوناني بمراحل نمو وتذوق وترعرعت حتى اكتملت، ثم فرخت، وبدأت تبني على تلك القواعد مباني شاهقات.

وكانت أوروبا قد أخذت الفلسفة عن علماء المسلمين، أمثال ابن رشد^(٢)

(١) مبادئ الفلسفة، (ص ١٠٥).

(٢) من عام ٥١٦-٥٨٨هـ-١١٢٦-١١٩٨م نقل اسم ابن رشد لللاتينية فكان: أفيروس وهو فيلسوف، وفقيه، وقاض، وطبيب، ولد بقرطبة في أسبانيا، وتوفي، في مراكش، أما في الغرب فإن أشهر ما يعرف به هو أنه شارح أرسطو، ولقد كتب على كثير من مؤلفات أرسطو ثلاث شروح مختلفة، هي المخلصات، والشروح المتوسطة، والشروح الطويلة). ينظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، لجوناثان ري. وج. أرمسون ترجمة فؤاد كامل وزملائه المركز القومي للترجمة القاهرة، (ص ١١).

وغيره في القرن الثالث عشر وأهم وظيفة لابن رشد أنه شارح فلسفة أرسطو كلها تقريباً، وقد وضع على هذه الكتب ثلاثة شروح؛ صغيرة، ومتوسطة، وكبيرة^(١).

وأول ما بدأت العقلية الإغريقية القديمة تتمثل فيه هو: تاليس المليتي أول فيلسوف في الدنيا. وإذا فالفلسفة إغريقية الأصل والعنصر، وهي لا تصعد في رأي أرسطو إلى ما وراء القرن السادس قبل المسيح، ولكن ديوجين لا إرس المؤرخ الإغريقي الشهير الذي عاش في القرن الثالث قبل المسيح يحدثنا في كتابه حياة الفلاسفة عن فلسفة المصريين والفرس في العصور الغابرة حديثاً ممتعاً يدل دلالة قاطعة على أن الشرق قد سبق الغرب إلى الفلسفة بزمان بعيد. وأنه كان أستاذه في كل ما وراء الطبيعة كما كان أستاذه في العلوم الطبيعية والرياضية بأنواعها، وأن الغرب جلس في الأزمان المظلمة مجلس التلميذ المستلهم من الشرق العالم المستنير^(٢).

يقول المستشرق ول ديورانت: نستطيع أن نقول بوجه عام إنه قد اكتشف لنصارى الغرب من ترجمة كتب العرب وابن رشد أشياء جديدة، منها أن النصارى قد حصلوا على مذهب أرسطو في المنطق والطبيعة، وما بعد الطبيعة، على صورة أكمل مما كان عندهم من قبل، أما أهم أثر الفلاسفة العرب، وبصفة خاصة ابن رشد فهو أن النصارى يقصد مفكري أوروبا بعد

(١) ظهر الإسلام، لأحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٥ (٣/ ٦٦١).

(٢) مجلة الرسالة، أصدرها: أحمد حسن الزيات باشا (المتوفى: ١٣٨٨هـ) عدد الأعداد: ١٠٢٥ عددًا (على مدار ٢١ عامًا)، الكتاب مرقم آلياً غير موافق للمطبوع، ورقم الجزء هو رقم العدد، (٣٣/ ١٩٨).

قراءتهم لابن رشد صاروا يرون في نظريات أرسطو رأياً خاصاً فاعتبروها الحقيقة العليا^(١).

والخلاصة: أن سمة القرن الخامس عشر العودة إلى الثقافة القديمة، والثورة على ما استحدث العصر الوسيط من أدب وفلسفة وفن وعلم ودين؛ بل وأسباب الحياة السياسية والاقتصادية.

وقد كانت الفلسفة في طور تكوينها تنظر إلى الماضي البعيد وعهده القديم-عهد الاغريق والرومان- واعتاضت بما وجدته في ذلك العهد، عن عقائد الرقون الوسطى^(٢).



(١) التفكير الفلسفي في الإسلام من الشرق إلى المغرب، وتطوره وأثره في الفكر الأوروبي، للدكتور: محمد محمود عبد الحميد أبو قحف، مطبعة بهجات، (٢٠٠٥-٢٠٠٦م).

(٢) مبادئ الفلسفة، (ص ١١٦).

الفصل الثاني

السّمات المشتركة بين المذاهب الفكرية في الأهداف

وتحتة ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: إبعاد الدّين عن مجال الحياة.

المبحث الثاني: السّعي لإشباع النفس والجسد المادي.

المبحث الثالث: إهمال الجوانب الرّوحية.

المبحث الأول

إبعاد الدّين عن مجال الحياة

المطلب الأول

مفهوم الهدف، لغةً واصطلاحاً

جاء في كتب اللغة العربية عدة معانٍ للهدف وبإطلاقات متنوعة منها.

أولاً: الغرض: ومعناه، ما ينصب ليرمى إليه، ويقصد به ^(١).

ثانياً: المحرك: ومنه الحديث: (كان إذا مرّ بهدف مائلٍ أو صدف أسرع المشي فيه والجمع أهداف) ^(٢). الهدف كل شيء عظيم مرتفع الصدف نحو الهدف ^(٣).

ثالثاً: ما ينتضل السهام به: سمي هدفاً ^(٤).

رابعاً: كل مرتفع من بناء أو كثيب رمل أو جبل ^(٥).

(١) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد اللقب بالزبيدي، تحقيق، مجموعة من المحققين، دار الهداية

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية بيومباي - الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بيومباي بالهند، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، (٣/ ٤٩٣).

(٣) المرجع السابق (٣/ ٤٩٣).

(٤) ينظر: المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة، (٢/ ٩٧٧).

(٥) المرجع السابق (٢/ ٩٧٧).

خامساً: ما رُفِع وبُني من الأرض للنضال^(١).

إذا الهدف المعزاب صوب رأسه واعجبه ضفو من الثلة الخطل

سادساً: الهدف من الرجال: الثقل الوخم النؤوم الذي لا خير فيه^(٢).

سابعاً: الهدف المعزاب إنه راعي ضأن، فهو لضأنه هدف تأوي اليه، وهذا ذم للرجل إذا كان راعي الضأن^(٣).

ثامناً: الهادفة: أي الجماعة.

وغير ذلك من المعان التي وردت في كتب اللغة العربية^(٤).

والمقصود من الهدف هنا: جمع السّمات المشتركة بين المذاهب المتعلقة بالأهداف والغايات وما يوصل إليه لتحقيق أسس المذاهب الفكرية الغربية.



(١) ينظر: لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤ هـ، (٣٤٦/٩).

(٢) المرجع السابق (٣٤٦/٩).

(٣) ينظر: المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة، (٩٧٧/٢).

(٤) ينظر: المعجم الوسيط، (٩٧٧/٢).

المطلب الثاني

مفهوم إبعاد الدّين عن مجال الحياة



من السّمات المشتركة بين المذاهب الفكرية المعاصرة إقصاء الدّين عن مجال الحياة بدعوى أنّ الذي قادهم الى هذا المأزق والجهل والتخلف وعدم التقدم والتحضر ليس إلا بسبب الدين، والبابوات ورجال الدّين حيث ذاقت أوروبا في القرون الوسطى الويلات والنكال الشديد بسبب نظام ودستور الكنيسة من استعباد واستبداد ومهزلة وسخرية، فلم يجدوا حلاً آخر إلا بمحاربة الدين وإبعاده عن جميع مجالات الحياة السياسة والأخلاقية والاجتماعية وغير ذلك لينغمسوا في الملذات ومتاع الدنيا.

ومقصود إبعاد الدين عن الحياة هو: إبعاد الرقيب الداخلي للإنسان عن مجال عمله وتحويله إلى حيوان غريزي لا همّ له سوى الارتواء من الملذات^(١).

وأول عمل قام به نابليون في مصر هو تعطيل الشريعة الإسلامية، وإحلال القانون الفرنسي محلها، وأول عمل قام به المخطط اليهودي الصليبي في تركيا هو إلغاء الشريعة الإسلامية ثم إعلان تركيا دولة لا دينية.

(١) مجلة مجمع الفقه الاسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي بجدة، تصدر عن منظمة المؤتمر، (١١/١٠٣٩).

وأخيراً: غادر المستعمرون ديار المسلمين بعد أن خلفوا على تركتهم ورثة مخلصين؛ ليحافظوا عليها، ولأنهم يتمكنون من العمل في صالحهم أكثر مما يتمكنون هم أنفسهم^(١).

ومعنى آخر لمفهوم إبعاد الدين عن مجال الحياة هو: القواعد التي ترتبط الكنيسة أو الأنظمة الدينية، فلا تبالي بالدين والاعتبارات الدينية.

وقد ظهرت كمذهب أو مصطلح يناهض انحرافات الكنيسة في أوروبا بما كانت تفرضه من صكوك الغفران والحرمان، ومن تحريم البحث في العلوم التجريبية، كالطب، أو الهندسة أو الصناعة والمعمار ومن قتل أو سجن من يبحث في هذه العلوم بدعوى أنه يعارض المشيئة الإلهية.

وبهذا كان رد الفعل في ظل الثورة الفرنسية سنة: ١٧٨٩م هو إبعاد الدين عن الحياة وعن المجتمع، فهذه الظروف تمخض عنها النظام العلماني الذي يفصل بين الدين والمجتمع، وبغزل الدين عن القوانين والتشريعات كلها فيما عدا قانون الأحوال الشخصية، وهذا القانون اضطرت أوروبا إلى الخروج فيه على الدين.

ثم كان رد الفعل الأكثر تطرفاً وهو الشيوعية التي تبناها «كارل ماركس» وهي تنكر الأديان وتشارك مع شيوعية مزدك^(٢) الذي ظهر في فارس قبل نزول القرآن الكريم في الدعوة إلى شيوعية المال والجنس وبالتالي

(١) أضواء على طريق الدعوة إلى الإسلام، (ص ٢٢٨).

(٢) ولد مزدك بن موبدان في بلاد فارس واختلف في عام ولادته فقيل ٤٦٧ وقيل ٤٨٧م. كان يعتقد قضية النور والظلمة واشترك الناس في المال والنساء، الملل والنحل، لمحمد بن عبد الكريم بن

فالتيار الشيوعي هو فرع من فروع التيار العلماني^(١)، هدف إبعاد الدين عن مجال الحياة هو: هدم العقيدة الصحيحة، وإخراج الناس من نور التوحيد الى ظلمات الشرك والإلحاد، وإحلال القوانين الوضعية محل الشريعة الاسلامية، وإبعاد الإسلام عن التطبيق العملي^(٢).



أبي بكر أحمد الشهرستاني، دار المعرفة-بيروت، ١٤٠٤، تحقيق: محمد سيد كيلاني، (١/٢٤٨).
بتصرف.

(١) تهافت العلمانية في الصحافة العربية، للمستشار سالم على البهنساوي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط١، ١٤١٠هـ، (١/٥).

(٢) العلمانية وموقف الإسلام منها، للدكتور: حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، العدد، ١١٥، السنة، ١٤٢٢هـ، (ص٤٠٥).

المطلب الثالث

مسوغات إبعاد الدين عن الحياة في المذاهب الفكرية

تتلخص المسوغات بأمور عدة:

أولاً: بطلان دعوة البحث عن الحقيقة^(١).

ثانياً: اتباع الهوى^(٢).

ثالثاً: مصادمة المذاهب الفكرية للفطرة السليمة؛ وذلك بسبب تسرب النصرانية على المذاهب وبسبب الغي والطغيان الذي حصل من الكنيسة، وبسبب صراع الكنيسة مع العلم وردّها لأي شيء من البحوث والاكتشافات العلمية الجديدة فكان ردّة الفعل المغالية فيه: أن رفضوا الكنيسة، ورفضوا كل شيء يمقت الى الدين، ومحاكم التفتيش، إلى غير ذلك مما حصل في أوروبا، فكان لهذا الفعل رد فعل في فصل الدين عن الحياة والكفر بالدين.

رابعاً: رفع شعار العبارات التي يرددونها: اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس^(٣) فسلفهم السيئ الظالم المشرك الوثني يسمون عصوره العصور المظلمة، فأوروبا والغرب ما رأى أهلها النور أبداً بعد تلك القرون المظلمة،

(١) سيأتي مبحث مستقل في «البحث عن الحقيقة» نهاية الفصل الثاني.

(٢) هذا عامل من عوامل النشأة للمذاهب الفكرية المعاصرة التي لم أذكر في العوامل في الفصل الأول.

(٣) جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر «عرض ونقد»، لرمضان مصطفى الدسوقي حسنين، الناشر: جامعة الأزهر- فرع المنصورة، (ص ٤٢٥). وينظر: المسيحية: للدكتور: أحمد شلبي، (ص ٢٥٨، ٢٥٩).

حتى في هذا الزمان ما زالوا يعيشون في بربرية هي أشد من العصور المظلمة التي يعييونها.

خامساً: الغرور في الدنيا وملذاتها الزائفة^(١).

سادساً: الضعف الديني عند أصحاب المذاهب الفكرية.



(١) التفسير الواضح، للحجازي، محمد محمود، دار الجيل الجديد، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٤١٣هـ، (٦١٩/٢).

المطلب الرابع

أمهات المذاهب الفكرية المشتركة

في إبعاد الدّين عن مجال الحياة

جميع المذاهب الفكرية المعاصرة اشتركت في محاربة الدين، وأعلنت ذلك في مجتمعاتها وكتبها وشعاراتها، وأوضحت أهدافها وغاياتها وأذكر نموذجاً منها:

أولاً: العلمانية: الهدف الوحيد للعلمانية هو: إبعاد الدين عن جميع مجالات الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية وتشريعاً وقانوناً مناهضاً عن القيم والأخلاق، فالفكر العلماني يتفق مع الفكر العلماني في إبعاد الدين والقيم الدينية عن الحياة الاجتماعية، وسائر المعاملات فيتفقون على إقصاء الدين^(١) ولهذا يسعى الفكر العلماني والإلحادي إلى تطويع القيم الإسلامية، لتساير العلمانية واللا دينية^(٢).

ثانياً: الشيوعية. **ثالثاً:** الوجودية.

رابعاً: الديمقراطية. **خامساً:** القومية.

(١) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، للدكتور: غالب بن علي عواجي، الناشر: المكتبة العصرية الذهبية-جدة، الطبعة: الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، (٦٨٣/٢).

وينظر: العلمانية وموقف الإسلام منها، للدكتور: حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط، العدد ١١٥- السنة ٣٤-١٤٢٢هـ (ص ٤٠٦).

(٢) ينظر: المراجع السابقة مع صفحاتهم. وينظر: التفسير الواضح، للحجازي، محمد محمود (٦١٩/٢).

- سادساً: الإنسانية^(١).** **سابعاً: الليبرجماتية.**
ثامناً: التنوير. **تاسعاً: الحداثة.**
عاشراً: العقلانية. **الحادي عشر: العصرانية.**
الثاني عشر: الليبرالية.

وغير ذلك من المذاهب الفكرية التي أصبح ديدناً لها، ومبدأ من مبادئ أفكارهم إقصاء الدين والشرعية السماح عن الحياة كلها^(٢).

تنوير بعض هذه الأهداف:

مصطلح الإنسانية: هي هدف الحياة للجميع، وليس الله أو المجتمع الخاص أو الدولة الخاصة.

وكما يسمى هذا العصر بـ: «عصر التنوير»، ويسمى أيضاً بـ«العصر الإنساني».

فالتنوير: لا يقصد به إلا إبعاد الدين عن مجال التوجيه، وإحلال العقل محله.

والإنسانية التي يبشر بها هذا العصر: ليست إلا عوضاً عن القربى «من الله» كهدف للإنسان في سلوكه في الحياة. والإله الذي ليس له وحى ولا خلق: يتفق مع تحكيم العقل وحده، وطلب سيادته على أحداث الحياة واتجاهاتها^(٣).

(١) سبق تعاريف المذاهب الفكرية.

(٢) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، للدكتور: غالب بن علي (٢/٩٠٩).

(٣) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، لمحمد البهي، مكتبة وهبه، ط ٥، (ص ٢٥٢).

ومحصل الكلام: أن جميع هذه المذاهب الفكرية تقوم لأجل تحقيق هدفهم الأساسي وهو إبعاد الدين عن مجال الحياة عن طريق وسائل وأساليب متنوعة وتلييساتهم المختلفة لكن مقصودهم واحد وغايتهم واحدة، وهي إبعاد الدين عن مجال الحياة كلها.

ميلاد فكرة إبعاد الدين عن مجال الحياة:

بدأت ولادتها في عصر الثورة الفرنسية ما بين القرن التاسع عشر وما بعدها، وتمخضت في مخاضها بسلطتها ومنظريها ودعاتها ومن أبرزهم:

١- هيجل.

٢- فيرباخ^(١) يرى أن الفلسفة هي علم الواقع في حقيقته، وفي عمومها، وجوهر الواقع هو الطبيعة الشاملة، التي تدرك بطريق الحواس، وعنده أن الحقيقة، والواقع، والحس كلها سواء. وليست الحقيقة بل هي المادية، ولا هي علم الطبيعة، ولا علم النفس هي علم الإنسان فقط، ولا هي المثالية النظرية، وعن طريق علم الإنسان يعرف أن ما يسمى بالجسمي وما يسمى أيضا بالنفسي يكونان في الإنسان وحدة الحياة ووحدة الواقع تلك الوحدة التي لا تنفصل ولا تنقسم إلى جسمي ونفسي إلا في الاعتبار فقط^(٢).

وفي نظره من جانب آخر: أن علم الإنسان أيضا هو الدين، والدين إذن محصول للعقل الإنساني، وليس موحى به من خارج الإنسان، والطبيعة الإلهية

(١) هو: فيلسوف ألماني ينادي على الفلسفة الوضعية أو المذهب التجريبي. ينظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، لمحمد البهي، مكتبة وهبه، ط ١٠، (ص ٢٧٢).

(٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، (ص ٢٧٢).

كذلك هي طبيعة الإنسان نفسه، التي تجردت من قيود الفردية والشخصية، أي: قيود الإنسان الواقعي الجسمي... هي الإنسانية، هذه الطبيعة الإنسانية المتجردة ينظر إليها في احترام وخشية وقدسيتها، على أنها شيء آخر مقابل لطبيعة الإنسان الفردية، والله بالنسبة للإنسان، هو كتاب جامع لإحساسات الإنسان العالية، وأفكاره وآماله. الله هو: صاحب كل قوة، وهو الرحيم، وهو المحبة ومعنى ذلك: أنه في نظر فيرباخ ليس هناك شيء آخر غير القوة والرحمة والمحبة التي هي إلهية، والحكمة والعدالة والخيرية تسود الحياة الإنسانية فقط عندما يكون حكيماً عدلاً خيراً^(١).

وأيضاً في نظره الحياة الأخروية ليست شيئاً آخر غير هذه الحياة الإنسانية -على اعتبار أن الله ليس شيئاً آخر غير الإنسان، إذا كان حكيماً عدلاً خيراً؛ لكن بعد أن ينظر إليها نظرة مثالية، والفجوة القديمة - على نحو ما تصور الأديان- بين هذه الحياة والحياة الأخرى يجب أن تزول؛ كي تركز الإنسانية نفسها، بنفس غير متشتتة وقلب موحد، في عالمها المشاهد وفي حاضرها القائم، وعن طريق هذا التركيز غير الموزع، في العالم الواقعي فقط، تقوم حياة جديدة للإنسان، وتنتج أعمال وتأملات كبيرة، وينشأ عظماء من الناس.

وإذا انقطع إيماننا وتصديقنا بحياة أفضل في الآخرة، وأردنا مع ذلك في غير تفرق إيجاد حياة أفضل، فسنخلق أيضاً حياة أفضل، ولكن لكي نريد هذا، ونريد أن نحققه، يجب أن نضع مكان محبة الله محبة الإنسان كدين

(١) المرجع السابق (ص ٢٧٢).

وحيد، حق، وأن نضع مكان الإيمان بالله، الإيمان بالإنسان نفسه وبإمكانياته الخاصة وبِعَظَمَتِهِ الإيمان بأن تقرير المصير للإنسانية ليس من طبيعة خارجة عنها أو فوقها، وإنما يرتبط بها نفسها تمام الارتباط^(١).

هذا مجمل ما تنطق به فلسفة فيرباخ وسنرى أن فكرة التعويض في الدين، التي احتلت منزلة كبيرة في فلسفة فيرباخ هذه - بعد أن تبنتها فلسفة كومت قبله - لا تقل تأثيراً في المذهب الماركسي وفي صراعه ضد الدين، عن الأفكار الرئيسية التي أقام عليها كارل ماركس^(٢).

٣- كارل ماركس: يرى في فلسفته إنكار وجود الله، ويدعو إلى شيوعية الجنس والمال. وصار كارل ماركس من هيجل آراءه في الجدلية الديالكتيك بعد أن حذف منها نظرتها المثالية، المرتبطة بالله، وأضاف إليها نظرتة المادية، فصار مذهبه الفلسفي الجذري «المادية الجدلية».

وبناءً على ذلك جعل الدين، والقانون، والسياسة، والأخلاق، والنظم الاجتماعية، والفلسفة، والفن، آثاراً في الوعي الإنساني للجدلية في حركة المادة وتطورها، وجعل هذه كلها صناعة إنسانية، وجعل الإنسان نتاج المادة في حركتها الجدلية، وجعل الفكر فيه نتاجها الأعلى^(٣).

وزعم ماركس أنه بعمله هذا قد أوقف آراء هيجل على قدميها، بعد أن كانت عنده واقفة على رأسها، لما اعتبر هيجل جدليته منطلقة من الله إلى

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، لمحمد البهي، (ص ٢٧٢).

(٢) المرجع السابق (ص ٢٧٢).

(٣) المرجع السابق (ص ٢٧٢).

كل الأكوان، فإنه بذلك قد عكس حقيقة الأمر، إذ حقيقة الأمر في ادعاء ماركس هو أن الله من اختراع الفكر الإنساني، ومن ابتكاراته التي لا تنطبق على الحقيقة والواقع.

حقيقة الفكر الشيوعي: أما حقيقة الفكر الشيوعي فهو أنه سرقة علمية سطا فيها كارل ماركس على فكر هيجل وفيورباخ في العصر الحديث، وعلى فكر بعض فلاسفة اليونان في العصر القديم؛ ليشكل منها توفيقاً وتلفيقاً نظرية تقوم على المادة والتناقض، ثم هي الشيوعية كما نسجها ماركس صارت متخلفة عن ركب العلم، تتمثل فيها الرجعية لمن يصبر عليها، ذلك أن العلم لم يعد يعترف أن المادة هي ما تقع عليه الحواس كما قال بذلك ماركس ومن خلال نظريات الثقب الأسود وصل العلم إلى أن ما تدركه الحواس من المواد لا يمثل إلا سبعة في المائة، أما الباقي فهي مواد لم تدركها بعض الحواس، فماذا يضير قول ماركس عن المادة بمعيار العلم؟! وهل يصح بعد ذلك أن يضفي صفة العلمية على اشتراكيته^(١).

أما حديثه عن أن في كل مادة تناقضاً فإنه يفتقر كذلك للأساس العلمي؛ إذ إن الملاحظ من الاستقراء والتتبع أن ما في المواد هو التزاوج والتكامل وليس على النحو الذي نرى ونشاهد، ابتداءً من الذرة وانتهاءً إلى الجرم الكبير قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

(١) المرجع السابق (ص ٥٦٩).

في المجال الاجتماعي تساقطت كذلك دعاوى الصراع بين الطبقات التي ادعاها ماركس. بتساقط دعاوى التناقض نفسها التي قامت عليها دعاوى الصراع، وكذب التاريخ كذلك هذه الدعاوى بما أثبتته من قيام مجتمعات -وعلى مدى طويل- ليس فيها الصراع بين الطبقات، وإنما بينها المودة والرحمة يوضحها.

حديث النعمان بن بشير^(١) قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(٢).

في المجال السياسي سقطت دعاوى ديكتاتورية البروليتاريا بما قام في الأنظمة الشيوعية الحاكمة من ديكتاتورية طبقية لا تمت إلى البروليتاريا حيث تعيش عيشة القياصرة أو الأكاسرة ولا يزال ذهب الكرملين يظلمهم، وزادوا عليه أن صارت لهم شوارع خاصة لا يسير فيها غيرهم من أبناء البروليتاريا أو الطبقة الكادحة^(٣).

(١) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي له ولأبويه صحبة ثم سكن الشام ثم ولي إمرة الكوفة ثم قتل بحمص سنة خمس وستين وله أربع وستون سنة، تقريب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي حجر العسقلاني، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد - سوريا، ط ١، ١٤٠٦ هـ، (ص ٥٦٣).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ برقم الحديث: (٢٥٨٦) باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (٤/١٩٩٩). الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، (٤/١٩٩٩).

(٣) الاتجاهات الفكرية المعاصرة، للدكتور: جمعة الخولي، (ص ٩٢)، اتجاهات فكرية معاصرة، كود المادة: GUSU5083، المرحلة: ماجستير، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، (ص ١٧٠). وينظر: الناشر: جامعة المدينة العالمية، (ص ١٧٠).

مجالات الإبعاد عن الدين في مجال الحياة أهمها ما يلي:

- أولاً: إبعاد الدين عن مجال السياسية.
- ثانياً: إبعاد الدين عن مجال الاقتصاد.
- ثالثاً: إبعاد الدين عن مجال الاجتماع.
- رابعاً: إبعاد الدين عن مجال العلم.
- خامساً: إبعاد الدين عن مجال الأخلاق.
- سادساً: إبعاد الدين عن مجال الفن^(١).



(١) النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها - دراسة نقدية، لحسن بن محمد حسن الأسمرى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، (٢/ ١١٧٤).

المطلب الخامس

نماذج من أقوال بعض المنظرين للمذاهب الفكرية

في إبعاد الدّين عن مجال الحياة

تعددت أقوال المنظرين للمذاهب الفكرية المعاصرة واتحدت أهدافهم وأقوالهم وآرائهم حول البعد عن الدّين وأنّه لا ينفع مع الحياة، والعقل هو المسيطر عليها، والقائد لحياة الإنسان ويستطيع أن يعيش بدون دين ومن تلك الأقوال:

قول وليم جيمس: يتحدث عن وظائف الدين يقول:

أولاً: فإن المتبع لمجريات الكون، على الرغم من ذلك كله، وما يقع فيه من أحداث يرى أنها وكأنها رسمت بدقة وتدبير، إلا أنّ المعنى اللاهوتي لكلمتي تدبير وقصد ليست له دلالة عند البراجماتي^(١).

ثانياً: وجود الله يقطع النظر عن الأدلة الخارجية مكان طبيعي في النفوس. منسجم مع طبيعة العقول والنهي.

ثالثاً: ضمن الفكرة للدوام والبقاء^(٢).

رابعاً: كثيراً ما يكون البقاء والدوام أمانة الحقيقة والصدق.

(١) قضية العناية، (ص ٦٦٧).

(٢) ينظر: تهافت العلمانية في الصحافة العربية، للمستشار سالم علي البهنساوي، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة-مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، (ص ٧).

خامساً: أنها تمنح المرأ الشعور بالراحة والطمأنينة والسكينة.

سادساً: أنها تنبئه بالحقائق التي لم تكن معروفة من قبل ^(١).

سابعاً: إن الدين يعطى للقيم الأخلاقية بدأ يكسبها أهمية خاصة وقيمة لا تستطيع المذاهب المادية أن تمنحها أيا منها.

ثامناً: أن جيمس: يرى أن الاعتقاد بوجود إله يقدم لنا أقوى دافع للحياة الجادة الصارمة ^(٢).

وأن الإكراه في مسائل الدين أو السلوك الاجتماعي هو خطيئة واستبداد، وإن الحقيقة تسود إذا ما سمح للناس بالاحتفاظ بآرائهم وحرية تصرفاتهم ^(٣).

جون لوك ^(٤): الفيلسوف الانجليزي جون لوك كتب في موضوع العلمانية:

ينبغي على الدولة من أجل الوصول إلى دين صحيح، أن تتسامح مع جميع أشكال الاعتقاد دينياً أو فكرياً أو اجتماعياً، ويجب أن تنشغل في الإدارة العملية وحكم المجتمع فقط، لا أن تنهك نفسها في فرض هذا الاعتقاد،

(١) ينظر: الوجيز في المذاهب الفكرية المعاصرة، (ص ١٠٣).

(٢) المرجع السابق: (ص ٩٦٦-٧٠٠).

(٣) النزعات الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام، كارين آرمسترغ، درا الكلمة، دمشق، ٢٠٠٥م، (ص ١٠٣).

(٤) الفيلسوف والمفكر الانجليزي (١٦٣٢-١٧٠٤) أحد الداعين إلى نظام يفصل الدين عن الدولة ويطلق الحريات العامة. ينظر: النزعات الأصولية، (ص ٩٠).

ومنع ذلك التّصرف، ويجب أن تكون الدولة منفصلة عن الكنيسة، وألا يتدخل أيّ منهما في شؤون الآخر، وهكذا يكون العصر هو عصر العقل، ولأول مرة في التاريخ البشري سيكون الناس أحرارًا وبالتالي قادرين على إدراك الحقيقة^(١).



(١) النزعات الأصولية مرجع سابق (ص ٩٠).

المطلب السادس

نقد إبعاد الدّين عن مجال الحياة

المتأمل لهذه المذاهب الفكرية المعاصرة التي نبعت من الغرب، يتحد أهدافهم وغاياتهم التي من أجلها يضحون ويسهرون ليلاً ونهاراً، ويبدلون قصارى جهودهم في السعي والدعوة إلى مذهبهم الباطلة الهدامة، وجميعهم أو أغلبهم يتسمون بمحاربة ومواجهة الدين الإسلامي بكل الوسائل والطرق المؤدية إلى ذلك؛ مستخدمين ألفاظاً جذابة وملفتة لأنظار الناس، وشعارات براقية مثل الإنسانية والمحبة والمودة والرحمة والحرية والمساواة والعدالة، حسب زعمهم وفي الحقيقة هي دعوة إلى العلمانية اللادينية والإلحادية والحياة الشهوانية الحيوانية وتدعو إلى القوة الغضبية والفواحش كما قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى**: (أصول المعاصي ترجع إلى ثلاثة كلها كبارها وصغارها تعلق القلب بغير الله وطاعة القوة الغضبية والقوة الشهوانية وهي الشرك والظلم والفواحش فغاية التعلق بغير الله شرك، وأن يُدعى معه إله آخر، وغاية طاعة القوة الغضبية القتل وغاية القوة الشهوانية الزنا، ولهذا جمع الله سبحانه بين الثلاثة في قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨]. وهذه الثلاثة يدعو بعضها إلى بعض، فالشرك يدعو إلى الظلم والفواحش، كما أن الإخلاص والتوحيد يصرفهما عن صاحبه^(١).

(١) ينظر: الفوائد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية بيروت، ط ٢، ١٣٩٣ هـ، (ص ٨١).

وإبعاد الدين عن الحياة أو إقامة الحياة على غير الدين في جميع مجالات الحياة.

معناها تشتمل أصول المعاصي الثلاثة الشرك، والظلم، والفواحش، فإذا اجتمعت بهذه الثلاثة فتنقلب حياة الإنسان إلى حياة بهيمية حيوانية منفلة مفسدة وهذا هو الواقع الصحيح، ولا عبرة بمرأوتهم في زعمهم أنهم يراعون التدين، فإنها مجرد خداع للمتدينين، ويسمون هذا الإلحاد علمًا هو من باب فرحهم بمعرفتهم ظاهرًا من الحياة الدنيا، وأين هو من العلم الحقيقي الذي يوصل صاحبه إلى معرفة بربه ودينه، وإلى السعادة في الدنيا والآخرة^(١).

زعمًا أن الدين لا يلائم العصر الحاضر، ولا يتكيف مع العالم، والهدف من فصل الدين عن الحياة، أو إبعادها عن الحياة هو إقامة المجتمع على الإلحاد واللا دينية، أو فصل الدين عن الحياة^(٢). وهذا شرك فرعون وأمثاله ممن جحد دين الله عزَّ وجلَّ ورده ولا يقبل بالخضوع والانقياد له^(٣).

فلا بد أن يقمع الباطل، ويدحض بالحق حتى يزهره ويكون الداعية مراده نشر الرسالة الخالدة، وتحذيرا من النار في القوع إلى براغيث المذاهب

(١) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، لغالب بن علي عواجي، (٦٨٣/٣).

(٢) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (أكثر من ٩٠٠٠ موقف لأكثر من ١٠٠٠ عالم على مدى ١٥ قرنًا)، لأبي سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، النبلاء للكتاب، مراكش-المغرب، ط ١، (١٠/٤٩٣). وينظر: محو الأمية التربوية، لمحمد أحمد إسماعيل المقدم، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغ بعضها موقع الشبكة الإسلامية (١٧/١٢).

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، للشيخ ياسر بن حسين برهامي، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة لإسلامية، (٥/٢). <http://www.islamweb.net>

ودجاجيلهم؛ لأن من لم يجادل أهل الباطل ولم يكسر شوكتهم بالسنان والحجج والبراهين لم يؤدي حق الإسلام.

فدين الله تعالى شامل وصالح لكل زمان ومكان، وفيه وصيانة لحقوق الإنسان في دنياه وآخرته، أما العلمنة، والحرية المطلقة، والديمقراطية، وغير ذلك من المذاهب الفكرية المعاصرة التي تنادي إلى إبعاد الدين عن مجال الحياة بحثًا عن الحرية المطلقة، فهذا يتنافى مع الإسلام ويرفضه رفضًا قاطعًا لأن ذلك دعوة إلى ضدّ الإسلام.

حيث جاء الإسلام إلى حفظ الضروريات الخمس: الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال، وهذا من أعظم مقاصد الشريعة وقواعدها ومطلب من مطالبها.

فأحكام الشريعة شاملة لجميع مجالات الحياة عقيدة وعبادة، وأخلاقًا، ومعاملة، وشريعة وقانونًا، ودستورًا، وتنظيمًا واقتصاديًا وغير ذلك من مطالب الشريعة ومقاصدها.

قال ابن مسعود: (قد بين لنا في هذا القرآن كلّ علم وكلّ شيء).

وقال مجاهد: (كلّ حلال وحرام) وقول ابن مسعود أعمّ وأشمل؛ فإن القرآن اشتمل على كلّ علمٍ نافع من خبر ما سبق وعلم ما سيأتي، وكلّ حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم وهدى أي للقلوب ورحمة وبشرى للمسلمين^(١).

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١٠/٥١٠).

وقال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾

[الأنعام: ٣٨].

فالدّعوة: إلى إبعاد الدين عن مجال الحياة هي دعوة مضادة للفطرة السليمة.

قال تعالى: ﴿فِطَرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾

[الروم: ٣٠]. أي: لا تبدلوا فطرة الله، ودعوا الناس على فطرتهم^(١).

كما ثبت في الصحيحين: عن أبي هريرة قال: قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**:

«ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء»^(٢).

وقال الله **عَزَّجَلَّ** في الحديث القدسي: «إني خلقت عبادي حنفاء كلهم،

وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم»^(٣).

والخلاصة: أنّ المذاهب الغربية التي تنادي بإبعاد الدين عن مجال الحياة،

صارت مجتمعاتهم إلى أسوأ حال وضعف وتفلت واضطرابات نفسية، وفشا فيها الجرائم البشعة والقدرة.

(١) تفسير القرن العظيم، لابن كثير (٢/ ٤١٥).

(٢) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، برقم الحديث، (١٣٥٨). باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصل عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، (٢/ ٩٤).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، برقم الحديث: (٦٣)، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، (٤/ ٢١٩٧).

وبسبب نفسية هذا الإشباع المنادية للحرية وثمره الكفر بالله، والابتعاد عن دينه أثرت كثيرًا في أخلاقياتهم وقيمهم، وهذا انسلاخ من المروءة والقيم الإنسانية.

ومن ثم كانت هذه النظرية المادية البحتة للحياة، نظرة من شأنها أن تباعد بين الإنسان وفطرته الخيرة، وتسليخه من الطيبة والسماحة، ومحّب فيه عاطفة المحبة والرحمة، وتجعل منه عدوًا لنفسه وللبنشرية، وتجعله، شريّرًا يدب في الأرض^(١).

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾

[الأنفال: ٢٢].



(١) العلمانية وموقف الإسلام منها، للدكتور: حمود بن أحمد الرحيلي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤٢٤هـ، (ص ٩١).

المبحث الثاني

السّعي لإشباع النّفس والجسد الماديّ

التمهيد

لما خلق الله الانسان في أحسن صورته، وخلقها، ومكون من عنصرين الجسد والروح، وكلاً منهما غذائه غذاء الآخر، فالروح غذاءها الوحيين كتاب الله وسنة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال تعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَكْرَمْتُ وَلَا أَلَايَمَنُ﴾ [الشورى: ٥٢].

وأما غذاء الجسد فإن قوامه الأكل والشرب وليس هو المقصود بالخلق والإيجاد بل الهدف السامي لخلق الانسان هو العبادة. قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وليس إشباع النفس والجسم وهو خاو على عرشه من إيمان بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وتصديقه برسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كما فعلت رجال الكنيسة في أوروبا البابوية من ترف وملذات وشهوات يقول بوكاتشيو يتحدث عما في حياة رجال الدين من دعاة وقذارة ومن انغماس في الملذات طبيعية كانت أو غير طبيعية.

وصفات رجال الكنيسة أنهم: «خدم الشيطان» منغمسون في الفسق واللواط والبشرة، وبيع الوظائف الدينية، والخروج على الدين، وجد رجال الجيش أرقى خلقاً من رجال الدين، وها هو ذا أريتينو الذي لم يتورع عن

أي قذارة يسخر من الطابعين بقوله: (إن أخطاءهم لا تقل عن خطايا رجال الدين، ويزيد على ذلك. وظل كرسي البابوية عدة سنين بعد ذلك لا ينال إلا بالرشوة أو القتل أو رغبات النساء ذوات المقام السامي، والخلق الدني بالرشوة أو القتل أو رغبات النساء ذوات المقام السامي، والخلق الدني هذه الأقوال وغيرها تشهد لها السعي لإشباع النفس والجسد بدون بحث إلى سعادة النفس وغذائها.

وأتناول الموضوع مزيداً من البحث متبعاً بالمطالب الآتية.



المطلب الأول

النفس لغة واصطلاحاً، وأقسامها

النفس لغة: مفرد لها نفس ويجمع بالنفوس والأنفس، وتأتي بمعان عدة في اللغة العربية.

أولاً: النفس بمعنى الذات. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

نهى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عن قتل الرجل نفسه أي ذاته ^(١).

ويقال: جاء محمد: عينه: أي نفسه.

ثانياً: النفس بمعنى الحسد، أصابته نفس أي عين حاسد ^(٢).

ثالثاً: الأخ. قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكَاةٌ طَيِّبَةٌ﴾ [النور: ٦١]. أي: ليسلم بعضكم على بعض، جعل أنفس المسلمين كالنفس الواحدة.

قال ابن عباس: «فإن لم يكن أحد فعلى نفسه يسلم، ليقول: السلام علينا من قبل ربنا» ^(٣).

(١) ينظر: درج الدرر في تفسير الآي والسور، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، دراسة وتحقيق: (الفاخرة والبقرة) وليد بن أحمد بن صالح الحسني، (وشاركة في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، مجلة الحكمة، بريطانيا، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، (٢/ ٥٨٨).

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز؛ للمؤلف: مجد الدين، أبو طاهر، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧ هـ).

(٣) اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب

رابعاً: النفس بمعنى الدّم. والشاهد لهذا قول الشاعر:

تسيل على حد الطّبات نفوسنا وليست على غير الطّبات تسيل

خامساً: النفس. بمعنى التّمييز ^(١).

سادساً: النفس: خروج النسيم كيف كان، من ريح أو غيرها، وإليه يرجع فروعه ^(٢).

سابعاً: النفس: التنفس: خروج النسيم من الجوف.

ثامناً: النفس: تفريج الكروب ^(٣).

تاسعاً: الدم. نفاس المرأة عند ولادتها. والحائض تسمى النفساء لخروج دمها.

والنفاس: ولاد المرأة.

عاشراً: النفس: الولادة: ويقال: ورثت هذا قبل أن ينفس فلان، أي يولد. والولد منفوس. والنفاس. ومنها: الماء نفس ^(٤).

وقول الفقهاء للنفس: «ما له سائلة» أي دم.

تفسير النفس اصطلاحاً: هي (الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية).

العلمية-بيروت / لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨ م، (١٤ / ٤٦١).

(١) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (٦ / ٢٣٤).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، (٥ / ٤٦٠).

(٣) إصلاح المنطق، لابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، تحقيق: محمد مرعب الناشر:

دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ، (ص ٦٧).

(٤) المرجع السابق (ص ٦٧).

(والروح الحيوانية، فهو جوهر مشرق للبدن فعند الموت ينقطع ضوءه عن ظاهر البدن وباطنه. وأما في وقت النوم فينقطع عن ظاهر البدن دون باطنه)^(١).

(فتبين أن الموت والنوم منبعهما واحد، لكن يختلف كل واحد عن الآخر حيث إن النوم انقطاع جزئي من الجسد والموت انقطاع كلي من الجسد إذا فتعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة أضرب: إن بلغ ضوء النفس إلى جميع أجزاء البدن ظاهره وباطنه، فهو اليقظة، وإن انقطع ضوءها عن ظاهره دون باطنه، فهو النوم، أو بالكلية، فهو الموت)^(٢).

أقسام النفس في القرآن الكريم:

أولاً: النفس الأمارة بالسوء: قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣]. هي النفس التي تقود الإنسان إلى الشهوات والشبهات والملذات الحسية والمعنوية.

فهي مأوى الشرور، ومنبع الأخلاق الذميمة.

ثانياً: النفس اللوامة: قال الله تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢].

هي النفس التي تلوم صاحبها لاقدامها واقترافها المعاصي والذنوب وكلما صدرت عنها سيئة تتوب الى الله مع الندامة والحسرة.

ثالثاً: النفس المطمئنة: قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧].

(١) كتاب التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة

من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٣ هـ، (ص ٢٤٢).

(٢) المرجع السابق (ص ٢٤٢).

المطلب الثاني

مفهوم الرّوح والجسد لغةً واصطلاحاً،

وإطلاقها في القرآن الكريم

الرّوح لغة: جاءت بمعان عدة منها:

أولاً: الروح بمعنى. الريح وهو الأصل في هذا الباب.

ثانياً: الروح بمعنى نسيم الريح.

ثالثاً: الروح بمعنى التنفس يقال أراح الانسان إذا تنفس.

رابعاً: الروح ملك جبريل عَلَيْهِ السَّلَام. قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾

[الشعراء: ١٩٣].

خامساً: الروح بمعنى الرحمة ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْتِسُّوْا مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْكُفْرُوْنَ﴾ [يوسف: ٨٧] الروح بمعنى الرحمة.

سادساً: الروح بمعنى الفرج^(١).

سابعاً: الروح بمعنى الوحي قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

معنى الروح شرعاً: النفس التي يحيا بها البدن^(٢).

(١) فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب-دمشق، بيروت، ط ١-١٤١٤هـ، (٣/٥٩).

(٢) كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري تحقيق: د. مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال (٣/٢٩١).

نفسه التي يقوم بها جسمه.

وقيل: الروح خلاف النفس^(١).

الفرق بين الروح والنفس:

الروح والنفس واحد، غير أن الروح مذكر والنفس مؤنثة عند العرب^(٢).

اللطيفة الإنسانية: هي النفس الناطقة المسماة عندهم بالقلب، وهي في الحقيقة تنزل الروح إلى رتبة قريبة من النفس مناسبة لها بوجه، ومناسبة للروح بوجه، ويسمى الوجه الأول: الصدر، والثاني: الفؤاد^(٣).

وفي التنزيل العزيز يقول الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥].

ودلالة الآية أن اليهود سئلوا عن ماهية الروح وحقيقتها التي تدير بدن الانسان وانطلاق حياته فأجاب الله عن السؤال أي هو من جنس ما استأثر الله تعالى بعلمه من الأسرار الخفية التي لا يكاد يحوم حولها عقول البشر^(٤).

فحقيقة الروح لم يخبر الله بها أحداً من خلقه، وهو من علم الغيب الذي لا يعلمها الا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

(١) جمهرة اللغة، لأبو بكر محمد بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، ط ١، ١٩٨٧م، (١/ ٥٢٦).

(٢) تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، (٥/ ١٤٤).

(٣) كتاب التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، (ص ١٩٢).

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي-بيروت، (٥/ ١٩٢).

الآيات الواردة في كلمة الجسد والجسد في القرآن الكريم:

بعد التأمل والتفكر في كلمتي الجسم والجسد في القرآن الكريم يتبين للقارئ أنّ هناك تقارباً في اللفظ وتغاير في المعنى، حيث يطلق الجسم على الذي فيه حياة وروح وحركة، وأما الجسد فيطلق عليه الصورة الجامدة أو بدن الانسان بعد وفاته، ويشهد لهذا آيات في كتاب الله عزّوجلّ منها قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

أي: يخبر الله تعالى عن قصة طالوت مما آتاه الله من النعم العظيم من التوسع والانبساط في العلم والطول التام في الجسم^(١).

وقال تعالى عن اهتمام المنافقين بأجسامهم على حساب قلوبهم، واهتمامهم بالصورة والشكل على حساب المعنى والمضمون: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ حُشْبٌ مُسَدَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤].

يستفاد من الآيتين السابقتين في معنى الجسم الذي هو الكائن الحيّ الموجود؛ لأن طالوت ملك حيّ والمنافقون بشر أحياء لم يموتوا بعد.

أما كلمة جسد فقد وردت أربع مرات في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمٌ مُّوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨]، وقال تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾ [طه: ٨٨].

(١) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ٤١٨ هـ، (ص ١٠٣).

ففي الآيتين الكريمين فيها تنبيه أن العجل الذي عبدوا بنو اسرائيل ما كان حيّاً بل صنعه السامري بيده من الذهب.

وأطلقت كلمة الجسد على ابن سليمان **عَلَيْهِ السَّلَامُ** الذي وُلِدَ ميتاً مشوّهاً، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧، ٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤].

فالآية تتحدث هنا عن جسد ألقى على كرسي سليمان **عَلَيْهِ السَّلَامُ** لا روح فيه ميتا كان أو غير كامل الخلقة.

وبهذا نعرف الفرق بين الجسم والجسد في القرآن الكريم، فالجسم يُطلق على البدن الذي فيه حياةٌ وروحٌ وحركة، والجسد يُطلق على التمثال الجامد، أو على بدن الإنسان بعد وفاته وخروج روحه.



المطلب الثالث

شواهد إشباع النفس والجسد

من المذاهب الفكرية المعاصرة



إن المذاهب الفكرية المعاصرة التي نشأت في الغرب جميعها أو أغلبها، تميل إلى إشباع النفس والجسد المادي الخالي من الدين، ويشهد لهذا قول أحد منظري ومؤسسي المذاهب الفكرية المعاصرة وهو:

قول وليم جيمس: وهو يتحدث عن وظائف الدين بعد الإنكار.

يمنح الدين للمرء الشعور بالطمأنينة والسكينة والراحة عندما يشعر بأن مصيره وقدره بيد خير من يده.

ولذا جعل المنظرون في المذاهب أن الدين مجرد اشباع لحاجة بعض البشر، وليس عن إيمان بالدين أو الإله، فإن انتهت الحاجة والمنفعة من الدين والإله فإن له الحق في تركه والتنازل عنه، فهم لا يهتمون بأن يكون هناك إله موجود معبود، أو أن يكون هناك شيطان معبود أو صنم، المهم أن تكون هناك عبادة تهادى وتسكن المتسبب إليها فتتفعه^(١).

صور إشباع النفس والجسد لدى المذاهب الفكرية:

أولاً: صور مذهب الماسونية في اشباع النفس والجسد:

تدعو إلى الإباحية، والسعي لإشباع النفس والجسد.

(١) ينظر: الوجيز في المذاهب الفكرية المعاصرة، للدكتور: أحمد بن عبد العزيز الخلف (ص ١٠٣-١٠٥).

ومن أبرز أهدافها: بث روح الإلحاد والإباحية بين الشعوب، وتهدف الماسونية من وراء ذلك إلى فك العرى التي تربط هؤلاء المتدينين بدينهم، ومن ثم حل كل روابط الالتزام والولاء لأحكام وشعائر الدين وقيمه. يقول السيد عبدالله التل^(١) وتنص تعاليم الماسونية السرية على تقديس الجنس والحرية التامة لنشر الإباحة^(٢).

يقول رئيس محفل الشرق الأكبر العالمي محمد رشاد فياض: الماسونية ليست عمالة لأية ديانة، أو عنصرية معينة، إنها عقيدة العقائد، وفلسفة الفلسفات، مزينة بالمبادئ الإنسانية، هي عقيدة لجميع أبناء البشرية، دون تفریق أو تمييز^(٣).

(١) عبدالله التل (١٩١٨-١٩٧٣)، قائد عسكري أردني ومفكر قومي إسلامي. أحد قادة الجبهة الأردنية بحرب فلسطين عام ١٩٤٨م (الكتيبة السادسة) والقائد العسكري لجبهة القدس وسمي قائد معركة القدس. كتب كتاب كارثة فلسطين عام ١٩٥٩ اتهم فيها القيادات بصنع الهزيمة كما نشر كتاب الأفعى اليهودية في معازل الإسلام. وله أيضاً كتاب بعنوان (خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية) وقد تمت طباعة الكتاب ثلاث مرات، ولد في مدينة إربد عام ١٩١٨، وينتمي لأحد أعرق وأقدم عشائرها عشيرة التل، أنهى دراسته الثانوية في مدينة السلط، وحصل على شهادة الاجتياز العالية عام (١٩٣٧)، وعلى دورة أركان الحرب من بريطانيا عام (١٩٤٦) ثم ماجستير آداب من جامعة الأزهر (١٩٦٥). كان ملازماً في الجيش العربي عام ١٩٤٢، ثم عين حاكماً عسكرياً للقدس (١٩٤٨-١٩٤٩). يوجد حالياً في إربد مسقط رأسه مسجد يحمل اسمه. ينظر: الموسوعة الحرة، تاريخ الزيارة: «معلومات عن عبدالله التل على موقع viaf.org. مؤرشف من الأصل في ١٠ ديسمبر ٢٠١٩ ١٢/٥/١٤٤٢هـ، الساعة: ٥:٣٦م.

(٢) ينظر: دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة نشأتها منطلقاتها الفكرية، للدكتور: أحمد بن علي عبدالعال، (ص ٣٨-٤٣).

(٣) ينظر: الإسلام والحضارة الغربية، للدكتور: محمد محمد حسين، (ص ١٩٦). ودراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة، (ص ٢٩٩).

ثانياً: صور إشباع النفس والجسد لدى البرجماتية:

- ١- النتائج والحقيقة محصورة في المنفعة الظاهرة فقط.
- ٢- مبادئها تقوم بمبادئها وأفكارها على خليط من الفلسفات القديمة.
يقول: وليم جيمس. البرجماتية ليست جديدة بل هي تتناغم مع كثير من الاتجاهات الفلسفية القديمة الإغريقية^(١).
- ٣- أن الغاية تبرر الوسيلة.
- ٤- تغيير نية الحقيقة من عصر إلى آخر، ويصدق هذا قول وليم جيمس:
على الإنسان أن يعيش يومه وفقاً للحقيقة التي أمكن الوصول إليها، وأن يكون في الوقت ذاته مستعداً لوصفها بالباطل غداً، إذا لم تكن موافقة ونافعة لذلك الوقت.
- ٥- إنكار القيم الذاتية النهائية المطلقة، أي ليس هناك قيم نهائية مطلقة يؤسس عليها؛ لأنها ليست حقائق، لذلك يُعرّف وليم جيمس الطريقة البراجماتية بأنها: تحويل النظر بعيداً عن الأشياء الأولية، مثل المبادئ، النواميس الفئات، الحتميات المسلم بها، وتوجيه النظر نحو الأشياء الأخيرة، الثمرات والنتائج، الآثار، الوقائع، الحقائق.
- ٦- الاعتقاد باستحالة الحقائق.
- ٧- تجعل الفائدة العملية معياراً للتقدم، بغض النظر عن المحتوى الفكري أو الأخلاقي أو العقدي.

(١) الاتجاهات الفكرية، (ص ٦٦).

أما دليل إشباع رغائب النفس والجسد عند البرجمانية يقول جيمس وهو يتحدث عن وظائف الدين أن الدين يمنح المرء الشعور بالراحة والطمأنينة والسكينة عندما يشعر بأن مصيره وقدره بيد خير من يده^(١).

ثالثاً: صور إشباع النفس والجسد لدى الوجودية:

الوجودية وليدة الفلاسفة اليونانية القديمة؛ لكن لم تستقل كفرّة معينة لها أسسها ومبادئها وأعلامها، وفي بداية القرن التاسع عشر ظهرت شوكة الوجودية على يد المؤسس سورين كير كجورد^(٢) لعام: ١٨١٣م-١٨٥٥م وأشهر زعمائها جان بول سارتر^(٣) الفيلسوف الفرنسي الذي ولد عام: ١٩٠٥م وهو ملحد يناصر اليهودية الصهيونية.

من أسباب نشأتها:

- ١- الصورة القاتمة التي فرضتها الكنيسة المسيحية والتي بعدت بها عن الاستجابة لطائع النفوس، وما فيها من تعقيدات وأسرار وفضائح.
- ٢- الموت بالحروب وامتهان حرية الإنسان وكرامته بداية بغوغائية الثورة الفرنسية.

٣- الماركسي الذي فسر التاريخ تفسيراً مادياً وبنائه على أساس طبقي جعل الفرد فيه مجرد ترس في آلة الجماعة لا أهمية له ولا قيمة لوجوده^(٤).

(١) الموسوعة الميسرة، (٢/ ٨٣٢).

(٢) مفكر صوفي دناركي ورائد المذهب الوجودي انتقد الكنيسة واتهمها بالنقص في الوجود والتقوى، الفكر الاوربي، (ص ٧٢٩).

(٣) سبقت ترجمته في التمهيد.

(٤) الإيدولوجيات والفلسفات المعاصرة، (ص ١٩٠)، وقضية العناية (ص ٣٧٩).

من أهداف الوجودية إشباع النفس والجسد وله أدلة منها:

قول سارتر: (ينبغي أن تكون حياة الوجودي هي توديع ما يسميه الجبناء وجدانا وضميرا والاستجابة لداعي الحيوانية، وتلبية كل ما تدعو إليه شهواته ونبد كل التقاليد والتعاليم الاجتماعية، وما تواطأ عليه الناس من الجهة الأخلاقية، وتخطيط القيود التي ابتدعتها الأديان والفلاسفة وتبناها المدنية، ثم تطبيق الماضي وسلخ المرء نفسه منه متوجّهاً إلى الأمام إلى المستقبل قفزاً، إلى المصير المحتوم إلى الهاوية إلى الموت والعدم الأبدي)^(١).

رابعاً: صور إشباع النفس والجسد لدى مذهب الحداثة:

- ١- إعلان الحرب على الله تعالى ورسله ﷺ وذلك برفض القرآن الكريم والسنة المطهرة وأحكام الشريعة الإسلامية ظاهراً وبواحاً^(٢).
- ٢- محاربة اللغة العربية.
- ٣- الدّعوة إلى محو الإسلام تحت الفكر الشيوعي.
- ٤- نشر أفكارهم على استحياء^(٣).

خامساً: صور إشباع النفس والجسد في الروتاري والليونز:

التعريف به:

لغة: كلمة لروتاري كلمة انجليزية تعني: الدارون، أو المناوبة، وقد سميت بذلك، لأن النادي كان يعقد اجتماعاته في مكاتب، أو منازل الأعضاء بالتناوب، وكذلك كانت رئاسة النادي بالتناوب بين الأعضاء المؤسسين.

(١) ينظر: الاتجاهات الفكرية (ص ٧٩).

(٢) المرجع السابق (ص ٢١٨).

(٣) ينظر: التيارات الوافدة وموقف الاسلام منها، للدكتور: محمود محمد مزروعة، (ص ٢١٧-٢١٩).

واصطلاحاً هو: ناد أو جمعية يهودية ماسونية عالمية.

قام هذا النادي ليؤدي نفس الأهداف التي تؤديها الماسونية، بل إن الماسونية قد أنشأت هذه النوادي لتحل محلها.

نشأة الروتاري: أسس هذا النادي رجل أمريكي محامي يدعى بول هاريس في عام ١٩٠٥ م.

من وسائل الروتاري:

- ١ - إقامة حفلات بين الشباب والفتيات يتم التعارف وسط حفلات صاخبة تظل حتى بزوغ الفجر تتسم بالتحلل والإباحية والتهتك.
- ٢ - ابتعاث الشباب والشابات إلى دول أجنبية لمدة ثلاثة شهور^(١).

من أهداف الروتاري:

تقوم على العناصر الآتية:

- ١ - تقويض بنسيان الأخلاق والقيم والأديان بعامّة، والإسلام بخاصة.
- ٢ - إفساد الدين والخلق، وإشاعة الانحلال والتفسخ الخلقي والاجتماعي.
- ٣ - تمكين اليهود من السيطرة على العالم.

أما مفهوم الليونز: ومعناها: الأسود.

اسم يطلق على عدد من النوادي التي تنتشر في مائة وخمسين دولة من دول العالم، أما فروعها فأكثر من ذلك بكثير. ويدلسون على الناس

(١) ينظر: التيارات الوافدة وموقف الاسلام منها، للدكتور: محمود محمد مزروعة (ص ٢٦٧-٢٦٩).

أنها أنشت لأغراض خيرية يعود خيرها على المجتمع، وفي الواقع فرع عن الماسونية ومنظمة صهيونية.

تأسست على يد ملفن جونز رجل امريكي، من رجال الأعمال.

ومن أهدافها: اشاعة الانحلال والتفسخ الاجتماعي حتى تنهار المجتمعات من داخلها، فتتمكن منها اليهودية العالمية^(١).

سادساً: صور اشباع النفس والجسد في مذهب الإنسانية:

إن فلسفة المذهب الإنساني في أوروبا ارتكزت على حرية الإنسان المتمثلة بالإختيار الحر حيث كرامة الإنسان، واعتماد الفرد على ملكتي المعرفة والإرادة، وحتى الآن لم تكشف التجربة أو التواترية قدرة روحانية تفوق هذه^(٢).



(١) المرجع السابق: (ص ٢٧١، ٢٧٢).

(٢) ينظر: إنسانية الانسان، رالف بارتون بري، ترجمة، سلمى الخضراء الجيوسي، مكتبة المعارف، بيروت (ص ٣٤).

المطلب الرابع

نقد إشباع النفس والجسد

إنّ المذاهب الفكرية التي ظهرت في الغرب جميعها أو أغلبها مبنية على المادّة، والبعد عن الدّين والقيم السّامية، والسّعي إلى إشباع النّفس واللّهث وراء الشّهوات والإستمتاع، نتيجة ما لقوا من طغيان رجال الدّين وفسادهم، وتعبيد الكنيسة ورجالها؛ إذا أنّ جميع المذاهب تشترك في مفهومها للدّين والأخلاق، وإن كان هناك فرق بسيط، وأكثرهم يعتقدون أنّ الدّين أساس واضح للتّدهور النّفسي والاجتماعي، وهذا اعتقاد باطل معارض للفطرة السّليمة والدّين القويم؛ لأنّ سعادة النّفس في الدّارين الايمان بالله والعمل الصّالح، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

هذا وعد من الله تعالى لمن آمن وعمل صالحًا التابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه **صلى الله عليه وسلم** من ذكر أو أنى، بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت، من الرزق الحلال والقناعة، وانسراح الصدر والطمأنينة، والسّعادة في الدّارين^(١).

وأما الإعراض عن دين الإسلام وتعويضه بملذات الدّينا وزخرفها وزينها فهي عين الشقاء في الدّارين، ويترتب عليها عقوبة في الدنيا قبل

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٥١٦/٤).

الآخرة من قلق واضطرابات نفسية وأمراض جسدية وكثير الهموم والنكبات قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ [١٣٤] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى ﴿ [طه: ١٢٤-١٢٧].

قال ابن عباس: (المعيشة الضنك هي أن يضيق عليه أبواب الخير فلا يهتدي لشيء منها، والمعيشة الضنك هي معيشة الكافر؛ لأنه غير موقن بالثواب والعقاب) (١).

وإن راحة النفس وطمأنينتها وسعادتها في الدارين الايمان بالله، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

أما فكرة المذاهب في إشباع النفس والجسد الخالي من الإيمان بالله، والعمل الصالح. فهو مخالف للواقع والحق المستبين، حيث إن الانسان اذا اشتدت عليه الكروب والهموم من متاعب الدنيا ومصائبها من مرض وفقر ومصائب فلا يفر ولا يفرج إلا الله الواحد القهار وهذا موافقا للفطرة السليمة والعقل السليم.

وكما أن الإسلام يدعو إلى تقوية التكافل الإجتماعي، والعمل الجماعي، بضوابطه وشروطه المتوافقة مع الشريعة السمحاء.

أما الليبرالية فإنها تدعو إلى الفردية الحرية المطلقة كإطلاق عنان الفرس

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، مطبعة بولاق الأميرية - القاهرة، ١٢٨٥ هـ، (٢/ ٤٩٠).

بإنغماس الشهوات والإشباع الجسدي والنّفسي تحقيقاً لهوى النفس وهذا لا ينسجم مع مقاصد الشريعة وأحكامها المنزلة من فوق سبع سموات^(١).

وأما حياة الأوروبيين فصادفت حياة اليونانيين والرومانيين الوثنيين في خلو الروحانية والتدين وقلة الخشوع والجد في أعماله، وكثرة اللهو والطرب في الحياة، وهو نتيجة الوضع الديني الذي وصلت إليه أوروبا، فإنه لا يتفق مع الخشوع لله والجد في عبادته، ونتيجة تلك النظريات والغايات التي وصل إليها علماء الطبيعة والحكمة في أوروبا وأعلنوها، تلقاها الجمهور بالقبول وحلت محل الدين.

وترى كذلك تهافتاً على ملذات الحياة تهافت الظمآن على الماء والفراش على النار والحرص على اقتطاف جني الحياة وثمارها باليدين، كما وصف به سقراط الرجل الجمهوري اليوناني في عصره. وكذلك ترى شكاً في الدين واضطراباً في العقيدة، واستخفافاً بالنظام الديني وطقوسه وتقاليده، في روما بعد التنور^(٢).

قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ**: «وهو يصف عن أحوال النفس: لا تنكر تسمية هذه القوى نفوساً، فأنت تجد فيك نفساً حيوانية تطلب الطعام والشراب فليس الشأن في التسمية ونفساً مفكرة سلطانها على التصور والعلم والشعور، ونفساً غضبية سلطانها على الغضب والإرادة وتضرب كل واحدة منها فيما

(١) ماذا خسر العالم بالانحطاط المسلمين، لعلي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي، مكتبة الإيمان، المنصورة - مصر، طبعة شرعية جديدة منقحة ومحققة ومزودة، (ص ١٦١).

(٢) المرجع السابق (ص ١٦١).

جعلت إليه، وبعضها عون لبعض فمحل النفس الحيوانية الكبد، ومحل المفكرة الدماغ، ومحل الغضبية القلب»^(١).

جملة من آيات الله البينات التي تحذر السعي وراء الدنيا وزينتها

بإيجاز:

أولاً: قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود: ١٥].

ثانياً: قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩].

(كل إرادته مقصورة على الحياة الدنيا، وعلى زينتها من النساء والبنين، والقناطير المقنطرة، من الذهب، والفضة، والخيول المسومة، والأنعام والحراث. قد صرف رغبته وسعيه وعمله في هذه الأشياء، ولم يجعل لدار القرار من إرادته شيئاً، فهذا لا يكون إلا كافراً، لأنه لو كان مؤمناً، لكان ما معه من الإيمان يمنعه أن تكون جميع إرادته للدار الدنيا، بل نفس إيمانه وما تيسر له من الأعمال أثر من آثار إرادته الدار الآخرة)^(٢).

وقال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ [آل عمران: ١٤].

(١) ينظر: التبيان في أقسام القرآن، للإمام: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان (ص ٣٦٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ السعدي، (ص ٣٧٨).

كانت فترة الكنيسة المحرّفة قد استغرقت صنوفاً من ملذات الدنيا
واشبع الجسدي وإهمال الجوانب الروحية والسعي وراء زينة الحياة الدنيا
هذا في عهد الكنيسة فما بال بعد انقراضها فقد ساد في مجتمعات أوروبا
السعي وراء ملذات الدنيا وزخرفها ومتاعها ونسوا الآخرة.



المبحث الثالث

إهمال الجوانب الروحية

المطلب الأول

نماذج من محاربة الجوانب الروحية

من البديهيات لدى العقلاء والمفكرين، (أن الإنسان يتألف من روح وجسد، ولكل منهما شأن خاص به، فكما يحتاج الإنسان للرعاية الجسدية المادية يحتاج للرعاية الروحية، والرعاية الروحية أهم بكثير من أختها الجسدية، والمشاكل البشرية كلها تنمو من إهمال الجانب الروحي، والإنسان إذا ضمن سعادة الروح ضمن سعادة الجسد أيضًا ولا عكس فيه إطلاقًا)^(١).

وأكثر المذاهب الفكرية أهملوا الجانب الروحية، وركزوا على المحسوس والملموس فقط دون عناية للجوانب الروحية وغذاء الروح إنما يكون من الوحيين، ولها أمثلة كثيرة؛ لكن أورد نماذج منها:

أولاً: الرأسمالية:

التي أهملت الجانب الروحي فكل أهدافها يركز حول المادة الملموسة المحسوسة، ولكل قوم وارث، ورثت من الجاهلية الرومانية عبادة الجسد في صورة شهوات حسية، وتزيين الحياة الدنيا لزيادة الاستمتاع الحسي بها إلى أقصى الغاية، ومن ثم الإهتمام البالغ بالعمارة المادية للأرض.

(١) الثورة البائسة، للدكتور: موسى الموسوي، (ص ٢١٤).

وورثت منهما معا نزعة الاستعمار، واستعباد الآخرين من أجل شهوة السيطرة من ناحية، ومن أجل زيادة الفراهية الحسية من ناحية أخرى، أدى إلى انتكاسة هائلة في الجانب الروحي والقيم المعنوية اللازمة لحياة الإنسان

ثانياً: مذهب الوجودية:

هم الذين أهملوا وأنكروا الجوانب الروحية؛ لإنكارهم وجود خالق الكون ومدبره ومصرفه، ورفضوا كل القيم، وكل القوانين الموضوعية، وهي ادعاء عدمية قد أفرغت حتى ظاهرة الموت نفسها من معناها على يد «سارتر»^(١).

ودعو البشر إلى التشكيك في جدوى قيام كل ما يتسم بروح الجسد وطابعه، فهي فلسفة انحلالية عدمية تماماً والعياذ بالله، وفلسفة الوجودية ترفض الايمان بالله، وكل ما يتعلق بالجوانب الروحية، واعتقاد الإنسان، ومع ذلك ليس عندهم بديل.

والإنسان الذي تحاول تأليهه محصور ومقهور أمام الأقدار الكونية، وأمام وضعه التاريخي المحدد^(٢).

ثالثاً: مذهب الفكر المادي:

ينسب الفكر المادي إلى المادة وهي كل ما هو محسوس من هذا العالم. ويراد بها كذلك ما يقابل عالم الغيب، ويقصد بالمحسوس عندهم كل ما يمكن أن يدرك مادياً، سواء بالحواس العادية، أو بالآلات المساعدة على

(١) سبقترجمته.

(٢) جهود العلماء والباحثين في المملكة العربية السعودية في مواجهة التيارات الفكرية المعاصرة، حمد بن عبدالله بن حمد الصقعي، (ص ٤٣٠، ٤٣١).

ذلك، فالأفلاك والإنسان والحيوان والنبات والجماد، وكل العناصر التي تتركب منها هذه الموجودات وتتألف من ذراتها، كل ذلك يدخل في نطاق ما يسمى بالمادة، وتنسب اليه المذاهب المادية.

ومن ثم يمكن تعريف الفكر المادي بأنه: « الفكر الذي يقوم على اليقين المطلق بعالم الحس، والثقة المطلقة في المادة التي يتكون منها هذا العالم، ثم الإنكار المطلق لما وراء العالم المادي من عوالم الغيب، وعدم الإقرار بشيء مما فيه »^(١).

خصائص الفكر المادي:

أولاً: خصائص في مجال الألوهية:

قام أصول المذهب المادي بإنكاراً وجود خالق الكون إنكاراً مطلقاً بلا مرأى، بينما أقرّ وشهد بوجود الله وألوهيته وربوبيته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** كُلٌّ من في الأرض من بشر وحيوان وجمادات وجمال: قال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [الإسراء: ٤٤].

فالكون كله من بشر وحيوان وجمادات يسبح الله تعالى فهم مشغولون وملهمون في تنزيه الله **عَزَّ وَجَلَّ**، بكرة وعيشة ليلاً ونهاراً، أما المذاهب المادية فقد أنكرت وجود الله، وجعلت المادة هي الفاعلة في كل شيء من بدايته إلى نهايته.

ثانياً: خصائص في مجال التشريع:

يتضح مما سبق أن الماديين أنكروا وجود الله فمن باب أولى إنكار ما يثبت هذا الوجود من إنزال الوحي المبين، وما يضمن من تشريعات وأحكام

(١) المرجع السابق (ص ٤٣٠، ٤٣١).

ودستور، فالإنسان عندهم هو المصدر التشريعي عند المذهب المادي، وهذا سمة مشتركة بين المذاهب الفكرية المعاصرة.

ثالثاً: خصائص في مجال الأخلاق ومسئولية الفرد:

إن المذهب المادي عار عن الأخلاق والقيم والمبادئ العامة وهذا واضح بطبيعة حال الماديين وأفكارهم؛ لأنهم يؤمنون إلا بالمادة أو الفاعلة، فالقيم من حق وخير، وجمال، وبر، وإحسان، وفضيلة، وحسن، وصلاح، وعدل، وصدق، وحكمة، وعفة، وطهر، إلى غير ذلك من قيم ومبادئ خلقية دينية لا يهتمون بها.

رابعاً: خصائص في مجال النفس والروح:

الفكر المادي ينكر الروح والنفس إنكاراً تاماً، ذلك أن النفس والروح غيب عن مداركهم الحسية؛ لأنها ليست مادية، وكل غيب ينكرونه ولا يعترفونه.

خامساً: خصائص في مجال الحياة والموت:

من الطبيعة أن من أنكر الروح والنفس ينكر مآلها ونهايتها بعد الموت وحياة البرزخ وبعدها البعث والنشور والقيامة والجنة والنار^(١).

والماديون يرودون الحياة والموت إلى المادة كعادتهم الأول، ويعتقدون بأن الحياة تنشأ في الكائنات نتيجة تفاعلات كيميائية معينة لخصائص العناصر المادية التي يتكون منها الكائن الحي، وهذه التفاعلات الكيميائية إذا تحققت

(١) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة، عرض ونقد، للدكتور، محمود محمد مزروعة، كنوز المعرفة، جلد (ص ٢٩-٣٣).

على نسق ونظام معين نشأت عنها الحياة، ويظل الكائن حيًا بصحة جيدة مادامت التفاعلات، فإذا نقص في العناصر المادية، نتيجة ميكروبات أو فيروسات معينة، مرض الكائن الحي وضعف، فإذا ما وصل الخلل في التفاعلات الكيميائية لعناصر المواد حدًا معينًا فقد الكائن حياته ومات، فهم يرجعون الحياة إلى تفاعلات المادة، والصحة والمرض كذلك، والموت إلى خلل أو عطب يلحق تلك العناصر المادية فيبطل تفاعلاتها وينهى من نشأ عن هذه التفاعلات من حياة^(١).

سادسًا: خصائص في مجال العقل والفكر والمشاعر والوجدان:

لا يختلف الكلام هنا كثيرًا في الحديث عن الفقرة السابقة من مواقف الماديين بالنفس والروح، والحياة، والموت، فإن الماديين كما ردوا قضية الموت والحياة إلى المادة، فهم - كذلك - يردون قضايا العقل والفكر، وكل ما يتصل بذلك من ذكاء أو غباء، ومن علم أو جهل، ومن تذكر أو نسيان، كل ذلك يردونه إلى تفاعلات عناصر المادة داخل تلك المادة البيضاء الهلامية الساكنة في تجويف رأس الإنسان، فهم يقولون إن العقل والفكر وما يتصل بهما يرجع إلى العمليات الكيميائية داخل المخ.

كذلك يرجعون الأحاسيس الباطنة، والمشاعر، والوجدانيات من حب وكره وسعادة أو تعاسة، ورضا أو غضب إلى غير ذلك، كله يرجعون إلى المادة وتفاعلاتها داخل الإنسان.

(١) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة، عرض ونقد، للدكتور، محمود محمد مزروعة، كنوز المعرفة، جلة (ص ٣٣، ٣٤).

سابعاً: خصائص في مجال الدين بشكل عام:

إن المادة هي كل شيء لدى الماديين، لا شيء في الوجود سواها، بل إن كل شيء في الوجود راجع إليها، حتى قضية الموت والحياة والعقل والفكر، وغير ذلك.

ومادام الامر كذلك؛ فلا مجال عندهم للكلام عن عوالم غيبية من مثل الملائكة والجن، والشياطين، فضلاً عن الله الخالق المحي المميت، الذي بيده الخلق والأمر، ولا سبيل كذلك للحديث عن الدين، الا اذا كان الحديث عن الدين يأتي في مجال التهكم به والسخرية^(١).

ومن سماتهم في الدين بشكل عام في المذاهب الفكرية المعاصرة:

- ١- أن الدين خرافة وأساطير بدائية.
- ٢- أن الدين خداع وتضليل وتخلف.
- ٣- أن الدين مخدر الأمم وأفيون الشعوب.

ويشهد لهذه العناصر أو البنود مقولة: دافيد هيوم^(٢): حيث قاس وجود الله بالساعات البشرية ويقول: «لقد رأينا الساعات وهي يصنع في المصانع، فعرفنا أن لها صانعاً، ولكننا لم نر الكون وهو يصنع في المصانع، فيكف نسلم بأن له صانعاً.

ثم قال عن علم الحركة العلوية، أو الميكانيكا السماوية كما أطلق عليه، وبمناسبة ظهور كتابه هذا استدعاه نابيلون ووجه اليه سؤالاً عن عمل

(١) المرجع السابق (ص ٣٣، ٣٤).

(٢) سبق ترجمته.

القدرة الإلهية في تنظيم الأفلاك السماوية، فقال عالم الفلك مجيباً سائله الكبير إنني لم أجد في نظام السماء ضرورة للقول بتدبير إلهي.

ويعد قياس دافيد هيوم قياس مع الفارق، حيث إن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لا يقاس بال مخلوق ولا يماثله ولا يشابه أحداً من مخلوقاته ولا ندّ له ولا مثيل مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

فالله لا يقاس بأحدٍ لأنّ الله خالق وما سواه مخلوق، قياسهم باطل من كل وجه.

ثامناً: خصائص في مجال الوجود بصفة عامة:

تقوم المذاهب المادية على أساس أن المادة- من حيث الوجود هي:

١- أنها قديمة أزلية؛ فهي ليست حادثة، ولم تسبق بعدم، بل هي موجودة أزلاً ووجودها لا أول له.

٢- أنها أبدية دائمة، بمعنى: أنها لا تفنى على الإطلاق، لأن طبيعتها لا تقبل الفناء أو العدم.

٣- أن المادة تملك داخلها إمكانات ديمومتها أزلاً وابدأً، أي: أن طبيعتها وقوانينها وامكاناتها تعطيها خاصية الأزلية وجوداً، والأبدية بقاءً واستمراراً.

٤- أن المادة قابلة للتحويل من صورة إلى صورة، وقابلية المادة لهذه التحويلات قابلية لا نهائية.

٥- أن المادة بما فيها من خصائص وإمكانات غنية بنفسها من مدبر يدبرها، أو حكيم يصرفها.

٦- أن المادة جادة، لكن الحياة نشأت تحت ظروف معينة، ونتيجة تفاعلات كيميائية لخصائص المادة، ولم تنشأ الحياة في هذا الكون نتيجة قوة خالقة، وراء المادة أو مفارقة لها^(١).

هذه أهم خصائص المادة لدى الغربيين بصورة عامة، وهي سمات مشتركة بين المذاهب الفكرية المعاصرة منها سمة إهمال الجوانب الروحية وسمة الإلحاد^(٢).

وهذه أسس وقواعد أمهات الماديين ونظرياتهم، ومنها إهمال الجوانب الروحية، ويعدّ سمةً مشتركة بين المذاهب الفكرية المعاصرة؛ لأن من عوامل النشأة وأهدافها ردّة فعل الكنسي؛ وما يمارس رجالها وبابويها، من طغيان روحي وجسدي؛ ولذا فروا من الدين فرارهم من الأسد تخلصاً من هذا الطغيان والبهذلة والمهزلة والسخرية والتعبيد التي مارست الكنيسة ورجالها.



(١) مذاهب فكرية معاصرة، عرض ونقد، للدكتور، محمود محمد مزروعة، (ص٣٦، ٣٧).

(٢) الإلحاد سمة مشتركة بين المذاهب الفكرية المعاصرة وسيأتي بيانه وتفصيله في الفصل القادم بإذن الله تبارك وتعالى.

المطلب الثاني

أمثلة للمذاهب في إهمال الجوانب الروحية

لقد شهد منظرو المذاهب الفكرية نزعتهم إلى المادة والحرية الفردية، وإنكار الجوانب الروحية ورفضها، وجعلوها كالشيء المنبوذ والمنزوع في حياة البشرية، وهذا ما نصّوا عليه في أقوالهم ونظرياتهم ودونوا به في كتبهم، بل نادوا بها، قال تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [يوسف: ٢٦].

وعرّفوا الروحية بأنها: تقوم في تصور البدائي على ازدواجية الحياة بين يقظة ونوم، معتبرين أن ما يراه في منامه هو حياة مستقلة بذاتها، تعبر عن قدرة الروح اختراق الحواجز.

وبناءً عليه اعتقد في قدرتها على النفع والضرر، خاصة بعد مفارقتها الجسد؛ ولتجنب شرها واستئزال رحمتها نشأت عبادة الأرواح وتقديسها، ويعتبر تيلور من الدافعين عن هذه النظرية^(١).

ويعتقد لوك أن التربية تتكون من ثلاث أوجه: جسدي وأخلاقي وعقلي، وأن أهدافها ثلاثة أيضًا هي: قوة الجسد والفضيلة والمعرفة^(٢).

وقد ربط -جون لوك^(٣)- الجانب الجسدي بالأخلاقي والعقلي، فقال:

- (١) تاريخ الأديان، للدكتور، محمد الفاضل اللافي، (ص ٨٧).
- (٢) آراء ابن الجوزي التربوية «دراسة وتحليل وتقويم ومقارنة»، ليلي عبد الرشيد عطار، منشورات أمانة للنشر، ميريلاند-الولايات المتحدة الأمريكية، ط ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، (ص ٥٢٠).
- (٣) «جون لوك» أحد كبار ممثلي النزعة التجريبية الانجليزية، ولد بالقرب من بريستول عام: ١٦٣٢م، وتعلم في بداية حياته اللغات القديمة ثم التحق بجامعة أكسفورد ودرس اللاهوت =

«إذا حصّل الطفل على القوة الجسدية كان لابد من تحقيق الأهداف التالية: الفضيلة والحكمة، والمعرفة».

وقد وضح ترابط الجانب الجسدي بالجانب الخلقي فقال: «كما أن قوة الجسد تنحصر في القدرة على تحمل المصاعب، فكذلك قوة النفس أساس كل فضيلة تنحصر في قدرة الإنسان على إنكاره ذاته، والقضاء على رغباته وميوله التي لا يسمح بها عقله، وهذه القدرة إنما تنال عن طريق التعود والتمرّن الباكر؛ ولذلك فأنا أشير بأن يعود الأطفال على قهر رغباتهم منذ المهد، وإفهامهم أنهم إنما يحصلون لا على ما يسرهم، بل على ما يجب أن يحصلوا عليه»^(١).

وقال دارون^(٢): (إن الطبيعة تخلق كل شيء ولا حد لقدرتها على الخلق)^(٣).

وقال سيجموند فرويد^(٤) وهو يفسر فكرته: (إن الطاقة الجنسية هي الطاقة العظمى في الكائن البشري وهي المسيطرة على طاقاته جميعاً، والموجهة لها، ويرى أن أساس الدين عقد نفسية، وهي العقدة الناشئة من الكبت الجنسي لشهوة الصبي الجنسية نحو أمه)^(٥).

= ولكنه انصرف إلى دراسة الطب وألف فيه بعض الأبحاث وتوفي عام: (١٧٠٤). ينظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، ليوسف كرم، (ص ١٤١).

(١) المرجع السابق (ص ٥٢٠).

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) ينظر: دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة نشأتها، منطلقاتها الفكرية، لأحمد بن علي عبدالعال، (ص ١٧).

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) المرجع السابق (ص ٢١، ٢٢).

ويقول مصطفى كمال أتاتورك^(١) لعام: ١٨٨١-١٩٣٤ م: إن الإسلام يخنق الطموح في نفوس أصحابه، ويقيد فيهم روح المغامرة والاقتحام، والدولة لاتزال في خطر دائم^(٢).

ويقول الشاعر القروي وهو يقدس المواطنة ويقدم على الدين:

ببلادك قدّمها على كلّ أمة ومن أجلها أفطروا من أجلها صم
هبوني عيداً يجعل العرب أمة وسيروا بجثمانى على دين برهم^(٣)

(١) رئيس الجمهورية التركية ومؤسس دولة تركيا الحديث، ولد في عام: ١٨٨١ م، قائد الحركة الوطنية التركية التي حدثت في الحرب العالمية الأولى الذي وقع الهزيمة في جيش اليونانيين في الحرب التركية اليونانية عام: ١٩٢٢ م، هو ألغى الخلافة الإسلامية وأعلن العلمانية والقومية، وتوفي في عام: وأطلق باسم أتاتورك. قام أتاتورك بإنهاء دولة الخلافة الإسلامية، هذا التاريخ الأسود هو أول يوم في تاريخ الأرض ينقطع فيه خلفاء محمد رسول الله ﷺ، فقد كان آخر الخلفاء العثمانيين (عبد المجيد الثاني بن عبد العزيز) رَحِمَهُ اللهُ آخر خلفاء الإسلام وهو الخليفة الثاني بعد المائة للمسلمين منذ الخليفة الأول ينظر: مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، لجهاد الترابي، تقديم: الشيخ محمد بن عبد الملك الزغبى، الناشر: دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة-جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ-٢٠١٠ م، (ص ٤٤٣). الموسوعة الحرة، تاريخ الزيارة: ١٩/٥/١٤٤٢ هـ الساعة: ٥:٥٥ م.

(٢) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر، للدكتور، محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، ١٤٠٠-١٩٨٠، القاهرة، ط ٣ (٢/٢١٩).

(٣) إحدى الديانات الوضعية في بلاد الهند، والتي كان أتباعها يعبدون القوى المؤثرة في الكون وتقلباته في زعمهم، «ثم لم يلبثوا أن جسدوا تلك القوى؛ بأن اعتقدوا حلولها في بعض الأجسام؛ فعبدوا الأصنام لحلولها فيها، وتعددت آلهتهم حتى وصلت إلى ثلاثة وثلاثين إلهًا. ثم عرا عقائدهم التغيير والتبديل، حتى انحصر الآلهة في ثلاثة أقانيم، وذلك أنهم توهموا أن للعالم ثلاثة آلهة، وهي:

١- براهما، وهو الإله الخالق، مانح الحياة، القوي الذي صدرت عنه جميع الأشياء، والذي يرجو لطفه وكرمه جميع الأحياء، وينسبون إليه الشمس التي يكون بها الدفء وانتعاش الأجسام، وتجري الحياة في الحيوان والنبات بزعمهم.

سلام على كفر يوحد بيننا وأهلا وسهلا بعده جهنم^(١)

وجوهر الليبرالية أصولها تنزع إلى المادية، والفردية والتحرر من كل القيود أو الثوابت^(٢).

ويقول توماس هوبز^(٣) الليبرالية معناها: فقدان العوائق الخارجية التي تحد من قدرة الإنسان على أن يفعل ما يشاء^(٤).

ومن أمثلة إهمال الجانب الروحي في المذاهب الفكرية: مذهب
الإنسانية وهي النزعة التي تتخطى حدود الروابط القومية أو الوطنية أو الدينية، وهي تنشئ صالح مجموع الإنسانية، وتلمس التفاهم، والتعاون والإخاء بين الأمم، وتسعى إلى توطيد السلم العالمي بوصفه غاية البشر الكبرى، وقد ظهرت هذه النزعة في القرن العشرين بعد الحربين العالميتين^(٥).

٢- سيفاء، أو سيوا، وهو الإله المخرب المفعي، الذي تصفر به الأوراق الخضراء، ويأتي الهرم بعد الشباب، وتفنئ مياه الأنهار في لجج البحار. وينسبون إليه النار؛ لأنها عنصر مدمر مخرب، إن تأجج لا يبقى ولا يذر.

٣- ويشنو، أو بشن... ويعتقدون أن هذا حل في المخلوقات ليقى العالم من الفناء التام... وهذه الآلهة الثلاثة أقانيم لإله واحد. ينظر: أثر الملل والنحل القديمة في بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام، لعبد القادر بن محمد عطا صوفي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة السادسة والثلاثون، العدد الخامس والعشرون بعد المائة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، (ص ٥٥).
(١) دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة نشأتها، منطلقاتها الفكرية، لأحمد بن علي العال (ص ١٨٢).

(٢) الليبرالية إشكالية مفهوم، للدكتور: ياسر قنصوه، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٤م، (ص ٩).
(٣) مفكر انجليزي لبرالي وهو أول الماديين المحدثين «١٥٨٨-١٦٧٩م». (١٥٨٨-١٦٧٩م).
ينظر: المنجد في الإعلام، (ص ٧٢).

(٤) ينظر: معركة الثوابت بين الإسلام والبرالية، لعبد العزيز مصطفى كامل ضمن سلسلة تصدر عن مجلة البيان، بدون تاريخ، (ص ٣٣).

(٥) مجلة العربي، الكويت، عدد ١٠٣، ص/ ١٤٠، (يوليو ١٠٦٧م، ١٣٨٧هـ).

ومن النّماذج أيضًا: معتقد الشيوعية في إهمال الجوانب الروحية:

حيث يعتد أبرز عقائدهم، إنكار وجود الله تعالى، وإنكار علم الغيب، واعتقاد أن المادة هي أساس كل شيء، ومن شعاراتهم، لا إله، والحياة مادة. وبناءً على هذا الشعار فقد حاربوا الدين الإسلامي، واعتقدوا أنّ الدين دوره التخدير للشعوب والمجتمع من حيث لا يدرون، وابتدعوا عبارة مشهورة لديهم لم يسبق من قبل وهي

أن الله لم يخلق الإنسان، ولكن الإنسان هو الذي خلق.

والهدف من هذا إهمال الجوانب الروحية والتّخلص من كل قيود وثوابت الإنسان والدّعوة إلى الإلحاد وإنكار وجود الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. وأنّ الدّين خرافة يجب إلغاؤه لتصادم التقدم العلمي والحضاري المعاصر؛ كما أنهم ينكرون الآخرة والثواب والعقاب في غير الحياة الدنيا.

ولذا حاربوا الدين بكل الوسائل المتاحة لهم من هدم المساجد وتحويلها إلى دور ترفيه ومراكز للحزب ومنع شعائر الاسلام والحكم على من اقتنى مصحفًا بالسجن لمدة سنة، وغير ذلك من محاربة الدين واقصائه من المجتمع ^(١).

ومن النماذج أيضًا المذهب الوجودي في إقصائهم الجوانب الروحية، ينصب مذهبهم القول بالعدمية والتعطيل، فالعالم في نظرهم وجد بغير

(١) جهود العلماء والباحثين في المملكة العربية السعودية في مواجهة التيارات الفكرية المعاصرة، دراسة تحليلية في الفترة من ١٤٠٠هـ وحتى ١٤٣٣هـ) حمد بن عبد الله بن حمد الصقعي، دار العقيدة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط١، ١٤٣٨هـ، (ص ٢٧١-٢٧٤).

داع، ويمضي بغير غاية، والحياة كلها سخف، ولذا يتخلص بعضهم منها بالانتحار^(١).

ومن أهداف المذاهب الوجودي: القضاء على القيم الروحية، وإهمالها وإلغاء الدين ومبادئه، والإنغماس في الشهوات دون مبالاة وبلا وازع، وهذه الأهداف مبنية على نظرتهم التشاؤمية، حيث يرون أن الحياة مجرد فخ أو شرك وقع فيه الإنسان، فلا عون ولا سند له سوى نفسه، فالإنسان في هذا الحياة هو الماء، والطين، والجسد، وليس وراء ذلك من شيء. والواقع ليس فيه سوى الهموم، والقلق، والضيق، واليأس^(٢).

ومن أهداف الاشتراكية في باب إهمال الجوانب الروحية: إنكار عالم الروح أو عالم الغيب والإيمان بالمادة في كل شيء، ويزعم مؤسس هذا المذهب -ماركس-: أن فلسفته أحاطت بأسرار المادة والحياة، وأسرار التاريخ والاجتماع، ووجب أن يدين بها الناس فلا يغيروا منها كثيراً ولا قليلاً فيما يأتي من الدهور والأجيال^(٣).

فهذه الأقوال ونظيرها تأصيل لإهمال الجوانب الروحية، والتركيز على المادة، وإطلاق الحرية الإنسانية بعيداً عن منهج الإسلام وغذاء الروح والعبودية لله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

(١) المرجع السابق (ص ٢٧١-٢٧٤).

(٢) ينظر: رسالة: (الوجودية دراسة ونقد في ضوء الاسلام) للباحث: صالح بن عبدالرحمن بن صالح الشريدة، واشراف: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، بالجامعة الاسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، (١٤١٢هـ)، (ص ٢٥٠).

(٣) ينظر: جهود العلماء والباحثين في المملكة العربية السعودية، للدكتور: حمد بن عبدالله الصقعي، (ص ٢٨٤).

حيث أطلق أصحاب المذاهب الفكرية المعاصرة للانسان كإطلاق الفارس من عنان فرسه، فجاءت عبارات المذاهب الفكرية ومقالاتهم وأفكارهم متقاربة ومتشابهة في اعتقادهم وإهمال جوانب الروحية، حتي جعلوا بعض مؤسسي المذاهب مثل: سينيوزا وفخته الألماني، و-أوجست كونت-تاليه الإنسانية وعبادته لنفسه بدلاً عن عبادة الله وألوهيته^(١).

وأما فرباخ فقد سعى إلى إزالة إله المسيحية، وكان يرى أن مهمته الأساسية هي تأنيس الإله، واعتبار الوجود الحقيقي الفعلي صفة للإنسان وحده^(٢).



(١) ينظر: تكوين العقل الحديث، لجوهن هرمان، (ص ٣٨٢). وتاريخ الفلسفة الحديثة، ليوسف كرم، (ص ٢٦٩). وكتاب: الله في الفلسفة الحديثة، لجيمس كوليز، (ص ٣٧٧).

(٢) دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة، (ص ٣٤٣).

المطلب الثالث

الآثار الناجمة للعناية بالجوانب الروحية

يتجلى للقارئ بكلام الله العزيز آثاراً طيبةً وعواقبَ مضيئةً للجوانب الروحية وتوصله إلى مرضات الله بأساليب مختلفة، وسياقات متنوعة، بعضها أشد من بعض وهي وعد من الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤].

ومن تلك الآيات التي تناولت الآثار الناجمة والفوائد الحسنة لمن اعتنى واهتم بالجوانب الروحية وصفاء قلبه، واستقام لأمر الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**؛ بأنه يأمن الخوف والحزن في الدارين، ونيل البشارة بالجنة والمغفرة، والبعد عن الخزي في الدنيا والآخرة، ومن تلك الآثار ما يلي:

أولاً: السلامة من الخوف والحزن في الدارين والبشارة بالجنة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

ثانياً: تكفير السيئات ومغفرة الذنوب ودخول الجنة وعدم الخزي في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ

لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ، نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿التحریم: ٨﴾.

قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿البقرة: ٢٦٨﴾.

ثالثاً: دوام الرحمة ونضارة الوجه، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْتَصَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿آل عمران: ١٠٧﴾.

رابعاً: تحقيق الأخوة الإيمانية والمحبة بين المؤمنين: قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿الحجر: ٤٧﴾.

خامساً: البشارة والسرور والسعادة في نفوس المؤمنين. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿الروم: ١٥﴾.

وغير ذلك مما ذكر في القرآن من مبشرات وتحفيزات للجوانب الروحية، من التحلي بالشرف والرفعة والعزة والتّمكن في الدنيا والاخرة، وفي النهاية دخول الجنة، والنظر الى وجه الله الكريم من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة^(١).

والحاصل: أن سماحة الإسلام وشموليته وواقعيته لم تغفل طبيعة الإنسان، وما جبل عليه من حب الترفيه وعدم الاستمرار على الجذب بطريقة دائمة؛ ولذلك المباحات أضعاف المحرمات، فهذا التوازن العجيب لا يوجد

(١) دستور الأخلاق في القرآن، لمحمد بن عبد الله دراز، مؤسسة الرسالة، الطبعة: العاشرة ١٤١٨هـ، (ص ٣٧٥).

إلا في دين الله، الذي لم يحرف ولم يبدل، ولذلك لما طغى الجانب الروحي على الديانة النصرانية المحرّفة رفضها أتباعها، وتمردوا عليها؛ لأنها تصطدم بالفطرة الإنسانية، ولما أهملت الفلسفة المادية الغربية الجانب الروحي أدّى ذلك كثيرًا منهم إلى الفرار منها لإشباع حوائجهم الروحية، بل ربما أدى بهم ذلك إلى الانتحار -والعياذ بالله- وذلك للتخلص من الهموم.

مثلاً عدد المنتحرين في السويد سنوياً يتجاوز أعلى الأرقام في العالم بالمقارنة مع البلاد الأخرى، والشعب السويدي اسعدُ شعوب العالم من الناحية الإقتصادية والسياسية، ومع ذلك ينتحر آلاف من هذا الشعب؛ لأنه يريد الخلاص من الفراغ الذي يعيش فيه، وهذا الفراغ نتيجة لإهمال الجانب الروحي في الإنسان والذي يُفقد في أثره الثقة والاطمئنان الداخلي الذي هو شرط الاستمرار في الحياة بنفس راضية مرضية. إذاً العناية بالجانب الروحي في الحياة أهم بكثير من العناية بالجانب المادي، وقد يكون من الأليق بالرجل الذي اتخذ المهام الروحية مهنة لنفسه سراجاً منيراً يمشي على ضوئه أن لا يبالى بالجانب الأوضع من الحياة ويتخذ من الإسلام دستوراً ومنهجاً حيث جاء الإسلام بالتوازن الطبيعي الذي فطر الله عليه الناس، وأعطى كل ذي حق حقه حتى يعيشوا من أجلها^(١).

(١) ينظر: الثورة البائسة، للدكتور: موسى الموسوي، (ص ٢١٤).

المطلب الرابع

مفهوم الجوانب الروحية وعلاقة الجسد بالروح

سبق الحديث عن قضية إشباع رغائب النفس والجسد المادي أنها من السّمات المشتركة بين المذاهب الفكرية؛ والآن أردف أختها-وهي: إهمال الجوانب الروحية-وهي سمة عامة لكل المذاهب الفكرية المعاصرة، وجاء هذا المبحث تكملة وفرع لها؛ للمبحث السابق، إذ لا شيء أكبر أثراً في النفس في مرحلة البناء من التركيز في الجانب الروحية، والطرق الموصلة إليها؛ ولأن من فرط جزء من الغذاء الروحي فقد بخس الفطرة الإنسانية حقها وجهل قدرها، ولم يعطها حقها؛ بل حرم محياها ومماتها في الدارين.

قال ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «في القلب شعث لا يلّمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله، وفيه حزن لا يذيبه إلا السرور بمعرفته، وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه، وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه، وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقاءه، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه، ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له، ولو أعطي الدنيا، وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبداً»^(١).

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي-بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، (٣/١٥٦).

تعريف الروح: «جوهر لا يتجزأ ولا يموت، وقدره جوهر لا قيمة له، وإنما آلات البدن خادم له تعين على السفر، له في زجاجة القلب نار»^(١)

ومفهوم الجانب الروحي في المبحث: هو أن يتعاهد الإنسان إيمانه وتقواه، وصلاحه؛ ليتفاعل حقاً مع ما يقول، وأن يكون ذا سيرة ذاتية سليمة من القوادح، أو مما يشهد عليها؛ أو من الدّخول في قضايا الناس ومعاركهم أو المشاكل التي تقدح في نزاهته وشرف نفسه^(٢).

والمعنى الآخر: «تنطبق في الجانب الروحي للإنسان في الإدراك والوعي والإرادة والإدراك وكل القيم والمعنويات التي يمارسها الإنسان».

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: «الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»^(٣).

جاء في الفتح الباري في معنى الحديث: (يحتمل أن يكون إشارة إلى معنى المشاكل في الخير والشر والصّلاح والفساد وأن الخير من الناس يحن إلى شكله والشرير نظير ذلك يميل إلى نظيره فتعارف الأرواح يقع بحسب الطباع التي جبلت عليها من خير وشر فإذا اتفقت تعارفت وإذا اختلفت تناكرت ويحتمل أن يراد الإخبار عن بدء الخلق في حال الغيب على ما جاء أن الأرواح خلقت قبل الأجسام وكانت تلتقي فتتشاءم فلما حلت بالأجسام

(١) مجلة البيان (٢٣٨ عددًا)، المؤلف: تصدر عن المنتدى الإسلامي، تنبيه: الأعداد بعد الـ ٢٠٠، (١٢/٢٣).

(٢) المرجع السابق (١٢/٢٣).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في باب الأرواح جنود مجنّدة، برقم الحديث: (٣٣٣٦) (٤/١٣٣). وأخرجه الإمام مسلم في باب: الأرواح جنود مجنّدة، برقم الحديث: (٤٩)، (٣/٢٠٣١).

تعارفت بالأمر الأول فصار تعارفها وتناكرها على ما سبق من العهد المتقدم وقال غيره المراد أن الأرواح أول ما خلقت خلقت على قسمين ومعنى تقابلها أن الأجساد التي فيها الأرواح إذا التقت في الدنيا اتلفت أو اختلفت على حسب ما خلقت عليه الأرواح في الدنيا إلى غير ذلك بالتعارف قلت ولا يعكر^(١).

أما علاقة الروح بالجسد:

قال ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «وقد تتناسب الروحان وتشتد علاقة إحداهما بالأخرى، فيشعر كل منهما ببعض ما يحدث لصاحبه، وإن لم يشعر بما يحدث لغيره لشدة العلاقة بينهما، وقد شاهد الناس من ذلك عجائب، والمقصود أن أرواح الأحياء تتلاقى في النوم، كما تتلاقى أرواح الأحياء والأموات، قال بعض السلف: إن الأرواح تتلاقى في الهواء فتتعارف أو تتناكر، فيأتيها ملك الرؤيا بما هو لاقياها من خير أو شر، قال: وقد وكل الله بالرؤيا الصادقة ملكا علمه وألهمه معرفة كل نفس بعينها واسمها ومتقلبها في دينها ودنياها وطبعها ومعارفها، لا يشتبه عليه منها شيء ولا يغلط فيها، فتأتيه نسخة من علم غيب أئمة من أم الكتاب بما هو مغيب لهذا الإنسان من خير وشر في دينه ودنياه، ويضرب له فيها الأمثال والأشكال على قدر عادته، فتارة يشره بخير قدمه أو يقدمه، وينذره من معصية ارتكبها أو همّ بها، ويحذره من مكروه

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة-بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٦/٣٦٩).

انعقدت أسبابه ليعارض تلك الأسباب بأسباب تدفعها، ولغير ذلك من الحكم والمصالح التي جعلها الله في الرؤيا نعمة منه ورحمة وإحساناً وتذكيراً وتعريفاً، وجعل أحد طرق ذلك تلاقي الأرواح وتذاكرها وتعارفها، وكم من كانت توبته وصلاحه وزهده وإقباله على الآخرة عن منام رآه أو رئي له، وكم ممن استغنى وأصاب كنزاً دفيناً عن منام»^(١).

ويين ابن الجوزي أنّ البشر مركب من الضّدين... الطّين والروح، لأنّه بطبيعته المزدوجة يجمع بين درجات تختلف بين الشدة واللطف، بين اللهفة والتمهل، بين الغلظة والرقّة، بين العتامة والصفاء. أذناها شبيه بالحيوان، وأعلاها صاف رائق جميل. درجات تبدأ عند الطرف الحيواني من الإنسان، فتغلب عليها حركة الجسد الفائر المتلمظة، وتنتهي عند الطرف الملائكي من الإنسان، فتغلب عليها رقة الروح ونورانية الشعاع

ثمّ وضّح ابن الجوزي أنّ الكائن الإنساني مترابط الأجزاء يعمل عمل الوحدة المتكاملة وبطريقة متداخلة ومتشابكة؛ فلكل عضو من أعضائه دوره الخاص، ووظيفته المكلف أداؤها.

(وقد اتخذ من مقدم الدماغ حارساً، ومن وسطه وزيراً، ومن مؤخره حافظاً، وجعل العقل أستاذاً، والحس تلميذاً، وفرق الأعضاء في خدمته رجالاً وركباًناً)^(٢).

(١) الروح، للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تعليق: إبراهيم رمضان، الناشر: دار الفكر العربي-بيروت، تاريخ الطبع: ١٩٩٦م، (ص ٥٥).

(٢) آراء ابن الجوزي التربوية دراسة وتحليلاً وتقويماً ومقارنة، للدكتور: ليلى عبد الرشيد عطار، الناشر: منشورات أمانة للنشر، ميريلاند-الولايات المتحدة الأمريكية، ط ١، ١٤١٩هـ (ص ١١٢).

المطلب الخامس

نقد إهمال الجوانب الروحية

إن أصحاب المذاهب الفكرية المعاصرة ومؤسسيها وضعوا لمبادئ وأفكار في المذاهب وقواعد تكاد تتفق وتتسم جميع المذاهب عليها ولا يخلوا منها أيّ مذهبٍ فكري، فالسمات بينهم كثيرة في الأصول والمبادئ كأن بينهم التوصية والوراثة شبرًا بشبرٍ وذراعًا بذراع، ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣].

ومن تلك السمات إهمال الجوانب الروحية، والإعتقاد بالمادة والمحسوس، وهذا باطل ومردود بأدلة الشرع، والعقل، والفطرة، والواقع. فمن أدلة الشرع التي تدل على فساد مقولة المذاهب في إهمال الجوانب الروحية كثيرة وكذا مخالفتهم الفطرة السليمة وغاية خلق الإنسان؛ لأن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** خلق الخلق لعبادته وحده فقط، ولأجلها أرسل الرسل وأنزل الكتب وأقام الدلائل والبراهين والحجج الدامغة، وأودع في قلب كلّ من له فهم وإدراك واحساس على الدلالة لهذه الغاية العظيمة قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾

[النحل: ٣٦].

(فلم يزل تعالى يُرسل إلى الناس الرسل بذلك منذ حدث الشرك في بني آدم في قوم نوح **عَلَيْهِ السَّلَامُ** الذين أرسل إليهم نوح، وكان أول رسول بعثه

الله إلى أهل الأرض إلى أن ختمهم بمحمد ﷺ الذي طبقت دعوته
الإنس والجن في المشارق والمغارب^(١).

ثم إن غاية خلق الخلق العبادة. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فالإنسان لابد أن يدرك أن رضاء الله هي الغاية والأصل والأساس
لتغذية الجوانب الروحية ومنها تنطلق جميع الجوانب الأخرى.
والقرآن الكريم وإعجازه وبلاغته وإخباره عن الغيبات يركز على
قضية العبادة والجوانب الروحية.

قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أربع من كن فيه، كان من خيار عباد الله:
من فرح للتائب، واستغفر للمذنب، ودعا للمدين، وأعان المحسن)^(٢).

حقاً، إنها لصورة حية لخيار عباد الله، يرسمها رجل من خيار عباد الله.
إن الرجل من خيار عباد الله -عند أبي بكر- هو من اجتمعت فيه أربع
خلال كلها تهدف إلى شيء واحد نبيل، هو نفع عباد الله من الجانب الأسمى،
وهو الجانب الروحي الديني^(٣).

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: في نقده على المذاهب
الفكرية ومبادئها ودعواتها. (هذه دعوات باطلة التي هي نداءات القومية

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤/٤٨٩).

(٢) كنز الدرر وجامع الغرر، لأبي بكر بن عبد الله بن أبيك الدواداري، المحققون وعام النشر،
(ج٩/ هانس روبرت رومر، ١٩٦٠ م، الناشر: عيسى البابي الحلبي، (٣/١٦٩).

(٣) ينظر: دراسات وتوجيهات إسلامية، لأحمد سحنون، الناشر: المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر
ط٢، ١٩٩٢ م، (ص٢٩٦).

والعروبة، أو الاشتراكية، أو الشيوعية، أو أيّ دعوة سوى الإسلام، كلها دعاوى باطلة، ونعرات جاهلية، يجب أن يقضى عليها، والتفنيد عليها، وكشف عوارها في كل عصر ومصر، ولا يجوز أن تبقى أبداً، يجب على أعيان البلد ورؤسائها وعلمائها أن يحاربوا هذه الدعوات^(١).

ثم قال سماحته: هؤلاء الذين يدعون إلى الاشتراكية أو الشيوعية أو غيرها من المذاهب الفكرية الهدامة الضالة المضللة المناقضة لحكم الإسلام، كفار ضلال، أكفر من اليهود والنصارى؛ لأنهم ملاحدة لا يؤمنون بالله ولا اليوم الآخر.

ثم قال: المعلوم من دين الإسلام بالضرورة، أنّ الدّعوة إلى القومية العربية أو غيرها من القوميات دعوة باطلة، وخطا عظيم، ومنكر ظاهر وجاهلية، وكيد سافر للإسلام وأهله^(٢).

ومن العقائد الكفرية المضادة للعقيدة الصحيحة، والمخالفة لما جاءت به الرسل **عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، ما تعتقد الملاحدة في هذا العصر من اتباع ماركس ولينين وغيرهما من دعاة الإلحاد والكفر، سواء سموا ذلك الاشتراكية أو شيوعية، أو بعثية، أو غير ذلك من الاسماء فإن من أصول هؤلاء الملاحدة أنه لا إله والحياة مادة، ومن أصولهم إنكار المعاد، وإنكار الجنة والنار، والكفر بالأديان كلها، ومن نظر في كتبهم ودرس ما هم عليه علم ذلك يقيناً^(٣).

(١) ينظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز، (٣/ ٢٨٤، ٢٨٥).

(٢) المرجع السابق: (١/ ٢٨٥).

(٣) ينظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز (١/ ٢٥، ٢٦).

المبحث الرابع

بطلان دعوة البحث عن الحقيقة

المطلب الأول

التعريف عن الحقيقة لغةً واصطلاحاً،

ومفهوم البحث عن الحقيقة

١- التعريف بالحقيقة لغة واصطلاحاً:

أما اللغة: فهي من حق الشيء إذا وجب واشتقاقه من الشيء المحقق وهو المحكم، تقول: ثوب محقق النسيج أي محكم. وإذا قلنا. حق وحقيقة معناه كلام يصدق بعضه بعضاً.

فالحقيقة: الكلام الموضوع الذي ليس باستعارة ولا تمثيل، ولا تقديم فيه ولا تأخير، كقول القائل: أحمد الله على نعم الله عليّ وإحسانه^(١).

إذا الحقيقة اسم لما أريد به ما وضع له أولاً.

وأما اصطلاحاً: فهي كلمة مستعملة فيما وضعت له.

أو: ما يصير إليه حق الأمر ووجوبه^(٢).

(١) ينظر: الصاحبى في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، الناشر: محمد علي بيضون، ط ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، (ص ١٤٩). والمزهر في علوم اللغة وأنواعها، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية-بيروت. ط ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، (١/ ٢٨١).

(٢) لسان العرب، لابن منظور، (١٠/ ٥٣).

أو: مطابقة الفكر للواقع:

والتاء فيه للنقل من الوصفية إلى الاسمية كالعلامة لا للتأنيث.

والمجاز اسم لما أريد به غير ما وضع له لمناسبة بينهما كتسمية الشجاع أسداً سمي به ومجاز لأنه متعدد من محل الحقيقة إلى محل المجاز^(١).

والمناسبة بينهما الشجاعة والقوة.

والخلاصة: أن حقيقة الشيء يراد به. كنهه وخالصه وجوهره ويقينه ومصيره^(٢).

٢- مفهوم البحث عن الحقيقة:

إن من السمات المشتركة بين المذاهب الفكرية ادّعائهم البحث عن الحقيقة، واليقين الصحيح الذي لا يشوب فيه شكٌ ولا ريبٌ ولا تردد، وكل المذاهب الفكرية تدعي أنها تبحث عن الصواب والحقيقة التامة والصراف المستقيم الذي ينجي صاحبه من المهالك والشور في الدارين، ويعيش فيها عيش السعداء؛ بيد أن كل مذهب له الطرق والوسائل متنوعة للبحث عن الحقيقة، فكل يدلي بدلوه، ويبيدي رأيه وفكرته وكل نعق ونادى بالحقيقة بطريقة أو أخرى.

(١) ينظر: أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، لقاسم بن عبد الله بن أمير علي القانوني، الناشر: دار الوفاء - جدة، ط ١، ١٤٠٦، تحقيق: د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي، (ص ١٥٧).

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، (١/ ٥٣٣).

وكل يدعي وصلا بليلي وليلى لا تقر لهم بذاكا^(١)

كل يدعي أنه على الحق والصواب والبحث عن الحقيقة والصحيح أنه على غير الحقيقة، فالحق، من المذاهب من بحث عن الحق والحقيقة في الدين، فمنهم من بحثه في العقل، فمنهم من بحثه في الحس أو المحسوس والملموس، فكل نحا وجهته المعتقد باحثاً عن الحقيقة والصواب والهدي المبين، فكانت الحقيقة أولاً في أوروبا في الدين وحده، ثم طرأ خلل ومصادمات بين الدين والعقل بسبب الانحراف عن العقيدة الصحيحة، وطغيان الكنيسة ورجالها.

يقول القديس ترتوليان^(٢): (إن أساس كل علم أصله هو الكتاب المقدس وتقاليد الكنيسة، وإن الله لم يقصر تعليمنا بالوحي على الهداية إلى الدين فقط، بل علمنا بالوحي كل ما أراد أن نعلمه من الكون؛ فالكتاب المقدس يحتوي من العرفان على المقدار الذي قدر للبشر أن ينالوه، فجميع ما جاء في الكتب السماوية من وصف السماء والأرض وما فيهما، وتاريخ الأمم مما يجب التسليم به مهما عارض العقل، أو خالف الحس، فعلى الناس أن يؤمنوا به أولاً ثم يجتهدوا ثانياً في حمل أنفسهم على فهمه أي على التسليم به)^(٣).

ثم اعتمدت أوروبا العقل وأعطته سلطة كاملة في جميع جوانب الحياة

(١) الشفاء في بديع الاكتفاء، لمحمد بن حسن بن علي بن عثمان النواجي، تحقيق ومراجعة: محمود حسن أبو ناجي، دار مكتبة الحياة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ، (ص ٩٥).

(٢) مؤلف أمازيغي مسيحي أول من كتب كتابات مسيحية باللغة اللاتينية، كان مهماً في الدفاع عن المسيحية ولد عام: ١٥٥م، اعتنق في آخر حياته في مذهب المونتانية وقد وصف بأنه بروتستانت أول، وتوفي عام: ٢٣٠م. ينظر: الموسوعة الحرة: تاريخ الزيارة: ٢٠/٥/١٤٤٢ هـ. الساعة: ١٠:٠٠ ص.

(٣) النصرانية وإلغاء العقل، ليزيد حمزاوي، بدون سنة الطباعة والدار، (ص ١٣).

العقدية، والاجتماعية، والأخلاقية، والقيم، والسياسية، ثم أيقنوا أن العقل قاصر في المحسوس والمشاهدات الملموسة دون الإحاطة بالمغيبات، فحصل بينهما خلل وإشكالات وراثة لا محالة ولا حل لها. ثم انتقلوا إلى الحس وجعلوه مصدرًا للحقيقة والحقّ المبين^(١).

والبحث عن الحقيقة يدخل فيها البحث عن وجود الإنسان ومن أين جاء هل هو من المادة فقط أو من غير المادة، لم تستطع ذلك أيّ فلسفة أحادية المنطق الفلسفة المادية^(٢)، أو الفلسفة المثالية^(٣)، أو الفلسفة الميتافيزائية^(٤). الجواب على هذا السؤال على وجه الصحة والحقيقة الكاملة، ستأتي ضمن مسألة الإلحاد في الفصل القادم - إن شاء الله تعالى -.

- (١) سيأتي في الفصل الثالث مصدر العقل، والحس، مفصلاً.
- (٢) **الفلسفة المادية:** هي النزعة القائلة بأن كل ما هو موجود هو مادي، أو يعتمد كلية في وجوده على المادة، بمعنى أوضح أن الكائنات الإنسانية والمخلوقات الحية الأخرى، ليست كائنات ثنائية مركبة من جسم مادي وروح لامادية، وانما هي اساساً جسمية في طبيعتها. ينظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، (ص ٣٨٤).
- (٣) **الفلسفة المثالية:** فلسفة تشتمل على كافة الآراء التي تجعل أساس الكون روحياً في نهاية الامر (وهي تقابل الواقعية) وتذهب إلى أن الأشياء الطبيعية لا يمكن أن يكون لها وجود بمعزل عن ذهن يعيها، وعلى هذا النحو لا تشمل هذه الفلسفة الدين وإن كانوا يؤمنون بالله إلا أنهم ينسبون إلى المادة وجوداً جوهرياً قابلاً للتصور، بغض النظر عن إمكان تجربته، وإن كانوا يرون أن الله في نهاية الأمر هو خالق المادة. الموسوعة الفلسفية المختصرة، (ص ٤٠٣).
- (٤) **الفلسفة الميتافيزائية:** دراسة شاملة لكل ما هو جوهري في الوجود والمعرفة والتفسير جميعاً. قال: أرسطو: إن «الجوهر» هو ما وجد في البداية، وأنه سابق على سائر الأشياء، وأن تفسير أي شيء آخر يتطلب فكرة «الجوهر» ووجوده يتوقف على وجود «الجوهر» وهي فلسفة تقوم على دراسة الواقع من حيث ما يقابل الظاهر المحض وموضوعها هو ما يتجاوز الخبرة والتجربة، ومنهجها قبلي، أكثر من أن يكون تجريبياً، وهي صورة للأشياء كما هي حقيقة لا كما تظهر لنا. ينظر: البحث عن الحقيقة الكبرى، لمحمد عيسى موسى، (ص ٢٣).

المطلب الثاني

طرائق العقل

ينقسم طريق العقل إلى أقسام:

أولاً: البديهيّات، أو الضروريات العقلية، أو المسلّمات الرياضية؛

البديهيّات هي العلوم الأولية التي يجعلها الله في النفوس ابتداءً بلا واسطة، مثل الحساب، وهي كالعلم بأن الواحد نصف الإثنين، فإنها لا تفيد العلم بشيء معين موجود في الخارج، مثل الحكم على العدد المطلق والمقدار المطلق، وكالعلم بأن الأشياء المساوية لشيء واحد هي متساوية في أنفسها، فإنك إذا حكمت على موجود في الخارج لم يكن إلا بواسطة الحس مثل العقل، فإن العقل إنما هو عقل ما علمته بالإحساس الباطن أو الظاهر بعقل المعاني العامة أو الخاصة.

فأما العقل الذي هو عقل الأمور العامة التي أفرادها موجودة في الخارج يحصل بغير حس، فهذا لا يتصور، وإذا رجع الإنسان إلى نفسه وجد أنه لا يعقل ذلك مستغنياً عن الحس الباطن والظاهر لكليات مقدرة في نفسه، مثل الواحد، والاثنين، والمستقيم والمنحنى، والمثلث والمربع، والواجب والممكن والممتنع، ونحو ذلك مما يفرضه هو ويقدره، فأما العلم بمطابقة ذلك المقدر للموجود في الخارج والعلم بالحقائق الخارجية، فلا بد فيه من الحس الباطن أو الظاهر، فإذا اجتمع الحس والعقل كاجتماع البصر والعقل أمكن أن يدرك الحقائق الموجودة المعينة ويعقل حكمها العام.

فالعلوم الأولية البديهية العقلية المحضة، ليست إلا في المقدرات الذهنية كالعدد والمقدار، لا في الأمور الخارجية الموجودة^(١).

مسألة: استحالة اجتماع الضدين أو النقيضين أو النفي والإثبات في حالة واحدة.

هذه المسألة ناقشها شيخ الاسلام بن تيمية **رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى**: مع غلاة نفاة الأسماء والصفات من الفلاسفة والمتكلمين ومن نحنا نحوهم، الفلاسفة شبهوا الخالق بالمعدوم فرارًا من التشبيه فوقعوا في أمر أقبح منه وهو إنكار وجود الله: لأن الفلاسفة قالوا ليس موجودًا ولا عليًا ولا قديرًا ولا حيًّا فيكون هذا تشبيهها بالمعدومات.

فيلزمهم التشبيه بما اجتمع فيه النقيضان من الممتنعات، فإنه يمتنع أن يكون الشيء موجودًا معدومًا أو لا موجودًا ولا معدومًا، ويمتنع أن يوصف ذلك باجتماع الوجود والعدم، أو الحياة والموت، أو العلم والجهل أو يوصف بنفي الوجود والعدم، ونفي الحياة والموت، ونفي العلم والجهل^(٢).

النوع الثاني: الاستدلالات العقلية والمنطقية:

على الرغم من إعطاء العقل المكانة الكبيرة، والموقع الأساسي، وتوجيه الرب **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** إلى استخدامه وتحكيمه، إلا أنه محدود، فهو حاسة مثل أي

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، مجموع فتاوى ابن تيمية، الإصدار الثاني، دراسة وتحقيق: عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية-١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، (٧٢ / ٩).

(٢) الرسالة التدمرية، الناشر، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، الثانية، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، (٢ / ٢٥).

حاسة، كالبصر له مداه الخاص به؛ لذا يفترض فيه الخطأ، وليس له العصمة فهو يستطيع أن يستدل على وجود الله، ولكنه عاجز عن الاستدلال على حقيقة صفات الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

النوع الثالث: الطريق التجريبي؛

وهو من الطرق التي تميز بها علماء المسلمين من قديم، وهم واضعوا العلم التجريبي، وكثيراً ما يضرب القرآن الكريم الأمثلة في تأسيس المعرفة اليقينية على الإدراك الحسي، كقوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُتَّخَذُ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١].

فالتقدير: ولا أشهدت شركاءهم جميعاً ولا تنفعهم شركائهم يوم الحشر، فهو انتقال من إبطال معبودية الشيطان والجن إلى إبطال إلهية جميع الآلهة التي عبدها دهماء المشركين مع بيان ما يعترهم من الخيبة واليأس يومئذ؛ وقد سلك في إبطال إلهيتها طريق المذهب الكلامي وهو الاستدلال على انتفاء الماهية بانتفاء لوازمها، فإنه إذا انتفى نفعها للذين يعبدونها استلزم ذلك انتفاء إلهيتها، وحصل بذلك تشخيص خيبتهم ويأسهم من النجاة^(١).

وقد ذم الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** الذين لا يستخدمون حواسهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

(١) ينظر: التحرير والتنوير من التفسير، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (٤٦٥ / ٨).

لما كانوا لا يتدبرون شيئاً من الآيات، ولا ينظرون إليها نظر اعتبار ولا يسمعونها سماع تفكر جعلوا كأنهم فقدوا الفقه بالقلوب، والإبصار بالعيون والسماع بالأذان، وليس المراد نفي هذه الإدراكات عن هذه الحواس وإنما المراد نفي الانتفاع بها فيما طلب منهم من الإيمان^(١).
مع أن علماء المسلمين وضعوا شروطاً لصحة الطريق التجريبي^(٢).



(١) تفسير البحر المحيط موافق للمطبوع، لأبي حيان الأندلسي، دار الفكر، (٣٤٨/٤).
(٢) الدين في مواجهة العلم، لوحيّد الدين خان ترجمة ظفر الاسلام، دار الاعتصام، ط ١، عام ١٣٩٢هـ، (ص ١١).

المطلب الثالث

نماذج من البحث عن الحقيقة

من النَّاس من أعطاه الله الحكمة والبحث عن الحقيقة إعمالاً بعقله، وتفكره بآيات الله الكونية والقدرية والشرعية، فتتحول أحوالهم من سيء إلى حسنٍ ومن ضلالة إلى هدى؛ لأنهم كبوا على الحق والصّواب، وفازوا بالنتيجة الحسنة، والحقيقة التامة التي هي الهداية والنور من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وشرح الله صدورهم للحق والحقيقة والهداية.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

والهداية الحقيقة التوقيفية من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠].

وبين أيدينا ثلّة مضيئة ونماذج يحتذى بها كل من يبحث عن الحق والصواب والحقيقة الكبرى والسعادة في الدارين ومن تلك النماذج:

النموذج الأول: قصة إسلام سلمان الفارسي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**^(١) والقصة طويلة مفادها، أن كان يبحث عن الحقيقة والحق والصواب فبحث عن الحقيقة في المجوسية فلبث ملياً ثم بحث عن الحقيقة في النصارى فقال «فألقيت الحديد

(١) هو: سلمان الفارسي أبو عبد الله ويقال له سلمان الخير سابق الفرس أصله من أصبهان وقيل من رامهرمز أول مشاهدته الخندق مات سنة أربع وثلاثين يقال بلغ ثلاثمائة سنة، تقرب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، (ص ٢٤٦).

من رجلي ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين علما؟ قالوا الأسقف في الكنيسة.

قال فجئته فقلت له: إني رغبت في هذا الدين، وأحببت أن أكون معك وأخدمك في كنيستك، وأتعلّم منك، فأصلي معك. قال ادخل، فدخلت معه.

ثم بعد فترة طويلة لم يقتنع بدين النصارى، فبحث عن الحقيقة مرة ثالثة إلى دين الاسلام القيم فقال سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ثم ذهبت به إلى رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صدقة وهو بقاء - فدخلت عليه فقلت له إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم.

فعرف من علامات النبوة، أنه يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة، وأن في ظهره علامة خاتم النبوة، فأيقن أنه رسول الله فدخل في دين الإسلام واتبع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال فقرّبته إليه فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: «كلوا» وأمسك يده فلم يأكل، فقلت في نفسي هذه واحدة ثم انصرفت عنه فجمعت شيئا وتحول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسلم فأحسن إسلامه، وشهد غزوات كثيرة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان صاحب فكرة حفر الخندق في غزوة الأحزاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن الصحابة أجمعين ^(١).

(١) ينظر: قصة سلمان في مراجع كثيرة منها، الطبقات لابن سعد، ودلائل النبوة لابي نعيم (٢١٣) ومسند أحمد (٤٣٨/٥)، تاريخ الإسلام للذهبي (٥٢/٢)، تهذيب تاريخ دمشق (١٩٢/٦)، والخصائص الكبرى للسيوطي (٤٥/١)، عيون الاثر (٦٨/٦٠). البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، (٢/٣٨٠-٣٨٥).

النموذج الثاني: قصة زيد بن عمرو^(١) وورقة بن نوفل^(٢) في البحث عن الحقيقة.

خرجوا في الجاهلية يطلبان الدين فلقيا اليهود فعرضت عليهما يهود دينهم فتهود ورقة.

ثم لقيا النصارى فعرضوا عليهما دينهم فترك ورقة اليهودية وتنصر وأبى زيد بن عمرو أن يأتي شيئاً من ذلك وقال: «ما هذا إلا كدين قوما نشرك ويشركون...».

(١) هو: «زيد» بن عمرو بن نفيل العدوي ابن عم عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ووالد سعيد بن زيد أحد العشرة روى عنه ولده سعيد وزيد بن حارثة وعامر بن ربيعة وعبد الله بن عمر بن الخطاب وأسما بنت أبي بكر قالت أسما بنت أبي بكر لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول يا معشر قريش والذي نفسي بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري وكان يحیی المؤودة يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها فأنا أكفيك مؤنتها وكان يقول اللهم لو أني أعلم أحب الوجوه إليك لعبدتك به ولكني لا أعلم، وقال رسول الله ﷺ: عنه «يبعث يوم القيامة أمة وحده» ينظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، (٣/ ٤٢١).

(٢) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك القرشي الأسدي كان ممن رغب عن عبادة الأوثان وسأل العلماء من أهل الأديان عن الدين الحنيف قد البلقاء مع زيد بن عمرو عن عائشة أن خديجة بنت خويلد انطلقت بالنبي ﷺ حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي بن قصي وهو ابن عم خديجة أخي أبيها وكان امرءاً تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي فكتب بالعربية من (٨) الإنجيل ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت خديجة أي ابن عم اسمع من ابن أخيك قال ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال ورقة بن نوفل هذا الناموس الذي أنزل على موسى يا ليتني فيها جذعاً (٩) أكون حيّاً حين يخرجك قومك قال رسول الله ﷺ: «أو مخرجي هم» قال ورقة: نعم لم يأت رجل قط بما جئت به ألا عودي وإن لم يدركني يومك أنصرك نصرًا موفوراً ثم لن ينشب ورقة أن توفي، ينظر: تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، (٣/ ٦٣).

الشاهد من القصة: أن عمرو وورقة خرجا ليبحثا عن الحقيقة والدين الحنيف^(١).

النموذج الثالث: قصة الكاتب الفرنسي الشهير برناردين دي سان بيير^(٢).

موضوعها البحث عن الحقيقة والطريق إليها، وفيها كلام عن البراهمة وغرور كهنتهم في دينهم، وزعمهم أن الحقيقة لا توجد إلا عندهم، ولا تقال إلا لهم، ونتيجتها أن التقاليد والديانات والمدنية وعلومها وأعمالها حجاب بين الإنسان وبين الحقيقة والفضيلة والعيشة الراضية، وأن أقرب الناس من الحقيقة والسعادة من يعيش عيشة بسيطة فطرية بعيداً عن شغب الناس وغرورهم بتقاليدهم ومدنيتهم، كذلك الهندي الطريد المقيم في كوخ بعيد عن العمران^(٣).



(١) ينظر: الفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود الباحث في القرآن والسنة، (٩/ ٣٠٠).

(٢) برناردين دي سان بيير كان عالم نباتات من فرنسا مواليد يوم ١٩ يناير ١٧٣٧ في لو هافر، مات في ٢١ يناير ١٨١٤ م. ينظر: الموسوعة الحرة، تاريخ الزيارة: ٢٠/ ٥/ ١٤٤٢ هـ، الساعة: ١١:١٦ م.

(٣) مجلة المنار (كاملة ٣٥ مجلدًا)، المؤلف: مجموعة من المؤلفين، محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤ هـ) وغيره من كتاب المجلة، (٤/ ٥٤١).

الفصل الثالث

المصادر المشتركة

بين المذاهب الفكرية المعاصرة والردّ عليها

وتحتة ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الفلسفات.

المبحث الثاني: الحسّ والعلوم التجريبية.

المبحث الثالث: التّخرص.

المبحث الأول

الفلسفات

التمهيد

إنّ من السّمات المشتركة بين المذاهب الفكرية المعاصرة اتحادهم في المصادر وأول لغة يعتمدونها الفلسفة وهو حبّ الحكمة عند المتقدمين أما عند المتأخرين فهي الجدل والمراء العقيم الذي لا يجدي نفعا. ولها أنواع منها: الفلسفة المثالية، والواقعية، والوضعية المنطقية، والبرجماتية، وكلها تندرج تحت الفلسفة.

وهناك تقسيمات أخرى للفلسفة، ليست محلا للبحث هنا تحاشياً من للإطناب والاسهاب وعدم الخروج من لبّ البحث.

والهدف إلى بيان أن جميع المذاهب الفكرية المعاصرة ترجع مصادرها وأصولها إلى الفلسفات القديمة انتساباً لا تطبيقاً؛ لأنهم خالوا في أشياء كثيرة من اعتقادات الفلاسفة وأخلاقهم ومعاملاتهم وسياتي الفرق بين فلاسفة القديمة والحديثة وقبل ذلك سأعرض مفهوم الفلسفة وأقسامها، وتاريخ الفلسفة وموقف الإسلام من الفلسفة، على سبيل الإجمال والإيجاز في المطالب الآتية:



المطلب الأول

مفهوم الفلسفة

الفلسفة كلمة يونانية معربة معناها الحكمة أو حبّ الحكمة. ويسمون محبّ الحكمة والمهتم به الفيلسوف أصله: من فيلا: ويقصد به المحب أو الحب وسوفا معناها الحكمة والاسم، منه الفلسفة، مركبة، كالحوقلة. والحمدلة والسبحلة. وغير ذلك من الأمثلة^(١).

وتأتي كلمة الفلسفة بإطلاقات عدة منها: الحكمة. ومنها: معرفة الإنسان نفسه. ومنها: علم الأشياء الأبدية^(٢).

أما تعريف الفلسفة اصطلاحاً: لقد وردت تعاريف عدة للفلسفة؛ وذلك لاختلاف الأفهام والمشارب، والمدارك والغايات والاهداف والمناهج وكل نحى وجهته وفهمه ومنبعه للفلسفة

ومن تلك التعاريف:

(١) التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية؛ لتحصيل السعادة الأبدية^(٣).

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمد بن محمد أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، (٤٧٦/٢٣). والقاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، (ص ٨٢٢).

(٢) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب-القاهرة مصر، ط ١، ١٤٢٤هـ، (ص ١٣١).

(٣) كتاب التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ، (ص ١٦٩).

(٢) ما قام بنفسه ويقابله العرض.

(٣) ما يقوم بغيره واحده جوهرة^(١).



(١) المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة، (ص ١٤٩).

المطلب الثاني

منافذ وصول الفلسفة اليونانية إلى الغرب

إن الأسباب التي أنتجت هذه الحركات العظيمة كانت تعمل من قبل هذا التاريخ، ولكن لم يتم تكوين النهضة إلا في النصف الأخير من القرن الخامس عشر، عندما سقطت المملكة الشرقية، وعاصمتها القسطنطينية، في يد الأتراك، فهجر علماء اليونان بلادهم، والتجئوا إلى إيطاليا، وابتدأت تلك الأسباب تعمل على إيجاد النهضة، من أيام الحروب الصليبية^(١) كما لا يخفى على المطلع والباحث في تاريخ أوروبا أن منبع الفلسفة أخذت من علماء المسلمين كابن باجه^(٢) وابن رشد^(٣) وأمثاله حيث ترجم ابن رشد كتب وفلسفة أرسطو^(٤) وشرحها في ثلاث كتب الصغير والمتوسط والكبير، استوعب فيها رسائل أرسطو في المنطق والفيزياء والفلك والأرصاد الجوية وعلم النبات

(١) مبادئ الفلسفة، لرابوبرت، (ص ١٠٨).

(٢) هو: أبوبكر محمد بن يحيى بن سائغ ولد في سرقسطة، ولا نعرف عن حياته أكثر من انه كلن في إشبيلية عام ١١١٨ م بعد سقوط سرقسطة ثم نراه بعد ذلك في غرناطة ثم انتقل الى فاس حيث انتقل ببلات المرابطين، ومات عام ١١٣٨ م كانت مؤلفات ابن باجه شروحاً لأرسطي أقرب منها الى أن تكون مذهباً فلسفياً خاصاً به. الموسوعة الفلسفية المختصرة، لجوناثان رى. وج. أو. أرمسونن ترجمة فئاد كامل وزملائه المركز القومي للترجمة القاهرة، (ص ١٠).

(٣) هو: فيلسوف فقيه وقاض وطبيب ولد في قرطبة بأسبانيا، وتوفي في مراكش؛ أما في الغرب فإن أشهر ما يعرف به هو أنه شارح أرسطو فالنص اللاتيني لمؤلفات أرسطو الكاملة يحتوي عادة على شروح ابن رشد وهي شروح مستقاة في أغلب الأحوال من ترجمة عربية للأصل العربي المفقود. انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، (ص ١١).

(٤) سبقت ترجمته.

وعلم الحيوان وعلم النفس والميتافيزيقا، وأضاف إلى هذه الدراسات بطبيعة الحال قراءاته العديدة المتكررة لابن ميمون وجمعت فلسفته ومعظم دراساته في ال علوم في مؤلف بالعبرية وضع عنوانه بأسلوب عصره معارك الله^(١).

وقد نظم اليونان المذاهب وعمموا الأحكام ووضعوها النظريات ولكن أساليب البحث في دأب وأناة وجمع معلومات الإيجابية^(٢).

ولذا استفاد الغرب من فلسفة اليونان عن طريق شروحات ابن رشد لمؤلفات أرسطو وبنوا على مذاهبهم الفكرية أشياء جديدة في الطبيعة والعقل والمنطق.

حتى شاع بين أوروبا في العناية بالأدب القديم «ولقح الأدب اللاتيني بالأدب اليوناني القديم، وانتشر إلى كثير من دول أوروبا، وساعد على ذلك اختراع الطباعة^(٣).

مركز الحضارة الإغريقية؛

كانت مدينة بلخ^(٤) مركزاً للحضارة الإغريقية، بصفتها مقر ملوك بكتريا من الإغريق وفي عهد الاكمينين كانت بلخ مدينة مقدسة للديانة الزرادشتية، ثم انتشرت بها الديانة البوذية أيام ملوك الكوشانيين^(٥).

(١) قصة الحضارة، لول ديورانت وويليام جيمس ديورانت، تقديم: الدكتور محيي الدين صابر. ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل، بيروت-لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، عام النشر: ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، (٢٦/١٧٤).

(٢) ينظر: التفكير الفلسفي في الإسلام، للدكتور: عبد الحليم محمود، دار المعارف، ط٢، (ص١٩٩).

(٣) جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الالحادي، للدكتور: محمود عبدالحكيم عثمان مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠١هـ، (ص١٧٠، ١٧١).

(٤) تقع بلخ على نهر جيحون، ولذلك يقال لجيحون نهر بلخ وهي من أجل مدن خراسان، ينظر: ياقوت، معجم البلدان (١/٧١٣).

(٥) دائرة المعارف الاسلامية: وتضيف أنها كانت القصبة السياسية لولاية خراسان القديمة ثم أصبحت المركز الثقافي والديني لمملكة طخارستان، (٤/٧٨).

المطلب الثالث

عقائد اليونانيين ومبادئهم

أولاً: نماذج من زعماء الإغريقين:

أئمة وزعماء الإغريقين اليونانيين كثيرون الذين بحثوا عن الفلسفة اليونانية وأسوا منهجاً وآرائها المحتوى في الوجود وتفسيراته والكون ظاهره وباطنه والتغيرات التي يحصل فيها والمادة والطبيعة وبحثوا علم الإلهيات وما وراء الطبيعة لكن نجحوا في الرياضيات والعلوم الطبيعية حيث فشلوا في البحث عن العلوم الإلهية والعقيدة المتعلقة بعلم الله. فمن هؤلاء ما يلي:

١- فيثاغورس^(١).

٢- أفلاطون^(٢).

٣- جالينوس^(٣).

وغيرهم من فلاسفة اليونانيين الإغريقين^(٤).

(١) فيثاغورس فيلسوف ورياضي يوناني. عاش مع أتباعه حياة مشتركة في الزهد، يقول بتناسخ الأرواح عاش في القرن ٦ ق. م. انظر: المنجد في الإعلام (ص ٥٣٥).

(٢) أفلاطون: من كبار فلاسفة اليونان وهو تلميذ سقراط ومعلم أرسطو توفي سنة ٣٤٧ ق. م. المنجد في الإعلام (ص ٥٥).

(٣) جالينوس: هو آخر عظماء الأطباء من الإغريق، كان وجيهاً عد الملوك، كثير الوفادة عليهم، ولد سنة ١٣٠ م. إلا أن ابن النديم قال: بينه وبين المسيح ٥٧ سنة، عاش ٨٠ سنة تقريباً. الفهرست (٣٤٨/٧).

(٤) ينظر: قصة الفلسفة تأليف ول ديورانت (ص ٣٨٨ وما بعدها)، قضية العناية والمصادفة في الفكر الغربي للدكتورة سارة بنت عبد المحسن (ص ٣٧ وما بعدها)، (ص ١٧٣ وما بعدها)، (ص ٧٦٣ وما بعدها). بواسطة: الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، لآمال بنت عبد العزيز العمرو، (ص ٣٣٧).

والحقّ أنّ الذي قرأ شيئاً من الفلسفة الإغريقية القديمة يعلم يقيناً أنّ فكرة الولاية الصوفية هذه منقولة عن هذه الفلسفة فألهة الإغريق قديماً- كما صورتها الإلياذة والأوديسيا- يتصرفون في الكون ولكل منهم جانب خاص من جوانب العالم، فمارس هو إله الحرب، وكيوبيد هو إله الحب، وافروديت هي إلهة الجمال، وأبوللو هو رب الأرباب وهكذا... إنّ فكرة تعدد الآلهة عند الإغريق وتصرفهم في الكون هي فكرة الولاية الصوفية تماماً حيث يعبد هؤلاء الولاية الصوفيون بمصائر البشر، ويتحكمون في أرزاقهم وأعمالهم، ويتصارعون أيضاً ويتنافسون كما يصنع آلهة الإغريق تماماً^(١).

ثانياً: نماذج من معتقدات الإغريقين اليونانيين:

١- وحدة الوجود. يقول فيلسوف أفلوطين: لا يجوز إطلاق صفة من الصفات على واجب الوجود، لأن في ذلك تشبيهاً له بالأفراد^(٢).

٢- حيوانية الانسان. وقد نقل عن بعض فلاسفة الإغريق قولهم الإنسان حيوان إذا أغفل تعليمه يصل في منتهى التوحش والقوة، وإذا أضيف التعليم إلى طبيعته الخيرة عاد أليفاً منصفاً^(٣).

(١) دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية، للدكتور صالح الرقب- الدكتور محمود الشوبكي، قسم العقيدة- كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية- غزة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م (ص ١١٩).

(٢) علاقة ذات الله بصفاته للدكتور راجح الكردي (ص ١١١)، والإمام ابن تيمية وقضية التأويل (١٧٨، ١٧٩) نقلاً: دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية، تأليف: الدكتور صالح الرقب- الدكتور محمود الشوبكي، (ص ٣٢١)، وينظر: الشرك في القديم والحديث، لأبي بكر محمد زكريا، أصل هذا الكتاب: رسالة علمية نال بها الباحث درجة الماجستير بتقدير ممتاز من شعبة العقيدة بالجامعة الإسلامية، بإشراف الأستاذ الدكتور أحمد بن عطية الغامدي، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢١هـ، (١/ ٨٠٩).

(٣) مبادئ علم الإجماع، لعوض محمد، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٠م (ص ٢٨٧).

٣- واجب الوجود طبقوا هذا الاعتقاد مفهوم وحدانية الله: وقد اضطرتهم المحافظة على مفهوم الوحدة بخصائص واجب الوجود الإغريقية إلى نفي صفات الرب **عَزَّجَلَّ**.

٤- ألوهية رجال الاغريقين وعدم قابلية حكامهم للفساد. يقول «شيشرون: الإغريق في آسيا كانوا متأثرين جداً بعدم قابلية حكامهم للفساد إلى درجة أنهم كانوا يعتقدون في كل إمبراطور من أباطرتهم أنه رجل إلهي نزل من السماء وهبط إلى إقليمهم»^(١).

٥- الحلول والاتحاد. وهذا ما أوضحه جوتييه: ليس يرضى الله ان يهيمن على المعالم من فوق فحسب، بل يود ان يكون في باطن الكائنات، وأن يرى الطبيعة متجلية فيه، ويرى نفسه متجلياً في الطبيعة فما يخلق الله والله حياته وقوته شيء واحد^(٢).

٦- اعتقادهم بأن الله يعلم الكليات دون الجزئيات.

٧- تقديس الفيلسوف بأنه بمنزلة النبي أو أفضل.

٨- اعتقادهم بحشر الأرواح دون الأجساد.

٩- اعتقادهم بان الجنة والنار خيال ليسا حقيقة.

١٠- اعتقادهم إكبار العقل وأنه مقدم على الوحي.

(١) العقائد النصرانية، كتبه: الفقير إلى عفو ربه أخوكم / التيمي (ص ٦٨).

(٢) مبادئ الفلسفة، لرابوبرت، ترجمه، أحمد أمين، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٣ م.

١١- تعدد الإلهيات وكثرتهم عند اليونان وكل واحد من الآلهة له مهام خاص غير الآخر^(١).

١٢- اعتقادهم أن النبوة مكتسب فانزلوا النبوة منزلة الهلوسة وحديث النفس مرددا كلام الفيلسوف أرسطو الذي لا يؤمن بإله ولا نبوة، وكان يعتقد أن الجسد سجن النفس، وأن أي إنسان إذا أجاع الجسد أو أمرضه، انطلقت نفسه، وعنها تتصل بالعالم العلوي فتسمع أصواتا وترى أشباحا... هذه هي نظرية النبوة عند الإغريق، والمستشرق تبنى هذه الأفكار وأسقطها على محمد صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢).

واليونانيون عندهم أعياد وذكريات واحتفالات في تاريخ معين ومن تلك الأعياد عيد الأم يوم الأحد في إنجلترا^(٣).

وقد اختير يوم الأحد الأول من شهر مايو للاحتفال بعيد الأم^(٤).

وأما اليونان الإغريق فقد دخلوا في الدين الجديد أفواجا أفواجا أيضا، يقول منسي وفي عهد البابا أنيانوس نجحت التعاليم المسيحية، واتسع نطاقها،

(١) العقائد النصرانية، (ص ٧٩).

(٢) آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي عرض ونقد، إعداد الدكتور: إدريس حامد محمد المصدر: موقع صيد الفوائد، (ص ٤٤).

(٣) هي أكبر الدول الأربع التي تكوّن المملكة المتحدة لبريطانيا وأيرلندا الشمالية وغالبًا ما تختصر إلى بريطانيا أو المملكة المتحدة. أما الدول الباقية فهي، أيرلندا الشمالية واسكتلندا وويلز. منذ مئات السنين كانت إنجلترا تمثل إحدى أهم دول العالم؛ إذا ابتكر أهلها الثورة الصناعية. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٤١٦ هـ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، (٣/ ١٦٥).

(٤) عيد الأم... هل نحتفل؟، لشحاتة محمد صقر، تقديم: فضيلة الشيخ ياسر برهامي، دار الخلفاء الراشدين-الإسكندرية، دار الفتح الإسلامي-الإسكندرية (مصر)، (ص ٣٩).

وتمذهب بها الكثيرون من أرباب المناصب العالية والأكابر والأعيان، وبعض رجال الدولة

وهؤلاء الأكابر وأصحاب المناصب إنما كانوا إما من الإغريق أو الرومان^(١).

ثالثاً: من مصطلحات الإغريق اليوناني في الفلسفات:

المادية الجدلية:

الجدلية، أو الديالكتيك مأخوذة من الكلمة اليونانية دياليغو ومعناها المجادلة والمناظرة. ثم صارت مصطلحاً علمياً عند فلاسفة الإغريق، يدل على حركة التغير والتطور الملاحظة في أشياء هذا الكون، وكأن عناصر الكون تتجادل فيما بينها في حركة دائمة.

ويضيف الفيلسوف الألماني هيغل على ذلك تصوراً خاصاً لهذه الحركة الدائمة في الكون، حتى ظن هذا التصور قانوناً ثابتاً، تخضع له العمليات المنطقية الفكرية، وعمليات الكون، وحركة التاريخ الإنساني، لكنه اعتبر هذا القانون نظاماً للقوة الغيبية، المهيمنة على الكون والمتصرفة فيه.

أما التصور الذي رآه هيغل فهو أن الحركة الجدلية تكون في المطلق تصوره، وهو الذات الكلية التي تنتظم كل شيء، وكل الأشياء إنما هي تطور ونمو جدلي لهذه الذات الكلية، وأن حركة التغير تكون وفق دورات لولبية صاعدة، كل دورة على ثلاث مراحل، هي الوضع الأول، ثم انقلابه إلى

(١) لعنة جماعة الأمة القبطية، لأنجاد، بدون (ص ١٦٩).

نقيضه، ثم مركب الوضع ونقيضه بعد توحيدهما بسقوط التناقض بينهما، وارتفاعهما بهذا التوحيد إلى ما هو أسمى من الوضع ونقيضه^(١).



(١) الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، المؤلف: آمال بنت عبد العزيز العمرو، (١/٣٣٨).

المطلب الرابع

الرّد على الفلسفة

سبق الحديث عن الفلسفة وبيان أنها كلمة دخيلة أجنبية في مصطلحات الشريعة وأنها ترجع الى أفكار مزيج وثنية ويونانية ملحدة وأن الواضعين والمتفلسفين ليسوا من أهل الإسلام ولا هم من أصحاب الديانات السابقة المنزلة من عند الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**؛ بل هي مجرد عقول بشرية صرفة لا تستند إلى وحي من الله ولا دليل شرعي يحتاج به؛ بل تخضع الى عقل بشري يخطأ ويصيب ويهدي ويضل؛ ولذا لقد غلب منهج ومذهب الفلاسفة التناقضات والاضطرابات والاختلافات فيما بينهم وفي أنفسهم كل له نظريته يخالف من قبله كل هذا بسبب الشك والاضطراب والحدس قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ** في معرض حديث له عن الفلاسفة: «أنك تجدهم أعظم الناس شكًا واضطرابًا وأضعف الناس علما ويقينا وهذا أمر يجدونه في أنفسهم ويشهده الناس منهم».

وشواهد ذلك أعظم من أن تذكر هنا. وإنما فضيلة أحدهم باقتداره على الاعتراض والقدح والجدل.

ومن المعلوم أن الاعتراض والقدح ليس بعلم ولا فيه منفعة وأحسن^(١).

(١) مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، (٢٧/٤).

والفلاسفة أعظم الناس اختلافاً وتناقضاً واضطراباً من جميع طوائف المسلمين واليهود والنصارى^(١).

والفلاسفة ليسوا خاصاً في أمة معينة وزمن معين بل يوجد سائر الأمم الغابرة والمعاصرة وليسوا لهم دين واعتقاد سديد^(٢).

قال ابن القيم في نونيته:.

وكذاك توحيد الفلاسفة الألى توحيدهم هو غاية الكفران^(٣)

والسبب في ذلك أن الفلسفة تقوم على أوهام وخيالات وظنون ما أنزل الله بها من سلطان ولا حجة دامغة؛ لأن كل علم لا يستضيء بنور الوحي وإنما هو اتباع الى الهوى والشیطان ولو كان المنظرين من حذاق عصرهم وجماع نهاية عقولهم وأفكارهم: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

العلم هو معرفة الحق بدليله.

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة هم أولو العرفان

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأي فلان^(٤)

(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٠٨هـ (٨٣٨/٣).

(٢) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، (٢٦٣/٢).

(٣) متن القصيدة النونية، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٢، ١٤١٧هـ، (ص ٢٣١).

(٤) متن القصيدة النونية، للإمام ابن القيم، (ص ٢٢٦).

فعلم الفلاسفة علم أوهام وخيالات وضلال وهذيان يتخبط كخبط عشواء لأنهم يقودهم إلى نفي وجود الله وأن الله لم يخلق السموات والأرض في ستة أيام ولا يحيي الموتى ولا يبعث من في القبور ولا يعلم شيئاً من الموجودات ولا أرسل إلى الناس رسلاً يأمرهم بطاعته تسمية ذلك حكمة فأبي علم بهذا^(١).

وقد نفذ أفكار الفلاسفة اليونانية علماء كثيرون عاشوا في عصرهم وردوا عليها بمؤلفات عدة وكشفوا عورها بحجج عقيلة ونقلية ونظرية وحسية موضحة أصولها ومنهجها، إلا أن هناك وجهات ونزر وآراء تلك العلماء أمام التراث القديم العقلية الإغريقية الفلسفة اليونانية فاخلص هذه الأفكار في أربعة آراء.

الفريق الأول: المؤيدين والمعجيين بعلم الفلسفة اليونانية.

ومن هؤلاء أبي نصر الفارابي، وابن سينا، وابن رشد، ونصير الدين الطوسي.

ومن أقوال ابن سينا في التأييد للفلسفة والدفاع لها.

قوله: «أنه مضى عليه أمد طويل إلا أن القضايا والتحقيقات التي أدلى بها لم تحتج الى زيادة».

الفريق الثاني: موقف الرد والنقد مطلقاً بدون تفصيل.

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، (٩٦/٣).

ومن هؤلاء، الإمام الغزالي الذي ألف كتابه «تهافت الفلاسفة» الذي أحدث ضجة في إيوان الفلسفة وأبو البركات البغدادي «المعتبر» أبطل فيه أفكار أرسطو في كثير من المسائل.

الفريق الثالث: استخدام مصطلحات الفلاسفة ومنهجها كوسيلة للرد على محتوى الفكرة ونصرة للدين والسنة واستدلالاً لصحة العقيدة الإسلامية، وهؤلاء هم علماء الكلام.

الفريق الرابع: موقف التفصيل.

أولاً: حيث يؤخذ علم الفلاسفة قسم الرياضيات والعلوم والطبيعة واما علم الإلهيات فلا يعول عليه لأنهم من أجهل الناس به وأبعدهم عن الحق كما قال شيخ الإسلام بن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى** للمتفلسفة في الطبيعيات خوض وتفصيل تميزوا به بخلاف الإلهيات فإنهم من أجهل الناس بها وأبعدهم عن معرفة الحق فيها وكلام أرسطو معلمهم فيها قليل كثير الخطأ فهو لحم جمل غث على رأس جبل وعراً لا سهل فيرتقى؛ ولا سمين فينتقى^(١).

وبعد هذه الأقوال وأصحابها في الرد على الفلاسفة أذكر جملة من الرد والنقد مقارناً بين وجه الشبه في علم العقيدة الصحيحة وعلم الفلاسفة المنطقية والعقلية فقط ومن تلك الردود ما يلي:

(أ) أن الفلسفة اليونانية جوهرها الوثنية الإلحادية^(٢).

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (١٩/١٦٣).

(٢) تاريخ الفكر الديني الجاهلي، لمحمد إبراهيم الفيومي، دار الفكر العربي، الطبعة: الرابعة ١٤١٥هـ، (ص ٢٤٣).

(ب) أن الفلاسفة هم أهل الوهم والتخيل، لأنهم يعتقدون أن الرسل لم يفصحوا للخلق بالحقائق إذ لهم إدراكها، وإنما أبرزوا لهم المعقول في صورة المحسوس^(١).

١- من مصادر المذاهب الفكرية الفلسفة اليونانية والفلسفة الارسطو^(٢).

٢- المكر والكيد للمسلمين.

٣- المكائد المدبرة للمسلمين من قبل أهل الكتاب لنسف عائد الإسلام وتمير عقائدهم المحرفة المنسوخة من فلسفة اليونان والإغريق، بمعنى أن هناك كيد من قبل أهل الكتاب لتمير عقائدهم، وهذا واضح من الاستقراء التاريخي، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين^(٣).

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال عن هؤلاء الوثنيين: كلامه ينطبق على كل عصر ومصر: هؤلاء المتفلسفة إنما راجوا على أبعد الناس عن العقل والدين؛ كالقرامطة والباطنية الذين ركبوا مذهبهم من فلسفة اليونان ودين المجوس، وأظهروا الرفض، وكجهال المتصوفة وأهل الكلام، وإنما ينفقون في دولة جاهلية بعيدة عن العلم والإيمان، إما كفارا، وإما منافقين،

(١) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (١/٨، ١٢) وينظر: «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة» تحقيق الدكتور: علي بن محمد الدخيل الله (٢/٤١٨).

(٢) الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، لآمال بنت عبد العزيز العمرو، (ص ٩١).

(٣) دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية، للدكتور صالح الرقب- الدكتور محمود الشوبكي، قسم العقيدة- كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية- غزة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، (ص ٣٢٨).

كما نفق منهم من نفق على المنافقين والملاحدة، ثم نفق على المشركين الترك. وكذلك إنما ينفقون دائماً على أعداء الله ورسوله من الكفار والمنافقين^(١).

١ - أن أصحاب الفلسفة أكثر الناس افتراقاً واختلافاً وتنازعاً.

كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى**: «وأهل السنة والحديث أعظم الناس اتفاقاً وائتلافاً وكل من كان من الطوائف إليهم أقرب كان إلى الاتفاق والائتلاف أقرب. فالمعتزلة أكثر اتفاقاً وائتلافاً من المتفلسفة إذ للفلاسفة في الإلهيات والمعاد والنبوات بل وفي الطبيعيات والرياضيات وصفات الأفلاك من الأقوال ما لا يحصيه إلا ذو الجلال»^(٢).

٢ - أن الفلاسفة هم أهل الحيرة والاضطراب.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللهُ**: «الثبات والاستقرار في الجملة عند أهل الحديث والسنة أضعاف مضاعفة ما هو عند أهل الكلام والفلسفة؛ بل المتفلسف أعظم اضطراباً وحيرة في أمره من المتكلم»^(٣).

وغير ذلك من الردود لكشف زيفها وحيرتها وفضائحها لئلا يغتر به الناس وأخيراً اختتم كلام ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ** حيث يقول: ولهذا رام فلاسفة الإسلام الجمع بين الشريعة والفلسفة كما فعل ابن سينا والفارابي واضرابهما وآل بهم أن تكلموا في خوارق العادات والمعجزات على طريق الفلاسفة المشائين وجعلوا لها أسباباً ثلاثة أحدها القوى الفلكية والثاني القوى النفسية

(١) الرد على المنطقيين (ص ١٨٧).

(٢) نقض المنطق، لابن تيمية، (ص ٧٤).

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٤ / ٥١).

والثالث القوى الطبيعية وجعلوا جنس الخوارق جنسًا واحدًا وأدخلوا ما للسحرة وأرباب الرياضة والكهنة وغيرهم مع ما للأنبياء والرسل في ذلك وجعلوا سبب ذلك كله واحدًا وإن اختلفت بالغايات والنبي قصده الخير والساحر قصده الشر وهذا المذهب من افسد مذاهب العالم وأخبثها وهو مبني على إنكار الفاعل المختار وأنه تعالى لا يعلم أجزئيات ولا يقدر على تغيير العالم ولا يخلق شيئًا بمشيئته وقدرته وعلى إنكار الجن والملائكة ومعاد الأجسام وبالجملة فهو مبني على الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر^(١).

والخلاصة: أن سمة القرن الخامس عشر كانت العودة إلى الثقافة القديمة، والثورة على ما استحدث العصر الوسيط من أدب وفلسفة وفن وعلم ودين؛ بل وأسباب الحياة السياسية والاقتصادية.

وقد كانت الفلسفة في طور تكوينها تنظر إلى الماضي، ولست أعني ذلك الماضي القريب، الذي كانت على وشك أن تفارقه، وإنما أعني الماضي البعيد وعهده القديم عهد الإغريق والرومان واعتاضت بما وجدته فذلك العهد، عن عقائد القرون الوسطى^(٢).

نعم فالحقيقة الواقعة أن انشغال التراث القديم العقلية الإغريقية يورث صاحبها ويرديها إلى المهالك والفساد وسفاسف الأمور وتهضم القيم

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت، (١١٩/٢).

(٢) مبادئ الفلسفة، (ص ١١٦).

ومعالي الأخلاق؛ لأن أصول الفلسفة اليونانية ترجع الفكرة الوثنية القديمة والجاهلية العمياء التي تبالي ولا تعتقد أي دين سماوي بل اتباع للهوى والشهوات والملذلات وتميل الرياح حيث هبت ومالت إلى شهواتهم فينبغي الإعراض والاجتناب عن الفلسفة اليونانية وخاصة في علم الإلهيات أي العقيدة حفظا لدين المسلم وصيانة من الفتن؛ لأن علم الكلام والفلسفة يفسد حياة الإنسان، بل يفسد عقائد المسلمين؛ لأنها مبنية على الهوى والعقل والقياس لا مستند لها من الكتاب والسنة^(١).

قال الإمام مالك **رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى**: «والكلام في الدين أكرهه ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل»^(٢).

واليك فيما يلي نماذج من ضلالات الفلاسفة على سبيل الإجمال:

- ١- يقولون بقدوم العالم.
- ٢- يقولون: بأن الله يعلم الكلّيات دون الجزئيات.
- ٣- يقولون: بأن منزلة الفيلسوف كمنزلة النبي، وربما فضل بعضهم الفيلسوف على النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

(١) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، محمد طاهر التنير (ص ١٧٣)، اليهودية والمسيحية، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، (ص ٢٨٢، ٢٩٩، ٤١٤-٤١٥)، المسيحية، أحمد شلبي، (ص ١٥٠). وكتاب: الله جلّ جلاله واحد أم ثلاثة؟ للدكتور: منقذ بن محمود السقار، دار الإسلام للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧ م، (ص ٢١٥).

(٢) ينظر: صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام (مطبوع معه: جهد القريحة في تجريد النصيحة)، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: الدكتور علي سامي النشار، السيدة سعاد علي عبد الرازق، مجمع البحوث الإسلامية، (ص ٧).

- ٤- يقولون: بحشر الأرواح دون الأجساد.
- ٥- يقولون: بأن الجنة والنار أمثال مضروبة وخيالات؛ لتفهم العوام، وضبطهم دون أن يكون لها حقيقة في الخارج.
- ٦- يرون: أن العقل مقدم على الوحي^(١).

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ أَنْ الفارابي، وابن سينا، وغيرهم من الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام أنهم وإن كانوا قد توسعوا في مباحث الفلسفة، وتكلموا في الإلهيات والنبوات والمعاد بها لا يوجد عند الفلاسفة المتقدمين، وكان كلامهم أجود وأقرب إلى الحق من كلام سلفهم إلا أنهم مزجوا الحق الذي أخذوه من الدين بالباطل الذي بنوه على أصولهم الفلسفية الفاسدة، وحاولوا التوفيق بين الدين والفلسفة، ولكن على حساب الدين؛ فهم يعمدون إلى النصوص، فيؤولونها بتأويلات بعيدة ومتكلفة حتى تتلاءم مع قواعدهم الفلسفية.

فيقولون مثلاً: إن صفات الله التي جاء بها القرآن، ونطقت بها السنة ليست إلا تعبيرات عن ذات واحدة.

ويقولون: إن العرش هو الفلك التاسع، والكرسي هو الفلك الثامن، والملائكة هي النفوس والقوى التي في الأجسام، وما يحدث من العالم من خوارق العادات حتى معجزات الأنبياء إنما سببه عندهم قوة فلكية، أو طبيعية، أو نفسانية إلى غير ذلك من الأمور التي وجدوها في الفلسفة فتمحلّوها لها نصوصاً من الدين.

(١) ينظر: رسائل في الأديان والمذاهب والفرق، لمحمد إبراهيم الحمد، (ص ١٩، ٢٠).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «للمتفلسفة في الطبيعيات المادية والحسية خوض وتفصيل تميزوا به بخلاف الإلهيات؛ فإنهم من أجهل الناس بها، وأبعدهم عن معرفة الحق فيها.

وكلام أرسطو معلمهم فيها قليل كثير الخطأ فهو لحم جمل غثٌ على رأس جبل وعِرٌّ؛ لا سهل فيرتقى، ولا سمين فيقلّي»^(١).

وقال **رَحْمَةُ اللَّهِ** في معرض حديث له عن الفلاسفة وأهل الكلام: المشهور أن الفلاسفة والمتكلمين جملة من أعظم بني آدم حشواً وقولاً للباطل، وتكذيباً للحق في مسائلهم ودلائلهم، لا يكاد-والله أعلم-تخلو لهم مسألة واحدة عن ذلك^(٢).

هذا وقد بين علماء الإسلام ضلال الفلاسفة، وانحرافهم عن سواء

الصرائط:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «حدثني ابن الشيخ الخضيري^(٣) عن والده الشيخ الخضيري شيخ الحنفية في زمنه قال: كان فقهاء بخارى: يكفرون ابن سينا»^(٤).

وقال ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** عن ابن سينا: «كان معطلاً مشرّكاً جاحداً للنبوات والمعاد، ولا مبدأ عنده ولا معاد، ولا رسول ولا كتاب»^(٥).

(١) مجموعة الرسائل الكبرى، لابن تيمية (١/١٨٦).

(٢) نقض المنطق، لابن تيمية (ص ٢٤).

(٣) قال الشيخ البهائي سليمان الصنيع **رَحْمَةُ اللَّهِ** في حاشية كتاب نقض المنطق (ص ١٨١): «الصواب الخصيري بالحاء والصاد نسبة إلى محلة يعمل فيها الحصير».

(٤) نقض المنطق (ص ١٨١).

(٥) إغاثة اللهفان (ص ٦٢٠).

وقال الذهبي **رَحِمَهُ اللهُ** عن ابن سينا: «وما أعلم روى شيئاً من العلم، ولو روى لما حلت الرواية عنه لأنه فلسفي النحلة ضال»^(١).

وقال عنه ابن كثير **رَحِمَهُ اللهُ**: «وقد حصر الغزالي كلامه في مقاصد الفلاسفة ثم رد عليه في تهافت الفلاسفة في عشرين مجلساً، وكفره في ثلاث مسائل كبار منها، وهي قوله بقدم العالم، وعدم المعاد الجثمانى، وأن الله لا يعلم الجزئيات، وبدّعه في البواقي»^(٢).

العنصر الرابع: الفروق الواضحة بين ما جاءت به الرسل وأفكار

الفلاسفة المضلّة:

يستغني المسلم عن أفكار الفلاسفة ونظرياتهم وعلومهم المبينة على الأهواء والضلال والأساطير والظنون والشكوك والأوهام والخيالات، بما جاء به الكتاب والسنة لأنها وحيا من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ولن يترك أحد منهما إلا ضلّ الطريق المستقيم.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

المائل عن هذا الصراط يكون من الغاوين والهالكين ويعيش في الدنيا معيشة ضنكا وفي الآخرة عذاب شديد.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٥].

(١) ميزان الاعتدال (١/ ٥٣٩).

(٢) البداية والنهاية (١٢/ ٤٦).

فالآية تدل على كل من أعرض عن وحي الله المنزل من فوق سبع سموات واتبع هواه والشيطان من فلاسفة ومذاهب فكرية معاصرة الوافدة والدخيلة في أوساط المجتمع المعادي لما أنزل على رسل الله وهو الوحي المعصوم الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾. وهو منصوص في كل شيء صالح لكل زمان ومكان.

قال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

الفرق الاول: أن الوحي معصوم جاء من الله لا يطرأ عليه نقص ولا خطأ وهو محفوظ الى يوم القيامة:
أما ما جاءت به الفلاسفة فخيالات وظنون، وهوس وضلال، ومصدرهم العقل.

الفرق الثاني: أن ما جاءت به الرسل من أصول الدين متفق مؤتلف: فهو مثانٍ متشابهةٌ يصدّق بعضها بعضاً، ويدل بعضها على بعض.
بخلاف ما جاءت به الفلاسفة فهو في أغلبه متناقض متهافت.

الفرق الثالث: أن ما جاءت به الرسل يتلاءم مع الفطرة، بخلاف كلام الفلسفة فهو يعمي الفطر، ويبعد الإحساس.

الفرق الرابع: أن ما جاءت به الرسل واضح جلي: يفهمه العالم والعامي، ويدركه العربي والعجمي، والصغير والكبير.
بخلاف كلام الفلاسفة؛ فهو أشبه ما يكون في أغلبه بالطلاسم، والرموز.

الفرق الخامس: أن ما جاءت به الرسل حق كله: بل لا سبيل إلى الحق إلا عن طريقهم بخلاف ما جاءت به الفلاسفة؛ فهو في أغلبه باطل، وما فيه من حق إنما هو ما أخذ من طريق الرسل أو أتباعهم.

الفرق السادس: أن السعادة في الدنيا والآخرة إنما تكون باتباع ما جاءت به الرسل: وأن الشقاء في الدنيا والآخرة إنما يكون بالإعراض عما جاءوا به، ويوم القيامة لن يقال: «ماذا أحببتم الفلاسفة»، وإنما سيقال: قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

الفرق السابع: أن أتباع الرسل خير وبركة واجتماع: وأما اتباع الفلاسفة فشك، وحيرة، وعمى، واضطراب، وافتراق.

الفرق الثامن: أن أتباع الرسل هم أسعد الناس، وأعلم الناس، وأزكى الناس، وأعلاهم رتبة في كل فضيلة: فهذه الأمور تعظم وتزداد بحسب الاتباع، وكل من اتبع الرسل فله نصيب من ذلك بحسبه.

بخلاف أتباع الفلاسفة فهم وإن أوتوا عقولاً، وفهماً فإنهم يعيشون في قلق، وضيق، وضنك.

هذه بعض الأمور التي تؤيد ما ذكر سابقاً، والأدلة النقلية، والعقلية، والفطرية، والواقعية تدل على ذلك^(١).

العنصر الخامس: نماذج من أقوال السلف الصالح في الرد على الفلسفة.

(١) ينظر: رسائل في الأديان والمذاهب والفرق، لمحمد إبراهيم الحمد، (ص ٢٧، ٢٨).

لقد تصدى علماء الإسلام رَحِمَهُمُ اللَّهُ للفلسفة، وبينوا عوارها وزيفها، وبينوا في الوقت نفسه عظم ما جاءت به الرسل من الحق، والهدى، والسعادة.

ويأتي على رأس هؤلاء العلماء شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

فهو ممن خَبَرَ الفلسفة، وسبر غورها، ورد على الفلاسفة، وبين بطلان ما هم عليه بالدليل النقلي والعقلي. بل إنه رَحِمَهُ اللَّهُ استطاع أن يعكس الأمر على خصومه، ويشككهم في معقولاتهم، واستطاع أن يقوم بنفس الدور الذي قام به الفلاسفة حينما كانوا يجزّون النصوص إلى الفلسفة، فأخذ هو يجزّ العقل إلى خدمة النقل.

وفي سبيل ذلك اضطر إلى أن يهدم كثيرًا من قضايا العقل التي يظنها الناس ضرورية، وأن يقيم مكانها أخرى تتلاءم مع نصوص الشرع الصريحة بحيث لا يُحتاج بإزاء هذه النصوص إلى إنكار أو تأويل. وقد ألف كتبًا في هذا السياق، ومنها: «نقض المنطق»، و«درء تعارض العقل والنقل»، وغيرها.

فإليك بعض النقول من شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم

رحمهما الله تعالى:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد تبين أن أصل النجاة من العذاب وأصل السعادة هو توحيد الله وحده لا شريك له، والإيمان برسله واليوم الآخر، والعمل الصالح»^(١).

(١) نقض المنطق، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن ابن حسن قائد، دار عالم الفوائد- مكة المكرمة، ط ١، ١٤٣٥ هـ، (ص ٢٩٥).

وقال: ومن المعلوم: أن المعظمين لأصحاب الكلام والفلاسفة المعتقدين لمضمونها هم أبعد عن معرفة الحديث وأبعد عن اتباعه من هؤلاء. هذا أمر محسوس بل إذا كشفت أحوالهم وجدتهم من أجهل الناس بأقواله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأحواله وبواطن أموره وظواهرها حتى لتجد كثيراً من العامة أعلم بذلك منهم ولتجدهم لا يميزون بين ما قاله الرسول وما لم يقله بل قد لا يفرقون بين حديث متواتر عنه وحديث مكذوب موضوع عليه.

وإنما يعتمدون في موافقته على ما يوافق قولهم سواء كان موضوعاً أو غير موضوع فيعدلون إلى أحاديث يعلم خاصة الرسول بالضرورة اليقينية أنها مكذوبة عليه عن أحاديث يعلم خاصته بالضرورة اليقينية أنها قوله وهم^(١).

وقال: وما يوجد من إقرار أئمة الكلام والفلسفة والشهادة على أنفسهم وعلى بني جنسهم بالضلال فأكثر من أن يحتمله هذا الموضع.

وكذلك ما يوجد من رجوع أئمتهم إلى مذهب عموم أهل السنة وعجائزهم كثير وأئمة السنة والحديث لا يرجع منهم أحد لأن الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب لا يسخطه أحد.

وكذلك ما يوجد من شهادتهم لأهل الحديث بالسلامة والخلاص من أنواع الضلال وهم لا يشهدون لأهل البدع إلا بالضلال.

وهذا باب واسع كما قدمناه.

وجميع الطوائف المتقابلة من أهل الأهواء تشهد لهم بأنهم أصلح^(٢).

(١) المرجع السابق (ص ١٤١).

(٢) نقض المنطق، لشيخ الاسلام بن تيمية، (ص ٣٦).

وقال: وإذا كانت سعادة الدنيا والآخرة هي باتباع المرسلين فمن المعلوم أن أحق الناس بذلك أعلمهم بآثار المرسلين وأتبعهم لذلك فالعالمون بأقوالهم وأفعالهم المتبعون لها هم أهل السعادة في كل زمان ومكان وهم الطائفة الناجية من أهل كل ملة وهم أهل السنة والحديث من هذه الأمة فإنهم يشاركون سائر الأمة فيما عندهم من أمور الرسالة ويمتازون عنهم بما اختصوا به من العلم الموروث عن الرسول فيما يحمله غيرهم أو يكذب به^(١).

وأهل السنة والحديث أعظم الناس اتفاقاً وائتلاًفاً وكل من كان من الطوائف إليهم أقرب كان إلى الاتفاق والائتلاف أقرب فالمعتزلة أكثر اتفاقاً وائتلاًفاً من المتفلسفة إذ للفلاسفة في الإلهيات والمعاد والنبوات بل وفي الطبيعيات والرياضيات وصفات الأفلاك من الأقوال ما لا يحصيه إلا ذو الجلال^(٢).

وقال ابن القيم: فلو قيس ما عند جميع الأمم من معرفة وعلم وهدى وبصيرة إلى ما عندهم لم يظهر له نسبة إليه بوجه ما، وإن كان غيرهم من الأمم أعلم بالحساب والهندسة، والكم المتصل والكم المنفصل، والنبض والقارورة والبول والقسطة، ووزن الأنهار ونقوش الحيطان، ووضع الآلات العجيبة، وصناعة الكيمياء، وعلم الفلاحة، وعلم الهيئة وتسيير الكواكب، وعلم الموسيقى والألحان، وغير ذلك من العلوم التي هي بين علم لا ينفع، وبين ظنون كاذبة، وبين علم نفعه في العاجلة وليس من زاد المعاد^(٣).

(١) نقض المنطق، (ص ٣٩).

(٢) المرجع السابق (ص ٧٤).

(٣) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لمحمد بن أبي بكر الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أحمد الحاج، دار القلم - دار الشامية، جدة - السعودية، ط ١، ١٤١٦ هـ - (٢/ ٤٤٢).

وقال ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ**: «ولهذا رام فلاسفة الإسلام الجمع بين الشريعة والفلسفة كما فعل ابن سينا والفارابي وأضرابهما وآل بهم أن تكلموا في خوارق العادات والمعجزات على طريق الفلاسفة المشائين وجعلوا لها أسبابا ثلاثة أحدها القوى الفلكية والثاني القوى النفسية والثالث القوى الطبيعية وجعلوا جنس الخوارق. جنسا واحدا وأدخلوا ما للسحرة وأرباب الرياضة والكهنة وغيرهم مع ما للأنبياء والرسل في ذلك وجعلوا سبب ذلك كله واحدا وان اختلفت بالغايات والنبي قصده الخير والساحر قصده الشر وهذا المذهب من أفسد مذاهب الالم وأخبثها وهو مبني على إنكار الفاعل المختار وأنه تعالى لا يعلم الجزئيات ولا يقدر على تغيير العالم ولا يخلق شيئا بمشيئته وقدرته وعلى إنكار الجن والملائكة ومعاد الأجسام وبالجملة فهو مبني على الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر»^(١).

وهذه الأقوال غيض من فيض من أقوال السلف الصالح رضوان عليهم أجمعين في التحذير والنقد البناء للفلسفة وأهلها وأنها لا تفيد صاحبه إلا شكّا وضلالاً واضطراباً واختلافاً ويكفي أن الفيلسوف ملحد جاحد بربه وخالقه ومنكر بكل ما يتعلق بالغيبات.

وأن أصول الفلسفة من الكفرة الذين يصدون عن سبيل الله ويضادون الخالق ورسله **عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وما أنزل إليهم من ربهم^(٢).

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لمحمد بن أبي بكر الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت، (٢/ ١١٩).

(٢) للمزيد ينظر: رسائل في الأديان والمذاهب والفرق، لمحمد إبراهيم الحمد، (ص ٢٩-٣٥).

المبحث الثاني

الحسّ والعلوم التجريبية

المطلب الأول

مفهوم المحسوس

إن ملتقى المذاهب الفكرية في الاعتماد والمصادر المحسوس أو الحس ونبذ كل ما لا تؤيده التجربة، والتحرر من العقائد الغيبة التي هي عندهم ضروب من الاوهام^(١)

كلمة المحسوس لغة: من حسّ الحاء والسين أصلاً: فالأول غلبة الشيء بقتل أو غيره، والثاني حكاية صوت عند توجع وشبهه. فالأول الحس بمعنى القتل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

ومن هذا الباب قولهم أحسست، أي علمت بالشيء. قال الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨].

ويقال للمشاعر الخمس الحواس، وهي: اللمس، والذوق، والشم، والسمع، والبصر. ومن هذا الباب قولهم: من أين حسست هذا الخبر، أي تخبرته.

(١) اتجاهات هدامة في الفكر العربي المعاصر، للدكتور: محمد محمد حسين، دار الارشاد، بيروت، (ص ٢٠).

والأصل الثاني: قولهم حس، وهي كلمة تقال عند التوجع. ويقال حسست له فأنا أحس، إذا رقت.

ومن هذا الباب وليس بعيداً منه الحساس، وهو سوء الخلق. ويقال الحساس الشؤم. فهذا يصلح أن يكون من هذا، ويصلح أن يكون من الأول لأنه يذهب بالخير^(١).

واصطلاحاً: هو القوة التي ترسم فيها صور الجزئيات المحسوسة. فالحواس الخمسة الظاهرة، كالحواسيس لها، فتطلع عليها النفس من ثمة فتدركها، ومحلها مقدم التجويف الأول من الدماغ، كأنها عين تتشعب منها خمسة أنهار^(٢).

وقيل: الإدراك بإحدى الحواس الخمس.
﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٢].
أدركوا شدة عذابنا إدراك المشاهد المحسوس^(٣).
الحسيس الحس قال تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٢].

(١) مقاييس اللغة لابن فارس، (٩/٢).

(٢) كتاب التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط ١، ١٤٠٣هـ (ص ٨٦).

(٣) الكلبيات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش-محمد المصري، مؤسسة الرسالة-بيروت، (ص ٥٩). وينظر: القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، للدكتور سعدي أبو حبيب، دار الفكر. دمشق -سورية، الطبعة: الثانية ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م، تصوير: ١٩٩٣م.

المحسوس المدرك بإحدى الحواس الخمس^(١).

هي قوة محلها مقدم التجويف الأوسط من الدماغ من شأنها التصرف في الصور والمعاني بالتركيب والتفصيل فتركب الصور بعضها^(٢).

هو الحسي أي المدرك بالحواس والمحسوسات الجمع وهو قد يكون محسوساً بالأصالة بالذات وقد يكون محسوساً بالعرض.

والمحسوس بالذات ما يكون محسوساً لا بالتبعية والمحسوس بالعرض ما يكون محسوساً بالتبعية لا بالأصالة، مثلاً البصر^(٣).

تعريف الحس المشترك: القوة التي ترتسم لها صور الجزئيات المحسوس بالحواس الظاهرة^(٤).

وينقسم الحواس الى خمسة أقسام:

الأول: الملموس.

الثاني: الذوق.

الثالث: الشم.

الرابع: المسموع.

الخامس: البصر^(٥).

وما يقابل المحسوس فيطلق الغيب مثل الملائكة والقيامة والجنة والنار.

(١) المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، (ص ١٧٣).

(٢) المباحث الشرقية للرازي (٢/ ٤٢٩).

(٣) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي مكتبة لبنان ناشرون-بيروت، ط ١-١٩٩٦م، (٢/ ١٤٨٧).

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون، للتهاني: (١/ ٣٠٢، ٣٠٤)، التعريفات للجرجاني، (ص ٩١).

(٥) ينظر: الجديد في الحكمة، لسعيد بن منصور بن كمونة، تحقيق: حميد مرعيد الكبسي، مطبعة جامعة بغداد، سنة النشر: ١٤٠٣م - ١٩٨٢م، مكان النشر: بغداد، (ص ٢٨٤).

ولهذا قال ابن القيم: المعلومات المشاهدة التي لا تدرك إلا بالخبر أضعاف أضعاف المعلومات التي تدرك بالحس والعقل، بل لا نسبة بينها بوجه من الوجوه، ويعتبر نسبة مئاوية ضئيلة ولهذا كان إدراك السمع أعم وأشمل من إدراك البصر، فإنه يدرك الأمور المدومة والموجودة والحاضرة والغائبة، والمعلومات التي لا تدرك بالحس والأمر الغائبة عن الحس نسبة المحسوس إليها كقطرة من بحر، ولا سبيل بها إلى العلم بها إلا بالخبر الصادق^(١).

فإذا أبطلنا هذه العلوم فإننا قد أبطلنا علوماً جمّة، ومعارف كثيرة، وليس هذا النداء إلى الجهل والطيش^(٢).

الفرق بين المحسوس والمادة والصورة:

أما المحسوس فهي الصّورة مع الطينة، وأما المادة فهي القوّة، وأما الصّورة فهي الفعل والماهية^(٣).



(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٠٨هـ، (٣/ ٨٧٣).

(٢) الشرك في القديم والحديث، لأبي بكر محمد زكريا، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢١هـ، (ص ٧٥٧).

(٣) ينظر: (رسائل الكندي الفلسفية / ١٦٧، المقابسات / ٣٦٦).

المطلب الثاني

أنواع المحسوسات باعتبارات مختلفة

أقسام الحسّ باعتبار الظاهر والباطن:

ينقسم الحسّ باعتبار الظهور والخفي إلى قسمين:

١- **حسّ ظاهر:** هو الحواس الخمس كالسمع والبصر، واللمس، والذوق، والشم.

٢- **حسّ باطن:** ما عدى الحواس الخمس مثل الغضب، والفرح، والجوع، والشبع، وغير ذلك من الحوس الباطني والمعنوي^(١).

ويصدق قول ابن تيمّة **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى** حيث يقول: «أن الموجودات المتصورة أما أن يتصورها الإنسان بحواسه الظاهرة كالطعم واللون والريح والأجسام التي تحمل هذه الصفات وأما أن يتصورها بمشاعره الباطنة كما تتصور الأمور الحسية الباطنة الوجدية مثل الجوع والشبع والحب والبغض والفرح والحزن واللذة والألم والإرادة والكراهية والعلم والجهل وأمثال ذلك وكل من الأمرين قد يتصوره معيناً وقد يتصوره مطلقاً أو عامّاً وهذه التّصورات جميعها غنيّة عن الحد ولا يمكنه تصور شيء بدون مشاعره الظاهرة والباطنة وما غاب عنه يعرفه بالقياس والاعتبار بما شاهده»^(٢).

(١) موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب، لجيرار جهامي (معاصر)، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط ١ / ١٩٩٨ م، (ص ٧٨٤).

(٢) الرد على المنطقيين، لابن تيمية الحراني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (ص ١١).

ومن الخطأ الشائع حصر الحسّ بالحواس الخمسة الظاهرة دون تعميم الى الحواس الباطنة والتحقيق أن الحسّ يدخل في الظاهر كما أنه يدخل في الباطن أو المعنوي؛ لأن الحواس الظاهر لا تتحقق بالعملية والتطبيق إلا بمرور من الحواس المعنوي حيث يبدأ الشعور أولاً ثم يحسّ أو يطبق.

والخلاصة أن الحسّ الظاهر والحسّ الباطن نوع واحد لأمر:

١- أن الوجدانيات تلتقي مع الحواس الظاهرة في طبيعتها وموضوعها فطبيعتها واحدة؛ لأن الوجدانيات إنما هي انطباعات بمشاعر معينة كما في الحسّ الظاهر. فكما أن البصر إدراك لمرئي معين وكذا الجوع والشبع ما هي إلا بشعور معين وهكذا، وأما اتحادها في الموضوع؛ فإن مدركاتها أمور حسية فالمحوبات والمبغوضات أمور حسية كالمسموعات وغير ذلك.

٢- الفرق الثاني بين الحسّ الظاهر والباطن أنها يجتمعان في شيئين هما: جهة الإدراك، والثاني: آلاته.

٣- أن الصّوفية يستعملون مصطلح الوجدانية وعلى ذلك يستخدمونها في الأشياء الحسّ والمعنوي الظاهر والباطن، مثل الذوق والري ولا يقرّون بين الحسّ الظاهر والباطن^(١).

آلات الحسّ ووظائفها:

الحواس نواقل للمعطيات والأشياء من حيث أنها تنقل معرفة خاصية فإنسان إذا عرف الفاكهة مثل البرتقال أدرك تماماً بلونها وطعمها ورائحتها ومدى

(١) ينظر: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، لصادق سليم صادق، (ص ٥٣٥-٧٠٣).

صلابتها ولينها وخشونها وهكذا فإن عرف حق المعرفة وأحاط به علماً^(١).

ولهذا أن لكل حاسة من الحواس الخمسة لها مميزات خاصة ووظائف متنوعة مثل وظيفة حاسة البصر ليست كوظيفة حاسة السمع ولكل له وظيفة معينة لا يقوم غيره ولا يتصوف بواصفاتها؛ ولذا قال: أرسطو: من فقد حساً فقد علماً^(٢).

ومن هنا دخلت الحواس الخمسة في اللامعروفات لأن تعريفها متوقف على مجرد إدراكها^(٣).

إذاً فالحواس الخمس لا يتوقف بشروط معين أو شيء خارجي فمتى وجدت الحاسة وانتفت موانع الاحساس تحقق الغرض والمغزى.

فالمدرّك الحسي لا يتوقف على شروط خارجة عن قوة الإحساس المقتضية للإدراك الحسي لذاتها؛ وإنما يتوقف على مجرد انتفاء موانع الإحساس والتي تتعلق بالواقع الخارجي لا بالإحساس في ذاته فذهها هو معنى كون الإحساس قوة فطرية^(٤).

حدود الحواس:

من الأمور البديهية لدى كل عاقل أن كل شيء مخلوق له حدود معينة ومقدار لا يتجاوزه ولا يوجد في المخلوقات من له يشمل حدوداً وقيداً وطاقاً واستطاعة.

(١) ينظر: نظرية المعرفة، لزكي نجيب محمود (ص ٥٣).

(٢) ينظر: تخلص منطق أرسطو، لابن رشد، (ص ٤٢٢).

(٣) ينظر: المنطق الصوري والرياضي، لعبد الرحمن بدوي، (ص ٨١).

(٤) ينظر: المعرفة في الاسلام، للعبد الله القرني، (ص ٣٤١).

قال تعالى: ﴿وَحُلِقَ الْإِنْسَنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

فالمخلوق ضعيف في أصل خلقته إذا فلا بدّ ان يكون ضعيفا في حواسه وعقله واداركه ولهذا فإن حواس الإنسان لها حدود معين لا تتعدها مثلاً فعين البشرية يمكنها أن تبصر متعمقة على بعد عشرة أمتار أن أقصى مسافة يمكن للعين البشرية أن ترى الشمعة المضيئة في الليلة الظلماء الصافية هي ٤٥ كيلو متراً، والأذن تسمع دقات الساعة التي في يدك. وهكذا كان الجو هادئاً خالياً من الضوضاء فإمكان الأذن تسمع دقات الساعات على بعد سبعة أمتار كحد أقصى، وهكذا فاللسم والذوق والشم كل واحد له معينة لا يتجاوزه بحال من الأحوال وهذا يسمى عتبة الإحساس وحدوده^(١).

مدركات الحواس:

قد تحظى لهذا الكون الارضي كثير من الحواس لا يحصى عددها بيد أن مضمونها تنوه إلى عنصرين.

الجنس الأول: حواس لها ذات.

الجنس الثاني: حواس لها صفات.

أما الحواس التي لها ذات مثل الجبال والانهار والبحار والأشجار والحيوانات والحشرات. وغير ذلك.

وأما الحواس التي لها صفات مثل: الألوان والطعوم والروائح والأصوات والظلمات والنور ونحوها.

(١) ينظر: الأسس المنهجية لنقد الأديان دراسة سؤال المنهج ونظرية البحث، للدكتور: محمد بن بسيس بن مقبول السفيناني، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، المملكة العربية السعودية، جدة، ط ١/١٤٣٧هـ، (١/٢١٤-٢١٥).

وكل حسّ يرتبط إدراكه ومعلوماته لهذا الأشياء بحيث ينتظم الحسّ الواحد عددًا لا يحصى من أفراد المدركات ووقد حاول بعض الباحثين والكتاب في احصاء الحواس الخمسة ومن أنفس من عدّ الحواس الخمس الراغب الاصفهاني في كتابه المفردات.

فيقول: فأما الحواس فلكل واحد منها إدراك مخصوص: فاللمس عشر ادراكات: الحرارة والبرودة والرطوبة والبيوسة واللين والخشونة والصلابة والرخاوة والخفة، وللذوق: سبع: الحلاوة والمرارة والملوحة والحموضة والحرافة والعفوصة والتفاهة: وللشمّ اثنتان: الطيب والتن، وللسمع اثنتان: الصوت البسيط والكلام المركب منه، وللبصر أحد عشر إدراكًا: النور والظلمة واللون والجسم وسطحه وشكله ووضعه وأبعاده وحركاته وسكناته، وإعدادة^(١).

وفي هذا الإحصاء أمور:

١- أنه جعل الكلام المركب من مدركات السمع والتحقيق أن التركيب البنيوي في نحو الكلام ونظامه إنما هو موضوع عقلي يرجع إلى نظام اللغة المغروس في النفس البشرية وهو ماحرره تشومسكي في نظريته المعروفة: النحو التوليدي ويدل عليه

ما نشاهده من أن الكلام المركب له ادراكان إدراكه بصوت من الأصوات لا يختلف عن الصوت البسيط وهذا الإدراك هو الجانب الحسي في الموضوع.

(١) المفردات، للراغب الأصفهاني، (ص ٧٨).

وقد أشار ابن تيمية إلى الجانب الحسي والجانب العقلي في اللغة المسموعة فالجانب الحسي هو كونها نطقية والمنطوق لا يصدر إلا عن جهاز منطوق وكونها سمعية والمسموع لا يتم إلا عن طريق جهاز السمع وهذان هما الشق الحسي في الكلام المركب.

وأما الجانب العقلي فهو في تصور المعاني وهذا لا يتم بالفؤاد الذي يعقل المعاني المشتركة المختصة^(١).

٢- إن إحصاء هذه المدركات ليس بمحل اتفاق بين العلماء وإنما يحصى كل واحد منهم ما ظهر له فبينما يقصر الراغب مدركات اللمس -مثلا- في عشر إدراكات يجعلها ابن سينا أكثر من ذلك في فصلها في أربعة عشر كيفية هي: الحرارة والبرودة والرطوبة، واليبوسة، واللطافة والغلظ والزوجة والهشاشة والجفاف والبلة والصلابة واللين والخشونة والملاسة^(٢).

أنماط الحس:

أن من أنماط الحس ما هو متّحد في الموضوع والطبيعة والوظيفة لكن يفترق في العلاقة والقوة المؤثرة وطبائع الناس واختباراتهم وذوقهم فبعض الناس يفضلون الحس السمعي أكثر من الرؤية والبصر وآخرون يفضلون اللمس أكثر من الرؤية وهكذا.

جاء في إحياء علوم الدين: أن الصفاء يسبب الكشف ومنها انبعث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان تقصر عنه قبل

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٩/ ٥٩). وينظر: الدراسات النحوية واللغوية في مؤلفات شيخ الإسلام، لهادي الشجيري، (ص ٥٩).

(٢) الشفا، لابن سينا، تحقيق: محمود قاسم، (١/ ١٥٠).

ذلك قوته كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة أسرار الملكوت كما أن عمل البعير حمل الأثقال فبواسطة هذه الأسباب يكون سببا للكشف بل القلب إذا صفا ربما يمثل له الحق في صورة مشاهدة أو في لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف إذا كان في اليقظة وبالرؤيا إذا كان في المنام وذلك جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة^(١).

وقد بين أنماط الحسّ ابن تيمية **رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى** فقال: «ما كان من الخوارق من باب العلم، فتارة بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره، وتارة بأن يرى ما لا يراه غيره يقظة ومنامًا، وتارة بأن يعلم ما لا يعلم غيره وحياً وإلهامًا. أو إنزال علم ضروري، أو فراسة صادقة، ويسمى كشفا ومشاهدات ومكاشفات ومخاطبات. فالسماع مخاطبات، والرؤية مشاهدات، والعلم مكاشفة. ويسمى ذلك كله كشفاً ومكاشفة؛ أي كشف له عنه»^(٢).

وهو تقسيم منضبط حيث أشار القرآن الكريم إلى النافع منه. ففي قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥-٧].

وأشار إلى الرتبة الثالثة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾

[الواقعة: ٩٥].

(١) إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة - بيروت، (٢/ ٢٩٣).

(٢) النبوات، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان،: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٠ هـ (٢/ ٢٨٠).

فهنا ثلاث مراتب: علم يقين، وعين يقين، وحق يقين.

وعلم اليقين هو: ما يحصل بالخبر والاعتبار.

وعين اليقين هو: ما يحصل بالرؤية والمشاهدة.

وحق اليقين هو: مباشرة الشيء نفسه.

الدرجة الأولى: علم اليقين: وهو قبول ما ظهر من الحق. وقبول ما غاب للحق. والوقوف على ما قام بالحق.

الدرجة الثانية: عين اليقين: وهو المغني بالاستدلال عن الاستدلال. وعن الخبر بالعيان. وخرق الشهود حجاب العلم.

الدرجة الثالثة: حق اليقين: وهو إسفار صبح الكشف. ثم الخلاص من كلفة اليقين. ثم الفناء في حق اليقين.

الفرق بين علم اليقين وعين اليقين: كالفرق بين الخبر الصادق والعيان. وحق اليقين: فوق هذا.

وقد مثلت المراتب الثلاثة بمن أخبرك: أن عنده عسلا، وأنت لا تشك في صدقه. ثم أراك إياه. فازددت يقينا. ثم ذقت منه.

فالأول: علم اليقين.

والثاني: عين اليقين.

والثالث: حق اليقين.

فعلمنا الآن بالجنة والنار: علم يقين. فإذا أزلفت الجنة في الموقف للمتقين وشاهدها الخلائق. وبرزت الجحيم للغاوين. وعاینها الخلائق.

فذلك: عين اليقين. فإذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار: فذلك حينئذ حق اليقين^(١).

زيادة الإحساس ونقصانه:

تخضع حواس الخمس للزيادة والنقصان؛ وذلك لتفاوتها في الدرجات والقوة والتأثير والراتب واليقين وعدمها وتفاوتها قوة وضعفا يكون من جهات:

أولاً: أن ما اجتمعت عليه الحواس الخمس السمع والبصر والذوق واللمس والشم أقوى تأثيراً وتحقيقاً لبلوغ اليقين التام من إذا وجد عنصر واحد أو نمط واحد من الحواس الخمس، وكل ما بلغت الحواس حدّ التواتر كان يكون التأثير أقوى وأفضل من الآحاد

ثانياً: أن أهم الحواس السمع والبصر واختلف في أيهما أقوى والراجح أن البصر أقوى مؤثر في إدراك الأشياء لدليل «ليس الخبر كالمعاينة»^(٢).

ثالثاً: أن الحواس الخمس تابعة لأحوال الإنسان في الإدراك والصحة والمرض والشيخوخة والهزم والشباب وغير ذلك فقدرات الإنسان تعرض للحواس الخمسة في جميع أحوالها.

- (١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي-بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ، (٢/ ٣٧٩).
- (٢) أخرجه الامام احمد في مسنده، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م والحديث صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، (٣/ ٣٤١).

رابعاً: إن الإدراك الحسيّ الذي تشترك فيه الحاسة الطبيعية مع الوسائل المساعدة ليس كالإدراك الذي لم يتحصل بالحاسة الطبيعية وحدها فمشاهدة الكواكب بمساعدة التلسكوبات عند انسان الحضارة العلمية المعاصرة ليس كمشاهدة النجوم عند انسان البادية.

خامساً: يتفاضل الحس بأمور راجعة في نفسه في الموضوع والشروط مثل الإحساس بالأجسام الصغيرة ليس كالإحساس بالأجسام الكبيرة وكذلك الأشياء القريبة ليس مثل الأشياء البعيدة وهكذا.

ولا أعلم في القضايا الحسية كلية لا يمكن نقضها مع أن القضية الكلية ليست حسية وإنما القضية الحسية أن هذه النار تحرق فان الحس لا يدرك إلا شيئاً خاصاً^(١).

يقول هيوم في هذا: لقد أثير سؤال بالغ الأهمية عن الأفكار المجردة أو العامة أ تكون عامة أم جزئية في تصور العقل لها

ولقد نازع فيلسوف عظيم يقصد باركلي^(٢) الرأي التقليدي في هذا الصدد وقرر أن كل الأفكار العامة إن هي الا أفكار جزئية ربطت باسم معين يخلع عليها دلالة أوسع مدى ويجعلها تستتير- اذا لزم الأمر أفراداً أخرى شبيهة بها^(٣).

(١) الرد على المنطقيين، (ص ٣٠٠).

(٢) هو: جورج باركلي الانجليزي فيلسوف ورجل دين نصراني مؤسس الأسمية في أوروبا توفي عام: (١٧٥٣م): ينظر: تاريخ الفلسفة الحديثة ليوسف كرم، (ص ١٦٢).

(٣) ديفيد هيوم، لزكي نجيب محمود النص رقم (٢) (ص ١٧٤).

المطلب الثالث

أقوال المذهب الحسي أو التجريبي

من أبرز من يمثل المذهب الحسيّ ثلاث أشخاص:

١- **ديفيد هيوم**: هو فيلسوف بريطاني، لا يؤمن الا بالمذهب الحسي؛ ولذا أنكر علم الغيب كله بما في ذلك الله والدار الآخرة، وأعتبر العقائد الايمانية كلها من أوهام الانسان وخياله.

وقد بلغ به الشطط إلى إنكار قانون السببية، وأرجع هذه العلاقة إلى مجرد الاقتران العادي، وهو ما سماه: قانون التشابه والاقتران أو تداعي المعاني وهدفه من إبطال قانون السببية الوصول إلى إبطال الدليل الأكبر على وجود الله تعالى؛ وهو الاستدلال بالمخلوق على الخالق.

٢- **شوبنهاور**: فيلسوف ألماني لا يؤمن بما وراء المادة من الغيبات، ويرى أن العالم المادي أو الحسّ كاف لتفسير كل ما يجري فيه، وليس بحاجة إلى قوة خارجية تؤثر فيه.

وقد غلب على فلسفته التشاؤم، وكان يرغب في الانتحار، واخترع ما سماه بالإرادة الكلية، وزعم أن الكون كله يخضع لها وهي التي تحافظ على بقائه كما زعم أن وسيلة الارادة الكلية في الابقاء على النوع الانساني هي العقل والجنس؛ فالعقل يقنع إنسان بقبول الحياة على ما فيها من ألم عن طريق اختراع أشياء تقنعه بالحياة؛ كوجود إله أو بعث أو جنة أو نار، والجنس

يقوم على إغراء الذّكر بالأنثى والعكس، وقد أعلى من شأن الغريزة الجنسية واعتبرها أساس السلوك الإنساني^(١).

٣- نيتشه: ففيلسوف ألماني أيضًا، كان لا يؤمن بما وراء الحسّ، ويعتبر الدّين أكبر خرافة توارثتها الانسانية، وكان يمجّد القوة ويدعو إلى القضاء على ما يعارضها، كالحب والعطف والرحمة، وقد ركّز نيتشه في فلسفته على خلق الانسان الأعلى (السوبرمان) عن طريق الصراع بين الأغنياء والضعفاء والتطوّر الذاتي؛ فذهب إلى أن الكائنات بدأت من الخليّة الواحدة، ثم تطوّرت حتى وصلت للإنسان، ولكنّ الإنسان وقف في مسيرة الارتقاء بسبب أوهامه عن الدّين والأخلاق والتقاليد والابقاء على الضعفاء، وعلى الإنسان ان يبدأ مسيرة التطوّر عن طريق القضاء على الدّين والقيم وإحياء الصراع بين الأقوياء والضعفاء دون رحمة، لنصل في النهاية إلى الانسان السوبرمان ولهذا عرفت فلسفة نيتشه بفلسفة العنف.

٤- أو جست كونت: زعم كونت أن التقدم الإنساني مر بثلاث مراحل: المرحلة اللاهوتية، ثم الميتافيزيقية، وأخيرًا الحالة الوضعية، وفي هذه المرحلة يقتصر العقل على اكتشاف قوانين الظواهر الطبيعية ولا يبحث عن العلل المطلقة، ولما كانت الظواهر الطبيعية مختلفة كان من المستحيل ردّ القوانين إلى قانون واحد، وبناء على ذلك لا يمكن أن تنتهي المرحلة الوضعية أو الواقعية إلى وحدة مطلقة؛ كاللهفي الحالة اللاهوتية والطبيعة في الحالة الميتافيزيقية، وقصارى ما يمكن أن نبلغه هو وحدة المنهج العلمي.

(١) المتخصر في المذاهب الفكرية المعاصرة، للدكتور: عيسى بن عبد الله السّعدّي، دار الاوراق الثقافية، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، (ص ٢١).

وهكذا نرى أن هذه الفلسفة أهملت الدّين والغيب، وطبّقت المنهج المرحلة اللاهوتية بدأت بالتعدد وانتهت بالتوحيد مخالف للشرائع السماوية التي أطبقت على الأصل في البشرية التوحيد لا الشرك^(١).

قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣].

عن ابن عباس، قال: كان بين نوح وادم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله: «كان الناس أمة واحدة فاختلفوا».

عن قتادة في قوله كان الناس أمة واحدة قال: كانوا على الهدى جميعاً فاختلفوا فبعث الله النبيين فكان أول من بعث نوحاً. وهكذا قال مجاهد، كما قال ابن عباس أولاً.

وقال العوفي عن ابن عباس كان الناس أمة واحدة يقول: كانوا كفاراً فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين والقول الأول عن ابن عباس أصح سنداً ومعنى، لأن الناس كانوا على ملة آدم حتى عبدوا الأصنام، فبعث الله إليهم نوحاً عَلَيْهِ السَّلَام، فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض^(٢).



(١) المتخصر في المذاهب الفكرية المعاصرة، للدكتور: عيسى بن عبد الله السّعديّ، (ص ٢٢، ٢٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١/ ٤٢٥).

المطلب الرابع

نقد الحسّ أو التجربة

الحسّ مخلوق من مخلوقات الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** وبه يعرف الانسان في أشياء مخصوصة وليس كل شيء لأن أكثر الأشياء الموجود في الكون يدرك به الانسان عن طريق الخبر وأكثره يتعلق بأمور الغيبيات غير المشاهدات.

أما الحواس فهي محصورة بالمادة الطبيعية وقد يميز الشخص بين الطيّب والخبيث والغثّ والسّمين والحق والباطل لمن يتتبع ويبحث عن الحقيقة الكبرى والحق.

وأما في الآونة الأخيرة والعصور المظلمة خرجت طوائف وملل ونحل ينحلون ويملون وينادون بقضية الالحاد وهو انكار وجود الله تعالى بشرط ان يستعمل في طاعة الله وفي مرضات الله لكن لما صار الحواس الخمس استخدم بإنكار وجود الله والصدّ عن معرفة الحق والبيان والسبيل القويم فجعلوا الحواس الخمس هو الفاصل بين الحق والبطلان والدين والخرافات مالوا عن حقيقة الحواس ووظائفها وأنها محصورة بضوابط وقواعد شرعية يجب مراعاتها لكن في العصور الحديثة خرجت طائفة في العالم ينادون بالإلحاد ويقصدون به إنكار وجود الله ولا يؤمنون الا بالحواس الخمس والمادة الطبيعية تعرف في تاريخ البشر منذ خلق الله نفي الإله والإيمان بالمادة الطبيعية أو الحسّ إلا في القرن التاسع عشر، وهذه الظاهرة وهي إنكار وجود الله والإيمان بالمادة والحسّ.

وأن من المصادر المشتركة بين هذه المذاهب الفكرية الاعتماد على المحسوس وأنه يحتج به في كل شيء حتى اثبات الخالق هل موجود أم لا وهذا يترتب عليه إنكار وجود الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** لأن الله لا يرى في الدنيا لكن يرون المؤمنين في الآخرة عياناً كما ثبت في الحديث ^(١) حجية في كل شيء وانكار الخالق الأحد الصمد.

وهذه الصورة حجية الحسّ والعقل وترك ما سواهما ظاهرة تجددت في العصور السائدة والحاضرة في أوساط المجتمع لم يكن هذا الاعتقاد عند فلاسفة القدماء كأرسطو وأفلاطون وغيرهما بل كانوا يؤمنون بالواحد الأحد وأنه خالق هذا الكون أزلياً أبدياً أولاً وآخراً أثبتوا الله مطلق الكمال في الخلق والرزق والتدبير وكل صفات الربوبية.

ومثل هذا الهندوكية والديانة المصرية القديمة كانا تعترف بواحد هو وحدة الوجود.

ثم جاءت الرسالات السماوية ترشد الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى وتقرر بأنه الواحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ومن ذلك قصة نبي الله إبراهيم مع أبيه في عبادة الأصنام حيث تحدث القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ۖ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء: ٦٩، ٧٠].

(١) من حديث جرير، قال: كنا جلوساً عند النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروب الشمس، فافعلوا» رواه البخاري (٧٤٣٤) (٩/ ١٢٧).

وانحرفت اليهودية بتحريفها لكتاب الله وقتلهم لأنبياء الله وعبادة المخلوق وصفر حقوق الله إلى المخلوق. حيث قالوا إن عزيزاً ابن الله وانحرفت المسيحية بقولهم المسيح ابن الله قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

عن مهدي بن ميمون، قال: سمعت أبا رجاء العطاردی، يقول: «كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجراً هو أخير منه ألقيناه، وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجراً جمعنا جثوة من تراب، ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه، ثم طفنا به، فإذا دخل شهر رجب قلنا: منصل الأسنّة، فلا ندع رجاً فيه حديدة، ولا سهماً فيه حديدة، إلا نزعناه وألقيناه شهر رجب»^(١).

والراصد لتاريخ البشرية، يرى أن حقيقة الألوهية كانت هي الطابع المشترك الذي لم تتخل البشرية عنه ولم ترفضه إلا في الندرة عن طريق الواحد بعد الآخر، وان كان تخليها عن طريق تصورهما عن طبيعة الإله أو ذاته.

حتى جاء القرن التاسع عشر، وظهر -فيشته- بالمذهب الوضعي الذي أنكر الإله والدين، وآمن بالطبيعة والمادة على أساس أن هذه الطبيعة هي التي تكون عقل الإنسان.

والإنسان بناء على هذا لا يملئ عليه من خارج الطبيعة -إذا ما يأتي من وراء الطبيعة خداع في تصوره المذهب والوضعي^(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، (١٧١ / ٥)، رقم الحديث: (٤٣٧٦).

(٢) ينظر: المذاهب المعاصرة وموقف الاسلام منها، للدكتور: عبدالرحمن عميرة، دار الجليل، بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ، (ص ١٢٩-١٣١).

والخلاصة: أن الايمان بالحسّ والمادّة الذي يشاهد ويرى عياناً من الاعتقادات الباطلة والزائفة التي طرأت في المجتمع البشري في الآونة الأخيرة وهي من السّمات المشتركة بين المذاهب الفكرية المعاصرة حيث جعلت مصدرًا من مصادر المعرفة واليقين التّام ونبذ الاعتقاد الإيثار عما سواه من المور الغيبية والرسائل السّماوية بل حتى الإنكار عن وجود الله ووحدانيته مادام لا يشاهد الإنسان ولا يدرك بالمحسوسات الخمسة. التي سبق ذكرها؛ ولذا أن هذا الاعتقاد يميل إلى الإلحاد المعاصر حيث يركن له قوة وهيمنة وبطشاً عالمياً ومؤسسات عالمية لينشروا رسالة الإلحاد الخبيث ومن تلك المذاهب، والتيارات الفكرية المعاصرة؛ التي وضعت أساساً ومصدرًا من مصادر المذهب والطريقة التي يسير المنهج المنحرف.



المبحث الثالث

التّخرص

المطلب الأول

مفهوم التّخرص في معاجم اللغة العربيّة

معنى التّخرص في اللغة العربيّة:

أما لغة: فقد ورد في معاجم العربيّة ومقاييسها بعدة اطلاقات ومعان في التّخرص منها:

أولاً: التّخرص بمعنى: حزر الشيء ومثال ذلك خرصت النخل أي حرزت ثمر النخل.

ثانياً: الخراص: الكذاب. وهو القول بما لا يعلم ولا يحق.

ثالثاً: الحقلة من الذهب يقال خرص.

رابعاً: وهو كل ذي شعبة من الشيء ذي الشعب

خامساً: الخريص من البحر يقال: الخليج منه.

سادساً: الخرص: كل قضيب من شجرة وجمعه خرصان.

سابعاً: الخرص: وهو صفة الجائع المقرور^(١).

(١) مقاييس اللغة (٢/١٦٩).

ثامناً: الخرص: الظنّ. تاسعاً: التّخرص: الأمانى.

عاشراً: التخرص: القول على الله بلا علم^(١).

الحادي عشر: التخرص - التخمين والتقدير.

الثاني عشر: التخرص الرجم بالغيب.

الثالث عشر: التخرص: الخلق^(٢).



(١) ينظر: ذيل الصواعق لمحو الأباطيل والمخارق: للشيخ حمود بن عبد الله بن حمود التويجري

رَحِمَهُ اللهُ تقريظ: الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رَحِمَهُ اللهُ، (ص ١٣).

(٢) تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: إبراهيم شمس

الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (١/ ٢٧٣).

المطلب الثاني

التّخصّص في القرآن الكريم

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿وإن تُطعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

يقول ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى**: «ثم أخبر تعالى أن له ملك السموات والأرض، وأن المشركين يعبدون الأصنام، وهي لا تملك شيئاً، لا ضرراً ولا نفعاً، ولا دليل لهم على عبادتها، بل إنما يتبعون في ذلك ظنونهم وتخّصصهم وكذبهم وإفكهم»^(١).

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

أي: تكذبون على الله فيما ادعيتموه^(٢).

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [يونس: ٦٦].

الموضع الرابع: قال تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف: ٢٠]. يقول تعالى «مخبراً عن المشركين فيما افتروه وكذبوه في جعلهم بعض الأنعام لطواغيتهم وبعضها لله»^(٣).

(١) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، (٤/ ٢٨٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣/ ٣٥٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٧/ ٢٢٢).

الموضع الخامس: قال تعالى: ﴿قُلِ الْخَرَصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠].

الخراصون: أهل الشك والريب والكذب والغرة^(١).

تضمنت الآيات المحكمات بلفظ الخرص الذي يدور حول الريب والشك والكذب المختلق المصنوع وهذا هو الذي يتوافق مقصود البحث حيث إن المذاهب الفكرية المعاصرة تنطوي ويتضمن من مصادرها التخرص وعدم الإعتماد على دليل ومستند سليم؛ بل يتخطى منهجهم خبط عشواء تتجارى فيهم الأهواء يميناً وشمالاً وتجري رياحها مهب الريح.

القسم الثالث: إطلاقات التخرص في كتاب الله عزّ وجلّ:

لقد ورد في القرآن الكريم آيات عديدة تشير معنى التخرص وهو الظن والتخمين والكذب منها:

قال تعالى: ﴿يَظُنُّوكَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

الظن هنا بمعنى التخرص الذي هو ضد اليقين.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النجم: ٢٨-٥٩].

وقال تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٧].

الخلق: التخرص أي: خرصهم للكذب.

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤١٥/٧).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾

[العنكبوت: ١٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أُنْحِلَقُ﴾ [ص: ٧].

أي: افتعال للكذب. وفي هذه الآيات جميعاً؛ فإن المعنى الذي يدور حوله هذا المصطلح وهذا التوصيف المذموم، في إطار الارتباب والتشكيك، وإتباع الظن.

القسم الرابع: أقسام الآراء إجمالاً:

ينقسم الرأي إلى نوعين هما:

أحدهما: رأي مجرد لا دليل عليه بل هو خرص وتخمين فهذا الذي أعاذ الله الصديق والصحابة منه.

الثاني: رأي مستند إلى استدلال واستنباط من النص وحده أو من نص آخر معه^(١).



(١) إعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية، دار الجيل - بيروت، ١٩٧٣، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد (١/٨٣).

المطلب الثالث

التّخصّص في المذاهب الفكرية

كما سبق ذكره في المصادر السّمات المشتركة بين المذاهب الفكرية المعاصرة من اعتمادهم على الفلسفات والحسّ إضافة إلى ما يعتقدون ويعتمدون كمصدرًا ومرجعًا في مبادئهم وقواعدهم في انتشار المذاهب الفكرية الغربية الأوهام^(١) والتّخصّص وهو الظنّ والريب والشكّ والحرز في الأشياء وعدم اليقين والاستناد إلى حجة دامغة أو عقل سليم أو نص من المصدرين الأساسيين هما الكتاب والسنة؛ ولذا يصير مصدر مذاهبهم اتباع للهوى والشيطان وحذو النفس وملذاتها الشهوانية ولكل قوم وارث فلا غرابة من اعتمادهم على الهوى والشيطان مادام لهم آباء واتباع يقتدون بهم ويأخذون مسالكهم حذو القذة بالقذة.

فالمذاهب الفكرية لهم قوم وجيل يحتدون به شبرا بشبر وذراعا بذراع. يقول أرسطاطاليس: من أراد أن يشرع الإلهية فلستحدث لنفسه فطرة أخرى قال الررازي: وهذا كلام موافق للوحي والنبوة. وقد رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢).

(١) اتجاهات هدامة في الفكر الغزو الغربي المعاصر، للدكتور: محمد محمد حسين، دار الارشاد، بيروت، ط٢، ١٣٩١هـ، (ص ٢٠).

(٢) بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لأحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني مطبعة الحكومة-مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٣٩٢، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، (١/٣٦٩).

فإنهم لما كذبوا بالحق اختلفت مذاهبهم وآراؤهم وطرائقهم وأقوالهم
فإنّ الحقّ شيء واحد وطريق مستقيم فمن خالفه اختلفت به الطرق والمذاهب.
كما قال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق:٥].
أي مختلط ملتبس وفي ضمن هذا الجواب أنكم في أقوال باطلة متناقضة
يكذب بعضها بعضاً^(١).



(١) التبيان في أقسام القرآن، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية،
تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (ص ٢٨٨).

المطلب الرابع

موقف الإسلام من التّخرص

من مصادر التّلقّي للمذاهب الفكرية المعاصرة الاعتماد على التّخرص والظنّ والكذب والتّخمين ومن ثمّ حصل التناقض والتّعارض والاضطراب في نظرياتهم ومذاهبهم الفكرية؛ لأنهم عطّلوا المصادر اليقينية^(١).

وهذا أول انحرافهم وميلهم عن الحقّ والصّواب والمنهج القويم والقاعدة أن من حادّ عن سبيل الله وصراطه المستقيم اجتالته الشّياطين فيكون عبداً مطيعاً لهوائه سواء علم أم لم يعلم قصد أم لم يقصد.

وأما أهل الأهواء ونحوهم: فيعتمدون على نقل لا يعرف له قائل أصلاً لا ثقة ولا معتمد. وأهون شيء عندهم الكذب المخلّط. وأعلم من فيهم لا يرجع فيما ينقله إلى عمدة بل إلى سماعات عن الجاهلين والكذابين وروايات عن أهل الإفك المبين^(٢).

قال ابن القيم: «إذا كان رسول رب العالمين لا يجب إلا بالوحي، وإلا لم يجب، فمن الجرأة العظيمة إجابة من أجاب برأيه، أو قياس، أو تقليد من

(١) دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، للدكتور، ناصر بن عبد الكريم العقل، دار كنوز إشبيلية، ط ٣، ١٤٣٢هـ، (١/٣٠٦، ٣٠٧). وينظر: الخطاب الاستشراقي والقرآن الكريم التشريعات المالية في القرآن نموذجاً، د. عبد الرزاق عبد المجيد ألأرو، المصدر: موقع صيد الفوائد، (١/٥٩).

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٢٧/٤٧٩).

يحسن به الظن، أو عرف، أو عادة، أو سياسة، أو ذوق أو كشف، أو منام، أو استحسان، أو خرص، والله المستعان وعليه التكلان»^(١).

«اتباع الظن وما تهوى الأنفس حتى يصير كثير منهم مدينا باتباع الأهواء في هذه الأمور المشروعة. وحتى يصير في كثير من المتفقهة والمتعبدة من الأهواء من جنس ما في أهل الأهواء الخارجين عن السنة والجماعة: كالخوارج والروافض والمعتزلة ونحوهم. وقد قال تعالى في كتابه:

﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧] (وكل من خالف الرسول لا يخرج عن الظن وما تهوى الأنفس فإن كان ممن يعتقد ما قاله وله فيه حجة يستدل بها كان غايته الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً)^(٢).



(١) إعلام الموقعين (١/ ٢٥٦).

(٢) مجموع الفتاوى، (١٣/ ١٦).

الفصل الرابع

السّمات الفكرية المشتركة

بين المذاهب، والرّد عليه

وتحتّه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإلحاد، والرّد عليه.

المبحث الثاني: العقل، والرّد عليه.

المبحث الثالث: اتباع الهوى، والرّد عليه.

المبحث الأول

الإلحاد، والرد عليه

المطلب الأول

مفهوم الإلحاد لغة واصطلاحاً، وأنواعه

أولاً: مفهوم الإلحاد: لغة واصطلاحاً:

قد ورد في معان عدة كلها تنصب بمعنى الميل واللجوء، والعدول عن الاستقامة والإيمان.

يقال: الرجل يلتحد إلى الشيء: يلجأ إليه ويميل، يقال: أُلحد إليه ولحد إليه بلسانه أي: مال، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّلسَّاتِ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

يقال: أُلحد في الحرم، (ولا يقال: لحد): إذا ترك القصد ومال إلى الظلم^(١).
ويبين هذا قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

وجه الشاهد في الآية: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾.

(١) كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (٣/ ١٨٢).

ومن إطلاقات الإلحاد: العدول عن جادة الصواب^(١).

ومن إطلاقات الإلحاد: الميل عن الاستقامة وطريق الحق والإيمان، ومنه اللحد وهو الشق الذي يكون في جانب القبر موضع الميت^(٢).

والخلاصة: أن معنى الإلحاد الذي يتوافق مع البحث هو الميل والعدول عن طريق الدين والحق والصواب والصراط المستقيم.

لقد تنوعت إطلاقات ومرادفات لكمة الإلحاد بمعان عدة باختلاف اللغات والمشارب والمذاهب الفكرية والعصور إلا أنه لا يخرج عن معنى واحد وهو مطلق الميل عن القصد والاستقامة وجادة الحق والصواب وفي بيان هذا سأذكر بعض المفاهيم والتعاريف قديماً وحديثاً ومن تلك المفاهيم ما يلي:

المفهوم الأول: الإلحاد هو: الشرك والميل والتكذيب^(٣).

المفهوم الثاني: الإلحاد هو: المعاندة بالعدول عنه والترك له^(٤).

المفهوم الثالث: إنكار وجود الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى^(٥).

المفهوم الرابع: للإلحاد عند الأوروبيين: هو: نفي الإله^(٦).

(١) ينظر: مختار الصحاح، لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية-الدار النموذجية، بيروت-صيدا، ط ٥، ١٤٢٠هـ، (ص ٢٨٠). العين (٣/ ١٨٢، ١٨٣)، لسان العرب (٣/ ٣٨٨، ٣٨٩).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (٥/ ٢٣٦).

(٣) تفسير الطبري (٩/ ١٣٤).

(٤) المرجع السابق (١٥/ ٢٣٣).

(٥) ينظر: الإلحاد وسائله، وخطره، وسبل مواجهته، للدكتور، صالح بن عبدالعزيز سندي، جمعية دار البر، الامارات العربية المتحدة، دبي، ط ١، ١٤٣٦هـ، (ص ٨).

(٦) موسوعة الفلسفة، لعبد الرحمن بدوي، مكتبة الإسكندرية، ط ١، ١٩٨٤م، (١/ ٢١٩).

المفهوم الخامس: جاء في معجم أكسفورد للفلسفة:

الإلحادية في ظاهرها تعليم يقر عدم وجود الله^(١).

المفهوم السادس: عند فرانكلين: إنكار وجود الله إنكاراً باتاً^(٢).

المفهوم السابع: عند الأوروبيين في الإلحاد: هو: الخروج على اعتقاد الكنيسة^(٣).

المفهوم الثامن: مذهب من ينكر الألوهية^(٤).

أنواع الإلحاد:

سبق الحديث عن تعريفات عدة للإلحاد بأوجه مختلفة ونظريات متعددة لكن أقدم تلك التعاريف التعريف الشرعي، وهو الميل عن الحق إلى الباطل ولا يعين الميل مطلقاً وبناء على هذا نقسم الإلحاد:

إلى قسمين أساسيين هما:

أولاً: الإلحاد المطلق: هو إنكار وجود الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الخالق الرزاق المحي المميت وكل ما يتعلق بأمور الإلهيات والغيب من إنكار الرسل والأنبياء والرسالات السماوية والإيمان فقط بالمادة المحسوسة والطبيعة وهؤلاء

(١) معجم أكسفورد للفلسفة، (١/ ٩٠).

(٢) الفكر الأوربي الحديث، القرن الثامن عشر، (ص ٦١).

(٣) ينظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، (٢٨٦/ ٣٠)، والله والإنسان، كارين آرمسترونغ، (ص ٢٧٨، ٢٨٩) والإلحاد في الغرب، ومسيح عوض (ص ١٧)، والله في الفلسفة الحديثة، لجيمس كوليتز (ص ٣٣٧).

(٤) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (٢٠)، وينظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، (١/ ١١٩).

كثيرون منهم الدهريون الذين تحدث القرآن عن مقاتلتهم وحكايتهم: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

وتشمل هذه الفكرة إنكار وجود الخالق جميع المذاهب الفكرية المعاصرة التي نحن بصدددها وهو صلب الموضوع وقطب رحاه حيث اشتركت جميع المذاهب الفكرية المعاصرة هي قضية الإلحاد حتى صارت سمة عامة للمذاهب الفكرية من الشيوعية والوجودية والعلمانية والداروينون والبرجماتية وغير ذلك من المذاهب الفكرية المعاصرة.

ثانياً: الإلحاد المقيّد: وهو إثبات وجود خالق هذا الكون ومدبره ومصرفه وهؤلاء ينقسمون أيضاً إلى قسمين^(١):

القسم الأول: أهل الأديان الأرضية الباطلة مثل: ديانة الهندوس، والبوذية، وغير ذلك فهم يثبتون الإله وخالق هذا الكون، فهم أشدّ إلحاداً من أهل الأديان السماوية؛ لأنهم ألحدوا في ذات الله ويتمثل هذا عبادتهم للأصنام والأحجار والأشخاص والأوثان.

وقد نوّه القرآن المجيد عدداً من معبودات أهل الباطل منهم مشركي العرب ومن انحرف معهم. يقول الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣].

القسم الثاني: إلحاد أهل الكتاب وهما اليهود والنصارى حيث جعلت اليهود عزيزاً من دون الله وجعلت النصارى المسيح إلهاً من دون الله واتخذوا

(١) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، للدكتور: محمود محمد مزروعة، (ص ٢٦٤).

من غير الله أحباراً ورهباناً يعبدون ويحللون ما حرم الله ويحرمون ما حرم الله وقد تحدّث القرآن عن كل الفرقين ومعبوداتهم الباطلة من دون إله.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [التوبة: ٣١].

لقد كبر أمر النصارى في الإلحاد في ذات الله **عَزَّوَجَلَّ** حيث جعلوا عيسى ابن الله واعتقدوا أن الله ثالث ثلاث وقدموا المسيح والروح القدس على ربوبية الله ووحدانيته وأنه خالق الكون وخالق كل شيء^(١).

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

من الطوائف الملحدين المنتسبين إلى الإسلام منهم:

- ١ - المتصوفة المتفلسفة.
- ٢ - الفلاسفة الإسلاميون.
- ٣ - الدروز.
- ٤ - النصيرية^(٢).

القسم الثاني: أقسام الإلحاد عند العلماء القدماء:

من العلماء من قسّم الإلحاد إلى أقسام أخرى منها:

تقسيم الراغب الأصفهاني: فيقول: «الإلحاد ضربان: إلحاد إلى الشرك بالله، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب، فالأول ينافي الإيمان ويبطله، والثاني: يوهن عراه ولا يبطله».

(١) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، للدكتور: محمود محمد مزروعة، (ص ٢٦٥، ٢٦٦).

(٢) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، للدكتور: محمود محمد مزروعة، (ص ٢٧٨-٢٨٣).

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

ولأجل ذا ضحى بجعد خالد الـ	قسري يوم ذبائح القربان
شكر الضحية كل صاحب سنة	لله درك من أخي قريان ^(١)
لو صح في الإسلام عقدك لم تقل	بالمذهب المهجور من نفى الصفه
شتت يا مغرور أو عطلت إذ	ضاهيت في الإلحاد أهل الفلسفة ^(٢)



(١) أخرج القصة البخاري في خلق أفعال العباد (ص ٢٩)، والدارمي في الرد على الجهمية-مجموع عقائد السلف- (ص ٢٥٨)، والآجري في الشريعة (ص ٩٧-٣٢٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٢٢٢)، وفي سننه-كتاب الشهادات- باب ما ترد به شهادة أهل الأهواء (١٠/٢٠٥).

جميعهم من طريق: عبد الرحمن بن محمد بن حبيب بن أبي حبيب عن أبيه عن جده قال: شهدت خالد بن عبد الله القسري وهو يخطب، فلما فرغ من خطبته -وذلك يوم النحر- قال: ارجعوا فضحوا، تقبل الله منكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله عَزَّوَجَلَّ لم يكلم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً، تعالى الله عما يقول الجعد بن درهم علواً كبيراً، ثم نزل فذبحه.

(٢) متن القصيدة النونية، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ط ٢، ١٤١٧هـ، (ص ٧).

أشهر الملاحدة للمذاهب الفكرية المعاصرة

يتبادر إلى الذهن أنّ السّمات المشتركة بين المذاهب الفكرية هي الإلحاد وهم المؤسسين الحقيقيين للإلحاد ومن سلك منهجهم وطريقهم بالمخالف مثل الحركة الصهيونية أرادت أن تنشر في العالم الإلحاد فنشرت العلمانية والشيوعية وغيرهما من المذاهب الفكرية. فنشرت العلمانية لإفساد أُمم الأرض بالإلحاد والمادية المفرطة والانسلاخ من كل الضوابط التشريعية وعندما يخلو الجو لليهود يستطيعون حكم العالم. ثم تسرى الإلحاد كالناقة الجرب إلى بلاد المسلمين بعد سقوط الخلافة الإسلامية علي يد أتاتورك حيث استبدل شرع الله بقوانين علمانية مادية بحتة وشيوعية، وتعظيم الطبيعة والمادة واکبار العقل والعقلانية والدعوة الى التحرّر والتغريب وفتح المجال للعقل ومحكمة العقل بالنصوص الشرعية والآيات القرآنية والتنحي عن كل ما له علاقة بالدين وإقصائها عن جميع مجالات الحياة والشؤون الإدارية والانحلال والإباحية في أوساط المجتمع ومسح شعائر الإسلام وفتح باب الردّة باسم الحرية الفردية؛ فتتج عن ذلك الإلحاد المعاصر وهو إنكار وجود الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

ومن أسباب انتشار الإلحاد في العالم الإسلامي رجوع بعض الطلاب المتأثرين بالفكر الأوربي المادي البحت والصرفة وما يسمى البعثات الدراسية أو الإرساليات الدراسية وتدرّبوا في الغرب فحملوا الفكرة الإلحادية وقوانين

الغربية غثه وسمه بعجره وبجره بدون تمييز وتسليح سابق للعلوم الشرعية والعقيدة الصافية الصحيحة.

ويعدّ من أشهر الملاحدة من المذاهب الفكرية المعاصرة:

- ١ - ماركس، وفرويد، دارون ونظرياته في أصل الأنواع^(١).
- ٢ - نيتشا^(٢) فهم من أقطاب المذاهب الفكرية ورؤوس الإلحاد في أوروبا.

وكل هذه النظريات من أسس الإلحاد في العالم.

فمن أشهر الملاحدة في العالم الإسلامي:

- ١ - إسماعيل أحمد أدهم^(٣).
- ٢ - إسماعيل مظهر^(٤).
- ٣ - عبد الله بن عليّ القصيمي^(٥).

(١) تقدمت ترجمتهم.

(٢) يعدّ من أكبر الملاحدة في عصره ويقال في التاريخ، ينظر: تفريغ محاضرة الرد على الملحدين: للشيخ محمد بن سعيد رسلان، من موقعه، تاريخ الزيارة ٢٠/٣/١٤٤١هـ الساعة ١٠: (ص ٢٦).

(٣) كان من دعاة الشيوعية ورأسها والذي نشر الإلحاد في مصر توفي عام: (١٩٤٠م). وألف كتاب سباه لماذا هو ملحد؟ المرجع السابق: (ص ٢٦).

(٤) كان من دعاة الشيوعية والدارونية ثم تاب إلى الله وصار يكتب عن مزايا الإسلام وساحته توفي عام: ١٩٢٨م. ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة: د: مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، عام: ١٤٣٥هـ (٢/٨٠٤).

(٥) كان من المستقيمين على السنة وكان العلماء يشنون عليه في العلم والتأليف والجادة وله كتب عن الإسلام ثم أعلن بعد ذلك الردة عن الإسلام وأصبح ينشر الإلحاد ويجاهر دعوته وألف =

٤- فهد^(١).

٥- علي أحمد سعيد - المعروف بـ «أدونيس»^(٢).

ثانيا: معتقدات الملحدين وأفكارهم المجملة.

من أبرز الاعتقاد عند الملاحدة ما يلي:

- ١- إنكار وجود الله.
- ٢- أن الكون وُجدَ صدفة.
- ٣- عدم الايمان بالغيب.
- ٥- أن المادة أزلية أبدية وهي الخالق والمخلوق.
- ٦- إنكار معجزات الأنبياء والرسل.
- ٧- عدم الإيمان الاخلاق ومعالي الأمور والاحترام والقيم.
- ٨- التعصب بأفكار ونظريات دارون. ودور كايم في علم الاجتماع، ونظرية ماركس في الاقتصاد، ونظرية فرويد في علم النفس.
- ٩- الإيمان بالطبيعة والمادة.

= مجموعة من الكتب وصار من دعاة الصهيونية العرب ورد العلماء في عصره ومنهم العلامة السعدي، ينظر: تفريغ محاضرة الرد على الملحدين: للشيخ محمد بن سعيد رسلان، من موقعه، تاريخ الزيارة ١٤٤١/٣/٢٠ / الساعة ١٠: ٢٦ص.

(١) هو فهد بن صالح بن محمد العسكّر شاعر كويتي دعا إلى التمرد على الأخلاق والفضيلة توفي في عام: (١٣٧٠هـ). المرجع السابق: (ص ٢٦).

(٢) تفريغ محاضرة الرد على الملحدين: للشيخ محمد بن سعيد رسلان، من موقعه، تاريخ الزيارة ١٤٤١/٣/٢٠ / الساعة ١٠: ٢٦ص. موقع الشيخ: <https://www.rslan.com/vad/>

١٠- الحاجة هي التي تحدد الأفكار، وليست الأفكار هي التي تحدد الحاجات.

١١- الإنسان مادة تنطبق عليه قوانين الطبيعة التي اكتشفها العلوم.

١٢- عدم الاعتراف بالمفاهيم الأخلاقية ولا بالحق والعدل ولا بالأهداف السامية، ولا بالروح والجمال^(١).

جميع هذه النظريات هي مما أثبت العلماء أنها حدس وخيالات وأوهام شخصية ولا صلة لها بالعلم^(٢).



(١) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة: د:

مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، عام: ١٤٣٥ هـ، (٢/ ٨٠٥).

(٢) ينظر: الشرك في القديم والحديث، لأبي بكر محمد زكريا، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع،

الرياض-المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، (ص ٦٩١).

المطلب الثاني

الأسباب والوسائل والمرتكزات للإلحاد

من الأمور البديهية أن كل أثر له سبب وكل مسألة جاءت أو نزلت في الساحة فلها سبب، أو علة، والعقول تدرك هذا كله فما أسباب الإلحاد إلى المذاهب الفكرية أو الكفار عموماً هل يكون قصورا من الدعاة والعلماء، أو لم تبلغ الدعوة إلى المتبنين والمنظرين للإلحاد والزندقة أو له أسباب أخرى.

فمن المعلوم أن العقول السليمة تتقزز وتنفر الإلحاد لأن ذلك يتعارض ويصطدم مع الفطرة السليمة والعقل السليم.

والخلاصة: أن انتشار قضية الإلحاد وتسلسله إلى العالم الإسلامي على وجه الخصوص له أسباب ووسائل، ومرتكزات عدة أهمها:

أولاً: الأسباب ومنها:

السبب الأول: الهزيمة الحضارية التي استولت على نفوس كثير من الشباب، فأدت إلى احتقارهم لأمتهم ولإرثها العقدي، وأدت بالقابل-إلى النظر بعين الإعجاب والإكبار للغرب وأنهم متفوقون، وأن سبب تفوقهم المادي إنما هو الحادهم.

السبب الثاني: عدم فهم مسألة القضاء والقدر على وجهها الصحيح، ولا سيما ما يتعلق بالحكمة والتعليل في أفعال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

السبب الثالث: غسيل العقول الذي يتعرض له من يسكن بين الكفار من القاطنين أو السائحين، أو المبتعثين.

السبب الرابع: حبّ الشهوات والرغبة الجامحة في الانفلات أو ما يسمى بالحرية الأخلاقية.

السبب الخامس: شبّهات ترد على الملحد في نظره وفهمه.

السبب السادس: الجهل بالدين ومحاسنه.

السبب السابع: انتكاس الملحد بسبب ذنب اقترف أو كبر في نفسه^(١).

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ [النساء: ٨٨].

ثانيًا: وسائل نشر الإلحاد في أوساط المجتمع:

الواقع أن أهل الباطل ينشرون مذهبهم بنشاط وجد وحيوية في كل عصر ومصر وفي كل زمان ومكان؛ لأنهم يستقطبون ضعاف النفوس والعقول وعامة الناس ليأووا أكبر عدد ممكن يدين بدينهم ويقتدي بمذاهبهم فمن أهل الباطل والسم التي دست بين المسلمين في عصرنا الحاضر هو الملاحدة أو مسالة الإلحاد وهو إنكار وجود الخالق الذي هو سبحانه.

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

والملاحدة أنكروا وجود الله وأن الكون أزلي جاء صدفة بدون خالق. وسيأتي الرد عليها في نهاية المبحث وهذه الفكرة لها مؤسسات وهيئات ودولا تدعمه وتنشره.

(١) ينظر: الإلحاد - وسائله وخطره وسبل مواجهته، للدكتور: صالح بن عبدالعزيز سندي، جمعية دار البر، الامارات العربية المتحدة، دبي، ط ١، ١٤٣٦ هـ، (ص ١٧-١٩).

فإليك بعض الوسائل:

- ١- المؤسسات والهيئات والمدارس الأجنبية.
- ٢- نشر الكتب الإلحادية بلغات مختلفة.
- ٣- القنوات الفضائية التي تبث برامج وحوارات ومناظرات في وجود الله، وأحيانا تنشر القنوات الفضائية نظريات الملحدون مثل نظرية داروين.
- ٤- عقد لقاءات مباشرة مع الشباب تطرح في الأفكار والشبهات المتعلقة بالإلحاد.
- ٥- الشبكة العالمية «الانترنت» بأنواعها وبرامجها، مثل «تويتر» «فيسبوك» وتيلجرام، والاستجرام والواتساب، والايمو.
- ونشر مقاطع فيديو المباشر وغير المباشر عن طريق يوتيوب وغير ذلك من وسائل الإنترنت.
- فإن الملاحدة يبشرون -ليلاً ونهاراً- المقاطع التي تؤصل للإلحاد أو تقرب منه، ومن المباراة مكرهم أنهم يجعلون لها عناوين أو كلمات دلالية مشتهرة يكثر بحث الشباب عنها نحو مباراة أو أسماء ممثلين وفنانين ولاعبين وأفلام ومسلسلات وغيرها.
- ٦- المنتديات العامة.
- الملاحدة يمدون شبابهم في الحضور الكبير للمنتديات ويبشرون سموهم وشبهاتهم ويقتنصون فريستهم من خلال «التفرس» ثم «التأنيس»

ثم «التشكيك» ثم «التأسيس». ويستخدمون قضية التدرج في دعوتهم الباطلة لاستقطاب أبناء المسلمين وبناتهم في أي مجال من وسائل الجذب من محادثات ومدونات ومواقع عدة ليدخل في قلوبهم الولاء والمحبة لهم.

٧- القصص والروايات الوضاعة المنحرفة الملمعة والمشوقة التي يتبادل أذهان الناس وسرعة قبولهم واستجابتهم؛ لأن الناس يحبون القصص ولا يتثبتون حقيقتها لكن في النتيجة تمثل أفكاراً ومبدأً وترسل رسالة وهدفًا لا يعرفها كثير من الناس ولا يتنبه إلا الحذاق من الناس، والمستنيرين بنور الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ^(١).

٨- رفع شعار العقلانية والعلمانية بين الشعوب الإسلامية.

٩- نشر الماركسية وفلسفاتها وشعاراتها وبرامجها الاقتصادية، الوان مكرها وكيدها.

ثالثاً: مرتكزات الإلحاد؛

يرتكز مذهب الإلحاد الى شيئين أساسيين هما:

الأساس الأول: المرتكز الفلسفي التأريخي:

هذا مرتكز مركب، وهو الأكثر حضوراً في أذهان وأدبيات الفئات المتعلمة والنخب المفكرة، وتغذي هذا المرتكز رواقد عدة.

الإلحاد النّاشئ عن هذا المرتكز إلحاد واعي مقصود، يصل إليه الفرد بعد معالجة فكرية - وجدانية من نوع خاص إجمالاً، الملحد هنا يشعر أن

(١) ينظر: الإلحاد، وسائله، وخطره، وسبل مواجهته، للدكتور: صالح بن عبدالعزيز سندي، (ص ٤٧-٥٢).

عليه واجب أخلاقي تجاه نفسه باعتناق الإلحاد، ودعوة الآخرين إليه، وهو متمرس على مقاومة شعوره بالفراغ الديني، إما بالتجليد على الحاده، أو تخفيف وتيرة ذلك التجليد بحشد ما يراه أدلة على صحة قراره. وهؤلاء ومن في حكمهم صنّاع ثقافة الإلحاد، ورعاته المنهجيون تنظيرًا وتطبيقًا.

المرتکز النفس الوجودي. وحضوره أقوى وأظهر في حياة عامة الناس، ممن لا يتوخون مسلك الفئة السابقة في التنظير والتأسيس والتسييس، وأخرت هذا المرتکز إلى موضعه من هذا البحث.

الأساس الثاني: المرتکز النفس الوجودي:

الإلحاد الناشئ عن هذا المرتکز وثيق الصلة بالارث، (الإلحاد/ اللاديني) الذي خلّفه المرتکز الفلسفي التاريخي على امتداد القارة الأوروبية بشكل خاص والعالم الغربي بشكل عام.

أيضًا، الإلحاد الناشئ عن هذا المرتکز هو الأكثر تفشيًا في العالم، وفي حالات كثيرة لا يعدو أن يكون لا أدريّة أو لا دينيّة ضحلة تشحّ بزي الإلحاد.

من أبرز سماته: أنه إلحاد ناجم عن شعور بالتفكك المعرفي، وضياع في الهوية، أو باستعارة تعبير ريتشارد سينيت محلل الراسمالية الكبير - تاكل الشخصية في الغالب، الملحد هنا عاجز عن سبك تبرير منهجي للإلحاده لأنه إما غير قادر أساسًا على تبين أسباب إلحاده بشكل واضح، أو لأن الإلحاد يؤمن له عضوية الانضمام للمجتمعات المتحررة، وبالتالي يوفر له نوعًا من

الانتماء وعد الشذوذ وهو يطلق العنان لنفسه فيما تشتهي، أو-وهو الأهم- لأن موقفه (الفكري والشعوري) من العالم مصنوع. لا بإرادته الكاملة.... والمرتكز النفسي الوجودي أتباع أو أفياء لأئمة المرتكز الفلسفي التاريخي، أو على دراية بشخصهم، وإطلاع على آثارهم وبرامجهم كلاً، غاية الأمر أن التبعة التاريخية واقعة على تلك النخب مجتمعة، ساسة ومكفرين وفلاسفة وأدباء وعلماء كل حسب دوره ومجال اختصاصه، في صناعة الارتكاسة الحضارية^(١).



(١) ثلاث رسائل في الإلحاد والعقل والايان، لعبد الله بن سعيد الشهري، مركز براهين للأبحاث والدراسات، ط٢، ١٦، ٢٠١٦م، (ص٦٢-٦٥).

نماذج لمواقع الإلحادية على الإنترنت

المواقع الإلحادية باللغة العربية محجوبة في المملكة العربية السعودية يعتذر دخولها وتصفحها لدى الجمهور؛ لكن يوجد بعض المواقع يباشرون نشاطهم الإلحادي بجرأة ومن تلك المواقع ما يلي:

اسم الموقع	عنوان الموقع	ملاحظات
الملحدين المصرين	Http//thinkatheist.com	في ترتيب المواقع المدنات تأخذ ترتيب المواقع الرئيسية التي تتبعها
مدونة بمسمى نزهة إلحادية	group/egyptianatheists?xg-/ source=activity	
مدونة بمسمى لا ديني بالفطرة	Http://e17ad-95.blogspot.com	
	Http//naoufaal.wordpress.com	

سمات المواقع الإلحادية على شبكة الانترنت؛

بصورة عامة تشترك العديد من المواقع إلحادية ببعض السّمات من

أبرزها:

١. معظم الإساءات التي تواجه للدين الإسلامي في تلك المواقع يكون موجهاً للإسلام بصورة واضحة.

٢. يغلب على موضوعات المواقع الإلحادية السخرية، والتطاول على الدّين، وتعتمد إبداء الجرأة الواضحة والمجاهرة بالإلحادية والكفريات.
٣. تواجه المواقع الإلحادية بكثرة الحجب، وقيام بعض المحتسبين باختراقها.
٤. محدودية موضوعاً ونز مشاركيها.
٥. قلسة أنواع المواقع وصغر حجمها.
٦. إنضمام المشاركين في تواصل الاجتماعي.
٧. سهولة وسرعة إنشاء صفحات وحسابات شخصية.
٨. إمكانية إنشاء صفحات جديدة بسهولة بعد إلغاء الصفحات التلمسية المبلغ عنها.
٩. تنوع التطبيقات التي تتيحها مواقع التواصل الاجتماعي من خلال الصفحات الشخصية.
١٠. إسهام مواقع التواصل الاجتماعي في تيسير الالتقاء ذوي الاهتمامات والميول المشتركة^(١).

(١) نشاط المذاهب الفكرية المعاصرة على الإنترنت، لعبدالله بن موسى الكحيلي، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤٤٠هـ، (ص٩٩-١٠١).

المطلب الثالث

نقد الإلحاد

إن بوارد الإلحاد في الأمة كان موجوداً منذ قدم الإسلام لكنه كان منحصرًا في الإيمان بالمادّة والدّهر وأنه يقلّب الأمور بؤسا ورخاء وشدة وليّنًا حيّا وميتًا نسبة الموت والحيا إلى الدهر والأعوام وأنه لا حياة بعد الموت كما أنهم أنكروا علم الغيب وأمور الآخرة وما بعد الموت لكنهم كانوا يعتقدون بوجود الله وأنّه هو الخالق وهؤلاء سمى القرآن العزيز الدّهريين. قال تعالى:

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجنّة: ٢٤].

امتدّ لهذه الفكرة الإلحادية حتى وصلت إلى أوروبا في القرن السابع عشر الميلادي وما بعده فشاع الإلحاد بوجه جديد وأثواب جديدة يخضع قوة وسلطة وهيئات تحوم حوله وتداع عن الإلحاد والملحدّين وكل قوم وارث فورثوا آبائهم وأجدادهم وقالوا مثل قولهم: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١١٨].

تشابهت قلوبهم في الإيمان بالمادّة والطبيعة وهذا تكرر في تاريخ البشرية في عصور الرسالات السّماوية. قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧].

وأيضًا أن أعداء الرسالات السّماوية أكثرهم ماديون محض منهمكون بالمادّة ومنغمسون فيها وينكرون البعث والنشور والقيامة مع إيمانهم بأن الحياة هي الدنيا فقط وليس ما وراءها حياة أخرى. يقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [سبأ: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾

[المؤمنون: ٣٧].

كما يحكي القرآن مقالة الماديين لدى ظهور الإسلام: قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠].

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿أَتَوَصَّوُا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣].

فالظاهرة العامة لهم هي الركون إلى المادة، وإنكار ما وراء المحسوس المشاهد. ولا يعرفون غيرها في مجال الإقناع والافتناع^(١).

وبناءً على ذلك إن الإلحاد المطلق بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** أمر لا يتصور إليه فطرة وعقلاً ونقلاً وسمعاً

لأنه مصادم بالفطرة السليمة وناقض لعهد الله الذي بني آدم وهم في أصلاب آبائهم وظهورهم وإليك بعض الردود من كتاب الله **عَزَّ وَجَلَّ** وفي سنة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأذكر بعض أقوال المنظرين للإلحاد.

(١) ينظر: الشرك في القديم والحديث، لأبي بكر محمد زكريا، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١ هـ (ص٦٩٦).

للرد على الملاحدة:

أولاً: دليل السبب والمسبب:

إن تأثير الأسباب في المسببات دليل قوي في الرد على الملاحدة والمنكرين لوجود الله تعالى؛ لأن كل حادث لابد من محدث ولكل أثر لابد من مؤثر وكل سبب لابد من مسبب فالله سبحانه خالق السبب والمسبب وخالق العباد وأعمالهم. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] وتأثير الأسباب في المسببات أمر معلوم بالعقل والمشاهدة، وقد نوه القرآن الكريم أكثر من موضع لمن يعقل أو ألقى السمع ومن ذلك قول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نِّقَالًا سَقَنَهُ لِبَدًا مِّمَّيْنٍ فَانزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧].

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [النحل: ٦٥].

وغيرها من الآيات الدالة على استدلال السبب والمسبب والتأثير والمؤثر في القرآن العزيز وهذا نماذج منها.

والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هو خالق السبب والمسبب، فلا يجوز نسبة الإنفراد بالخلق في صفة الفعل لغير الله تعالى، فمثل هذه الإضافة بالإنفراد لا تخرج في حكمها عن كونها شركاً في الربوبية.

وعلى الضد من ذلك يدخل في الانحراف -أيضاً- نفي التأثير للأشياء التي جعلها الله تعالى أسباباً ووسائط على المسببات^(١).

الفكر، يقول أصحاب أسس الماركسية اللينينية: النشاط الذهني أو الفكري له خصائص مميز عن المادة، ولكنها ليست شكلاً من أشكال المادة، وفي المسألة الأساسية في الفلسفة يطرح الفكر كضد للمادة والروح كضد للطبيعة، فالمادة هي أي شيء يوجد خارج العقل ولا يتوقف عليه، وبالتالي: من الخطأ الجسيم اعتبار الفكر جزءاً من المادة، وفي الوقت الحالي يعتبر التوحيد بين الفكر والمادة من مفاهيم المادية المنحطة.

ثانياً: الأدلة العقلية الفلسفية القديمة:

أصل هذه الأدلة: هو إثبات وجود العالم من ظاهرة التغير الملازمة لكل شيء فيه؛ وذلك؛ أن التغير نوع من الحدوث للصورة والهيئة والصفات، وهذا الحدوث لا بد له من علة، وتسلسل العلل للمتغيرات الأولى سنصل حتماً إلى نقطة بدء نقرر فيها أن هذا الكون له بداية في صفاته وأعراضه، وفي ذاته ومادته الأولى، وحينما نصل إلى هذه الحقيقة لا بد أن نقرر أن هناك خالقاً أزلياً لا يمكن أن يتصف بصفات تقتضي حدوثه صدفة وهذا الخالق هو الذي خلق هذا الكون وأوجده بالصفات التي هو عليها. والذي يوضح ذلك ما يلي:

١- دليل الإلزام العقلي بين الوجود والعدم: قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾^(٢٥) أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿

[الطور: ٣٥، ٣٦].

(١) منهج الإمام جمال الدين السُّرَّمَرِّي في تقرير العقيدة، لخالد بن منصور المطلق، الناشر: (بدون)، ط ١٤٣٦هـ (ص ٢٢٥).

بين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في الآيتين قضيتين هما:

- هل الإنسان خلق من العدم والعدم هو الأصل؟.

١ أم أنهم خُلِقُوا من غير شيء أم خَلَقُوا أنفسهم بأنفسهم فالوجود هو الأصل؟.

وكلا الحالتين والفرضيتين مستحيلة بداهةً وعقلًا وتصورًا.
لأن الموجد لا يكون عدما لأن العدم لا يمكن أن يكون هو الأصل لأنه هو النفي العام لكل ما يخطر ببال، ونفي صفاته، فلا ذات ولا قوة ولا إرادة...
لم يبق إلا حالة واحدة وهي (أن الله خالق الكون وما بينهما وخالق الثقلين).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «في تفسير هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ من غير رب خلقهم.

وقيل: من غير مادة، وقيل: من غير عاقبة وجزاء، والأول مراد قطعاً، فإن كل ما خلق من مادة أو لغاية فلا بد له من خالق. ومعرفة الفطر أن المحدث لا بد له من محدث أظهر فيها من أن كل محدث لا بد له من مادة خلق منها وغاية خلق لها، فإن كثيراً من العقلاء نازع في هذا وهذا، ولم ينازع في الأول.

قالت طائفة: إن هذا العالم حدث من غير محدث أحدثه؛ بل من الطوائف من قال: إنه قديم بنفسه واجب بنفسه ليس له صانع، وأما أن يقول: إنه محدث حدث بنفسه بلا صانع، فهذا لا يعرف عن طائفة معروفة، وإنما يحكى عما لا يعرف»^(١).

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (١٣/ ١٥١).

لقد قرر الباحثون في نهاية بحوثهم بالإجماع أن أمر الحياة لا يزال مجهولاً، ولا مطمع في أن يصل إليه العلم يوماً ما، وأن هذا السر أبعد من أن يكون من مجرد بناء مواد عضوية معينة وظواهر طبيعية خاصة معينة منفردة عن غيرها^(١).

ولقد أحسن أبو العتاهية في قوله:

فوا عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة وتسكينة أبدا شاهد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد^(٢)
وشهد شاهد من أهلها.

ثبت أن كثيراً من رؤساء ومؤسسي المذهب الإلحادي أنه لا يوجد ملحد بحث بمعنى الكلمة لأن الفطرة تآبي ذلك وتعارضه ولا تقبل ذلك ولو أظهر جوارحه وكواسبه في وجود الإلحاد وإنكار وجود الله لأن المادة بدون حركة أمر غير متصور ومعقولا بداهة وغير معقول.

يقول إنجلز: (المادة بدون حركة أمر غير معقول، بقدر ما هي الحركة بدون المادة، وإذن فالحركة محال خلقها وإفناؤها قدر ما هو محال ذلك بالنسبة للمادة نفسها.

(١) الشرك في القديم والحديث، لأبي بكر محمد زكريا، (ص ٧١٤).

(٢) ينظر: عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، للشيخ: صالح بن عبد الله العبود، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، (١/ ٣٠٢). وينظر: شرح ملا علي قاري على الفقه الأكبر لأبي حنيفة (ص ٩).

- ويقول موريس بلوندا: (ليس هناك ملحدون بمعنى الكلمة)^(١).
- ويقول أيضًا: (ليس في مكنة العلم الطبيعي حتى الوقت الراهن أن يؤكد شيئًا بخصوص أصل الحياة)^(٢).
- ويقول: (فرانسيس بيكون: إن قليلا من الفلسفة يجنح بالعقل إلى الالحاد، ولكن التعمق في الفلسفة خليف أن يعود بالمرء إلى الدين)^(٣).
- ويقول: جون كليفلاند عالم الكيمياء والرياضيات: (تدلنا الكيمياء على أن بعض المواد على سبيل الزوال والفناء، ولكن بعضها يسير نحو الفناء بسرعة كبيرة والآخر بسرعة ضئيلة. وعلى ذلك فإن المادة ليست أبدية...).
- يقول إدوارد لوثركيسيل في معرض رده على القائلين بأزلية الكون: (ولكن القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية يثبت خطأ هذا الرأي)^(٤).
- فهذا اعتراف منهم على أنهم ما وصلوا في خصوص الحياة إلى نتيجة علمية ثابتة، وإنما هذه الأقوال دعاوى كاذبة، وأحاجي فارغة تناقض حتى المبادئ العقلية^(٥).
- قال أحد الملحدين أرني الله قيل له أرنا عقلك قال اقنعني بوجوده قيل له: اقعنا بحياتك قال أين هو؟ سئل أين الحق والخير الكمال^(٦).
-
- (١) الإلحاد وسائله وخطره وسبل مواجهته، للدكتور: صالح بن عبدالعزيز سندي، (ص ١٣).
- (٢) المرجع السابق (ص ١٣).
- (٣) مذاهب فكرية معاصرة في ميزان الإسلام، للدكتور: محمد عبد رب النبي سيد محمد، (ص ٦١).
- (٤) المرجع السابق (ص ٦١).
- (٥) الشرك في القديم والحديث، لأبي بكر محمد زكريا، (ص ٧٤).
- (٦) عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين، لصالح بن إبراهيم البليهي، المطابع الأهلية للأفست، رياض، ط ١، ١٤٠٤هـ، (١/٧٦).

الخلاصة في الرد على الإلحاد المعاصر:

سإن من السّمات المشتركة بين المذاهب الفكرية التي لا تكاد تجمع عليها بينهم ويعدّ مبدأً أساسياً في كل مذهب من المذاهب الغربية الأوروبية هو الإلحاد ومعناه إنكار خالق السموات والأرض والإنس والجن وجميع المخلوقات. وبناء عليه أن الإلحاد خطر على البشرية جميعاً وليس على الأمة الإسلامية وحدها.

ومن هنا كان موقف الإسلام من الملحدّين عدم المهادنة معهم، والرد عليهم وتفنيد شبهاتهم وأساطيرهم التخبطية التي لا تستند إلى دليل عقل منطقي وبديهي وليست دعوة الإسلام إلى عدم المهادنة الإلحاد ميلاً منه إلى الحرب في ذاتها. وإلا ما دعا إلى السلام وحرص عليه بادئ ذي بدء كمبدأ عام من مبادئه.

إن عدم مهادنة الإلحاد دعوة لدفع الخطر المحدق بالإنسانية كلها، طلب الإسلام من المسلمين القيام بها.

وفي دفع هذا الفطر الإلحاد أو الخطر إقرار للسلم، واستقرار للجماعة الإنسانية، وكفالة إقرار السلم العالمي جانب من رسالة الجامعة الإسلامية في نظر الإسلام، ومن هنا كان دفع هذا الخطر فرضاً ملازماً لقيام «الجماعة الإسلامية في أطوار حياتها وفي كل أجيالها، وعليها أن تكون متهيئة بصفة مستمرة للقدرة على الدفع^(١).

(١) ينظر: الفكري الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، للدكتور: محمد البهي. مكتبة وهبه، القاهرة، ط، ١٠، (ص ٢٠٤).

المبحث الثاني

العقل وموقف الإسلام منه

التمهيد

تقديس العقل وتقديمه على النقل والفطرة يعدّ من أم الشبهات لدى المذاهب الفكرية الغربية وصارت سمات كلية مشتركة بين المذاهب الغربية الأوروبية وسيادة العقل في جميع مجالات الحياة وحلّ محل الدين والشريعة وأن العقل قائد في حركة الحياة والتوجيه وسمي هذا العصر بعصر التنوير في عام (١٦٩٠ الى عام ١٧٣٠م) نتيجة الإسراف في بيان بعض سمات من فكر التنوير ذاته^(١). ومقصده السامية إبعاد الدين عن مجال الحياة مطلقاً ووجوب سيادة العقل كمصدر للتشريع ودار والمعرفة والتوجيه وقيادة زمام الأمور وتولية مقاليدها فاختلفت الأفكار والنظريات تجاه العقل في المذاهب الفكرية المعاصرة إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: من أفرط في تعظيم وإكبار العقل وتقديسه حتى جعله مقام العبودية والألوهية هو الذي يقود في حياة المجتمع الأوروبي في جميع مجالات الحياة. السياسية والدينية والقانونية والتنظيمية.

ثانياً: من فرط في حق العقل وجعله جموداً لا يجدي نفعاً.

ثالثاً: من جمع بين العقل والحسّ معاً يشتركون في قيادة الحياة ومرجعية

(١) ينظر: الفكر الأوروبي الحديث القرن السابع عشر، فرانكلين-ل-باومر، ترجمة: أحمد حمدي محمود، مكتبة الاسكندرية، الهيئة المصرية، العامة للمكتبات، عام: ٢٠١٥م، (ص ١٧٦).

الإنسان في كل حياته وحركاته وسكناته ولا يقتصر العقل لوحده في السيادة وتدير شؤون الحياة إلا بمساعدة ومعاونة الحسّ والتجربة.

رابعاً: من استعبد العقل بالكلية.

وكل هذه الأقسام والمراحل للعقل عند الغرب معارض للعقل السليم والنقل الصحيح وترجع جاهلية جهلاء.

أما الحق والصواب تجاه العقل تقديره ومدحه كما ذكر الله تعالى في كتابه والاستفادة منه إلى معرفة خالقه وبارئه وتحقيق مرضاة الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** وأداء حق الله عليه.

وإذا كانت العقلانية فكرة قامت على دعوى احترام العقل والاستفادة منه فهل وفقت فعلاً إلى احترامه الاحترام الذي يليق به؟ وهل استفادت منه الفائدة الصحيحة والجواب عن هذا السؤال يتطلب أولاً معرفة مدى قدرة العقل في بيان الأمور وإيضاحها وقد علمت أن العقل مر بمراحل في مفاهيم الناس في أوروبا.

- فمنهم من غلا في تقديسه. - ومنهم من غلا في احتقاره.

- ومنهم من اعتمده لكن بشرط أن يقترن بشهادة التجربة له.

- ومنهم من استعبده تماماً.

وإنما كلها تخبّطات جاهلية وإن الله تعالى وفق المؤمنين إلى الحق في تقدير العقل والاستفادة منه.

بضوابط وحدود لا يتجاوز عنه بحال من الأحوال.

وعليه فإن المبحث يشتمل في المطالب الآتية:

المطلب الأول

مفهوم العقل لغةً واصطلاحاً، وأنواعه، وتسميته، وأهميته وبداية العقل وجوده، والفرق بين العقل والنقل

جاءت تعريفات عدة ومتنوعة لمفهوم العقل ويرجع هذا إلى اختلاف الأفهام والمشارب والمنابع من أهل اللغة والمعاجم وأذكر بعضاً من التعريفات مختصراً.

المعنى الأول للعقل هو: الحابس عن ذيم القول والفعل أو ما يقارب الحبسة^(١).

المعنى الثاني: العقل هو الحِجْر والنَّهْي، ضدُّ الحُمُق، وجمعه عقول^(٢).
المعنى الثالث: العقل: نقيض الجهل^(٣).

وأما اصطلاحاً:

أولاً: العقل: هو غريزة للتمييز والإدراك بين حسن الأشياء وقبيحها.

ثانياً: هو نور في الصدر به يُبصر القلب عند النظر في الحجج.

ثالثاً: العقل علوم ضرورية.

رابعاً: نور روحاني، به تدرك النفس العلوم الضرورية، والنظرية.

خامساً: قوة غريزية يتهيأ بها لإدراك المعلومات التصويرية، والتصديقية^(٤).

(١) مقاييس اللغة (٦٩/٤).

(٢) لسان العرب (٤٥٨/١١).

(٣) مقاييس اللغة (٦٩/٤).

(٤) القاموس المحيط (ص١٣٣٦).

سادساً: جوهر شفاف تدرك به المطالب العلمية^(١).

وأما العقل في اصطلاح المتكلمين يقتصر على أحد ثلاث معان.

- العقل علوم ضرورية^(٢).

- العقل هو عبارة عن علوم مخصوصة^(٣).

- عبارة عن علوم كلية بديهية^(٤).

- العقل هو التصورات والتصديقات الحاصلة للنفس بالفطرة^(٥).

وهذا بمعنى التعريف السابق إلا أنه بالفاظ الفلاسفة. وقد وافق الرازي الفلاسفة في شرحه لأنواع العقول وتعدادها بل ورد على من يخالف ذلك، مخالفاً بذلك أئمة المتكلمين قبله.

وهو كما قال شيخ الإسلام: «وكثير من الناس تجده تارة مع أهل الكلام، وتارة مع أهل الفلسفة؛ كالرازي^(٦)،

(١) شرح جواب ابن تيمية في القدر للطوفي، (ص ٢٤) مخطوط.

(٢) الإرشاد (ص ١٥)، وانظر: المواقف (ص ١٤٦).

(٣) المغني (١١/٣٧٥).

(٤) المحصل (ص ١٠٤).

(٥) المباحث المشرقية (١/٣٦٦).

(٦) فخر الدين الرازي، أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الطبرستاني الأصل الرازي المولد، الملقب فخر الدين، المعروف بابن الخطيب، الفقيه الشافعي، فريد عصره ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، وكانت ولادة فخر الدين في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وأربعين، وقيل ثلاث وأربعين وخمسةائة، بالري. وتوفي يوم الاثنين، وكان عيد الفطر، سنة ست وستائة بمدينة هراة، ودفن آخر النهار في الجبل المصاقب لقرية مزداخان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بكر ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، ط ١، (٤/٢٤٨).

والآمدي^(١) وغيرهما^(٢).

تعريف العقل عند المعتزلة: وصف أبو الهذيل العلاف، العقل فقال فيه علم اضطرار الذي يفرق الإنسان به بين نفسه وبين الحمار، وبين السماء وبين الأرض، وما أشبه ذلك ومنه القوة على اكتساب العلم^(٣).

إن من معتقد المعتزلة تقديم العقل على النقل وأنه واجب على المكلف لأن العقل يميز بين الحسن والقبيح وبه يعرف حجية الكتاب^(٤).

وأوضح رأيه في أن دلالة العقل لا يطعن في جعل الكتاب هو الأصل فقال في بيان هذه الأدلة (أولها دلالة العقل، لأن به يميز بين الحسن والقبيح، ولأن به يعرف أن الكتاب حجة)^(٥).

(١) علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الإمام أبو الحسن سيف الدين الآمدي، الأصولي المتكلم أحد أذكى العالم، ولد بعد الخمسين وخمسة مائة يسير بمدينة آمد ثم انتقل إلى مذهب الشافعي ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤١٣ هـ، (٣٠٧/٧).

(٢) الصفدية (١/٢٣٨). ينظر: الكتاب: الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، لآمال بنت عبد العزيز العمرو، (ص ٣٥٠).

(٣) منهجية البحث في التفسير الموضوعي للكلمة، والآية، والسورة القرآنية، إعداد: الأستاذ الدكتور أمين محمد سلام المناسية البطوش، أستاذ التفسير بكلية الشريعة-جامعة مؤتة، عام ٢٠٠٠م، مصدر الكتاب: ملفات (word) رفعها (مختار الديرة) في موضوعه (الجزء الثالث من بحوث مهمة جداً)، (ص ١٤٩).

(٤) القاضي عبد الجبار - إعجاز القرآن (ص ٣٩٥).

(٥) إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، للدكتور، منير سلطان (معاصر)، الناشر: منشأة المعارف - الإسكندرية، ط ٣، ١٩٨٦ م، (ص ٣٤).

وتعريف المتكلمين للعقل فيه نقص، فهو يقتصر على تعريف العقل بأنه علوم ضرورية، والعقل كما سبق غريزة بها يعلم، كما أنه العمل بالعلم، بالإضافة إلى كونه علوم ضرورية.

الرد على الفلاسفة:

تقسيم الفلاسفة للعقول بهذه الطريقة هو اصطلاح لهم بعباراتهم وهو غير ملزم، وإنما نناقشهم فيما اخطأوا فيه، أما تعريف العقل بأنه التصورات والتصديقات، فكما سلف هذا تعريف ناقص، فالعقل غريزة بها يعلم، وهي كذلك العلوم الضرورية، كما أنه العمل بالعلم.

وأما قول الفلاسفة في العقول الفعالة المفارقة، وإطلاقهم لفظ العقل على الله - تعالى - وتسمية النفس البشرية عقلا، فباطل؛ لأن العقل في الكتاب، والسنة، وكلام الصحابة، والأئمة، ليس ملكا من الملائكة، ولا جوهرًا قائمًا بنفسه بل هو العقل الذي في الإنسان ولم يسم أحد من المسلمين قط.

إطلاقات العقل عند الفلاسفة:

يطلق على ثمانية معانٍ مختلفة، وهي: العقل، والعقل النظري، والعملي، والهيولاني، والعقل بالملكة، والعقل بالفعل، والعقل المستفاد، العقل الفعال^(١).

(١) المصطلح الفلسفي عند العرب، لعبد الأمير الأعسم، الناشر: الهيئة المصرية - القاهرة، ط ٢، ١٩٨٩ م، تقديم وتصحيح وتعليق: عبد الأمير الأعسم، (ص ٢٠٩).
معيار العلم في فن المنطق، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، عام النشر: ١٩٦١ م، (ص ٢٨٧).

وهذه قوة محرّكة، وليست من جنس العلوم، وإنما سميت عقلية لأنها مؤتمرة للعقل، مطيعة لإشاراته بالطبع^(١).

تعريف العقل المادي: هو العقل الذي يوجد داخل حيز الطبيعة. والعقلانية المادية: هي الإيمان بأن العالم يحوي داخله ما يكفي لتفسيره وأن العقل مستقل بذته^(٢).

أنواع العقل وتسميته:

عقل عقيم، وهو عقل صاحب الدنيا؛ وعقل مثمر، وهو عقل صاحب الآخرة^(٣).

وسمي العقل نهية: لأنه ينتهي إلى ما أمر به ولا يعدى أمره^(٤).

ولهذا قال أمير المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع إذا لم يكن مطبوعاً كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع^(٥).

ومنها أيضاً العاقل؛ يقال: رجل عاقل، إذا كان حسن التمييز، صحيح العقل والتدبير، ويقال: وعِلّ عاقل وهو مما لا يعقل، يراد به: قد عقل نفسه في الجبل، فما يبرح منه، ولا يطلب به بدلاً.

(١) الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، لآمال بنت عبد العزيز العمرى، (ص ٣٥٣).

(٢) العلمانية الجزئية العلمانية الشاملة، للدكتور: عبد الوهاب المسيري، المجلد الثاني: التطبيق، دار الشروق، مدينة نصر، القاهرة، مصر، ط ٢٠١٦ م، (ص ٤٦٢).

(٣) مقاييس اللغة (٤/ ٦٩-٧٦).

(٤) لسان العرب (١٥/ ٣٤٦).

(٥) منهجية البحث في التفسير الموضوعي للكلمة، والآية، والسورة القرآنية، لأمين محمد سلام (ص ١٤٨).

قال الشاعر:

لقد خفت حتى ما تزيد مخافتي على وعل في ذي المطارة عاقل^(١)

والبيت المذكور «للأحوص الرياحي» وهو من شواهد الكتاب، (أليس يربوع إلى العقل فاقة... ولا دنس تسود منه ثيابها)^(٢).

المذهب التجريبي ينكر وجود مبادئ أولية خاصة بالعقل ويقرر أن التجربة مصدر المعرفة.

مفهوم العقل عند أوجست كونت:

إن العقل مر بحالات ثلاث: حالة لاهوتية، وحالة ميتافيزيقية، وحالة واقعية^(٣)

مفهوم العقل عند العقلانيين:

هو: الأصل الذي يصدر عنه كل علم^(٤).

من مفاهيم العقل للمذاهب الفكرية المعاصرة المذهب الوضعي الذي يقول العقل البشري يتقدم من المرحلة اللاهوتية الدينية إلى المرحلة الميتافيزيقية^(٥).

(١) الأضداد، لأبي بكر، محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، عام النشر: ١٤٠٧ هـ، (ص ٣٧٥).

(٢) شرح درة الغواص في أوهام الخواص (مطبوع ضمن «درة الغواص وشرحها وحواشيها وتكملتها»)، لأحمد بن محمد الخفاجي المصري، تحقيق: عبد الحفيظ فرغلي علي قرني، دار الجليل، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٧ هـ (ص ٢١٨).

(٣) اللغة وعلم اللغة، لجون ليونز، دار النهضة العربية، ط ١، (ص ٥٤).

(٤) اللغة وعلم اللغة، لجون ليونز، دار النهضة العربية، ط ١، (ص ٥٥).

(٥) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٨١٣).

العقلانيون يعتبرون أن المعرفة العقلية هي المعرفة الحقيقية السائدة اليقينية في مجريات الحياة وتدير شؤوننا وأن كل معرفة مصدرها العقل المجرد، ولذا تسمت إحدى المذاهب الفكرية باسم العقلانية؛ لأنها مذهب فكري يزعم أنه يمكن الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الاستدلال العقلي بدون استناد إلى الوحي الإلهي والتجربة البشرية. وقد تبلورت المذاهب العقلية بهذا المعنى عند سبينوزا^(١) الذي حاول أن يفسر بالعقل كل الحقائق الدينية التي تفوق الطبيعة^(٢).

ويطلق على أصحاب هذا الاتجاه العقلانيين الذين يؤمنون بأن القوة العاقلة في الإنسان -وهي قوة فطرية- هي الأصل الذي يصدر عنه كل علم حقيقي، أو أنها على الأخص مصدر أهم صفتين يتصف بهما العلم الحقيقي، وهما صفتا الضرورة والصدق المطلق^(٣).

تسمية العقل:

سمي العقل بهذا الاسم؛ لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، ويحجزها عما لا ينبغي من اعتقاد فاسد، أو فعل قبيح^(٤).

- (١) هو فيلسوف هولندي يهودي، باروخ سبينوزا ١٦٣٢-١٦٧٧ م، هاجر أبواه من البرتغال في فترة الاضطهاد الديني لليهود من قبل النصارى، ودرس الديانة اليهودية والفلسفة كما هي عند ابن ميمون الفيلسوف اليهودي الذي عاش في الأندلس وعند ابن جبريل وهو أيضًا فيلسوف يهودي عاش في الأندلس كذلك. ومن أقواله: ليس هناك فرق بين العقل كما يمثله الله وبين المادة كما تمثلها الطبيعة فهما شيء واحد، ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/٧٨٦).
- (٢) ينظر: أسس الفلسفة، لتوفيق الطويل، دار النهضة العربية، القاهرة، (ص ٢٤١).
- (٣) المدخل إلى الفلسفة، لأزفلد كولبه، ترجمة أو العلا عفيفي، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥٥ م، (ص ٢٧٠). المعرفة، لحمد فتحي الشنيطي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، (ص ٩١).
- (٤) ينظر: القاموس المحيط (ص ١٣٣٦). لسان العرب (٨/٢٧).

وأما أهمية العقل:

له أهمية كبرى ومنزلة رفيعة ومقامة سامية لمن وفي نعمة العقل وأدى حقه ووظيفته حق الأداء ومن تلك الأهمية.

أولاً: العقل من الضروريات الخمسة الكبرى التي أمر الإسلام بمرعيتها واهتمامها وحفاظها.

ثانياً: أن العقل مناط التكليف أما غير العاقل فلا يدخل من اصناف المكلفين في الاوامر والنواهي والضرر والنفع وهو العنصر الوحيد والفرق البين بين الإنسان والحيوان^(١).

وليس ثمة عقيدة تقوم على احترام العقل الإنساني، وتكريمه، والاعتماد عليه في فهم النصوص كالعقيدة الإسلامية، ويبدو هذا واضحاً في آيات كثيرة من كتاب الله، مدح الله عز وجل فيها العقل، ورفع من شأنه، من خلال توجيهه إلى النظر، والتفكير، والتدبر، والتأمل^(٢).

ثالثاً: أمر العقل باتباع البرهان والحجج الواضحة والحق المبين كما ذم الذين عطلوا عقولهم ومالوا إلى التقليد الأعمى وما الفوا آباءهم من الضلال والانحراف والزيغ عن الحق قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

(١) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١/ ١٥٠).

(٢) ينظر: النبوات لابن تيمية (ص ١٨٩).

رابعاً: أنه دعي إلى التفكير والتدبر في ملكوت السموات والارض وما أودعها الله من عجائب وغرائب تدل على أنه الخالق المتفرد بخلقه الصمد.

خامساً: استخدام القرآن الكريم بالحجج العقلية الدامغة الداحضة ومن ذلك دليل التمانع حين قال الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾** (٣٥) **أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿﴾** [الطور: ٣٥، ٣٦].

سادساً: الحث على إعمال العقول في المسائل أو النوازل التي لم ينص عليها الشارع في الكتاب أو السنة.

سابعاً: العقل الصحيح لا يعارض النقل الصحيح.

ثامناً: العقل حجة من حجج الله على خلقه وأساس حمل الأمانة والأصل الذي تنبى عليه مسؤولية الإنسان، ويقوم عليه حسابه مثوبة أو عقوبة^(١).

وأما ابتداء وجود العقل:

ابتداء وجوده عند اجتنان الولد، ثم لا يزال ينمو إلى أن يكمل عند البلوغ^(٢).

وأما وظيفة العقل:

العقل نور أودعه الله في الإنسان؛ ليكشف به الأشياء، والحقائق الواقعة، ليفهم به عن الله ورسوله ولينظر من خلاله في ملكوت السموات

(١) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، لمحمود محمد مزروعة، (ص ٢٥٦).

(٢) القاموس المحيط، (ص ١٣٣٦).

والأرض، ولیدرك به أسرار الكون، ويتدبر في نفسه وآيات الله من حوله، ويصل من خلاله إلى كثير من أمور الاعتقاد في حدود طاقته، ويبحث من طريقه إلى ما يعود عليه بالنفع في دينه ودنياه.

بين العقل والنقل:

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «إن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح»^(١).

والعقل الصريح: هو الخالي من الشبهات والشهوات، والنقل الصحيح: هو السالم من العلل والقوادح^(٢).

قال شارح الطحاوية ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللهُ: «فلا يتصور أن يتعارض عقل صريح ونقل صحيح أبداً»^(٣).

فلو أبطلنا النقل لكننا أبطلنا دلالة العقل، ولو أبطلنا دلالة العقل لم يصح أن يكون معارضا للنقل؛ لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء؛ فكان تقديم العقل موجبا عدم تقديمه؛ فلا يجوز تقديمه.

وهذا بين واضح؛ فإن العقل هو الذي دل على صدق السمع وصحته، وأن خبره مطابق لمخبره؛ فإن جاز أن تكون الدلالة باطلة لبطلان النقل لزم أن لا يكون العقل دليلاً صحيحاً، وإذا لم يكن دليلاً صحيحاً لم يجوز أن يتبع بحال، فضلاً عن أن يقدم؛ فصار تقديم العقل على النقل قدحاً في العقل.

(١) مجموع الفتاوى، (١٢/ ٨٠).

(٢) مصطلحات في كتب العقائد، لمحمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، در ابن خزيمة، ط ١، (ص ١٣١).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٩٩، ٢٠٠).

فالواجب كمال التسليم لرسول الله والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولا، أو نحمله شبهة أو شكّا، أو نقدم عليه آراء الرجال، وزبالة أذهانهم؛ فنوحده بالتحكيم والتسليم والإذعان كما نوحّد المرسل بالعبادة، والخضوع، والإنابة، والتوكل^(١).

معنى بدائة العقول، أو بداهة العقول، أو العلم الضروري، أو بضرورة العقل: هذه ألفاظ متقاربة في المعنى، وترد كثيرا في كتب العقائد، وغالبا ما يكون ذلك في مقامات الرد والإلزام، وبيان أن المسائل أو القضايا المتنازع فيها واضحة معلومة تعرف بادي الرأي، وأول النظر دون إعمال فكر، أو إطالة تأمل.

جاء في المزهر للسيوطي: (العلم الضروري: هو الذي بينه وبين مدلوله ارتباط معقول، كالعلم الحاصل من الحواس الخمس: والبصر، السمع والذوق، الشم واللمس)^(٢).

وقال الكفوي: (الضروري: الذي يقابل الاستدلالي، وهو ما يحصل بدون فكر وتأمل في دليل)^(٣).

وقال: «البداهة: هي المعرفة الحاصلة ابتداء في النفس لا بسبب الفكر، كعلمك بأن الواحد نصف الاثنين.

(١) شرح العقيدة الطحاوية: (ص ١٩٩، ٢٠٠).

(٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ (١/١١٣).

(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت (ص ٥٧٦).

والبديهي أخص من الضروري؛ لأنه ما لا يتوقف حصوله على نظر وكسب سواء احتاج لشيء آخر من نحو حدس أو تجربة أو لا كتصور الحرارة^(١).

والبرودة، والتصديق بأن النفي والإثبات لا يجتمعان، ولا يرتفعان. والأوليات: هي البديهيات بعينها سميت بها؛ لأن الذهن يلحق محمول القضية بموضوعها لا بتوسط شيء آخر^(٢).



(١) ينظر: مصطلحات في كتب العقائد، لمحمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، الناشر: درا بن خزيمة، ط١، (ص١٢٧).

(٢) ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي (ص٢٤٨).

المطلب الثاني

منزلة العقل في القرآن الكريم

لقد رفع الإسلام مكانة العقل ومقامه وجعله أسمى وأعلى ما أودعه الله فيه الإنسان حيث جعله مناط الحكم والتكليف، والأمر والنهي، والقول والفعل، وجعله ملك الجسد والجوارح، ومدح من استخدم عقله الى الطريق الحق والصواب، وميزة بين الحق والباطل وأدى حقوق العقل من حيث التفكير في ملكوت الله وخلقته وعجائب قدرته وصنعه المتقن والملائم كل مخلوق وأحسن كل شيء خلقه ثم هدى.

وذمّ المهملين والمعطلين لتوظيف عقولهم إلى الطريق القويم والوجهة الصحيحة المرضية المنجية صاحبها في الدارين.

ونقدّ شبهات الظانين والمتهمين والمفترين بأن دين الاسلام قد قللت من شأن العقل ومنزلته ولا تقيم لها وزناً في شؤون الإسلام والمسلمين، وهذا هراء وكذب على دين الإسلام؛ بل لقد وردت آيات عدة بألفاظ مختلفة وصياغات متنوعة كلها تنصب في التعقل والتدبر والتفكر ولفت النظر إلى الذين يتفكرون ويعقلون، والثناء على أصحاب العقول وذوي الألباب وهذا ملئ في القرآن الكريم في مواضع عدة أكثر من أربعة وعشرين موضعاً، لكن أذكر جملة منها على وجه السرد والاجمال بدون تطرق إلى معناها والتفسير خوفاً من الإطالة والخروج من البحث.

فمن تلك الآيات قوله تعالى:

أولاً: قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤].

ثانياً: وقوله تعالى: ﴿ يَتَأْهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٥].

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَنْقُوتُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٢].

رابعاً: قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢].

خامساً: قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [غافر: ٦٧].

سادساً: قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠].

سابعاً: قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف: ٣].

ثامناً: قوله تعالى: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْأَيَّاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الحديد: ١٧].

وغير ذلك من الآيات التي تدل على أهمية العقل ومنزلته في العلم والشرعية والتفكير والتعقل والتدبر وإدراك الأمور بمقاصدها.

أقوال السلف في الرد على الغلو في استخدام العقل، وأنه مصدر

للتشريع:

فمن تلك الأقوال:

- قول عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ابن عباس فتى الكهول، له لسان سئول، وقلب عقول»^(١).

- قول الإمام الشوكاني: «وأسند التعقل إلى القلوب لأنها محل العقل، كما أن الأذان محل السمع»^(٢).

فالكتاب المنزل والعقل المدرك حجة الله على خلقه وكتابه هو الحجة العظمى فهو الذي عرفنا ما لم يكن لعقولنا سبيل إلى استقلالها بإدراكه أبداً^(٣).

إن الله جعل للعقول في إدراكها حداً تنتهي إليه لا تتعداه، ولم يجعل لها سبيلاً إلى الإدراك في كل مطلوب. ولو كانت كذلك لاستوت مع

(١) الإيلاء إلى أطراف أحاديث كتاب الموطأ، لأبي العباس أحمد بن طاهر الداني الأندلسي تحقيق: أبو عبد الباري رضا بو شامة الجزائري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، (٥/٥٦٥). وجامع المسانيد والسُّنن الهادي لأقوم سنن، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تحقيق: د عبد الملك بن عبد الله الدهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت-لبنان، مكتبة النهضة الحديثة-مكة المكرمة، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ (٢/٦٦٢).

(٢) فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب-دمشق، بيروت، ط ١-١٤١٤هـ، (٣/٤٥٩).

(٣) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٠٨هـ، (٢/٤٥٨).

الباري تعالى في إدراك جميع ما كان وما يكون وما لا يكون، إذ لو كان كيف يكون، فمعلومات الله لا تتناهى. ومعلومات العبد متناهية. والمتناهي لا يساوي ما لا يتناهى^(١).

ومعلوم أن العقل يطلق على القوة المتهيئة لقبول العلم، كما يقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة. فكل موضع ذم الله الكفار بعدم العقل، فأشار إلى الثاني وكل موضع رفع التكليف عن العبد لعدم العقل، فأشار إلى الأول^(٢).

والخلاصة: أن العقل من أكبر النعم التي امتنّ الله بها الإنسان وأنا لا نعرف حقيقته ولكن بإمكاننا الاستفادة منه والاهتداء به حينما نعرف حدود قدرته وحينما نربطه بالاستفادة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**^(٣).



(١) ينظر: الأعتصام، لإبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبي، تحقيق ودراسة، الجزء الأول: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، الجزء الثاني: د. سعد بن عبد الله آل حميد، الجزء الثالث: د. هشام بن إسماعيل الصيني، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، (٣/ ٢٨٢).

(٢) ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي الحنفي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، (ص ٦١٨).

(٣) ينظر: موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي ابن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، (١/ ٣٩٨).

المطلب الثالث

حدود العقل

الإسلام ينظر تلك النظرة العظيمة للعقل، ومع أن للعقل وظيفته العظمى - كما مرّ - إلا أن الإسلام يحدد مجال العقل، وذلك صوتاً للطاقة العقلية أن تتشت أو تبدد وراء الأمور الغيبية التي لا يستطيع العقل إدراكها أو الوقوف على حقيقتها، كالذات الإلهية، والروح، والجنة، والنار، وكيفية صفات الله **عَزَّجَلَّ** وغيرها؛ ذلك أن العقل البشري له مجاله الذي يعمل فيه؛ فإذا ما حاول أن يتخطى هذا المجال فإنه سيضل ويتخبط في متاهات لا قبل له بها؛ فمجال العقل كل ما هو محسوس.

أما الغيبيات التي لا تقع تحت مداركه فلا مجال للعقل أن يخوض فيها، ولا يخرج عما دلت عليه النصوص الشرعية في شأنها.

أهل السنة وسط في باب العقل بين الذين أهوه والذين ألغوه: فالوسطية شأنهم في جميع أمورهم، ومن بينها العقل، فأهل السنة لا يلغون العقل، ولا ينكرونه، ولا يحجرون عليه بل يعتقدون أن للعقل مكانة سامية، وأن الإسلام يقدر العقل، ويتيح له مجالات النظر والتفكير. وفي الوقت نفسه لا يؤلهون العقل، ولا يجعلونه حاكماً على نصوص الشرع؛ بل يرون أن للعقل حداً يجب أن يقف عنده؛ لكي لا يكون وبالاً على صاحبه.

أما غيرهم فما بين الإفراط والتفريط في هذا الباب؛ فالمعتزلة، والفلاسفة، وأهل الكلام عموماً ألّخوا العقل، وجعلوه مصدرًا للتلقي؛ فما وافق العقل أو ما يسمونه بالقواطع العقلية قبلوه، وما خالف ذلك ردوه أو أولوه، مع أن عقولهم مختلفة، ومداركهم متفاوتة، بل إن الواحد منهم قد يختلف حتى مع نفسه.

وفي مقابل هؤلاء نجد أن أهل الدجل والخرافة قد ألّغوا العقل، وقبلوا ما لا يقبل ولا يعقل. وذلك كحال كثير من الخرافيين. والمجال لا يتسع لذكر شيء من تلك الخرافات التي تنطلي على أولئك^(١).

العقل في مجال العقيدة: لا يجوز تعطيل العقل في مجال العقيدة وغيرها؛ إلا أنه لا يجوز للعقل - كما مرّ - أن يتجاوز وظيفته، ويجنح في أودية الخيال الفاسد، ويتيه مع الأوهام الكاذبة؛ فالخيال والوهم لا يصلحان أساساً للعقيدة والمعرفة الصحيحة.

والعقيدة الإسلامية حقيقة ثابتة دل عليها الشرع بالقواطع من الأدلة النقلية.

والعقل السليم لا يعارض على القاعدة التي تقول: العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح.

إذا كان العقل هو الذي دلنا على معرفة الله **عَزَّجَلَّ** وعلى أن محمدًا رسول الله حقًا فأبي معارضة تفرض بين العقل وبين ما جاء به الكتاب والسنة، أورد

(١) انظر عقيدة أهل السنة والجماعة، (ص ٦٣-٦٥).

خبر الله وخبر رسوله بحجة مخالفتها للعقل، يعتبر كل ذلك مناقضة صريحة لما دل عليه العقل نفسه.

العقل نور جعله الله في قلبك ليكشف لك عن الأشياء الموجودة والحقائق الواقعة ولتفهم به عن الله ورسوله، هذه وظيفة العقل، فلو أردت منه أن يريك كل ما تحبه وتتخيله من المعدومات فلا تجد إلى ذلك سبيلاً، اللهم إلا إذا كان على سبيل الوهم والخيال، وسبق أن قلنا: إن الوهم والخيال لا يصلحان للمعرفة الصحيحة والعقيدة السليمة، والله هو الهادي إلى سواء السبيل^(١).

وقد نقد علماء كثيرون سلفاً وخلفاً في إكبار العقل وتقديسه وتقيدته ومن تلك العلماء السلفية الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ويّين أن «منزلة العقل بالنسبة للشرع وأنه تابع للشرع وشبهه بالعين التي لها حد وتقف عنده فكذلك العقل له حد يقف عنده»^(٢).

ومنهم الإمام أحمد بن حنبل ثم جاء بعد ذلك ابن تيمية وردّ عليهم ردّاً قوياً ويّين أن صريح العقل لا يمكن أن يكون مخالفاً لصحيح النقل.

وهناك من يحاول اليوم إحياء فكر المعتزلة إذ يعدونهم أهل الحرية الفكرية في الإسلام، ولا يخفى ما وراء هذه الدّعوة من حرب على العقيدة الإسلامية الصحيحة، وإن لبست ثوب التجديد في الإسلام أحياناً.

(١) العقل والنقل عند ابن رشد، لأبي أحمد محمد أمان بن علي جامي علي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة الحادية عشرة - العدد الأول - غرة رمضان ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م، (ص ٧٧).

(٢) نتائج البحوث وخواتيم الكتب، لهذه نتائج وخواتيم رسائل علمية وأبحاث لمؤلفين مختلفين تحوي خلاصات ما فيها، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، (٢ / ٤٨٠).

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية في معرض ضعف العقل وعجزه عن إدراك تفاصيل الأمور: «ولا تحسبن أن العقول لو تركت وعلومها التي تستفيدها بمجرد النظر عرفت الله معرفة مفصلة بصفاته وأسمائه على وجهه اليقين فإن عامة من تكلم في هذا الباب بالعقل فإنما تكلم بعد أن بلغه ما جاءت به الرسل واستصغى بذلك واستأنس به سواء أظهر الانقياد للرسل أو لم يظهر وقد اعترف عامة الرؤوس منهم أنه لا ينال بالعقل علم جازم في تفاصيل الأمور الإلهية وإنما ينال به الظن والحسبان»^(١).

ويقول تلميذه ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى**: «إن علم الأنبياء وما جاءوا به عن الله لا يمكن أن يدرك بالعقل ولا يكتسب وإنما هو وحي أوحاه الله إليهم بواسطة الملك أو كلام يكلم به رسوله منه إليه بغير واسطة كما كلم موسى وهذا متفق عليه بين جميع أهل الملل المقربين بالنبوة والمصدقين بالرسل وإنما خالفهم في ذلك جهلة الفلاسفة وسفلتهم الذين يقولون إن الأنبياء يعلمون ما يعلمونه بقوة عقلية وهم أكمل من غيرهم في قوة الحدس»^(٢).

إن العقل مهما بلغ إدراكه وفطنه وذكائه وعبقريته وقدرته يبقى عاجزاً عن إدراك كثير من الأمور المتطلبة لحياة الإنسان؛ بل يكون من الضروريات الحية ومن تأمل هذا يجد حقيقته جلياً مدى قصور العقل وضعفه^(٣).

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية، (ص ٢٥٠).

(٢) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية ١٤٠٨، ط ١، هـ (٣/ ٨٨٠).

(٣) ينظر: تجديد الدين لدى الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر دراسة عقدية، للباحث، أحمد بن محمد اللهيبي بإشراف، محمد بن عبدالله الوهيبي، بجامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم

ويقول ابن خلدون في نقده على مصدرية العقل: «ولا تثقن بما يزعم لك الفكر من أنه مقتدر على الإحاطة بالكائنات وأسبابها والوقوف على تفصيل الوجود كله وسفه رأيه في ذلك.

واعلم أن الوجود عند كل مدرك في بادئ رأيه منحصر في مداركه لا يعدوها والأمر في نفسه بخلاف ذلك والحق من ورائه.

ألا ترى الأصم كيف ينحصر الوجود عنده في المحسوسات الأربع والمعقولات ويسقط من الوجود عنده صنف المسموعات. وكذلك الأعمى أيضا يسقط عنده صنف المرئيات ولولا ما يردهم إلى ذلك تقليد الآباء والمشيخة من أهل عصرهم والكافة لما أقروا به لكنهم يتبعون الكافة في إثبات هذه الأصناف لا بمقتضى فطرتهم وطبيعة إدراكهم ولو سئل الحيوان الأعجم ونطق لوجدناه منكرا للمعقولات وساقطة لديه بالكلية فإذا علمت هذا فاعلم هناك ضربا من الإدراك غير مدركاتنا لأن إدراكاتنا مخلوقة محدثة وخلق الله أكبر من خلق الناس.

والحصر مجهول والوجود أوسع نطاقا من ذلك والله من ورائهم محيط. فاتهم إدراكك ومدركاتك في الحصر واتبع ما أمرك الشارع به من اعتقادك وعملك فهو أحرص على سعادتك وأعلم بما ينفعك لأنه من طور فوق إدراكك ومن نطاق أوسع من نطاق عقلك وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه بل العقل ميزان صحيح فأحكامه يقينية لا كذب فيها.

غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الإلهية وكل ما وراء طوره فإن ذلك طمع في محال»^(١).

والخلاصة: أن الله عزَّ وجلَّ قد جعل لكل شيء قدرًا، وما تجاوز هذا الشأن بعقله ما جعله الله له من حدٍّ إلا أرادته؛ لأنه يصبح كالأعمى الذي يسير بلا بصر ولا دليل، ويطلب منه ما لا يطيق، وأحداث التاريخ تشهد على صدق هذه الحقيقة^(٢).



-
- (١) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، (ص ٥٨١).
- (٢) جهود العلماء والباحثين في المملكة العربية السعودية، للدكتور، حمد بن عبد الله بن حمد الصقعي، (ص ٤٧٨).

المطلب الرابع

المذهب الفكري العقلاني

من خلال الدراسة للمذاهب الفكرية المعاصرة تبين لنا أنها نبعت من أصول عقلي غربي تخضع مصادرها وأسسها الى تقديس العقل وتأليه وتقليده بمقاليده الأمور وزمامها وهي كثيرة منها، العقلانية التي برز في الفلسفة اليونانية على يد سقراط وأرسطو، وبرزت في الفلسفة الحديثة والمعاصرة على أيدي فلاسفة أثروا كثيرًا في الفكر البشري أمثال: ديكارت وليبنز وسبينوزا رينيه ديكارت^(١) ليبنز^(٢).

العقائد والأفكار:

تعتمد العقلانية على عدد من المبادئ الأساسية هي:

١ - جعل العقل مصدرًا وميزانًا لكل شيء ومقومًا له وإعطاء السلطة العليا والعزيمية الكبرى.

٢ - مجال العقل مقيد في عالم المحسوس والمشاهدة وليس له سلطة في

عالم الغيب.

(١) هو: فيلسوف فرنسي (١٥٩٦ - ٦٥٠م). اعتمد المنهج العقلي لإثبات الوجود عامة ووجود الله على وجه أخص وذلك من مقدمة واحدة عُدت من الناحية العقلية غير قابلة للشك وهي: «أنا أفكر فأنا إذن موجود».. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٧٩٦/٢).

(٢) ١٦٤٦-١٧١٦م فيلسوف ألماني، قال بأن كل موجود حي وليس بين الموجودات من تفاوت في الحياة إلا بالدرجة - درجة تميز الإدراك - والدرجات أربع: مطلق الحي أي ما يسمى جمادًا، والنبات فالحيوان فالإنسان. المرجع السابق: (٧٩٦/٢).

٣- المذهب العقلاني يعتقد عدم المطلق لوجود خالق لهذا الكون^(١).

٤- العقل هو المرجع الوحيد في تفسير كل شيء في الوجود.

٥- يمكن الوصول إلى المعرفة عن طريق الاستدلال العقلي وبدون لجوء إلى أية مقدمات تجريبية.

٦- عدم الإيمان بالمعجزات أو خوارق العادات. العقائد الدينية ينبغي أن تختبر بمعيار عقلي.



(١) التيارات الوافدة وموقف الاسلام منها، للدكتور: محمود محمد مزروعة، دار اليسر، مصر، ط١، ١٤٣٦هـ، (ص١٨٣، ١٨٤).

المطلب الخامس

نماذج من أقوال المذاهب الفكرية في مصدرية العقل

يقول كانط^(١): «إن العقل هو المصدر المعرفي المعتمدة على المبادئ الأولية عن التجربة الحسية تتميز بضرورتها وکلياتها كمبدأ عدم التناقض، ومبدأ السببية، ومبدأ الغائية»^(٢).

قول لوك^(٣) وغيره: «يصورون بأن العقل هو مجرد انعكاس للإدراك الحسي، يستخدمون معرفتهم من التجربة وحدها فالمعرفة عندهم معرفة بعدية ليس مبادئ قبلية تحكمها، وذهبوا إلى إنكار المبادئ الفطرية الأولية للعقل»^(٤).

(١) يعد الفيلسوف الألماني كانط (١٧٢٤-١٨٠٤ م) أشهر الفلاسفة في القرن الثامن عشر (١٢هـ)، وقد كانت فلسفته تروم الجمع بين الاتجاهين الكبيرين: «العقلي والتجريبي»، فهو يرى بأن هناك قبلات عقلية لا يمكن إنكارها تساعدنا. ينظر: النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التجريبي العربي في التعامل معها-دراسة نقدية، لحسن بن محمد حسن الأسمر (١/١٧٩).

(٢) نقد العقل المحض، لكانط، ترجمة موسى وهبه، وكتاب الفلسفة الحديثة، لكريم متي، (ص ٢٣٦). والتأملات، لديكارت، ترجمة، للدكتور: عثمان أمين، (ص ٧٢-٧٣). بواسطة: موقف الفكري الحداثي العربي من أصول الاستدلال في الإسلام دراسة تحليلية نقدية، للدكتور: محمد بن حجر القرني، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط ١، ١٤٣٤هـ، (ص ١٤٩).

(٣) سبق: ترجمته.

(٤) ينظر: التراث والعلمانية، لعبد الكريم سروش، (ص ١٧٢، ١٧٣). وينظر: تاريخ الفلسفة الغربية الفلسفة الحديثة، لبرتراند رسل، ترجمة، للدكتور: محمد فتحي الشنيطي، (١٧٨). بواسطة: موقف الفكر الحداثي من أصول الاستدلال في الإسلام، للدكتور، محمد بن حجر القرني، (ص ١٥٧).

قول: جان بيار فرنان^(١) عند ما نسأل العقل عن أصول فإننا نقحمه في التاريخ ونعامله على أنه ظاهرة بشرية، ومن ثم على أنه نسبي خاضع لشروط تاريخية معينة، متقلب بتقلب الشروط. وبذلك فإننا ننتقل من مفهوم لاهوتي ميتافيزيقي عن العقل إلى شيء مخالف تمام الاختلاف. أي: إلى تاريخ لأشكال الفكري العقلاني في تنوعه وتغيراته وتحولاته^(٢).

قول «لا لاند»^(٣): «إن صحة العقل هو: منظومة القواعد المقررة والمقبولة في فترة تاريخية ما والتي تعطي لها قيمه مطلقة»^(٤).

(١) مؤرخ الفلسفة الفرنسية (١٩١٤-٢٠٠٧م) أسس مركزاً للبحوث المقارنة على المجتمعات القديمة وطبق المنهج المقارن والانتربولوجيا التاريخية في دراساته التي أعدها عن أصول الفلسفة الإغريقية وعن الاسطورة والفكر الإغريقي، ينطلق من النظرية التاريخية التي تقوم على أن الأفكار تتشكل من حقول كثيرة سياسية وثقافية واجتماعية.

(٢) العقل بين الأمس واليوم، لجان بيار فرنان، ترجمة عبدالسلام بن عبدالعال، مجلة الوحدة، بيروت، ٢٦٤/١٩٨٦م، (ص ١٦٧).

(٣) هو: جوزيف لاند فلكي فرنسي يقول: إنه بحث في السموات؛ ولكنه لم يجد أي إله هناك، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾.

وضع لاند الشهير البتاني في صف الفلكيين العشرين الذين عدوا أشهر علماء الفلك في العالم، ولد في عام: ١٨٦٧م، وتوفي سنة: (١٩٦٣)، دُرّس في معهد سيرفر العالمي، ثم في السوربون، وغيرهما، له مؤلفات منها: موسوعة لاند الفلسفية، أندريه لا لاند، تعريب خليل أحمد خليل، عويدات، بيروت-باريس، ط ١، ١٩٩٦م، ينظر: معجم الفلاسفة، لجورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٨م، (ص ٥٧٠). والنظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها-دراسة نقدية، لحسن بن محمد حسن الأسمرى، ط ١، ١٤٣٣هـ-(١٤٩٦/٢). وحضارة العرب-غوستاف لويون، لغوستاف لويون، ترجمة: عادل زعير، مؤسسة هندواي للنشر والثقافة القاهرة-مصر، عام النشر: ٢٠١٢م، (ص ٤٧٣).

(٤) العقل والمعايير، لا لاند، (١٦-١٧، ١٨٧، ٢٢٨، عن تكوين العقل العربي، للدكتور: محمد عابد الجابري، (١٥-١٦، والمعجم الفلسفي، لجميل صليبا، (٨٩/٢).

يقول أركون^(١): «إن المصادات الشائبة المتعاكسة باستمرار التي أورثناها إياها تاريخ التفكير الدوغمائي الشكلي المجرد الذي ساد في الناحية الدينية والناحية الفلسفية على السواء هو الآن في طور التجاوز والانهاء أقصد بهذه المصادات هنا ما يلي: العقل»^(٢).



- (١) محمد أركون جزائري من مواليد عام ١٩٢٨ حاصل على الدكتوراه من جامعة السوربون بباريس عام ١٩٦٩ حول الأنسية العربية في القرن الرابع الهجري وحاضر بالعديد من الجامعات الفرنسية والعربية. معظم مؤلفاته بالفرنسية وترجمت إلى العربية-يصح وصفه بشيخ العلمانيين العرب-ينكر قداسة القرآن ويكثر من شتم الفقهاء والصحابة، ويفسر القرآن وفق مناهج لقيطة خليطة لغوية وتاريخية، متفنن في اجتراف مصطلحات الإرهاب الفكري-ينكر العديد من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة باسم الاجتهاد كما سيتبين. محمد أركون جزائري يعيش في فرنسا. ينظر: العقلانية هداية أم غواية (ص ١٢٦).
- (٢) تاريخية الفكر العربي الإسلامي، لمحمد أركون، ترجمة هاشم صالح، مركز الانماء القومي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط/٣، ١٩٩٨م، (٢٤-٢٥).

الفصل الخامس

السّمات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، المشتركة بين المذاهب وموقف الإسلام منها عرض ونقد

وتحتة ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: السّمات الاجتماعية المشتركة للمذاهب.

المبحث الثاني: السّمات الاقتصادية المشتركة للمذاهب الفكرية.

المبحث الثالث: السّمات السياسية المشتركة للمذاهب الفكرية.

المبحث الأول

السّمات الاجتماعية المشتركة للمذاهب

المطلب الأول

مبدأ تقديس الفردية عرض ونقد

من السّمات المشتركة بين المذاهب الفكرية سمة الفردية وتقديسها وتحررها من جميع المؤثرات الخارجية والداخلية الظاهرة والباطنة ومبدأ محاربة الأديان السماوية علناً وجهراً وسيادة العقل بالثوابت والمتغيرات وشؤون الحياة كلها.

أولاً: مفهوم الفردية لغة واصطلاحاً:

لغة: يقول ابن فارس (فرد) الفاء والراء والدا ل أصل صحيح يدل على وحدة. من ذلك الفرد وهو الوتر. والفارد والفرد: الثور المنفرد. وظيفية فارد: انقطعت عن القطيع، وكذلك السدرة الفاردة، انفردت عن سائر السدر. وأفراد النجوم: الدراري في آفاق السماء. والفريد: الدر إذا نظم وفصل بينه بغيره. والله أعلم بالصواب^(١).

والذي يتوافق مع البحث هو نزوع الفرد إلى التحرر من سلطان الجماعة ومذهب سياسي يعتد بالفرد ويحدّ من سلطان الدولة على الأفراد محدثة^(٢).

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس، (٤/ ٥٠٠).

(٢) المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وغيره، دار الدعوة، (٢/ ٦٨٠).

واصطلاحاً: ما يتميز به شخص عن آخر في خصائصه، يمتلك هويّة متميزة فردية ذهنية^(١).

إعطاء الحرية الشخصية لكل من بلغ سنّ الثامنة عشر، وذلك ما يعرف في أوروبا بما يسمى أوفر إيدج.

سواء كان من ذكر أو أنثى، وليس لأبيه ولا لأمه حق الاعتراض أو المنع من الفساد الخلقي مهما كان قبحه طالما أن ذلك طوعية منه، وإعطاء الحرية المطلقة في الكسب والرزق سواء كان ذلك من الحلال أو من الحرام^(٢).

المقصود من تقديس الفردية في البحث هي: رد جميع ما تعارفت عليه الأديان، والمجتمعات، وحكم العقل بحسنه وثباته من الأخلاق.

وبناء عليه: تجتمع كثير من الأفكار الغربية على فريدة الإنسان، وإعطاء الفرد مكانة تفوق مكانة المجتمع، وتحرص على حرية المطلقة، كما في الليبرالية، والوجودية، والرأسمالية، والعلمانية، والديمقراطية، وغيرها. وهي الصفة العامة، وإن شذ عنها بعض المذاهب كالشيوعية. فالفردية هي السمة الأولى لعصر النهضة، فها هو عصر النهضة يأتي كرد فعل، لفكر القرون الوسطى، ويتحرر الفرد من الانضباط الكاثوليكي الطويل^(٣).

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، (٣/ ١٦٨٧).

(٢) موسوعة الفرق والمذاهب والأديان المعاصر، للشيخ: ممدوح الحربي، الفا- للنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤٣١هـ، (ص٦٠).

(٣) حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها، للدكتور: عبد الرحيم صمايل السلمي، مركز التأصيل والدراسات والبحوث، المملكة العربية السعودية، جدة، ط١، (ص١٤٦).

إن عامة المذاهب الفكرية المعاصرة هدفها إسقاط الثوابت المستقرة، والغاء الحدود الفاصلة أمام الإنسان سواء كانت من قبل الدين، أو المجتمع، أو الدولة، إلا فيما يعرضه للعقوبة القانونية

وغاية ما يطلبون هو التحرر والاستقلالية عن أي مؤثر ناتج عن بواعث داخلية أخلاقية أو اعتقادية أو موانع خارجية اجتماعية أو سياسية^(١).

وبما أن هذه المذاهب تستقي من معين واحد، وتعتمد أصولاً موحدة كما بينتها، فإنك ستجد توافقاً عجباً، وتلفيقاً متبادلاً بينها، بل إنك لن تجد مذاهب مما سن رسمه قد ابتدعت قواعد مذهبه، أو جاءت من لكان أفضل وأوليها؛ لان «مذاهب» جمع مؤنث فينبغي أن يكون الضمير الراجع إليه مطابقاً في التانيث ولو جعلت الصياغة على هذا النحو الآلي: بل إنك لن تجد مذهباً مما سن رسمه قد ابتدع قواعده أو جاءت منه ابتداء، لكان أفضل وأولى وإنما تجد لكل مذهب نقطة مركزية يدور حولها هذا المذهب أو توجهه، هي التي تميزه عن غيره بينما باقي المذاهب قد لفقه من مجموع الأفكار التي سبقته^(٢).

(١) دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة نشأتها، منطلقاتها الفكرية، للدكتور: لأحمد بن علي العال، (ص ٣١٢).

(٢) النقطة المركزية أي: أن كل ما ينشأ عن المذاهب من قواعد ومبادئ هي في الواقع لخدمة هذه النقطة، فمثلاً عند الماركسية النقطة المركزية هي الاقتصاد، بينما البرالية هي الحرية، أما الديمقراطية فهي الشعب، أما البراجماتية فهي المنفعة، وإذاً ذهبنا إلى الوجودية فهي الوجود الفردي، انظر: الوجيز في المذاهب الفكرية المعاصرة عرض ونقد، للدكتور: أحمد الخلف، (ص ٤٥). الشيوعية وما بنت عليه فكرها في فصل الشيوعية، (ص ٤٥).

ثانيًا: مؤثرات تقديس الفردية:

ما يترتب على سمة الفردية للمذاهب الفكرية المعاصرة أمور منها.

- ١- إنكار الحقيقة الموضوعية للواقع الإنساني^(١).
- ٢- تقديس الملكية الفردية والأنانيات الأخرى التي تميز بها.
- ٣- محاربة الدين السماوي
- ٤- كثرة التلفيق في الأفكار القديمة والمذاهب الأجنبية.
- تعددت الأسباب والموت واحد^(٢).
- ٥- إلغاء الثوابت المستقرة، وإلغاء الحدود الفاصلة أمام الإنسان

ثالثًا: نماذج من أصحاب المذهب الفردي:

ومن نماذج زعماء الذين ينادون بالفردية:

- ١- جون ستيوارت ميل^(٣).
- ٢- الرومانسية^(٤) لذلك نجد من الرومانسيين من هو شديد التدين مثل: شاتوبريان ونجد منهم شديد الإلحاد مثل شيلي.

(١) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، (٢/ ٨٧٠).

(٢) المرجع السابق: (٢/ ١٠٢٥).

(٣) جون ستيوارت ميل ١٨٠٦ - ١٨٧٣ م - وهو الفيلسوف الإنكليزي الذي نادى باللذة والمنفعة ألف كتاب مذهب المنفعة ونادى بالحرية الفردية، ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٢/ ٧٩٠).

(٤) الرومانسية أو الرومانتيكية مذهب أدبي يهتم بالنفس الإنسانية وما تزخر به من عواطف ومشاعر وأخيلة أيا كانت طبيعة صاحبها مؤمناً أو ملحدًا، مع فصل الأدب عن الأخلاق ولذا يتصف هذا المذهب بالسهولة في التعبير والتفكير، وإطلاق النفس على سجيتها، والاستجابة لأهوائها. =

ولكن معظمهم يتعالى على الأديان والمعتقدات والشرائع التي يعدها قيوداً^(١).

٣- جول لوك^(٢) ما بين عام: ١٦٣٢-١٧٠٤ م صاغ النظرية الطبيعية الحرة حيث يقول عن الملكية الفردية: «وهذه الملكية حق من حقوق الطبيعة وغريزة تنشأ مع نشأة الإنسان، فليس لأحد أن يعارض هذه الغريزة»^(٣).

٤- دافيد هيوم^(٤) ١٧١١-١٧٧٦ م صاحب نظرية النفعية التي وضعها بشكل متكامل والتي تقول بأن «الملكية الخاصة تقليد اتبعه الناس وينبغي عليهم أن يتبعوه لأن في ذلك منفعتهم».

٥- آدمون برك^(٥). تقديس الملكية الفردية وذلك بفتح الطريق لأن يستغل كل إنسان قدراته في زيادة ثروته وحمايتها وعدم الاعتداء عليها وتوفير القوانين اللازمة لنموها واطرادها وعدم تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية إلا بالقدر الذي يتطلبه النظام العام وتوطيد الأمن^(٦).

= وهو مذهب متحرر من قيود العقل والواقعية اللذين نجدتهما لدى المذهب الكلاسيكي الأدبي، وقد زحزت بتيارات لا دينية وغير أخلاقية، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٢/ ٨٥٩).

(١) المرجع السابق (٢/ ٨٦٠).

(٢) سبق ترجمته.

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٢/ ٩١١).

(٤) سبق ترجمته.

(٥) من المدافعين عن الملكية الخاصة على أساس النظرية التاريخية أو نظرية تقادم الملكية، ينظر: التبشير والاستعمار في البلاد العربية، لمصطفى خالدي-الدكتور عمر فروخ، الناشر: المكتبة العصرية-صيدا-بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٩٧٣ م، (ص ٢٧).

(٦) المرجع السابق (٢/ ٩١٢).

رابعاً: موقف الإسلام من الفردية أو الأنانية:

من الأمور الجلية التي تتوافق مع الأدلة العقلية والعقلية أن الإسلام جاء بدمّ الأنانية وتهذيب النزعة الفردية، فالإسلام جاء ليربط الإنسان بربه، وينظم علاقة الفرد بغيره وهو منهج يهدف إلى تخفيف حدة الأنانية في الإنسان، وتقوية ميله الاجتماعي، ليتنقل به من أن تتحكم فيه النزعة الفردية إلى أن يسود فيه المعنى الاجتماعي، وهو قبول غيره في المشاركة في مجتمع واحد يقوم على تحقيق معنى الإنسانية في علاقات الأفراد بعضهم ببعض، وعندئذ تتحقق الخلافة التي نيّطت بالإنسان على هذه الأرض.

لقد سبق الإسلام العالم كله في تقرير هذه الرابطة الوثيقة بين بني الإنسان جميعهم في قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وتأكد ذلك من خلال التشريعات والممارسات التاريخية الإسلامية ويظهر هذا التجلي الأخلاقي في حديث أنس بن مالك، عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه - أو قال: لجاره - ما يحب لنفسه»^(١).

والإسلام في تشريعاته الربانية من أولها إلى آخرها هي رسالة إنسانية، وبالتالي هو رسالة إنسانية واجتماعية، تدعو لتحقيق الخصائص الإنسانية من

(١) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، برقم الحديث: (٧١) بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، (١/٦٧).

العدل، والعطف، والرحمة، والتضامن، والتعاون، والاخوة، والمشاركة في الخير، والمشاركة في رفع الضرر، والرسالة بهذا المعنى هي رسالة المجتمع، أو هي الأهداف التي تناط بأي مجتمع^(١).

وكذلك ليس الإسلام ديناً يحصر فعاليته في نطاق الحياة الفردية للإنسان كما هي الصورة المشوهة عنه في أذهان الكثيرين؛ بل هو نظام كامل للحياة البشرية في مختلف ميادينها ويرسم الطريق لكل جوانبها، سواء في ذلك حياة الفرد أو الجماعة، وفي جانبيها المادي والروحي، وفي مجالاتها الاقتصادية والسياسية والتشريعية والثقافية والإقليمية والعالمية، والقرآن يحض الناس على الدخول في الإسلام دون أدنى قيد أو شرط إلا أن يقيموا أمر الله في جميع نواحي حياتهم.

خامساً: الموازنة بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة؛

وهناك ظاهرة فريدة في دين الإسلام أنه يوجد تناسق بين حياة الفرد وحياة الجماعة، فهو يؤكد وجود الكيان الشخصي للفرد ويعتبر كل إنسان مسؤولاً ومحاسباً أمام الله، ويضمن للفرد الحقوق الأساسية، ولا يبيح مطلقاً لأي كائن أن يعيث بها أو أن ينتقص منها، ثم هو يحافظ على كرامة الفرد وشخصيته، ويجعل ذلك في المقام الأول من تعاليمه التربوية، ولا يؤيد مبدأ ضياع الكيان الفردي في نطاق كيان الجماعة أو الدولة^(٢).

(١) الدين والحضارة الإنسانية، للدكتور: محمد البهي، (ص ٢٦١).

(٢) عرفوا الحق فتركوا الباطل، لشحاتة محمد صقر، الناشر: مكتبة دار العلوم، البحيرة (مصر)، (ص ٥٨). بدون سنة الطبع.

فلا يغلب المصلحة الفردية كما هو الحال بالنسبة للمذهب الرأسمالي، ولا يغلب المصلحة العامة على الفردية كما هو الحال في المذهب الاشتراكي. بل هو وسط بينهما^(١).

ومن الأمثلة: الذات البراهمية التي تقول بتوحد الذات الفردية، مع الروح الأزلية السرمدية^(٢).

موافقة الإسلام للفطرة وإقناعه للعقل:

خلق الله الإنسان على هيئة خاصة به لا يشترك فيها معه شيء من مخلوقات الله فجاء وحيداً في هذا الكون، إن في تكوينه العضوي، أو في خاصيته الجوهرية التي هي التفكير العقلي.

ومن مميزات فردية هذا الإنسان أن الهيئة التي فطر عليها معجزة حيرت العلم القديم والحديث حيث تمتزج الفرديات العقلية، والتركيبية والأخلاقية بطريقة غير معروفة للإنسان.

كذلك فإن مما لاحظته علم الإنسان أن هذا المخلوق يشتمل على عوالم متفردة متعددة بتعدد أفرادها، فكل فرد له خاصية لا يشاركه فيها غيره من بني البشر «كل فرد يدرك أنه فريد، وهذه الوحدانية حقيقية.

ولقد قرر القرآن الكريم من قبل هذه الحقيقة، حقيقة تفرد الإنسان في خلقه وطبيعته ووظيفته. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

(١) ينظر: العلمانية والمذهب المالكي، لأبي سفيان مصطفى باخو السلاوي المغربي، جريدة السبيل، المغرب، ط ١، ١٤٣٣ هـ (ص ١٧٤).

(٢) ينظر: الأديان الوضعية، جامعة المدينة العالمية، (ص ٦٩).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

والإنسان بهذه الطبيعة الخاصة التي فطر عليها، والسنن التي قام عليها وجوده يحتاج إلى نظام حياة خاص به يتسق مع ما فطر عليه، ويراعي هذه السنن فلا يصطدم معها.

وهنا تبدو ميزة كبرى للإسلام عن غيره من المذاهب باتساقه مع فطرة الإنسان وتكوينه العقلي.

والله سبحانه هو الذي خلق هذا الإنسان، وهو أعلم بالسنن، والأسرار التي خلقه عليها، وقد أنزل له نظاما شاملا لجوانب حياته، ومطابقا لهذه الفطرة وهو الإسلام» إذ هو في سننه وفروضة وأحكامه ومبادئه يشمل الفطرة كلها ويطابقها تمام المطابقة^(١).

كما يقول محمود الخالدي^(٢): «إن الناس في أوروبا وأمريكا يؤمنون بالأسلمية كعقيدة ونظام للحياة، بمعنى أنها صارت ديناً يتحلله النصرارى، ورأوا في العقيدة الرأسمالية أنها جاءت ناسخة لدين السيد المسيح عَلَيْهِ السَّلَام ومفهوم العقيدة أنها وجهة نظر كلية في الكون والإنسان والحياة. والرأسمالية كذلك؛ لأنها تقوم على الإيمان المطلق بفصل الدين عن الحياة».

(١) نقض أصول العقلانيين، لسليمان بن صالح الخراشي، الناشر: دار علوم السنة (٣/ ٣٧).

(٢) محمود الخالدي منافس العابد قوى من تونس، من مواليد يوم ٥ ديسمبر ١٩٨٥ في قابس. ينظر: الموسعة الحرة، تاريخ الزيارة: ٢١/ ٥/ ١٤٤٢ هـ. الساعة: ١٠: ٦ ص.

ويقول محمد عبدالرؤف: «تعد الحرية الفردية المطلقة سمة أصيلة من سمات الرأسمالية»^(١).

ومن خلال الاستقراء من مواقف المذاهب من الفردية فإنها جميعًا مشتركة في سمة تقديس الفردية ولا سيما الوجودية عندهم الركن الركين والأساس المعتمد والنقطة المركزية عندهم هي الوجود الفردي للإنسان.



(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، لعلي بن نايف الشحود، (٤٠ / ٣١).

المطلب الثاني

حرية الرأي

مفهوم حرية الرأي لغة واصطلاحاً:

لغة: تعني حق القول أو حق الكلمة.

واصطلاحاً: مذهب سياسي فلسفي يقرر أن وحدة الدين ليست ضرورية للتنظيم الاجتماعي الصالح، وأن القانون يجب أن يكفل حرية الرأي والاعتقاد.

تعريف آخر: التعبير عن الأفكار والآراء بطريق الكلام أو الكتابة أو عمل فني بدون رقابة أو قيود حكومية^(١).

فييدي الشخص رأيه بما يراه صواباً أو خطأً أو يصوّب الصواب ويخطأ الخطأ بحدود وضوابط مقبولة لدى الآخرين.

ثانياً: أمثلة في حرية الرأي للسّمات المشتركة بين المذاهب:

نماذج المتبنين لفكرة حرية الرأي المطلقة التي يترتب فساداً عريضاً وفوضى في أوساط المجتمع؛ لأن لو أعطي حرية الكلام لكل شخص سيتكلم المجنون والمعتهو والهرم والضيف والحمقى و من أراذل الناس وغير ذلك من أصناف الناس وأخطر شيء في حرية الراي الزندقة والأفكار الهدامة وتحرير الفنون الأدبية من كل القيود تحت غطاء حرية الرأي.

(١) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، (١/٤٦٥).

وهذا ما يدعو إليه الآن في الوطن العربي وغيره من بلاد الإسلام الماركسيون والعلمانيون، والحداثيون وكثير من الإعلاميين وعملاء أعداء الأمة.

وهم بهذا يقتدون باليهود الذين كانوا يتظاهرون بالإسلام ثم يكيدون له ما استطاعوا، ويتخذون من التظاهر بالإسلام غطاء لهم، وبهذه الوسيلة كثرت الإسرائيليات في كتب التفسير والوضع في الحديث النبوي، والأخبار الكاذبة في بعض كتب السيرة، لأن الكيد على الإسلام من الداخل أوسع حرية من الكيد عليه لو ظلوا على يهوديتهم قاتلهم الله فلتكن الأمة على حذر من زنادقة هذا العصر، الذين لا يخفون على أهل الفطنة^(١).

- تأثر طه حسين في كتاباته الأدبية والتاريخية والإسلامية بـ:

فولتير صاحب الفكر الحر وعدو الديانات.

- وفي ميدان الأدب والنقد الأدبي يتابع تين في نظريته المادية التي لا ترى في الإنسان إلا الجسم والمادة فقط وأن الإنسان قبل كل شيء حيوان متوحش.. وبهذا الفكر فتح (طه حسين) أبواب الإثم وسموم الفكر وإباحيات المذاهب أمام الشباب.

- وتابع طه حسين مثله الأعلى رينان في الانتصار لحرية الرأي حتى لم يفرق بين حرية الرأي وبين الشك.

(١) ينظر: عقوبة الارتداد عن الدين بين الأدلة الشرعية وشبهات المنكرين، لعبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، ط ١، ١٤١٤ هـ (ص ٨٠).

- وأعجب طه حسين بأوجست كونت الذي وصف بأنه صاحب دين جديد وهو صاحب الفلسفة الوضعية، و(طه حسين) هو الذي طوّر الوضعية وعمقه من بعد دوركايم وصولاً بالفكر الغربي إلى المادية المطلقة.
- وكذا تابع وتأثر بديكارت وسانت بيف ومذهبهما في الشك الفلسفي. وكذا ببول فاليري وغيرهم^(١).

لقد قيدت الشريعة الغراء الحرية الشخصية والفطرية ما يسمون اليوم الديمقراطية بأنواع من القيود والضوابط والحدود، وليس الإسلام بالذي سلب الحرمة في القول والرأي والفكرة؛ من الشخص وذلك حفظاً وصيانة من اعتداء المعتدين وظلم الظالمين مراعاة لمصلحة الشخص وتحقيقاً لمقاصد الشريعة في حفظ الضرورات الخمسة.

الحجر على الحرية:

كل واحد منا وما يترتب عليه توضيح وبيان المجالات التي لا يمكن فيها الحرية ولا ينطبق عليها الحريات لأن أكثرها حقوق للآخرين، ومن تلك الحريات التي لا مساس لها:

١- لا حرية في مجال العدالة والحق والفضيلة والقيم والأخلاق العامة.

٢- لا حرية للمؤمن أو المسلم في مخالفة أحكام الشريعة وترك فرائضه

وارتكاب المحرمات.

(١) ينظر: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، جمع وترتيب: أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة-السعودية، ط ١، ١٤٢٤ هـ (١/٢٣٢).

٣- كل من أعلن دخوله في الإسلام فقد أعلن بالتزام أحكام الشريعة وامتثال أوامره وترك نواهيها فلا حرية له بعد ذلك في الردة عنه.

٤- أن الحرية باب شرعي لا مما يعرف به العقل أو القياس.

٥- لا حرية لمسلم ولا لذمي ولا لمعاهد ولا لمستأمن في دار الإسلام، في الطعن بالعقائد والشرائع والأحكام الإسلامية، المجمع عليها، أو التشكيك فيها، أو تشويهها أو تحريفها.

وغير ذلك مما يعارض ويناقض حقائق وتعاليم الإسلام ومنهج السنة. ويرى الأستاذ الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف سابقاً أن حرية الرأي في الإسلام تعني أن يقول الإنسان رأيه في القضايا العامة، وفي الحدود التي يبيحها الشرع والعقل، فليس هناك شيء من الكبت أو القهر، فلإنسان أن يفكر وينتهي إلى ما يؤد إليه فكره مادام خالياً من الغرض^(١).

ويرى الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم عميد كلية أصول الدين الزقازيق أن الإسلام أطلق الحريات وها هو الرسول ﷺ يخاطب صحابته: «دعوه فإن لصاحب الحق مقالا»

ويأمرهم أن يصغوا لصاحب الرأي ليقول كلمته.

والخلاصة: أن حرية الرأي في الإسلام عدم الحجر على الرأي والتعبير والقول لصاحبه بشرط ألا يترتب عليه أذى أو ضرر للآخرين، والقاعدة تقول إن الناس أحرار في كل شيء^(٢).

(١) مقابلة علمية مع الاستاذ الدكتور عبد المنعم النمر بتاريخ ١/٩/١٩٨٥ م.

(٢) ينظر: حرية الرأي في الإسلام، للدكتور: محمد يوسف مصطفى، دار غريب للطباعة، القاهرة (ص ٣٥).

ويقصدون أن لكل الأفراد الحق في أن يجهروا بآرائهم ما دام هذا الرأي متفقاً مع أصول الاسلام، ومعلنا بالحوار والمجادلة بالحسنى، وليس أدل على ذلك من حلقات العلم السابقين ودورس فقهاء المذاهب، وفيها كانوا يعلنون آراءهم على الناس وكان حدث من الخوارج الذين كفروا عليا ومعاوية وعمرو بن العاص فما كان من علي إلا أن أرسل إليهم ابن عباس ليناقشهم في آرائهم إعمالاً بحرية الرأي في الإسلام^(١).

وقد وضعت الشريعة من خلال الاستقراء للرأي حدوداً وضوابط في حق الأفراد في إبداء آرائهم ومن ذلك حسن النية والقصد والارادة في بذل النصح لأخيه المسلم أو بذل النصح لأئمة المسلمين وعامتهم كما ورد في صحيح مسلم من حديث تميم الداري أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٢).

فلا يجوز للفرد أن يقصد في بيان رأيه في تصرفات الحكام التشهير بهم، أو تكبير سيئاتهم، أو انتقاصهم، أو تجريء الناس عليهم، أو نحو ذلك من المقاصد الباطلة التي لا يراد بها وجه الله، ولا الخير للمنصوح، ولا المصلحة للأمة.

(١) ينظر: حرية الرأي في الاسلام، للدكتور: محمد يوسف مصطفى، دار غريب للطباعة، القاهرة (ص ٣٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم الحديث: (٩٥) بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، (٧٤).

ومجمل القول في حرية الرأي: أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أعطى الحرية في الرأي في الإسلام على شرط ألا يتنافى ذلك الرأي مع تعاليم الإسلام، فأمر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** القول بالحق والصدع عنه في كل عصر ومصر، ولا تأخذه في الله لومة لائم كما أمر رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** النصيحة لكل أحد الظالم والمظلوم. أما الرأي المخالف لشريعة الله فلا يسمح لصاحبه بإظهاره؛ لأنه هدم وفساد ومحاربة للحق^(١).



(١) دين الحق، لعبد الرحمن بن حماد آل عمر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد-المملكة العربية السعودية، الطبعة: السادسة، ١٤٢٠هـ، (ص ٩٥).

المطلب الثالث

المساواة وعدم التفریق

المسألة الأولى

مفهوم المساواة لغةً واصطلاحاً، والفرق بين المساواة والعدل

أما المساواة لغةً: مصدر من ساوى يدور حول المماثلة والمعادلة، يقال: ساوى الماء الخشبة، وسأوى فلان فلانا، أي عادله ومأثله.

وقد يكون التساوي في القدر والقيمة والأقران والأعمار والمال ويصدر الفعل من اثنين لا يكون كل واحد منهما^(١).

واصطلاحاً: مذهب يهدف إلى المساواة المدنية والسياسية والاجتماعية بين الناس^(٢).

الفرق بين المساواة والعدل:

يوجد فروق عدة بين المساواة والعدالة في الشريعة الإسلامية:

فمن تلك الفروق ما يأتي:

(١) تصحيح الفصيح وشرحه، لأبي محمد، عبد الله بن جعفر ابن المرزبان، تحقيق: د. محمد بدوي المختون، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، عام النشر: ١٤١٩ هـ، (ص ٥١٣).

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، للدكتور: أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٩ هـ، (٢/ ١١٤٣).

الفرق الأول: أن المساواة تتضمن حقًا وباطلاً خيراً وشرّاً وأكثر ما يستعمل به في العصر الحاضر الباطل والشر مثل مناداة المساواة بين الرجل والمرأة في جميع مجالات الحياة.

الفرق الثاني: أن المساواة تقتضي إعطاء ذي الحق أكثر من حقه.

الفرق الثالث: قد ورد في القرآن نفي المساواة.

الفرق الرابع: أن المساواة بين الرجل والمرأة اقترح يدل على الجهل والغرور والغباوة^(١).

الفرق الخامس: عدم التسوية بين الذكر والأنثى قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ [آل عمران: ٣٦].

الفرق السادس: تمنع المساواة بين الرجل والمرأة كوناً وقدرًا وشرعاً.

الفرق السابع: الدّعوة إلى المساواة دعوة من عمى الله بصيرته^(٢).



(١) ينظر: المزدكية هي أصل الاشتراكية، لعبد اللطيف بن علي القنطري الجزائري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط ١، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م، (ص ٢٨٥).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي، (٧/ ٤١٧).

المسألة الثانية

نماذج من السّمات للمذاهب في مبدأ المساواة

دعوة ماركس: بمناشدات وجوب المساواة في أجور جميع المواطنين ما داموا يؤدون مقدارًا واحدًا من العمل بصرف النظر عن نوع العمل، ولكن عند التطبيق على يد لينين وجد أن هذا غير معقول، فاكتفى بتوحيد الأجور بين العمال.

ومن تلك النماذج في المساواة: نداء بعض العقلانيين والعلمانيين والبراليين والحداثيين الحاملين أفكار الغرب المعاصرة ما يأتي:

- نداء الشاعر التركي ضياء بين الرجل والمرأة، أي: المساواة في الزواج والطلاق والمواريث: بأنها حركة إسلامية تجديدية؟^(١).

- ومن المبادئ الأساسية في مذهب الاشتراكية مبدأ قاعدة المساواة الفعلية بين الأفراد^(٢).

- وترجم الإنكليز أثناء وجودهم في مصر كتاب تحرير المرأة إلى الإنكليزية ونشروه في الهند والمستعمرات الإسلامية.

- ومن ذلك نداءات الدكتورة ريد رئيسة الاتحاد النسائي الدولي عن المساواة وتحرير المرأة ومثلها بنت النيل، التي تلقت الدعم المالي في السفارة

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، لمحمد البهي، مكتبة وهبه، ط ١٠ (ص ٣٩٠).

(٢) مصطلح فلسفة التربية في ضوء المنهج الإسلامي (دراسة نقدية)، لخالد بن حامد الحازمي الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة السادسة والثلاثون، العدد الرابع والعشرون بعد المائة، ١٤٢٤هـ/ (ص ٣٠٧).

الأمريكية وتمثلت ببرقية حرم رئيس الولايات المتحدة الأمريكية للمؤتمر النسائي العربي عام ١٩٤٤ م.

- تحرير المرأة المصرية من أغلال الإسلام وتقاليده.

- وبرقية جمعية سان جيمس الإنكليزية إلى زعيمة حزب بنت النيل تهنئها على اتجاهها الجديد في القيام بمظاهرات للمطالبة بحقوق المرأة.

- ومنها مشاركة الزعيمة نفسها في مؤتمر نسائي دولي في أثينا عام ١٩٥١ م ظهر من قراراته التي وافقت عليها أنها تخدم الاستعمار أكثر من خدمتها لبلادها.

- إعلان كامبلا فيفي الهندية أن الاتحاد النسائي الدولي واقع تحت ريادة الدول الغربية والاستعمارية واستقلالتها منه.

- وإعلان الدكتورة نوال السعداوي رئيسة الاتحاد النسائي المصري عام ١٩٨٧ م أثناء المؤتمر أن الدول الغربية هي التي هيأت المال اللازم لعقد مؤتمر الاتحاد النسائي والدول العربية لم تساهم في ذلك.

- أن من أهداف العلمانية المساواة التامة بين الرجل والمرأة وبين المؤمنين وغير المؤمنين وبين المعتقدات.

في حين أكد محمود محمد طه على أن عدم المساواة بين الرجال والنساء ليس أصلا في الإسلام، وإنما الأصل هو المساواة، لكن نظرا للظروف التي وجد فيها فرق في بعض الأحكام، مع أن مراد الدين هو المساواة^(١).

(١) العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام، لأبي سفيان مصطفى باخو السلاوي المغربي المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة-جمهورية مصر العربية، ط١، ١٤٣٣هـ، (ص٢٦٣).

قال علي حرب عن المثقف الحداثي: يتكلم على أشكال التسلط أو على آليات التلاعب بالحقيقة، أعني أنه يخفي حقيقته وسلطته، ويتستر على فعله وأثره، ويتناسى مخاتلته وألأعيبه، وهكذا فالمثقف يعلن انحيازه إلى المقهورين في مواجهة سلطة القهر، فيما هو يشكل سلطته ويمارس سيطرته، أو يعلن أن شاغله هو كشف الحقائق فيما هو يصنع حقيقته عبر نصه وخطابه، أو هو يحدثنا عن حلمه بمجتمع تنويري تحريري قائم على المساواة، فيما هو يمارس نخبويته، ويحجب إرادته في التفرد والتمايز^(١).

الاتحاد السوفيتي سابقاً واعتبر أن الديمقراطية الحقيقية هي التي جَسَمَهَا النظام الاشتراكي الماركسي عِنْدَمَا أسند السلطة للطبقة الكادحة البروليتاريا^(٢).

-
- (١) العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام، لأبي سفيان مصطفى باخو السلاوي المغربي المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة-جمهورية مصر العربية، ط ١، ١٤٣٣هـ، (ص ٣٤٣).
- (٢) هو: مصطلح ظهر في القرن التاسع عشر ضمن كتاب بيان الحزب الشيوعي لكارل ماركس وفريدريك أنجلز يشير فيه إلى الطبقة التي ستتولد بعد تحول اقتصاد العالم من اقتصاد تنافسي إلى اقتصاد احتكاري، ويقصد كارل ماركس بالبروليتاريا الطبقة التي لا تملك أي وسائل إنتاج وتعيش من بيع مجهودها العضلي أو الفكري، ويرى ماركس أن الصراع التنافسي في ظل الرأسمالية، سيتولد عنه سقوط للعديد من الشركات واندماج شركات أخرى، حيث إنها في النهاية تتحول إلى شركات كوسموبوليتية أي لا قومية وتصبح شركات احتكارية ويصبح نضال شعوب الأرض موحداً لعدو واحد وتسمى هذه الطبقة الناشئة عن الاحتكارات العالمية بطبقة البروليتاريا، وهي تباع عملها الفكري والثقافي والعضلي ولا تملك أي وسائل إنتاج، ويعتبر ماركس البروليتاريا هي الطبقة التي ستحرر المجتمع وتبني الاشتراكية بشكل أممي. ينظر: الموسوعة الحرة، تاريخ الزيارة: ٢١/٥/١٤٤٢هـ. الساعة: ١١:٣٥م، وينظر: الإسلام وحقوق الإنسان في ضوء المتغيرات العالمية، لمحمد كمال الدين بن محمد العزيز جعيط، الناشر مجلة مجمع الفقه الإسلامي، (ص ٩).

وزحف هذا الشعار إلى أدمغة مفكرين وعلماء وكتاب، فجعلوه في مقولاتهم أحد المبادئ الإنسانية الصحيحة، وأحد المبادئ الإنسانية الصحيحة، وأحد المبادئ الإسلامية المجيدة، غفلة منهم، وانسياقا مع بريق الشعارات التي تروجها وسائل الإعلام الشيطانية المضللة.

قد كان البهائيون من أكثر الناس ميلاً إلى استخدام النساء في الدعاية لمذهبهم؛ لأنهن أكثر انخداعاً وأكثر انجذاباً إلى الهوى والخروج على كل عرف إذا تمكن.

وعند الفعل والتطبيق لما قالوه تجد أن أحكامهم على المرأة مما يستدعي الشفقة عليها بسبب ظلم البهائيين وشريعتهم الجائرة على المرأة، وقد اتضح تماماً أنهم لا يريدون وراء الدعاية بمساواة المرأة للرجل إلا مخالفة الشريعة الإسلامية، وجلب عاطفة النساء للمذهب البهائي، وجعلها مطية لا وعي لها^(١).

هي قضية المساواة مع الرجل في الأجر ثم تطورت حتى صارت المساواة مع الرجل في كل شيء، وكان من بين كل شيء حق الفساد الذي يسمونه حق الاستمتاع بالحياة

وخلاصة ما سبق: أن مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في الميراث والزواج والطلاق والتعدد والعمل والمسؤولية والمشاركة في الرئاسة والأعمال والوظائف والسماح بالسفور والإباحية والتبرج وسلخ القيم والكيان

(١) المرجع السابق (٢/٦٩٨).

والحشمة، والأخلاق، لتكون كالمراة الغربية في حركتها وطبعها وسجتها ومعاملتها فهي سمة اجتماعية مشتركة بين المذاهب الفكرية من الماسونية والرأسمالية، والاشتراكية، والعلمانية، والبرالية، والحداثية، والعقلانية، والشيوعية، والهدف من ذلك كله إذابة الفوارق بين الأمم، وتفتيت جميع أنواع الولاءات، حتى يصبح الناس أفرادا ضائعين تائهين، ولا تبقى قوة متماسكة إلا اليهود الذين يريدون السيطرة على العالم، وقطع صلة المرأة بالآداب الإسلامية وهضم ديانتها وقيمها وأخلاقها وتربيتها الإسلامية، وعرى حجابها الشرعي وتقليد المراة الغربية في كل شيء، وقسموا المساواة إلى سياسية واجتماعية واقتصادية وميراثية^(١).

وتمتد أهداف هذه الأفكار الغربية الهدامة المضللة لتصل إلى جعل العلمانية واللا دينية أساس حركة المراة والمجتمع^(٢).



(١) الموسوعة الميسرة، (١/ ٤٢٤).

(٢) الموسوعة الميسرة (ص ٤٥٦).

المسألة الثالثة

نقد المساواة

لقد أمرت الشريعة الإسلامية مبدأ المساواة بين الخلق من غير نظر إلى الألوان والجاه والجنسية والنسب والصورة والحسب والجسم والطبقية والعنصرية إلا بالتقوى.

فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمَر على أسود، ولا أسود على أحمَر، إلا بالتقوى»^(١).

فالقياس الذي يتفاضل به الناس عند الله هو التقوى والعمل الصالح، أما الجنس واللون فلا أثر لشيء منهما في رفعة شأنهم أو وضعته^(٢).

ولم تكن هذه المساواة لتقف عند حدود المبادئ التي تعلن في مناسبات متعددة - كما يقع من زعماء الحضارة الحديثة اليوم - بل كانت مساواة مطبقة تنفذ كأمر عادي^(٣).

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل، في مسنده، برقم الحديث: (٢٣٤٨٩) وقال شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ، (٣٨/٤٧٤).

(٢) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، لإبراهيم خليل أحمد (من كبار علماء النصارى من الله عليه بالإسلام)، الناشر: دار المنار، عام النشر: ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، (ص ٢٠).

(٣) مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا، لمصطفى بن حسني السباعي، الناشر: دار الوراق =

ومما جاء به الإسلام في التساوي وعدم التفريق بين الخلائق في الحقوق مثل العدالة والرحمة والإنسانية والتكامل والتعاون وعدم التفريق في العنصرية والطبقية ومن الأدلة الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ؕ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّٰهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تُعَرِّضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ؕ﴾ [النساء: ١٣٥].

وقال **صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، فإذا قُتِلْتُمْ فأحسنوا القتلة، وإذا ذُبِحْتُمْ فأحسنوا الذبوح، وليحد أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته»^(١)، وأوجب النصح لكل أحد عن تميم الداري أن النبي **صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قال: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٢).

وساوى بين طبقات العباد في الحقوق الواجبة عليهم تبعا لقدرتهم واستطاعتهم. قال تعالى: ﴿فَاقْنُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

= للنشر والتوزيع، بيروت، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، (ص ١١٢).
وكتاب: صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم - دراسة في التفسير الموضوعي، عاطف إبراهيم المتولي رفاعي، إشراف فضيلة الدكتور: حاتم محمد منصور مزروعة، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية (ماليزيا)، عام النشر: ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م، (ص ٢٦٢).

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، وتحديد الشفرة، برقم الحديث: (٥٧). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، (١٥٤٨/٣).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم الحديث: (٩٥). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، (١/ ٧٤).

ومن مظاهر المساواة في التشريع الإسلامي: تطبيق الأحكام والتكاليف الشرعية أمام القانون ومساواة في التكاليف إذا تساوى الأفراد في أسبابها الموجبة، إن هذا المبدأ العظيم طبق فعلا في واقع الحياة، وحرص النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على تطبيقه، فقد جاء في السنة أن امرأة من بني مخزوم سرق، فجاء أسامة بن زيد يستشفع لها عند رسول الله، فقال الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أتشفع في حد من حدود الله؟» ثم قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «إنما أهلك الذين من

قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد لقطعت يدها»^(١). وغير ذلك.

هذه قاعدة الإسلام الأصلية في المساواة، كما تحدثت في آيات القرآن الكريم، وبينتها السنة المشرفة^(٢)، وما خالف هذا من المساواة التي يتشدد بها المنحرفون بين الرجال والنساء وبين الأغنياء والفقراء، فإنها مادية ضارة لا يستقيم عليها دين ولا دنيا لخلوها من الدين والروح الإنسانية الشريفة ومخالفتها لسنة الله التي لا تبديل لها ولا صلاح إلا بها، والتي تكفل للآدميين كرامتهم وشرفهم^(٣).

وأما قبل الإسلام فكان الناس ينقسمون إلى أقسام وطبقات اجتماعية لكل منها ميزتها وأفضليتها وكان سائداً ومنتشراً بكثرة في مبدأ العنصرية في جميع الجوانب من الجنس واللون والغنى والفقير والضعف والحرية والعبودية وغير ذلك من الطبقة والعنصرية، وكانت طبقة الحكام ورجال الدين من الطبقات المميزة، بل إن بعض المجتمعات، مثل المجتمع الهندي، كان يعرف

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، بتحقيق وتعليق، أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ، وقال: حديث حسن صحيح، (٣٧/٤).

(٢) حقوق الإنسان في الإسلام، لعبد الله بن عبد المحسن التركي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٩هـ، (ص ٦٨، ٦٩).

(٣) كمال الدين الإسلامي، لعبد الله بن جار الله آل جار الله، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد-المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٨هـ، (٢/ ٩١-٩٤).

طائفة المنبوذين، وكان محرماً على أفراد الطبقة، أن ينتقلوا منها إلى طبقة أعلى، حتى ولو كانت ملكاتهم تتيح لهم ذلك لا شك أن المساواة وما ابتني عليها وما تفرع عنها، قاعة يهش لها العقل السليم.

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: «لا يستوي من أنفق منكم في سبيل الله وقاتل مع من لم ينفق ولم يقاتل، لا يمكن أن يستوي هذا وهذا؛ لأن دين الإسلام دين العدل في العمل والجزاء وليس كما يقول المحدثون المحدثون أنه دين المساواة، هذا غلط عظيم، لكن يتوسل به أهل الآراء والأفكار الفاسدة إلى مقاصد ذميمة، حتى يقول المرأة والرجل سواء، والمؤمن والفاسق سواء، والعربي والعجمي سواء، ولا فرق، وسبحان الله! أنك لن تجد في القرآن كلمة المساواة بين الناس، لا بد من فرق، بل أكثر ما في القرآن نفي المساواة»^(١).

قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَىٰ أَلَا تَلْبَسُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

دين الإسلام دين العدالة والرحمة والسّاحة تعطي كل ذي حقّ حقه. أخطاء الكتاب والمؤلفين والمتحدثين عند وصفهم أن الإسلام دين المساواة مطلقاً ويعدون هذا الوصف منقبة له إذ ساوى بين الناس جميعاً - كما يزعمون - وتجد هذا كثيراً عند حديثهم عن موقف الإسلام من غير

(١) لقاء الباب المفتوح، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، لقاءات كان يعقدها الشيخ بمنزله كل خميس. بدأت في أواخر شوال ١٤١٢ هـ وانتهت في الخميس ١٤ صفر، عام ١٤٢١ هـ.

المسلمين، أو موقفه من حقوق الإنسان، أو موقفه من المرأة.. متوهمين أن صفة المساواة صفة مدح في جميع أحوالها، فيلزمهم على هذا أن يساووا بين أحكام المسلم وأحكام الكافر، وبين أحكام الرجل وأحكام المرأة، وهي مما جاءت الشريعة بالتفريق بينها.

لهذا يقول الشيخ ابن عثيمين: «أخطأ على الإسلام من قال: إن دين الإسلام دين المساواة بل دين الإسلام دين العدل، وهو الجمع بين المتساويين، والتفريق بين المفترقين، إلا أن يريد بالمساواة: العدل، فيكون أصاب في المعنى وأخطأ في اللفظ»^(١).



(١) شرح العقيدة الواسطية، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد ابن فواز الصميل، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط ٦، ١٤٢١ هـ، (ص ٢٢٩).

المطلب الرابع

مبدأ (المنفعة)

يعدّ مبدأ المنفعة من السمات الاجتماعية المشتركة بين المذاهب أو أغلب الاتجاهات الفكرية ويعتبر قاعدة وأساس مستقل ومنهج مميز في بقية المذاهب الأخرى وجميع العلوم أو الفلسفات يكون من ضمن أفكارهم والمذهب النفعي في التقاء مفكره على القول بأن اللذة أو المنفعة هي الخير المرغوب فيه، والألم هو الشر الذي يجب تفاديه، ومن ثم فإن المنفعة عندهم هي مقياس الخيرية^(١) والحديث في المنفعة والنفعية حديث ذو شجون وقد يطول

لكن اقتصر الحديث عنه في العناصر الآتية:

العنصر الأول: مفهوم المنفعة لغة واصطلاحاً:

أما لغة: فالمنفعة: جمعها منافع قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢١].

ويطلق ما فيه الخير والصالح والفائدة، كل ما ينتفع به والفائدة أو المنفعة عامة مشتركة بين الناس «يقال منافع العلم ومنافع الدار مرافقها»^(٢).

وأما اصطلاحاً:

التعريف الأول: ما يحصل عليه الإنسان من نفع أو ربح أو مكسب.

(١) الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، لمصطفى حلمي، (ص ٦١).

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، للدكتور: أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، (٣/ ٢٢٥٩).

فالتعريف الثاني: مذهب المنفعة هو: كل الأفعال يجب أن توجه نحو إحراز القدر الأكبر من السعادة لأكبر عدد من الناس.

والتعريف الثالث: المنفعة مذهب أخلاقي اجتماعي لا ديني، يجعل من نفع الفرد والمجتمع مقياسا للسلوك، وأن الخير الأسمى هو تحقيق أكبر سعادة لأكبر عدد من الناس.

وفي مجال الاقتصاد يقرر مذهب المنفعة أن قيمة السلعة تتوقف على قدر منفعتها وليس على نفقة العمل أو التكلفة.

العنصر الثاني: أصل النفعية:

فلسفة أخلاقية تعود إلى الفيلسوف الإغريقي (أبيقور)، وتنسب -كمدرسة فكرية- للفيلسوف البريطاني جيرمي بنتام، وتقوم على أن الفعل يقيّم بحسب ما ينتج عنه، فما زاد اللذة والمتعة فهو صالح ونافع، وما سبب الألم والمعاناة فهو على الضد^(١).

العنصر الثالث: أعلام مذهب المنفعة:

لقد ظهرت مذهب المنفعة في إنكلترا على أيدي أعلام وشخصيات أهمها ما يأتي:

١ - جيرمي بنتام ١٧٤٨-١٨٣٢ م^(٢) دخل في مذهب المنفعة، وطبقه

(١) ينظر: ثقافة الداعية من معجم المصطلحات المعاصرة، للدكتور: محمد يسري ابراهيم، (ص ١٧٨).

(٢) بنتام ولد في لندن، (١٧٤٨-١٨٣٢ م) عالم انجليزي اشتهر ببحثه في الأخلاق والقانون، وهو من أكبر دعاة مذهب المنفعة وربما عد مؤسسها، وهو القائل بأن «مقياس الخير والشر أكبر لذة لأكبر عدد» وقد ألف في أصول القانون واسم كتابه الشهير «أصول القانون» وطبقه على مذهب المنفعة ينظر: كتاب الأخلاق: لأحمد أمين، مؤسسة هندواي، مصر، عام: ٢٠١٢ م، (ص ٣٦).

في كتابه المدخل إلى مبادئ الأخلاق والتشريع^(١).

وكان أول رائد حدد معالمه وأوضح مراحلها، ومع أنه استعار مبادئه من سابقة، فإن فضله بعد هذا غامر، كانت مهمته أن يضع المناهج التي تحول المبادئ النظرية إلى خطط عملية^(٢).

ويعد زعيم القائلين بمذهب المنفعة، وقدم نظريته في المنفعة في كتابه مقدمة لأصول الأخلاق والتشريع.

وقد كانت اللذة شغله الشاغل والحيز الأكبر في تفكيره؛ حيث قرّر في مذهبه أن الناس يطلبون اللذة ويجتنبون الألم بالطبع شأنهم شأن الحيوان، ولكنهم يمتازون على الحيوان بأنهم يتبعون مبدأ المنفعة حينما يعملوا العقل، وأنهم يحكمون بأن الفعل الخير هو الذي يعود بلذة مستمرة أو الذي تزيد فيه اللذة على الألم، وأن الفعل الشرير هو الذي يعود بألم مستمر أو الذي يزيد فيه الألم على اللذة^(٣).

٢- جون ستيوارت ميل ١٨٠٦-١٨٧٣ م^(٤) قد سار على صاحبه بنثام في اعتقاده أن الأخلاق علمًا وضعيًا موضوعه وصف سلوك الأفراد في المجتمعات

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة، ليوسف كرم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط ٥، (ص ٣٣٢).

(٢) مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، لتوفيق الطويل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ١، (١٩٥٣) (ص ٩٥).

(٣) ينظر: الأخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية، لكريمة دوز، مراجع لغوية، سليمان أبو عيسى، مركز براهين للأبحاث والدراسات، ط ٢، ٢٠١٦ م، (ص ٢٥٦).

(٤) جون ستيوارت مل (١٨٠٦-١٨٧٣ م) فيلسوف إنجليزي كتب في المنطق والاقتصاد السياسي والسياسة وكتب رسالة في الحرية ورسالة في المذهب المنفعة، وهو يعد من أكبر مؤسسي هذا

المختلفة^(١) وقد ازدهرت الحركة النفعية على يده؛ إذ بعث فيها حيوية ونشاطاً، لكنه ومع احتفاظه بأسسها القديمة حول تيارها وزاده قوة وجرياناً^(٢).

والخلاصة: أن جون يرى نظرية استاذة (بنثام). وأن الإنسان لم يكن له سوى المنفعة كغاية لسلوك الإنسان وهو يتفق مع غيره من فلاسفة المنفعة في القول بأن الفارق بين الصواب الخلقى والخطأ الخلقى رهين بنتائج أفعالنا^(٣).

والمعلوم أن الذي له أدنى معرفة بهذا الموضوع يدرك أن كل كاتب من عهد (أبيقور) إلى بنثام. ممن تبنى نظرية المنفعة لم يقصد بها شيئاً مقابل اللذة، بل قصد اللذة بعينها مقابل غياب الألم^(٤). وقد بعث الفلاسفة الفرنسيون في أواخر القرن الثامن عشر تعاليم تشبه تعاليم.

أبيقور كما تجلت هذه التعاليم في مذهب المنفعة العامة وشغل إنجلترا في القرن التاسع عشر ميلادي وكذلك من المتبنين لهذه الفكرة منهم من هربرت سبنسر ومور^(٥).

المذهب، ينظر: كتاب الأخلاق، لأحمد أمين، (ص ٣٦).

(١) ينظر: الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، لمصطفى حلمي، (ص ٦٣).

(٢) مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، لتوفيق الطويل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط ١، ١٩٥٣م، (ص ١٤٠).

(٣) مشكلات فلسفية (المشكلة الخلقية) لزكريا إبراهيم، دار مصر للطباعة، مصر، (بدون طبعة بدون تاريخ) (ص ١٥١).

(٤) النفعية، لجون ستيوارب مل، ترجمة، سعاد شاهري حرار، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط ١، (٢٠١٢م)، (ص ٣٥).

(٥) ينظر: الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، لمصطفى حلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ، (ص ٦٠).

العنصر الرابع: أهم المعتقدات لمذهب النفعية:

لقد تقدّم فيما سبق أن من السمات الاجتماعية المشتركة بين المذاهب الفكرية المعاصرة النفعية أو المنفعة وقد ينطبق على غالب الاتجاهات الفكرية إلا أن المذاهب النفعيّة مذهب مستقلّ منفرد من المذاهب الفكرية له أسسه وقواعده ومعتقداته، ونظرياته،

ويمكن تلخيص أفكاره فيما يأتي:

- ١- اللذة هي الشيء الوحيد الذي هو خير في ذاته، والألم هو الشيء الوحيد الذي هو شر
- ٢- التصرف الحرّ للأفراد والمجتمع.
- ٣- المنفعة الذاتية المستنيرة تدلّ الناس على أن الصالح العام ينطوي في أغلب الأحوال على منفعتهم الخاصة.
- ٤- اعتقاد أن الشيء المؤثر في الفعل اللذة والألم فقط.
- ٥- تقديم المصلحة العامة على المصلحة الشخصية
- ٦- الإنسان مثل الحيوان في ركضه ولهته وراء الشهوة.
- ٧- مفهوم أن الخير هو الشّهوة وكلمة شرّ يقصد بها النفور.
- ٨- المنفعة مشتركة للجميع شاملة للمنافع الفردية والجماعية.
- ٩- الآثار الاجتماعية من أهم عوامل حساب اللذة.
- ١٠- السعادة عندهم تكمن في تحقيق أكبر قدر من اللذة^(١).

(١) الأخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية، لكريمة دوز، (ص ٢٥٨-٢٦١).

وغير ذلك من الافكار لمذهب المنفعة والاتجاهات الغربية.

المنفعة فكرة فلسفية مادية بحيث لا تلتزم الأصول الدينية فالميزان والمقياس عندهم المنفعة العامة يعتبر غاية السلوك البشري وسعادة الأغلبية. ولا شك أن في هذا تجاوزاً يهدم أسس العقيدة ويحول المجتمعات إلى غابة تتصارع فيها المنافع بلا ضابط أو رابط^(١). بل إن جميع التلاميذ كانوا يبحثون عن المنفعة الشخصية، فها هو ذا بطرس زعيمهم يتحدث بالنيابة عنهم إلى المسيح^(٢).



- (١) ينظر: الأخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية، لكريمة دوز، (ص ٢٥٨، ٢٥٩).
وينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، (٢/ ٨٠٨).
- (٢) ينظر: مناظرة بين الإسلام والنصرانية، لمناقشة العقيدة الدينية بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية، المؤلف: مثل الجانب الإسلامي في المناظرة كل من الشيخ الدكتور محمد جميل غازي والأستاذ إبراهيم خليل أحمد واللواء المهندس أحمد عبد الوهاب، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، (ص ٤٢٣).

المبحث الثاني

السّمات الاقتصادية المشتركة للمذاهب الفكرية المعاصرة

المطلب الأول

الاعتماد على الربا في جميع المعاملات المالية

التمهيد:

لقد شاع في أوساط المجتمعات مفاسد عظيمة وأضرار كثيرة التي لا حصر لها حيث عمت أغلب الأفراد والمجموعات من البشر لأجل الاعتماد والتعامل بالربا في جميع المعاملات اتسم بها أغلب المذاهب الفكرية المعاصرة، ورصدت في تنمية اقتصادها وارتفاعها وكسب الربح بأي وسيلة كانت وبأي طريق جاء، وهذا ما حرمت وحذرت منه شريعة الإسلام الغراء الصالحة لكل زمان ومكان الهادية إلى جميع المعاملات الانسانية النافعة في جميع المعاملات الإنسانية، وإنَّ من أكد ما جاء الإسلام بتحريمه، والنهي عنه من المعاملات المالية التعامل بالربا، فلقد نهى عنه الإسلام أبلغ نهى، وحذر منه أشد تحذير، بل جعله في طليعة المحرمات.

وقد حذرت الشريعة من الربا أشد تحذير وما يترتب عليها من عقاب شديد وعواقب وخيمة وحرب من الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** لمن تعامل بالربا في جميع

أنواعه وأشكاله ووسائله وقدتوعدّ الله بالحرب على المرابين. قال تعالى:
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
[البقرة: ٢٧٨].

علمًا إنّ الإسلام يتنافى مع أنظمة المذاهب الفكرية المعاصرة في
الاقتصاد من أنظمة الرأسمالية والشيوعية والاشتراكية والماركسية والعلمانية
والعولة في الاقتصاد، وغير ذلك من المذاهب الوضعية الفكرية الغربية التي
لم تقم على الدين الذي ارتضاه الله تعالى وأكمّله، بل وضعوا هذه الأنظمة
الاقتصادية الباطلة حسب ما يتوافق مع أهوائهم ورغائب شهواتهم خلافًا
للشريعة الإسلامية؛ لأن صاحب المال لا يسعه له أن يتصرف كيفما يريد أو
حسب ما تهواه نفسه؛ بل يتصرف في ماله مثل المستأمن بما يتوافق مع ضوابط
وحدود الشريعة. ولا يمكن أن تسعد البشرية ما دامت الأنظمة الوضعية
هي السائدة.



المسألة الأولى

تعريف الربا لغةً وشرعاً، وأقسامه وحكمته وحكمه

أما لغة: الزيادة.

وشرعاً: زيادة في شيء مخصوص.

وأما أقسامه: فينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول ربا الفضل: هو بيع ربوي بمثله مع زيادة في أحد المثلين.

القسم الثاني ربا النسيئة: هو بيع الجنس الواحد ببعضه، أو بجنس

آخر مع زيادة في الكيل أو الوزن في نظير تأخير القبض.

القسم الثالث ربا القرض: وهو أن يقرضه شيئاً مما يصح قرضه،

ويشترط عليه منفعة مقابل القرض كسكنى داره أو ركوب دابته.

وقسمه ابن القيم إلى خفي وجلي:

الخفي: حرام لأنه وسيلة إلى الجلي، فتحريمه من باب تحريم الوسائل

إلى المقاصد، وهذا ربا الفضل، ذلك أنه إذا بيع درهم بدرهمين تدرج به

إلى الربح المؤجل، وهو علة ربا النسيئة فمن حكمة الله أن سد عليهم هذه

الذريعة وهي حكمة معقولة.

الجلي: هو ربا النسيئة وهو الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية، والغالب

أنه لا يفعله إلا محتاج فيربو المال على المحتاج من غير نفع يحصل له، حتى

ترهقه الديون، فمن رحمة الله بخلقه أنه حرمه^(١).

وأما حكمة تحريم الربا فتشمل الجانب الاقتصادي والأخلاقي والاجتماعي، وتفصيل ذلك ملخصا فيما جاء في تفسير الفخر الرازي وهي كما يأتي:

١- إن الربا يقتضي أخذ مال الإنسان من غير عوض؛ لأن من يبيع الدرهم بالدرهمين يحصل له زيادة درهم من غير عوض.

٢- إن الاعتماد على الربا يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب، وذلك لأن صاحب الدرهم إذا تمكن بواسطة عقد الربا من تحصيل الدرهم الزائد نقدا كان أو نسيئة خف عليه اكتساب وجه المعيشة، فلا يكاد يتحمل مشقة الكسب والصناعات الشاقة والتجارة وذلك يفضي إلى انقطاع منافع الخلق، ومن المعلوم أن مصالح العالم لا تنتظم إلا بالتجارات والحرف والصناعات والعمارات، وهذا هو الجانب الاقتصادي.

٣- إنه يفضي إلى انقطاع المعروف بين الناس من القرض؛ لأن الربا إذا حرم طابت النفوس بقرض الدراهم واسترجاع مثله. ولو حل الربا لكانت حاجة المحتاج تحمله على أخذ الدرهم بدرهمين فيفضي ذلك إلى انقطاع المواساة والمعروف والإحسان، وهذا هو الجانب الأخلاقي.

(١) صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة، لأبي مالك كمال بن السيد سالم مع تعليقات فقهية معاصرة: فضيلة الشيخ/ ناصر الدين الألباني، فضيلة الشيخ/ عبد العزيز بن باز فضيلة الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة-مصر، عام النشر: ٢٠٠٣م، (٤/٢٩٠).

٤- إن الغالب أن المقرض يكون غنيا والمستقرض يكون فقيراً، فالقول بتجوز عقد الربا تمكين من يأخذ من الفقير الضعيف مآلاً زائداً وذلك غير جائز برحمة الرحيم وهذا هو الجانب الاجتماعي. ومعنى هذا أن الربا فيه اعتصار الضعيف لمصلحة القوي ونتيجته أن يزداد الغني غنى والفقير فقراً مما يفضي إلى تضخم طبقة من المجتمع على حساب طبقة أو طبقات أخرى مما يخلق الأحقاد والضغائن ويورث نار الصراع بين المجتمع بعضه ببعض، ويؤدي إلى الثورات المتطرفة والمبادئ الهدامة، كما أثبت التاريخ القريب خطر الربا والمرايين على السياسة والحكم والأمن المحلي والدول جميعاً الحلال والحرام.

حكمه: محرم بالكتاب والسنة والإجماع^(١).



(١) المفصل في أحكام الربا، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، الباحث في القرآن والسنة، (٢/ ١٣٨).

المسألة الثانية

نماذج من المذاهب الفكرية في الاعتماد على الربا

من خصائص المذاهب الفكرية في الاقتصاد المعاملة على الربا في جميع عقودهم وبنودهم وأسسهم الاقتصادية ومن أمثلة ذلك:

أولاً: الرأسمالية:

نسبة إلى رأس المال، ويراد بها منح الشخص كامل الحرية في جمع المال وفي إنفاقه بأي طريقة يكون جمعه أو إنفاقه؛ سواء عن طريق الغش، أو الاحتكار، أو الربا، أو التحايل، ولا قيمة للرحمة والعاطفة والإنسانية أو المثل العليا أو الأخلاق في سبيل الحصول على المال مربوطة بالوصول إلى الأرباح قبل أي اعتبار. ويشهد هذا قول: محمود الخطيب: يعتبر أنصار الرأسمالية جهاز الثمن هو المحرك الفعال القادر على حل كل ما يتعلق بالمشكلة الاقتصادية^(١).

ثانياً: وعلى ضوء ما سبق يمكن تلخيص الأسس التي قام عليها

النظام الرأسمالي فيما تقدم بيانه فيما يأتي:

- ١- البحث عن الربح بشتى الوسائل والطرق المختلفة
- ٢- تقديس الملكية الفردية.
- ٣- المنافسة والمزاحمة في الأسواق.
- ٤- تحقيق التوازن التلقائي عن طريق جهاز الثمن الذي هو المرأة التي تعكس رغبات المستهلكين إلى المنتجين.

(١) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، لغالب بن علي عواجي، (١٢٠٠/٢).

- ٥- ترويج البضائع.
- ٦- حرية التصرف التّام دون مراقبة.
- ٧- الدخول في أي نشاط تجاري ينتج.
- ٨- المحافظة على المحرك الأساسي للاقتصاد.
- ٩- مبادرة استغلال الفرص الاقتصادية.
- ١٠- الاعتماد على الربا^(١).

وهذه الأسس وغيرها من أهم ما تعول الرأسمالية وفي داخلها تحمل مساوئ كثيرة لا يتنبها إلا الحذاق والمجرب فمن تلك المساوئ، سوء توزيع الثروات، وكثرة البطالة وقلة أجرة العامل، وكثرة الاحتكارات وغير ذلك^(٢).

ثانياً: الشيوعية.

ثالثاً: الاشتراكية^(٣).

- (١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٢/٩١٢).
- (٢) ينظر: موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي ابن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، (٢/٢٥٢).
- (٣) الظاهر أن الفرق بين الشيوعية والاشتراكية بينهما فروق يسيرة وفي النهاية يرجع كلاً منها إلى نظام الشيوعية لكن الفرق الكبير أن شعار الشيوعية هو من لا يعمل لا يأكل بينما الاشتراكية الديمقراطية تحالف الشيوعية في بعض الأسس مثل عدم معاداة الدين مع إبعاده عن مجال التطبيق على الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وحرّ التصرف في ملكية المال والمساهمة في مشاريع الدولة مع تحديد دخل الفرد وفرض ضرائب تصاعدية، تجنب العنف والصراع الطبقي والاعتماد على أساليب الاقتناع والديمقراطية، ينظر: تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة، لمحمد عبدالله عنان، مؤسسة مختار، دار المعرفة، للنشر عام (١٩٩١م)، القاهرة: (ص١٧٩، ١٨٠).

رابعاً: الماركسية^(١).

خامساً: العلمانية.

سادساً: العولمة.

وأهم المبادئ الماركسية الاقتصادية يكون كالآتي:

- ١ - محاربة الملكية الفردية.
 - ٢ - إقامة المصانع والمشاريع الكبيرة وسيطرة أصحابه على السوق.
 - ٣ - إلغاء حقوق الوراثة وتحويلها على ملكية الدولة.
 - ٤ - الاحتكار من أفراد الناس في النظام الرأسمالي إلى خصوص أفراد الحكام في النظام الماركسي الخبيث.
 - ٥ - حصر جميع المواصلات والنقل في يد الدولة.
 - ٦ - فرض العمل الإجباري على جميع الأفراد
 - ٧ - الغاية تبرر الوسيلة^(٢).
- والعلمانية، تسن القوانين والتشريعات والضوابط الاقتصادية بعيداً عن الدين.

ولا مكان في العلمانية للحديث عن تحريم الربا والاحتكار والميسر وغير ذلك، ولا مكان لإيجاب الزكاة، لأنها معاملات ذات صبغة دينية، والدين لا دخل له في شؤون الدولة حسب المعتقد العلماني. ويدور الاقتصاد العلماني

(١) سبق ترجمته في التمهيد.

(٢) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، للدكتور: غالب بن علي عواجي، (٢/ ١٠٢٧-١٠٣٨).

على الربح والمنفعة، ولا يهتم بما تحقق سواء بخمور أو ربا أو ميسر أو أفلام إباحية، أو دور دعارة، أو حتى أسلحة للعصابات المسلحة، ولا اعتبار لأية كوابح دينية. بل حتى الشواذ إذا أدوا الضرائب المفروضة فلا مانع من فتح دور للدعارة خاصة بهم، والدين لا دخل له في كل هذه التشريعات^(١).

والعولمة: تتركز على فكرة وحدة السوق، وإزالة العوائق أمام حركة رأس المال، وحرية الاقتصاد، واتخاذ الدولار معياراً للنقد، وتحول المجتمعات إلى مجتمعات منتجة هي مجتمعات الدول الصناعية، ومجتمعات مستهلكة هي مجتمعات الدول الخرى، وغير ذلك من «جورباتشوف» الذي تولى رئاسة الاتحاد السوفيتي بعد «برجينيف» و«يوري أندروبوف»، كما تبين كذلك أن التحريش بين الفقراء وأصحاب الأموال إنما هي خدعة لصرف الأنظار عن مقارعة^(٢).



(١) العلمانية-المفهوم والمظاهر والأسباب، لأبي سفيان مصطفى باخو السلاوي المغربي، جريدة السبيل، المغرب، ط ١، ١٤٣٢هـ، (ص ٥٤).

(٢) دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة نشأتها مطلقاتها الفكرية، (ص ٢٤٤).

المسألة الثالثة

موقف الإسلام من الاعتماد على الربا

من المعلوم بالضرورة من الدين التخليط في تحريم الربا والاعتماد عليها وتسديد بكل ما يؤدي من طرق ووسائل تؤدي الى التعامل بالربا، وأكد من ذلك إشهار الله بالحرب لمن تعاطى بالربا كما حث الإسلام على الاعتماد على الله ثم الاعتماد على العمل، والكسب بيد الشخص والاستغناء عن الناس، واليد العليا خير من اليد السفلى وأن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف كما حثت الشريعة على أبواب البر والاحسان والتكافل الاجتماعي والتعاون، وإعانة الملهوف والتبرع على الفقراء والمساكين لوجه الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** وغير ذلك من التوجيهات الإسلامية، أما أدلة تحريم الربا فهي الكتاب والسنة والاجماع

أما أدلة الكتاب فمنها: قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

(يقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ناهيا عباده المؤمنين عن تعاطي الربا وأكله أضعافا مضاعفة، كما كانوا يقولون في الجاهلية -إذا حل أجل الدين: إما أن يقضي وإما أن يربي، فإن قضاءه وإلا زاده في المدة وزاده الآخر في القدر، وهكذا كل عام، فربما تضاعف القليل حتى يصير كثيرًا مضاعفًا. وأمر تعالى عباده بالتقوى لعلهم يفلحون في الأولى والأخرى ثم توعدهم بالنار وحذرهم منها).

فقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١].

وأما السنة: فما روي عن جابر، قال: «لعن رسول الله ﷺ أكل الربا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه»، وقال: «هم سواء»^(١).

وروي عن النبي ﷺ أنه قال في خطبة الوداع: «ألا وإن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون. فأول ربا أضعه ربا عمي العباس، ألا وإن كل دم من دم الجاهلية موضوع وأول دم أضعه دم الحارث بن عبد المطلب»^(٢).

وأما الإجماع: فقد أجمع المسلمون على تحريم الربا وإن اختلفوا في فروعه وكيفية تحريمه حتى قيل إن الله تعالى ما أحل الزنا ولا الربا في شريعة قط، وهو معنى قوله: ﴿وَآخِذْهُمْ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ [النساء: ١٦١]، يعني: في الكتب السالفة^(٣).

وقد ردّ الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى على الاشتراكية في سبعين وجهاً وأذكر طرفاً منها:

١ - أن الله تعالى قال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب لعن أكل الربا ومؤكله، برقم الحديث: (١٦٠). بتحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (٣/ ١٢١٩).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، باب في وضع الربا، برقم الحديث: (٣٣٣٤). بتحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، وصححه الالباني، (٣/ ٢٤٤).

(٣) الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، لأبي الحسن علي بن محمد ابن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٩ هـ، (٧٣/ ٥).

٢- وأي دليل أبطل من أن يؤخذ المال من بين يدي من اكتسبه وحصله بعرق جبينه، ثم يعطي الرجل العاقل من المجتمع.

٣- أن رسول الله ﷺ قال: «إن دمائكم وأموالكم عليكم حرام...» دل على ذلك أن كل أكل لأموال الناس بالباطل حرام.

٤- الإجماع من المسلمين على تحريم أخذ المال بغير حق. وهو مما علم بالضرورة من دين الإسلام.

٥- إن النظام الاشتراكي يتضمن مضاهها الله في قدره وقضائه وحكمته؛ فإن الله قضى بحكمته ورحمته أن يقسم الرزق بين الناس، وأن يميز بينهم ويرفع بعضهم فوق بعض درجات لحكم وأسرار عظيمة.

٦- إن دعاة الاشتراكية يضادون حكم الله وشرعه، ويشرعون غير حكم الله والله يقول: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

٧- وغير ذلك من الردود والنقد البناء المتعلقة في أنظمة الاشتراكية في الاقتصاد^(١).

أما من المبادئ الماركسية والشيوعية والرأسمالية والاشتراكية والعمولة والعلمانية وغيرها من المذاهب الفكرية المعاصرة التي تعتمد على الربا التي تطرقت إلى كل جانب من جوانب الحياة، والذي يهمنها هو معرفة الفشل الذريع الذي لحق الاشتراكية في معالجتها هي والشيوعية للحالة الاقتصادية،

(١) ملخص المذاهب الفكرية المعاصرة، للدكتور: إبراهيم بن رافع الغامدي، (ص ٦١، ٦٢).

وكيف كانت النتيجة التي وصلت إليها النظريتان الجهنميتان، فإنهما بعد أن عاثتا في الأرض فسادا طوال سبعين عاما من قيامهما المشؤوم، وأتتا على الأخضر واليابس، وقتل بسببهما ملايين لا يعلم عددهم إلا الله، ودنست الأخلاق، ومزقت الأسر، وعلى قرن الشيطان، فأذن الله تعالى في إظهار فشل الشيوعية ذلك الفشل الذريع في سد الحاجات الضرورية لأتباعها من الموارد الزراعية، إلى أن أصبحوا يتكففون الغرب الرأسمالي الذين تنبأ لهم «ماركس» بأنهم سيكونون أول من يتقبل الاشتراكية الشيوعية بصدر رحب -بزعمه، وكان الشيوعيون يصفون الغرب وغيرهم بالتخلف والجمود، وما إن قويت الثورة الصناعية عندهم حتى فاجأتهم بزيادة العمل وقلة المكاسب وتدني الحياة وتدني الأخلاق، وزيادة الفقر، وانخفاض المستويات الصحية، وسلب الحريات في البلدان الشيوعية، وكممت الأفواه واشتد الحكم بالحديد والنار، أصبح العامل يعمل لصالح الدولة لا لصالحه، مقابل كفالة الدولة لطعامه^(١).



(١) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، لغالب العواجي (٢/١٢٠٨).

المطلب الثاني

البحث عن الربح بأي وسيلة

من السّمات الاقتصادية المشتركة للمذاهب الفكرية البحث عن الربح بأي طرق وبأي وسيلة كان حلالاً أو حراماً سواء كانت مصلحة عامة أو خاصة للفرد والمجتمع بغض النظر عن القيم والأخلاق والتكافل الاجتماعي وأبواب البر والإحسان وشعارهم، (دعه يعمل دعه يمر).

وقد ذكر سميث^(١): المصدر الوحيد للثروة هو الإنتاج في جميع فروع النشاط الاقتصادي من زراعة وتجارة وصناعة وغيرها، وهو خالف كلا من التجاريين والطبيعيين في تعريفها للثروة؛ فالتجاريون يرون الذهب والفضة، والطبيعيون يرون الزراعة هي الحرفة المنتجة الوحيدة^(٢).

كان المذهب الطبيعي ينسب للأرض القيمة الاقتصادية الكبرى فرد القيمة للعمل التجارة والصناعة وليس لملك الأرض، فأعطى المذهب الكلاسيكي هذه القيمة للعمل وارتبط العمل عنده بالمصلحة الفردية باعتبارها الدافع الأساسي للنشاط الاقتصادي، وهي قاعدة نماء الاقتصاد للفرد والجماعة على حدّ سواء).

(١) هو: آدم سميث أصار عالم في الاقتصاد الرأسمالي؛ فقد وضع أسسه في كتاب أنفق اثني عشر عاماً من عمره، وقد ساعدت بعض الظروف على نجاحه، منها أنه ساد قبل كتابه، وأنه عاش في بداية الثورة الصناعية، وغير ذلك، ينظر: ملخص المذاهب الفكرية المعاصرة، للدكتور: إبراهيم بن رافع الغامدي، (ص ٥٣، ٥٤).

(٢) الوجيز في مبادئ علم الاقتصاد (ص ٤٨-٥٢).

المسألة الأولى

أهم الأفكار والمعتقدات للمذاهب الفكرية في الاقتصادية

- ١- البحث عن الربح بشتى الطرق والأساليب إلا ما تمنعه الدولة لضرر عام كالمخدرات مثلاً^(١).
- ٢- تقديس الملكية الفردية وذلك بفتح الطريق لأن يستغل كل إنسان قدراته في زيادة ثروته وحمايتها، وعدم الاعتداء عليها، وتوفير القوانين اللازمة لنموها واطرادها وعدم تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية إلا بالقدر الذي يتطلبه النظام العام وتوطيد الأمن.
- ٣- المنافسة والمزاومة في الأسواق
- ٤- نظام حرية الأسعار وإطلاق هذه الحرية وفق متطلبات العرض والطلب، واعتماد قانون السعر المنخفض في سبيل ترويج البضاعة وبيعها^(٢).
- ٥- قانون التمرکز والقدرة على الإنتاج وحصره.
- ٦- قانون السعر المنخفض^(٣).
- ٧- أن العقود مترددة بين الغنم والغرم كالقمار^(٤).

(١) الديمقراطية وأخواتها آثار وثمرات، لأبي سيف خليل بن إبراهيم العبيدي العراقي، (ص ٥٦).

(٢) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٢/ ٩١٢).

(٣) ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة لغالب عواجي (١/ ٦٥٩).

(٤) ينظر: المُعَامَلَاتُ الْمَالِيَّةُ أَصَالَةٌ وَمُعَاصَرَةٌ، لأبي عمر دُبَيَّان بن محمد الدُّبَيَّان، مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض - المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤٣٢ هـ، (١٣/ ٥١٨).

المسألة الثانية

الرد على البحث عن الربح بأي وسيلة

إن الإسلام نظام رباني شامل صالح لكل زمان ومكان متكامل في جميع شؤون الحياة والأحوال الشخصية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية؛ لأنه يتوافق مع الفطرة السليمة والعقل السليم بينا المذاهب الفكرية المعاصرة تخالف في انظمتها الفطرة السليمة والمنطق السليم، وأن الإسلام وجد وطبق قبل ظهور النظم الرأسمالية والاشتراكية وهو نظام قائم بذاته، أما المذاهب الفكرية تنادي بإبعاد الدين عن الحياة وشؤونها.

ومنها: الاقتصاد الذي يعتد البحث عن الربح المادي، بغض النظر عن القيم والأخلاق، فتحقيق الربح بالغش والكذب، وأكل أموال الآخرين بالاحتيال والربا واغتصاب أراضي الغير بالقوة، وبكل الطرق والأساليب القذرة، فهذا كله جائز ومقبول في فكرهم ما دام أنه يحقق ربحا ماديا، فالربح من مرتكزات هذا المذهب ودعامته^(١).

أما الرأسمالية والاشتراكية والعولمة والعلمانية فنظامهم في الاقتصاد نظام جاهلي، اقتضته الظروف المعيشية التي مرت بها أوروبا وعصورها المظلمة، دعا إليها الساسة والمفكرون؛ والكتب للخروج من أغلال رجال الكنيسة والأوضاع الاقتصادية المتردية.

(١) مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، لحسن موسى محمد العقبي، (ص ١٣١).

قال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

[المائدة: ٥٠].

ومن هنا يتضح أن لأنظمة المذاهب الفكرية أو أغلبها في الاقتصاد أنظمة جاهلية وكفر بالله؛ إذ هي تضع قوانين تحارب ما حرم الله وتحرم ما أحل الله^(١).

أمّا الإسلام -فكما سبق بيان منهج القرآن في ذلك- يختلف عن هذين النظامين اختلافاً جذرياً. فهو آخذ بمصلحة الفرد ومصلحة المجتمع في وقت واحد، فهو يحترم الملكية الفردية ويقرّها؛ لأنها توافق الفطرة الإنسانية، ولكنه لا يقرّها مطلقة من كل قيودها، بل جعل لها ضوابط وقيود تحول دون الاعتداء على مصلحة المجتمع، وكذلك يحترم مصلحة المجتمع دون التعدي على مصلحة الفرد^(٢).



(١) ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، لغالب العواجي (١/ ٦٧٣).

(٢) ينظر: موسوعة الكتيبات الإسلامية، تحتوي على محتويات موقع «الكتيبات الإسلامية» بالكامل وزيادة، حتى تاريخ ٣٠-٢-١٤٣١هـ، (٥٨٥/ ٢٢٠).

المطلب الثالث

المزاحمة في الأسواق

المقصود بالمزاحمة الاقتصادية هو: أن الحكومة قد تلجأ للحصول على التمويل إلى أن تراحم القطاع الخاص لدى البنوك من أجل نيل القروض في مقابل إصدار أذون الخزانة التي يصدرها البنك المركزي ذات الفائدة المرتفعة التي تفضلها البنوك هرباً من مخاطر أقراض القطاع الخاص، هذا ما يطلق عليه المزاحمة بمعنى إحلال نشاط اقتصادي عام محل نشاط اقتصادي خاص، كما أن المزاحمة كظاهرة اقتصادية تحدث عند ازدياد تدخل الحكومة في أحد قطاعات اقتصاد السوق، مما يؤثر على العرض أو الطلب داخل السوق^(١).

إن بنية الرأسمالية تجعل الحياة ميدان سباق مسعور إذ يتنافس الجميع في سبيل إحراز الغلبة، وتتحول الحياة عندها إلى غابة يأكل القوي فيها الضعيف، وكثيراً ما يؤدي ذلك إلى إفلاس المصانع والشركات بين عشية وضحاها.

(١) معلومات عن مزاحمة اقتصادية على موقع id.loc.gov مؤرشف من الأصل

في ١٣ ديسمبر ٢٠١٩. تاريخ الزيارة: ٢٠/٨/١٤٤١هـ، الساعة: ١٢:٤٠م.

المسألة الأولى

سلبات المزاخمة في الأسواق

يتلخص في العناصر الآتية:

- ١- توسع السياسة المالية.
- ٢- تحول الحياة إلى غابة يأكل القوي فيها الضعيف.
- ٣- إفلاس المصانع والشركات بين عشية وضحاها.
- ٤- ابتزاز الأيدي العاملة: ذلك أن الرأسمالية تجعل الأيدي العاملة سلعة خاضعة لمفهومي العرض والطلب مما يجعل العامل معرضاً في كل لحظة لأن يستبدل به غيره ممن يأخذ أجراً أقل أو يؤدي عملاً أكثر أو خدمة أفضل.
- ٥- انخفاض استثمار للقطاع الخاص.
- ٦- ارتفاع الطلبات الاقتراضية.
- ٧- استيعاب العمالة وارتفاع البطالة وانخفاض معدل النمو مما يؤثر بالسلب على مستوى معيشة الفرد.
- ٨- اختلاف الدارس حول رد الفعل الاقتراضية.
- ٩- حدوث خلل في الميزان التجاري نظراً لعدم تمويل القطاع الخاص ينتج عنه انخفاض قدرته على التصدير للخارج وينعكس ذلك على زيادة سعر صرف العملة الأجنبية نتيجة انخفاض قيمة العملة المحلية مقارنة بالدولار.

- ١٠- عدم الاهتمام بتمويل المشروعات الصغيرة والمتوسطة من البنوك واستثمارها في السندات الحكومية المؤكدة المكسب^(١).
- ١١- البطالة: وهي ظاهرة مألوفة في المجتمع الرأسمالي، وتكون شديدة البروز إذا كان الإنتاج أكثر من الاستهلاك مما يدفع بصاحب العمل إلى الاستغناء عن الزيادة في هذه الأيدي التي تثقل كاهله.
- ١٢- الحياة المحمومة: وذلك نتيجة للصراع القائم بين طبقتين إحداهما مبتزة يهملها جمع المال من كل السبل وأخرى محروقة تبحث عن المقومات الأساسية لحياتها، دون أن يشملها شيء من التراحم والتعاطف المتبادل.
- ١٣- الاستعمار ذلك أن الرأسمالية بدافع البحث عن المواد الأولية، وبدافع البحث عن أسواق جديدة لتسويق المنتجات تدخل في غمار استعمار الشعوب والأمم استعماراً اقتصادياً أولاً وفكرياً وسياسياً وثقافياً ثانياً، وذلك فضلاً عن استرقاق الشعوب وتسخير الأيدي العاملة فيها لمصلحتها.
- ١٤- الحروب والتدمير: فلقد شهدت البشرية ألواناً عجيبة من القتل والتدمير وذلك نتيجة طبيعية للاستعمار الذي أنزل بأمم الأرض أفطع الأهوال وأشرسها.
- ١٥- مبدأ الديمقراطية في الحكم والسياسية^(٢).
- ١٦- قانون التمرکز والقدرة على الإنتاج وحصره.
- ١٧- قانون السعر المنخفض^(٣).

(١) معلومات عن مزاحمة اقتصادية على موقع id.loc.gov. مؤرشف من الأصل

في ١٣ ديسمبر ٢٠١٩. تاريخ الزيارة: ٢٠/٨/١٤٤١هـ، الساعة: ١٢:٤٠م.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٢/٩١٤).

(٣) المذاهب الفكرية المعاصرة لغالب عواجي (١/٦٥٩).

المسألة الثانية

موقف الإسلام من مخاطر الشيوعية والاشتراكية في الاقتصاد

نادت الاشتراكية بإلغاء الملكية الخاصة إلغاء تاماً من المجتمع، وتمليك الثروة كلها للمجموع، وتسليمها إلى الدولة باعتبارها الحارس المهيمن عليها، وهذا يعني كبت الرحية الفردية على عكس ما كانت عليه الرأسمالية:

ويقول محمد رشيد رضا^(١) بعد أن ذكر غلو الرأسماليين في المال: «وغلا خصومهم من الاشتراكيين في مقاومتهم وجعله بينهم حقاً شائعاً، فانتهى هذا الغلو بالشيوعية الروسية في عصرنا أن استعبدت أكثر من مائة ألف من البشر، تسخرهم في تنفيذ مذهبها كالأنعام والدواب»^(٢).

وقال بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى البنوك والمصارف الربوية أكبر مركز يهز الاقتصاد، ويخرب الديار، ويمتص روح الحياء والحياة، ويؤول بالأمة إلى جمع فقير غارم، وفي طليعة معاملاته التي يهرع إليها كثيرون صريح الربا المجلل بالاسم الكاذب القرض بفائدته^(٣).

(١) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، ولد ونشأ في القلمون من أعمال طرابلس الشام، سنة: ١٢٨٢ هـ. وتوفي: ١٣٥٤ هـ. صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من الكتاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. الأعلام، للزركلي، (٦/ ١٢٦).

(٢) مجلة المنار، مج (٣١)، عدد (٨)، باب التفسير (ص ٥٦٧، ٥٦٨)، والزكاة والتمدين، مجلة المنار، (مج ٢) عدد (٤٦)، (ص ٧٢٣)، والاشتراكية والبلشفية والدين، مجلة المنار، (مج ٢١) عدد (٥) (٢٩/ من ذي القعدة / ١٣٣٧ هـ - ٢٦ أغسطس ١٩١٩ م) (ص ٢٥٣).

(٣) فقه النوازل، لبكر أبوزيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٦ هـ، (٢/ ٨١).

قامت البنوك دورًا كبيرًا في النشاط الاقتصادي في عهد الرأسمالية، وكانت تستطيع أن تدعم مؤسسة وتحارب أخرى، بل راحت في ظل الاستعمار تقدم قرض بآجل وتشجع على مزيد من الاقتراض، وصار الربح المركب ينمو، والقروض تتوالى ثم تهيب هذه البنوك فجأة فتنزع هذه الأملاك من ملاكها، وقد راحت آلاف الأسر الصغير ضجة هذا التصرف المقيت^(١).



(١) الرأسمالية، لخمود الرحيلي، (ص ٤٤).

المطلب الرابع

محاربة التكافل الاجتماعي

المسألة الأولى

نماذج من محاربة التكافل الاجتماعي

عند المذاهب الفكرية المعاصرة

إن القوانين الوضعية والأنظمة للمذاهب الفكرية وسماهم المشتركة فيما بينهم والمتعلقة في الاقتصاد هي محاربة التكافل الاجتماعي خاصة في نظام الشيوعية والاشتراكية والماركسية حيث قرر الشيوعيون أن على الدولة الكفالة لجميع المواطنين وأن هذا أحسن من نظام الرأسمالية من غبن المواطنين حقوقهم، وتغليب طائفة على أخرى لعدم التزامهم الشيوعية، كما هو تعليل الملاحدة أقطاب الاشتراكية الشيوعية، وشعارهم من لا يحترف لا يعتلف.

كما أوجبوا على الدولة ضمان وكفالة كل فرد بتقديم الطعام واللباس والسكن وتوفير كل شيء له خلافاً للنظام الاقتصادي الإسلامي وقوانينه وأحكامه، وغير ذلك من النظم البشرية الوضعية المتعلقة بالاقتصاد.

وصح عليهما المثل القائل: إنك لا تجني من الشوك العنب»، وظهر سوء الاقتصاد وسوء التوزيع للثروات، وسوء التكافل الاجتماعي جليا في العلمانية.

فقد نشأت فكرة الضمان الاجتماعي في نهاية الحرب العالمية الثانية، وروعي في تقريرها أن السلام الاجتماعي لا يمكن أن يتحقق في حياة الشعوب إذا ترك الفرد يواجه محنه وشدائده وحاجته، دون أن يشعر بأن المجتمع من حوله على استعداد لمديد المعونة إليه وقت ضعفه ومحتته^(١).

ولكن التكافل في الإسلام، يمثل فكرة متقدمة، تتجاوز مجرد التعاون بين الناس، أو تقديم أوجه المساعدة وقت الضعف والحاجة. ومبناه ليس الحاجة الاجتماعية التي تفرض نفسها في وقت معين أو مكان بعينه، وإنما يستمد التكافل الاجتماعي في الإسلام مبناه من مبدأ مقرر في الشريعة، وهو مبدأ الولاية المتبادلة بين المؤمنين في المجتمع^(٢).

يقول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: ٧١].

ويأمر بالحب في الله والبغض فيه، والعمل لمصلحة الإنسان لنفسه ولغيره، واحتساب الأجر عند الله في تحمل المسؤولية وفي أدائها، وهذا ما تفتقده الديمقراطية الغربية^(٣).

(١) ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، لغالب العواجي، (٢/ ١٣٢٠).

(٢) ينظر: حقوق الإنسان في الإسلام، لعبد الله بن عبد المحسن التركي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٩ هـ، (ص ٨١-٨٩).

(٣) ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، (٢/ ٧٢٨).

المسألة الثانية

وسائل التكافل الاجتماعي في الإسلام

إن من وسائل التكافل الاجتماعي في الإسلام لا تقتصر على وسيلة الزكاة وحدها، وإنما تشتمل على وسائل أخرى كثيرة من أهمها ما يأتي:

أولاً: النذر: ومن التكافل الاجتماعي في الإسلام ما ينذره المسلم من مال ونحوه تقرباً به إلى الله تعالى. كان يقول: الله عليّ نذر: إن شفى الله مريضاً أن أذبح شاة للفقراء.

قال تعالى: ﴿يُؤْفُونَ بِالْذِّكْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

ثانياً: الكفارات: مثل كفارة الإفطار في نهار رمضان بالجماع، وكفارة الظهار، وكفارة الصيد في الإحرام بالحج أو بالعمرة، وكفارة اليمين، والقتل، وغير ذلك من الكفارات الأخرى التي تجب على المسلم أن يتصدق ويوفي كفارته.

ثالثاً: الإنفاق على الزوجة والأبناء العاجزين عن الكسب: وكذلك الإنفاق للمحتاجين من الأقارب على اختلاف بين الفقهاء. قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾

[النساء: ٣٦].

وكذلك حث الإسلام على المسلم على إسعاف الجائع والمحتاج ومساعدته من قريب أو جار أو غيره وتقديم العون له من مال أو طعام أو كساء وخلافة عن أبي سعيد الخدري، قال: بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له، قال: فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا، فقال رسول الله ﷺ: «من كان معه فضل ظهر، فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد، فليعد به على من لا زاد له»، قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل^(١).

رابعاً: الأضاحي: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْرُ﴾ [الكوثر: ٢].

خامساً: زكاة الفطر: ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة»^(٢).

سادساً: الأوقاف: والأصل في مشروعيتها ما جاء في الصحيحين عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: أصاب عمر بخير أرضاً، فأتى النبي ﷺ فقال: أصبت أرضاً لم أصب مالا قط أنفس منه، فكيف تأمرني به؟ قال: «إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها»، فتصدق عمر أنه لا يباع أصلها ولا يوهب

(١) أخرجه الامام مسلم في صحيحه، برقم الحديث: (١٨) باب استحباب المؤاساة بفضول المال، (١٣٥٤/٣).

(٢) أخرجه الامام البخاري في صحيحه، برقم الحديث: (١٥٠٣) باب فرض صدقة الفطر، (١٣٠/٢). وأخرجه الامام مسلم في صحيحه، برقم الحديث: (٣) ٤- باب زكاة الفطر على المسلمين من التمر والشعير، (٦٧٧/٢).

ولا يورث في الفقراء، والقربى والرقاب وفي سبيل الله والضيف وابن السبيل، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، أو يطعم صديقاً غير متمول فيه^(١).

سابعاً: الوصايا: والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠].

ثامناً: الضيافة: وهي من التقاليد العربية الأصيلة التي أمر الإسلام بها وحافظ عليها

عن أبي شريح العدوي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت أذناي، وأبصرت عيناي، حين تكلم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته» قال: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: «يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(٢).

تاسعاً: العارية: وهي من أعمال البر والخير قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

(١) أخرجه الامام البخاري، في صحيحه، برقم الحديث: (٢٧٧٢) باب الوقف كيف يكتب؟، (١٢/٤).

(٢) أخرجه الامام البخاري في صحيحه، برقم الحديث: (٦٠١٩) باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، (١١/٨). وأخرجه الامام مسلم في صحيحه، برقم الحديث: (١٤) باب الضيافة ونحوها، (٣/١٣٥٢).

عاشراً: الإيثار: قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

الحادي عشر: الصدقات: قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

الثاني عشر: القرض الحسن للمحتاج: قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

الثالث عشر: المنيحة: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبلغ به: «ألا رجل يمنح أهل بيت ناقة، تغدو بعس، وتروح بعس، إن أجرها لعظيم»^(١).

الرابع عشر: الهدايا والهبات: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبل الهدية ويثيب عليها^(٢).

وغير ذلك من الوسائل التي حثت الشريعة في التكافل الاجتماعي والتعاون على البر^(٣).



- (١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، برقم الحديث: (٧٣) باب فضل المنيحة، (٧٠٧/٢).
- (٢) أخرجه الإمام البخاري، في صحيحه، برقم الحديث: (٢٤٤٥) باب المكافأة في الهبة، (٩١٣/٢).
- (٣) ينظر: الشيوعية وموقف الإسلام منها، لحمود بن أحمد الرحيلي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ١، ١٤٢٤ هـ، (ص ٢٥٢-٢٦٣).

المبحث الثالث

السّمات السياسيّة للمذاهب الفكرية المعاصرة

المطلب الأول

مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة) وموقف الإسلام منها.

المسألة الأولى

مفهوم مبدأ الغاية تبرر الوسيلة ومنبع الفكرة

هذه قاعدة عامة مشتركة بين المذاهب الفكرية المعاصرة بغض النظر عن مساوئها وأخطارها الوخيمة؛ ولأجلها أهرقت دماء ونهبت أموال ودّمت دول ومجتمعات وهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله، وهذه القاعدة وضعها ميكافيلي^(١).

وقد ورد في مجلة «أكاسيا» الماسونية الإيطالية سنة ١٩٠٤ ما يلي: «إن الغاية من وجود الماسونية هي النضال ضد الجمعيات المستبدة المنتمية إلى

(١) نسبة إلى ميكافيلي نيقولا (١٤٦٩-١٥٢٧م) إيطالي الجنسية، وهو أول المفكرين السياسيين الأوروبيين، اشتهر بكتابه (الأمير) الذي فيه دعوة صريحة إلى فصل السياسة عن الدين والأخلاق، ووضع مبدأ عملياً لها وهو (الغاية تبرر الوسيلة). ينظر: العلمانية وموقف الإسلام منها، لعمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١٥ - السنة ٣٤ - ١٤٢٢ هـ، (ص ٤١٠).

الماضي، ولأجل هذه الغاية يقاتل الماسونيون في الصفوف الأولى؛ لأنها هي المنظمة الوحيدة التي تناهض الأديان والقوميات والتقاليد»^(١).

ويقول التلمود: «الغاية تبرر الوسيلة، ويجوز استعمال النفاق مع الكفار، والكفار في نظر اليهود هم غير اليهود»^(٢).

استدلوا هذه القاعدة عن القواعد الدينية والأخلاقية، والسياسية والاقتصادية، وغيرها من الأخلاق.

وفي سبيل تحقيق هذه الغاية لا مانع من سلوك أي سبيل يوصل إليها، واستخدام أية وسيلة من شأنها تسهيل ذلك مهما وصفت تلك السبل والوسائل بأنها غير أخلاقية، ومهما تنافت مع الدين ومنهجه في السلوك.

يقول: عبد الله التل^(٣): كشف جذور البلاء في العهد القديم فيقول: أباحت التوراة أن يصل الإنسان إلى غايته بأية وسيلة حتى لو كانت تلك الوسيلة منافية للأخلاق كتقديم إبراهيم التوراتي ساراي امرأته لفرعون ليحصل له الخير بسببها^(٤).

(١) الفرق والأديان والردود، اتجاهات فكرية معاصرة، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية، (ص ١٨)

(٢) المرجع السابق (ص ١٣٤).

(٣) سبق ترجمته.

(٤) جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر «عرض ونقد»، لرمضان مصطفى الدسوقي حسنين، رسالة: دكتوراة-قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين والدعوة-جامعة الأزهر-فرع المنصورة / ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، (ص ٣٠٨).

والغاية تبرر الوسيلة مما يوقع الفساد الأخلاقي والإصلاح باسم الديمقراطية لاسيما إذا كان الدستور والقيم تنحصر في هذه الأغلبية، فمن الممكن أن تنحصر القيم التي تحكم الإجراءات الديمقراطية، وأن يقرر الناخبون القانون والقيمة، بدون أي مرجعية أخلاقية أو معرفية، كما فعل^(١).



(١) شريعة الله لا شريعة البشر، شحاتة محمد صقر، دار الخلفاء الراشدين-الإسكندرية، دار الفتح الإسلامي-الإسكندرية (مصر)، (ص ٦٧).

المسألة الثانية

أضرار قاعدة الغاية تبرر الوسيلة

هذا على إطلاقه تقعيد فاسد؛ لما فيه العموم في الغايات، والوسائل، فالغاية الفاسدة لا يوصل إليها بالوسيلة ولو كانت شرعية، والغاية الشرعية لا يوصل إليها بالوسيلة الفاسدة، فلا يوصل إلى طاعة الله بمعصيته. نعم: الغاية الشرعية تؤيد الوسيلة الشرعية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. مع أن لفظ: (تبرر) هنا غير فصيح في اللسان^(١).

تعتمد العلمانية على مبدأ (الميكيافيلية)^(٢) في فلسفة الحكم والسياسة والأخلاق. وهو مبدأ يقوم على أن (الغاية تبرر الوسيلة) مهما كانت هذه الوسيلة منافية للدين والأخلاق، ومهما كانت حسنة أو سيئة.

وهذا الاتجاه المنحرف إذا أخذ على إطلاقه، فهو طريق كل المنحرفين الظالمين المفسدين في الأرض، والأخذ بهذا الاتجاه -المستهين بفضائل الأخلاق الإنسانية- لتحقيق غايات الأفراد أو الجماعات هو نذير دمار عام وشامل لكل الشعوب التي تأخذ به.

(١) معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ، لبكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله، دار العاصمة للنشر والتوزيع - الرياض، ط ٣، ١٤١٧ هـ. (ص ٣٩٠).

(٢) نسبة إلى ميكافيلي نيقولا (١٤٦٩-١٥٢٧م) إيطالي الجنسية، وهو أول المفكرين السياسيين الأوروبيين، اشتهر بكتابه (الأمير) الذي فيه دعوة صريحة إلى فصل السياسة عن الدين والأخلاق، ووضع مبدأ عملياً لها وهو (الغاية تبرر الوسيلة).

إن الرذائل الخلقية التي تقتضيها المكيافيلية مقبولة عند دعائها إذا كانوا يمارسونها هم ضد غيرهم، ومرفوضة إذا كان غيرهم يمارسها ضدهم، وهذا تناقض منطقي بدهي، لا يلتزم به من يحاكم الأمور بعقله، ولكن يكابر فيه من يحاكم الأمور بأهوائه، وشهواته، ومصالحه الخاصة^(١).

وعليه فإن تطبيق قاعة الغاية تبرر الوسيلة لها مفسد عزيمة ومثالب في جميع نواحي الحياة وإهمال لحقوق الناس وجانب للحق والصواب والعدالة ومكارم الأخلاق والقيم.



(١) العلمانية وموقف الإسلام منها، لحمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١٥ - السنة ٣٤ - ١٤٢٢ هـ، (ص ٤١٠).

المسألة الثالثة

الرد على مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة)

من المعلوم أن الوسائل والغايات منوطة بضوابط وقواعد ومبادئ تخضع للحق والعدل والخير والفضيلة وتجنب كل ما يندس ويلطخ صفوها وينزل مجدها وقمتها.

والمسلم مأمور بالتزام أوامر الله ورسوله على ضوء الكتاب والسنة المصطفى ﷺ كما يجب على المسلم مراعاة الناس جميعاً عربهم وعجمهم أسودهم وأبيضهم دون تفريق في اللغة واللون، والجمال. وهذه القاعدة الغاية تبرر الوسيلة مناقض شرعاً وعقلاً وفطرة وقد كشف عوارها ونفدّها علماء أجلاء كبار منهم:

الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى يقول: «الغاية تبرر الوسيلة: هو أسلوب المستغلين للفرص الحاجة في أنفسهم. وأما سبيل الوصول إلى الولاية في إسلامنا إنما يكون بالشورى والتفاوض، ثم الاختيار، فإذا تم اختيار الوالي الصالح فتولى أمور المسلمين وجبت طاعته ما لم يأمر بمعصية الله ولا يجوز الخروج عليه ما لم يظهر كفرًا بواحد عليه دليل من الكتاب والسنة. هذا هو نظام الإسلام في أمر الولاية بالاختصار.

ثم إن الإسلام ينهى عن الفساد في الأرض وعن تقتيل النساء والأطفال والشيخوخ العاجزين حتى في الحروب التي بين المسلمين والكفار ما لم يحارب هؤلاء كغيرهم»^(١).

(١) الحكم على الشيء فرع عن تصوره، لأبي أحمد محمد أمان بن علي جامي علي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة الرابعة عشرة، العدد الخامس والخمسون والسادس والخمسون،

والقاعدة تخالف منهج السلف الصالح في الدعوة؛ لأن الأساليب والوسائل لها حكم الغايات، فغاية الدّعوة وهدفها شريف ومشروع، فكذا يجب أن تكون أساليبها ووسائلها، ولذلك فمبدأ الغاية تبرر الوسيلة مبدأ مرفوض في منهج الدّعوة الصحيح، واستخدام الوسائل والأساليب مرتبط بالحكمة التي تضع كل أسلوب وكل وسيلة في موضعها الصحيح، ولقد أوضح الله تعالى في كتابه عددا من أساليب الدّعوة ووسائلها^(١).



رجب-ذو الحجة ١٤٠٢ هـ، (ص ٢٨٢).

(١) الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام محمد بن عبد الوهاب وأعلامها من بعده لعبد الله بن محمد بن عبد المحسن المطوع، دار التدمرية، ط ٣، السنة ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م، (ص ٣٨).

المطلب الثاني

مبدأ فصل الدين عن الدولة وموقف الإسلام منه

القارئ للمذاهب الفكرية المعاصرة وقارن بينهم ومبادئهم وقواعدهم وأساسهم المبنية عليها سيتجلى له جلياً أن سماتهم المشتركة في السياسة فصل الدين عن الدولة وإقصاء الدين عن شؤون الحياة وأنظمتها، وقد ظهر إثر سقوط الدولة العثمانية حيث استبدل أتاتورك الدين بالعلمانية وهي أول دولة أخذت العلمانية وتطبيقها في الحياة وفصل الدين عن الحياة كلياً، أو لإقامة الحياة على غير الدين إما قهراً أو علناً، وهذا يمثل مذاهب العلمانية الذي انتشر في العالم كله وجلب أضراراً وأخطاراً كثيرة على العالم الإسلامي منذ عقود طويلة.

وإذا عدنا إلى العلمانية ذاتها، وجدنا أن لها مدارس واتجاهات مختلفة نلمسها في مختلف التجارب والتصورات المطروحة، ويمكن على سبيل المثال لا الحصر إيراد التوجهات الآتية:

١ - العلمانية هي فصل للدين عن الدولة؛

باعتبار أن الدين شأن فردي ينظم العلاقة بين الإنسان وخالقه، وأن الدولة مفهوم اجتماعي بشري ينظم علاقة الناس بالدولة، وعلاقة الناس ببعضهم البعض، وهذا التأويل قد ينسجم إلى حد بعيد مع التصور الكنسي نفسه، إلا أن السياسة والممارسات السياسية قد يكون لها اهتمام بالشأن الديني باعتبار جانبه البشري الاجتماعي.

٢- العلمانية هي فصل للدين عن السياسة:

إن هذا التوجه أو التأويل أقل تساهلاً تجاه الدين من التوجه الأول، فطبقاً لهذا التوجه لا ينبغي أن يكون للدين أي تأثير مهما كان صغيراً في برامج الدولة أو الأحزاب السياسية لا من قريب ولا من بعيد.

٣- العلمانية هي فصل الدين عن الحياة:

هذا التوجه أكثر راديكالية ويبرز أكثر ما يبرز لدى بعض لفرانكفونيين سواء داخل فرنسا أو خارجها، وهو التوجه الذي أجج المعارك من أجل قضايا دينية شخصية مثل الحجاب، بل واعتبرها تهديداً للعلمانية والديمقراطية مع أنها قضايا فردية بحتة، وهذا التوجه يجعل من العلمانية عقيدة دينية وضعية متطرفة.

٤- العلمانية هي القضاء على الدين:

ثالث العلمانية المقدس:

يؤمن العلمانيون بثلاثة مبادئ تمثل أهم أفكارهم وهي:

- ١- فصل الدين عن الحياة ولا مانع من توظيفه أحياناً في نطاق ضيق.
- ٢- قصر الاهتمام الإنساني على الحياة المادية الدنيوية.
- ٣- إقامة دولة ذات مؤسسات سياسية لا دينية.

متى نشأت العلمانية:

نشأت العلمانية بصورة منظمة مع نجاح الثورة الفرنسية التي قامت على أسس علمانية.

متى وصلت العالم الإسلامي:

وصلت العلمانية إلى العالم الإسلامي مع الاستعمار الحديث، فقد نشر المستعمرون الفكر العلماني في البلاد الإسلامية التي احتلها، بإقصاء الشريعة الإسلامية ونشر الثقافة العلمانية ومحاربة العقيدة الإسلامية.



الفصل السادس

السّمات الأخلاقية المشتركة بين المذاهب وموقف الإسلام منها

وتحتة خمسة مباحث:

- المبحث الأول: مصادر الأخلاق في المذاهب الفكرية.
- المبحث الثاني: سمة الأخلاق غير ثابتة؛ بل هي تتغير وتبديل.
- المبحث الثالث: الأخلاق من وضع الإنسان، والرد عليه.
- المبحث الرابع: الأخلاق ليست غاية؛ بل هي وسيلة، والرد عليه.
- المبحث الخامس: فصل الأخلاق عن الدين، والرد عليه.

المبحث الأول

مصادر الأخلاق في المذاهب الفكرية

المطلب الأول

الفلسفة اليونانية

المذاهب الفكرية في أوروبا لها اتجاهات وقواعد كما لها مصادر ومسالك في النظر إلى الأخلاق وما يتعلق بها وقد يرجع ذلك إلى مشارب وأفهام الفلاسفة التي نشرت أفكارهم في الغرب حيث اختلفوا في معالجة القضايا الأخلاقية وتأثر مجتمع أوروبا لفكرتين في الأخلاق فكرة فلاسفة اليونان مثل سقراط وأمثاله، وفكرة الهلنستي أمثال أبيقور.

فليس للدين بل والأخلاق تتغير وتتبدل حسب الظروف والبيئة والزمان والمكان والأشخاص وسائر التغيرات والمتقلبات. وغير ذلك من الأفكار والاتجاهات الفكرية الغربية حول الأخلاق.

ويربط الغربيون علم الأخلاق بالفلسفة اليونانية، ويعزو إلى سقراط تأسيس علم الأخلاق الذي بلغ أعلى درجاته عند كل من أفلاطون وأرسطو فيما بعد.

والقول بأن اليونان هم أول من أسس علم الأخلاق لا يعني أن الأمم والشعوب الأخرى لم تكن تعرف ذلك، فالأخلاق ليست حكراً على أحد،

بل إنها ملازمة للفكر الإنساني عبر العصور، غير أن هذه الامم لم تكن تفكر في وضع قواعد أخلاقية كما هو الشأن بالنسبة لفلاسفة اليونان؛ حيث اقتصر على الأخلاق العملية التي تمارسها حسب ما تعارفت عليه وما يفرضه نظام الحياة ويتفق جميع مؤرخي الفلسفة على أن سقراط كان مؤسس الفلسفة الأخلاقية في العالم الغربي^(١).

وهذا ما ذهب إليه أندريه كريسون عند حديثه عن المصادر التي يمكن أن يرجع إليها لمعرفة فلسفة سقراق الأخلاقية؛ حيث قال: إنه من الصعب جدًا أن نعرف بالضبط والتحديد رأيه الأخلاقي، فهو لم يكتب شيئًا، ولم تخرج تعاليمه عن أن تكون محادثات وتأثيرات شخصية^(٢).



(١) ينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، لبرتراند راسل، ترجمته، زكي نجيب محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (٢٠١٠)، (١/١٥٣).

(٢) المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، لأندرية كريسون، ترجمة: عبد الحليم محمود وأبو بكر ذكرى، (ص ٧١).

المطلب الثاني

نظريات برجسون في الأخلاق

أما فكرة برجسون^(١) في الأخلاق فيرى أن في العالم اتجاهين متعارضين، هما الحياة والمادة. فالحياة تصعد وتخلق وتجاهد خلال المادة، وتسمو عليها بالزيادة في الخصوبة ودقة التركيب، أما المادة فمثقلة هابطة مقيدة. إلى غير ذلك من نظريات وافكار وآراء.

خلاصة آرائه وأفكاره في الدين والأخلاق:

- ١- الأخلاق ليس مصدرًا ربانيًا مطلقًا.
- ٢- فساد الإنسانية خلقًا وقيماً.
- ٣- الأخلاق بعيدة عن الحقائق الملموسة.
- ٤- الوحي خرافة من اختراع الإنسان، وأنّ اليوم الآخر والحياة الآخرة خرافة.
- ٥- الدين والأخلاق خرافة نافعة للحياة.
- ٦- الدين والأخلاق من وضع «الملكة الوهمية» عند الإنسانية، وهي ملكة تصنع الخرافة.

(١) هو: «هنري برجسون»، فيلسوف يهودي فرنسي. عاش ما بين عام (١٨٥٩ و ١٩٤١م). صار أستاذًا في «كوليج دي فرانس» سنة (١٩٠٠م). حاز على جائزة نوبل في الأدب سنة (١٩٢٧م). من مؤلفاته: «الزمن والإرادة الحرة» و«المادة والذاكرة» و«الضحك» و«منبع الأخلاق والدين» و«التطور الخلاق» وبعض هذه الكتب قد ترجم إلى العربية.

- ٧- الدّين ليس خوفاً بقدر ما هو رد فعل ضدّ الخوف.
- ٨- أنّ أصل المعتقدات التي أتينا على دراساتها إنما هي رد فعل دفاعي.
- ٩- أنّ فكرة الإله في أفكار الناس مثل صورة حارس المصعد الذي دفع المرأة ليحميها.
- ١٠- تفسير الظاهرة الدينية تفسيراً بعيداً عن الحقيقة.
- ١١- التعميم الفاسد، إذ عمم حكمه على كل دين، اعتماداً على ما فسر به أديانا بدائية فاسدة باطلة، مع احتمال أن تكون الأديان الباطلة بدائية ذات أصول صحيحة، لكن دخلها التّحريف والتّبديل بعد ذلك.
- ١٢- تجاهل وكتمان الأسباب الحقيقية لقضايا الدّين الحق، مع أن مثل برجسون لا يجهلها.
- يقول الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون، في تحليله العميق لقضية الإلزام الأخلاقي أن يكشف له عن مصدرين: أحدهما: قوة الضغط الاجتماعي، والآخر: قوة الجذب ذي الرحابة الإنسانية المستمدة من العون الإلهي، وهي قوة أوسع مدى من سابقتها.
- وقد فسر ذلك قائلاً: إنّنا نوّدي الدور الذي عينه لنا المجتمع، ونتبع الطريق التي رسمها لنا، ثم نسلم قيادنا لهذه الطريق، نترسمها كل يوم، بنوع من العادة لا يكاد يخالطه تفكير، أشبه شيء بغريزة النحلة أو النملة. وذلكم هو ما يسمى عادة: بالوفاء بالواجب^(١).

(١) دستور الأخلاق في القرآن، لمحمد بن عبد الله دراز، مؤسسة الرسالة، الطبعة: العاشرة ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م، (ص ٢٣).

المطلب الثالث

الأخلاق في الفلسفة الحديثة

والفلسفة الهلنستية والرواقيين

تميّزت الأخلاق في الفلسفة الحديثة بالطابع العلم المحض، فليس للدين سلطة على الأخلاق، وليس على العالم الأخلاقي سوى إخضاع القيم الأخلاقية الى أسس علمية منهجية يكون العقل هو الحاكم عليها.

ويكون الحديث في جانب المذهب النفعية والوضعية لدى فلسفة أبيقور^(١) نموذجًا.

وخلاصة هذا المذهب أن المنفعة أو اللذة هي الخير المرغوب فيه، والألم هو الشر الذي يجب تفاديه، ومن ثم فإن المنفعة عندهم هي مقياس الخيرية.

أما الفلسفة الهلنستية: يراد بالعصر الهلنسيلى الصعيد الفلسفي تلك الحقبة التي تلت موت أرسطو وكان من أبرز سمات هذا العصر تأثر الفلسفة بأديان الشرق ومعتقداته.

وانحصرت مشكلات الفلسفة نتيجة لكل ذلك في البحث عن سعادة الفرد فلم تعد الأخلاق تفهم على النحو الذي فهمت به عند فلاسفة عصر أفلاطون وأرسطو، وهذا ما نلاحظه من خلال دراسة المدارس الكبرى

(١) سبقت ترجمته.

لفلسفة العصر الهلنستي التي تميزت بالنزعة الذاتية في دراسة الأخلاق^(١).
ومن أبرز مدارسهم مدرسة أبيقور ٣٤١-٢٧٠ ق.م.

وخلاصة فكرته في الأخلاق: أن الأخلاق معناها اللذة وهي أساس الحياة السعيدة وأن نزوع الإنسان إلى اللذة نابع من طبيعته^(٢).

أما عند الرواقين^(٣) فقد نالت الأخلاق الكبرى في المذهب الرواقي ولم تظفر بمثلها أي بحث من البحوث، بل لقد تحولت الرواقية في العصر الروماني إلى مذهب في الأخلاق^(٤).

حيث جعلت من مباحث المنطق والميتافيزيقا وسائر العلوم معارف لا تدرس لذاتها وإنما تدرس من ناحية منفعتها العملية، وتقتصر أهميتها في تعاليم المدرسة باعتبارها مقدمة الأخلاق وما يدور البحث فيها^(٥).

والغاية من الحياة عند الرواقين هي الفضيلة، التي لن تتحقق إلا باستئصال اللذات وترويد النفس على العيش بلا شهوة، فإذا وصل المرء إلى هذه المرتبة حقق الحكمة التي هي أصل الفضائل كلها. ولفهم معالم

(١) ينظر: الفلسفة الغربية، لبرتراند راسل، ترجمة، زكي نجيب محمود وأحمد أمين، (١٤٣/٢١)، وتاريخ الفلسفة اليونانية، ولتر ستيس، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، (ص ٢٧٥).

(٢) ينظر: الأخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية، لكريمة دوز، (ص ٢٣٣).

(٣) مذهب فكري ملحد يرى أن المادة تتجزأ إلى غير نهاية، وأن النار أصل الوجود، وأنها توحد أجزاء الجسم، وتربط أجزاء العالم بعضها ببعض، وأن العالم لا ينفصل عن الله. ينظر: المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية)، لجميل صليبا الناشر: الشركة العالمية للكتاب - بيروت، تاريخ الطبع: ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، (١/٦٢٣).

(٤) الفلسفة اليونانية تاريخاً ومشكلاتها، أميرة حلمي مطر، (ص ٣٨٢).

(٥) تاريخ الفكر الفلسفي، لمحمد أبو ريان، (ص ٢٧٨).

الأخلاق عندهم وكيف وصلوا الى تصورهم في الفضيلة، لابد من الاشارة إلى ما قرروه في الطبيعة باعتبارها خادمة لمعالم الأخلاق^(١).

والشيء الهام عندهم هو الفضيلة. فلا قيمة للعلوم عندهم إلا بقدر ما توضع من أخلاق. وتعدّ الأخلاق في المرتبة الأولى عند الرواقية وجعلوا الأخلاق هي الغاية والثمرة، وأن من شروط الأخلاق العلم والمعرفة، فالفضيلة علم والرذيلة جهل. وغير ذلك من أفكارهم في الأخلاق حتى صار مصدرا للمذاهب الفكرية المعاصرة^(٢).



(١) الأخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية، لكريمة دوز، (ص ٢٤٩).

(٢) الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، لمصطفى حلمي، (ص ٥١، ٥٢).

المبحث الثاني

سمة الأخلاق غير ثابتة بل هي تتغير وتتبدل

المطلب الأول

تعريف الأخلاق لغةً واصطلاحاً

التمهيد:

من السّمات الأخلاقية بين المذاهب الفكري المعاصرة الاعتقاد بأنّ الأخلاق غير ثابتة بل تتغير وتتبدل حسب الظروف والبيئة والزّمان والمكان فتختلف من شعب إلى شعب ومن مجتمع إلى مجتمع ومن بلد إلى بلد ومن أمة إلى أمة وقد تدرس بعض الأخلاق وتكون باقية في بعضها لبعض المجتمع أو الدول فهي غير ثابتة وهذا ما روجته المذاهب الغربية والملاحدة وجنودهم إدعاء أن الأخلاق أمور اعتبارية ليس لها أي مصدر وأي قيمة ذاتية. وليس لها لمقاييسها ثابتة. ويعتقدون أن الأخلاق نسبية قد يكون الخلق فضيلة وحسن وقيم من شخص أو قوم أو جماعة وقد يكون رذيلة وقبيحة من شخص آخر وهو نفس الصفة أو الفعل.

ومغالطاتهم في هذا الموضوع راجع إلى عدة أمور، أهمها:

١ - فهم مصطلح الأخلاق وأسسها فها خاطئاً.

٢- اضطراب الفكر الفلسفي في معنى وفهم قواعد وأسس الأخلاق، كالقوّة والمنفعة، واللذة وغيرها.

٣- التعميم الفاسد قياساً لبعض المفاهيم الخاطئة.

ومنشأ المشكلة يرجع إلى الخطأ في تحديد مفهوم الأخلاق، وتحديد دوافعها وغاياتها، وتحديد مستوياتها، من قبل كثير من الناس، وفيهم كثير من الباحثين في علم الأخلاق، من فلاسفة ومفكرين.

وهذا الذي يفتح الثغرة الفكرية التي يعبر منها أصحاب تلك النظرة، ليهدموا الأبنية الأخلاقية الحصينة التي تتمتع بها الشعوب العريقة بأمجادها، لا سيما المسلمون الذين سبق أن رفعتهم الأخلاق العظيمة إلى قمة مجد لم يطاولهم فيها أحد.

ويتضمن هذا المطلب في ثلاث مسائل:



المسألة الأولى

تعريف الأخلاق لغةً واصطلاحاً

الأخلاق لغةً: الخلق، بضم اللام وسكونها: وهو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة، ولهذا تكررت الأحاديث في مدح حسن الخلق في غير موضع^(١).

واصطلاحاً: الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية^(٢).

فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً وإنما قلنا إنها هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على الندور حاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم^(٣).

(١) لسان العرب، لابن منظور، (١٠/٨٦).

(٢) إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة - بيروت، (٣/٥٣).

(٣) المرجع السابق (٣/٥٣).

وهذا التعريف للخلق يتفق مع قول النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»^(١).

وعلم الأخلاق علم بأصول يعرف به حال النفس، من حيث ماهيتها وطبيعتها، وعلة وجودها، وفائدها، وماهي وظيفتها التي تؤديها، وما الفائدة من وجودها، وعن سجايها وأميلها، وما ينقلها بسبب التعاليم عن الحالة الفطرية^(٢).

ومحصل القول في الأخلاق: بأنها تصدر عنها أفعال توصف بأنها حسن أو قبيحة.

من أقوال وأفعال وأحوال أو صفات تظهر من الشخص، وقد توافق الشرع والعقل إذا كانت الأخلاق أو السجاي أو الطبع حسنا وقد يخالف الشرع والعقل السليم إذا كانت الأخلاق قبيحة أو سيئة، والمثل الوحيد للأخلاق هو شخصية الإنسان وسلوكه التطبيقي أو العملي. تظهر حال تعامله مع نفسه، أو مع غيره. وقد تكون الأخلاق جبلية، أو عادة أو مكتسبة.

فالشخص الطيب لا يصدر منه إلا طيباً، والشخص الخبيث لا يصدر منه إلا خبثاً.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟، برقم الحديث: (١) (ص ٦).

(٢) تهذيب الأخلاق، لأبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، تحقيق: عماد الهلايلي، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط ١، (ص ١١).

دوافع الأخلاق



- ١ - حبّ الحقّ وإيثاره.
 - ٢ - الرّحمة وفروعها وإيثارها.
 - ٣ - قوة الإرادة.
 - ٤ - الدّافع الجماعيّ.
 - ٥ - المحبة للآخرين.
 - ٦ - الصّبر وفروعه وظواهره.
 - ٧ - البذل والانفاق.
 - ٨ - سباحة النفس.
 - ٩ - علوّ الهمة.
- وضدّها ينطبق على الأخلاق الذميمة^(١).



(١) ينظر: الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات للاكتسابها، لعبيد الله بن ضيف الله الرحيلي، (ص ٨١ و٨٠)

المطلب الثاني

الأخلاق عند المذاهب الفكرية المعاصرة

تعريف الاخلاق عند المذاهب الفكرية المعاصرة:

وردت عدّة مفاهيم للمذاهب الفكرية المعاصرة في الأخلاق أهمها ما يلي:

تعريف ليفي بريل^(١) وأستاذه إميل دوركايم^(٢).

أن الأخلاق هي: دراسة موضوعية تجريبية لقوانين العادات الخلقية عند الإنسان^(٣).

فعالم الأخلاق عند ليفي يدرس الانسان في عصره وبلده أم يعبر الاهتمام بما يجب ان يكون عليه السلوك الإنساني فمهمة عالم الأخلاق هي الوصف فقط^(٤).

(١) ليفي بريل (١٩٣٩-١٨٥٧م) فيلسوف فرنسي، اهتم بالمسائل المتعلقة بالأخلاق والتاريخ والفلسفة فشغلته فكرة فصل الأخلاق عن الميتافيزيقا، بردها إلى تجربة خلقية بإعطاء قواعد موضوعية للسلوك، وقد تجاوز معاصريه في هذا المضمار. ينظر: معجم الفلاسفة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت-لبنان- ط٣، (٢٠٠٦م)، (ص٦٠٩).

(٢) إميل دوركايم (١٩١٧م-١٨٥٨م). فيلسوف فرنسي، ومؤسس المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع، اعتنى بتدريس علم الاجتماع. ينظر: قواعد المنهج في علم الاجتماع، اميل دوركايم، ترجمة: محمود قاسم، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية-مصر: (١٩٨٨م)، بدون طبعة، (ص٣).

(٣) الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، لمصطفى حلمي، دار الكتب العلمية، بيروت: ط١، (١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م) (ص١٧).

(٤) ينظر: الأخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية، لكريمة دوز، مركز براهين للأبحاث والدراسات، ط٢، (ص٣٣).

وهناك من عرف علم الأخلاق بعلم الإنسان أمثال باسكال^(١).
والمقصود بهذا أن الأعمال التي مناط البحث والحكم الأخلاقي هي سلوك الإنسان^(٢).

والأخلاق نسبية في الزّمان المكان، ومن ثم فإنّ الفضيلة ذات مفهوم متغير يختلف باختلاف الطرح وصاحب الطرح، سواء أكان فرداً أو جماعة^(٣).

أسس القيم في الغرب:

يتلخص فيما يأتي:

أولاً: المنفعة.

ثانياً: المادة.

ثالثاً: منهج التفكير المادي.

رابعاً: نشأة المادية.

خامساً: النتائج المترتبة على الفكري المادي^(٤).

(١) بليز باسكال (١٦٦٢م-١٦٢٣م): عالم وكاتب ومفكر فرنسي، اشتهر باشتغاله في مجال الفيزياء والرياضيات، من أشهر مؤلفاته خواطر باسكال؛ وهو عبارة عن شذرات وملحوظات موجزة سجلها باسكال في مطبوع ومترجم باللغة العربية، ينظر: معجم الفلاسفة، لجورج طرايشي، (ص ١٧٨).

(٢) ينظر: مباحث في فلسفة الاخلاق، لمحمد يوسف موسى، مطبعة الازهر، القاهرة، مصر، ط: ١٣٦٢هـ، ١٩٤٣م (ص ٤).

(٣) السياسية بين الحلال والرحام، لتركی الحمد، (ص ١٠٨).

(٤) ينظر: القيم بين الإسلام والغرب، لمانع بن محمد المانع، المملكة العربية السعودية، الرياض، درا الفضيلية، ط ١، ١٤٢٦هـ (ص ١٣٣-١٤٦).

خصائص القيم بين الإسلام والفكر الغربي:

خصائص القيم في الإسلام:

- ١- الرّبانية.
- ٢- العموم.
- ٣- الملائمة للفطرة.
- ٤- الإيجابية.
- ٥- جامعة للثبات والمرونة.
- ٦- التوازن.
- ٧- الواقعية^(١).

خصائص القيم في الغرب:

- ١- تحقيق المنفعة.
- ٢- البحث عن اللذة.
- ٣- إشباع رغائب الشهوات^(٢).

الأخلاق عند المذاهب الفكرية المعاصرة:

يقول ماركس^(٣): «إنّ الدستور والأخلاق والدين كلها خدعة برجوازية»^(٤) وهي تستر وراءها من أجل مطامعها.

ويقول لينين^(٥): «إننا ننكر جميع هذه الأسس الأخلاقية التي صدرت عن طاقات وراء هذه الطبيعة غير الإنسان والتي لا تتفق مع أفكارنا الطبيعية»^(٦).

(١) ينظر: القيم بين الإسلام والغرب، (ص ١٥٢-١٦٤).

(٢) ينظر: القيم بين الإسلام والغرب، (ص ١٥١-١٦٥).

(٣) سبق ترحمته.

(٤) طبقة البرجوازية: هم أصحاب رؤوس الأموال من رجال الصناعة والتجارة، فهم مالكو وسائل الانتاج في المجتمعات الغربية في العصور الوسطى، ينظر: الموسوعة العربية العالمية، (٣٢٠ / ١٤).

(٥) سبق ترحمته.

(٦) القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة، لمانع بن محمد المانع، درا الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١ / ١٤٢٦ هـ، (ص ١٣١).

تقول الباحثة: الاجتماعية سامية محمد جابر^(١): فشل الأشخاص في التفاعل مع ثقافة المجتمع الشاملة، يؤدي إلى تحولهم عن تلك الثقافة، وتفاعلهم مع أنماط ثقافية فرعية، أو مضادة، وتوحدهم مع مضامينها، وغالبًا ما تكون هذه الثقافات المضادة ثقافات إجرامية أو جائحة^(٢).

ليست والعلمانية والتحررية ليست مجرد رفض للمسلمات الدينية فحسب، ولكنها مع ذلك مذهب يستند إلى قيم خاصة به، ويقوم على تمجيد الفضائل التي مجدها التراث اليوناني القديم، وعلى رأسها الإنسانية والعدالة والجمال.

التي تتخطى حدود العصبية بكل ألوانها في عالم يقوم على الأخوة البشرية، وقد برزت العلمانية والتحررية في العصر الذي يسميه المؤرخون عصر النهضة أو الأحياء في أوروبا، الذي بعث فيه القيم اليونانية واللاتينية القديمة على أنقاض القيم المسيحية، وأحسن اليهود الذين كانوا يعانون الاضطهاد وقتذاك بالحرية في ظل هذه القيم الجديدة، ونقل المسلمون هذه المذاهب وقلدوها مع ما نقلوه عن الغرب في العصر الحديث^(٣).

(١) هي باحثة في علم الاجتماع ومعيدة في جامعة الإسكندرية في مصر ولد في عام ١٩٤٥ م، وعندها مؤهلات علمية في علم الاجتماع خاصة، وباحثة بمركز بحوث الجامعة الأمريكية بالقاهرة ينظر: موقع جامعة الاسكندرية كلية الآداب، تاريخ الزيارة: ٧/٥/١٤٤٢هـ، الساعة: ١٢:١٠ م.

(٢) الفكر الاجتماعي، سامية محمد جابر، (ص ١٦٩).

(٣) ينظر: الإسلام والحضارة الغربية، للدكتور: محمد محمد حسين، درا الفرقان، بدون سنة الطبع. (ص ١٨١). وكتاب: موقف اللبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين، لصالح بن محمد بن عبد العزيز الدميحي، (ص ٨٦٤).

ويقول الفيلسوف الأخلاقي اليزداير ما كنتاير: إن النّفعية التي كرسها الليبرالية والحداثة لا تحقق مشتركاً أخلاقياً أو تدفع الفرد لأداء واجبه تجاه الجماعة، بل عندها تهاوت أبينة الأسرة وصار الفرد فرداً، بحث عن حقوقه فقط وأفلت من التزاماته ووجباته -كلما تسنى له ذلك جرياً وراء منفعته ولذته^(١).

ويقول أركون^(٢): داعياً إلى تحطيم القيم والأخلاقيات كافة، وهو يتحدث عن الحياة الجنسية: نلاحظ أن كل الكتابات الحديثة التي تتحدث عن المرأة في الإسلام.

تستعبد وتكرر نفس الأفكار المعيارية والقمعية المعروفة من قبل الجميع، فإننا نحس بالرعب أمام التشوه والضرر الذي تلحقه المجتمعات الإسلامية بنفسها بحجة أنها تريد أن تحتفظ على هويتها.

في الواقع أنه إذا كان الحفاظ على الاكراهات والموانع التقليدية يؤخر من تقدم المعرفة العلمية للجنس، فإن ذلك لا يمنع من انتهاك القيم السائدة والخروج عليها وخصوصاً في المدن الكبرى والبيئات العمرانية الكثيفة السكان^(٣).

وغير ذلك من أقوال أعلام المذاهب الفكرية المعاصرة في مفهوم الأخلاق لديهم واتفاقهم

(١) بحثاً عن الفضيلة عن: المرأة والدين والأخلاق، اليزداير ما كنتاير، د. هبة رؤوف عزت - بالاشتراك، (ص ١٤٧).

(٢) سبق ترجمته.

(٣) تاريخية الفكر العربي الإسلامي، لمحمد أركون، عالم الثقافي العربي، الدار البيضاء مركز الانماء القومي، بيروت، ط ٣، ١٩٩٨ م، (ص ٢١٨).

أنها تتغير وتتبدل من عصر إلى عصر ومن شخص إلى شخص ولا يوجد أخلاق ثابتة وراسخة في أوساط المجتمع، ومعلوم أن هذا مخالف للفطرة والعقل السليم والشرعية الغراء لأن من المعلوم بالضرورة أن أمهات الأخلاق لا تتغير ولا تتبدل في كل زمان ومكان مثل الصدق، والامانة والاخلاص، ونفور نفوس البشرية من أضدادها كالكذب والخيانة والنفاق والجحود ونحوه.



المطلب الثالث

الرّد على السّمات الأخلاقية الغربيّة

علم الأخلاق عنصر مترابط بين الخلائق وأصر من أوصر التماسك والتواصل بين المجتمع وركن ركين من أركان وأمهات الأخلاق من العدل والصدق والكرم والتسامح والعفو والامانة والنزاهة والشفافية والثقة بين الناس وغير ذلك من مكارم الأخلاق ومعاليها، فهدم الأخلاق هدم للدين والقيم والمبادئ الإنسانية وحقوق المجتمع وقواعد التعامل الإنسانية.

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا^(١)

ولما كانت الأخلاق في الرتبة العليا لدى المجتمع كان من مهام أصحاب المذاهب الفكرية المعاصرة الرامية إلى هدم وتدمير المجتمعات المتماسكة بغية السيطرة عليها ونشر رسالتهم الإلحادية واللا دينية والإباحية والفساد العريض في مختلف نواحي الحياة الفكرية والنفسية والتطبيقية. بطرق ووسائل أهمها أمران:

الأمر الأول: توجيه الافتراءات والأكاذيب والشتائم ضدّ مفاهيم الأخلاق السائدة في المجتمعات، وضدّ تطبيقاتها في السلوك، وهذا كثيرًا ما يوجد عند الشيوعيين وغيرهم.

(١) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، للقاضي / حسين بن محمد المهدي - عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية، الناشر: سُجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة، بدار الكتاب برقم إيداع (٤٤٩) لسنة ٢٠٠٩م، راجعه: الأستاذ العلامة عبد الحميد محمد المهدي، مكتبة المحامي: أحمد بن محمد المهدي، (ص ٦٨٨).

فمن أقوال الشيوعيين في هذا المجال: قول: كارس ماركس ورفيقه إنجلز: «إن القوانين والقواعد الأخلاقية والأديان أوهام بورجوازية تستر خلفها مصالح بورجوازية

وجاء في أقوال إنجلز: (إننا نرفض شتى المحاولات التي تحاول أن تفرض علينا أخلاقا تستند إلى المثاليات، ذلك لأننا نؤمن أن الأخلاق هي نتائج الأوضاع الاجتماعية) ولما كانت الأوضاع الاجتماعية متغيرة، فإن مفاهيم الأخلاق التي نؤمن بها هي كل عمل يؤدي إلى تحقيق انتصار مبدئنا، مهما كان هذا منافيا للأخلاق.

من ذهاب يتبين لنا أن الشيوعيين في أقوالهم الموجهة لمحاربة الأخلاق والقوانين المنبثقة عنها يعتمدون على نقطتين:

النقطة الأولى: توجيه الشتائم بأن الأخلاق والقوانين أوهام لفقها أصحاب مصالح.

النقطة الثانية: إدعاء أن الأخلاق أمور اعتبارية تتبدل بتبدل الأوضاع الاجتماعية المتغيرة.



المبحث الثالث

الأخلاق من وضع الإنسان والرد عليه

بعد أن كان الإنسان يبني أخلاقه على أسس ومبادئ ثابتة وباقية في كل زمان ومان، في اتصاف مكارم الأخلاق ومعاليتها حاول بعض دعاة الإلحاد إلغاء تلك القيم والمبادئ الأخلاقية الثابتة والفطرية وشنوا عليها حرباً ضروساً، فلم تعد هناك مبادئ مطلقة تحكم تصرفات الإنسان وتضبط سلوكه، وإنما تحولت المنظومة الأخلاقية إلى أمور نسبية إضافية تختلف من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان.

والحديث في هذا السياق متعلق بمستوى البناء والتأسيس المعرفي والمنهجي، وليس بمستوى السلوك الفردي اليومي، فقد يوجد ملحد ذو أخلاق نبيلة، وفي المقابل قد يكون مؤمن ذو أخلاق قبيحة، فحصول ذلك لا ينكره أحد وليس هو محل البحث هنا، وذلك أن هناك فرقاً بين الالتزام الأخلاقي وبين مستند ذلك الالتزام ومنطلقة، وبعبارة أخرى: هناك فرق بين سؤال: ما الأخلاق وسؤال: لماذا يجب أن نلتزم بالأخلاق؟ فالبحث في السؤال الثاني وليس الأول.

ومضمون السؤال الثاني متعلق بجانب التأسيس والبناء المنهجي للأخلاق فإنه يستحيل أن يبنى على أصول الانسانية المستغنية التي تنكر

وجود الإله، وقد عبر على عزت بيجوفيتش عن هذا المعنى بعبارة ظريفة قال فيها: يوجد ملحدون على أخلاق، ولكن لا يوجد إلحاد الأخلاقي^(١).

ويؤكد هذا المعنى في سياق آخر فيقول: «الأخلاق كمبدأ لا توجد بلا دين، بينما الأخلاق العملية يمكن لها أن توجد في غياب الدين»^(٢).

ويقول علي عزت بيجوفيتش^(٣): «لا يمكن بناء نظام أخلاقي على الإلحاد»^(٤).

وذلك أن الإلحاد يقوم على إنكار وجود الخالق ويرجع جميع القوانين والمبادئ إلى وضع الإنسان أو الطبيعة، وهي أمور مقيدة متغيرة، وقد أقر بعض الملاحدة بأن إنكار الإله يعني إنكار الأخلاق، فيقول بول سارتر -أحد مؤسسي الوجودية الملحدة: «إن الوجودي يعتقد أنه من المؤلم جدًا ألا يوجد إله؛ لأن كل احتمال للعثور على قيم في سماء من الأفكار يختفي باختفاء الله»^(٥).

(١) ينظر: الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيجوفيتش، ترجمة: محمد يوسف، دار الشروق، ط٢، ٢٠١٣م. (ص ٢٠٥).

(٢) المرجع السابق (ص ٢١٠).

(٣) هو: علي عزت بيجوفيتش ناشط سياسي بوسني فيلسوف إسلامي أول رئيس جمهوري لجمهورية البوسنة والهرسك بعد انتهاء حرب البوسنة والهرسك. هو ناشط سياسي بوسني وفيلسوف إسلامي، ولد في مدينة بوسانا كروبا البوسنية عام: ١٣٤٤هـ لأسرة بوسنية عريقة في الإسلام، وواسم عائلته يمتد إلى أيام الوجود التركي بالبوسنة، وله مؤلفات منها: الإسلام بين الشرق والغرب، وتوفي عام: ١٤٢٤هـ. ينظر: الموسوعة الحرة: تاريخ الزيارة: ٧/ ٥ / ١٤٤٢هـ الساعة: ٤٩: ٧ص.

(٤) المرجع السابق (ص ٢١٠).

(٥) ينظر: الوجودية الالحادية، ضمن آراء فلسفية في أزمة العصر، آدرين كوخ (ص ٢٧٢).

ويزيد موقفه تفصيلاً فيذكر أن الوجودية الملحدة تذهب إلى أن عدم وجود الله معناه عدم وجود القيم المعقولة كذلك، وعدم وجود الخير بصورة مسبقة؛ لأن عدم وجود الله معناه عدم وجود وجدان كامل لا متناء يعقل ذلك الخير، وهكذا يصبح القول بوجود الخير أو بوجود الصدق والنزاهة قولاً لا معنى له^(١).

ويعبر دوستوفسكي^(٢) عن هذا المعنى بعبارة صريحة فيقول: «إذا لم يكن الله موجوداً فكل شيء مباح»^(٣).

ويقول ريتشارد فيكار^(٤): «لقد نحج الإلحاد في قلب موازين الأخلاق رأساً على عقب، ووفر الأساس العلمي لكل المجرمين والقتلة لقناعة أنفسهم ومن تعاون معهم بأن أبشع الجرائم العالمية كانت بالحقيقة فضيلة أخلاقية مشكورة»^(٥).

(١) ينظر: الوجودية مذهب انساني، (ص ٢٤).

(٢) هو: فيودور ميخايلوفيتش دوستوفسكي بالروسية فيسلاف روسي وهو واحد من أشهر الكتاب والمؤلفين حول العالم رواياته تحوي فهماً عميقاً للنفس البشرية كما تقدم تحليلاً ثاقباً للحالة السياسية والاجتماعية والروحية لروسيا في القرن التاسع عشر، وتعامل مع مجموعة متنوعة من المواضيع الفلسفية والدينية، ولد في عام: ١٨٢١ م، وتوفي في عام: ١٨٨١ م، ينظر: الموسوعة الحرة: ٧/ ٥/ ١٤٤٢ هـ، الساعة: ٨:٠٠ ص.

(٣) المرجع السابق (ص ٢٥).

(٤) هو: ريتشارد الأول ملك إنجلترا منذ ٦ يوليو ١١٨٩ وحتى وفاته. ٨ سبتمبر ١١٥٧-٦ أبريل ١١٩٩) كما حكم كدوق لنورماندي باسم ريتشارد الرابع ودوق أقطانية وغاسكونية وسيد قبرص وكونت أنجو ومين ونانت وسيد عموم بريتاني على فترات أثناء عهده وقد عرف بلقب ريتشارد قلب الأسد، حتى قبل تنويجه بفضل سمعته كقائد عسكري ومحارب عظيم وسمّاه المؤرخون المسلمون ملك الانكتار. ينظر: الموسوعة الحرة: تاريخ الزيارة: ٧/ ٨/ ١٤٤٢ هـ، الساعة: ٨:١٣ ص.

(٥) ينظر: ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، لسلطان بن عبدالعزيز العميري، (ص ٢٧٤).

نقد الأخلاق من وضع الإنسان:

يتميز دين الإسلام في الكمال والشمولية فلا ينقص شيء من جوانب الحياة العقدية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية، وكذلك تشمل شريعة الإسلام مختلف طبائع شرائح البشر الخاصة والعامة والصغير والكبير والذكر والأنثى في تنظيم دقيق لها يتسم بالثبات والمرونة في آن واحد كما اعتنى الإسلام بالعقيدة كذلك اعتنى بالأخلاق والقيم للإنسان بل جعله مرتكزاً وأساساً شاملاً في المعاملات والتصرفات والسلوك الفردي والجماعي.

وتعبر الأخلاق عن القواعد التي ينبغي أن يسير عليها الإنسان لبلوغ كامل إنسانيته في ضوء مثل أعلى يصبو إليه، ومعنى هذا أن علم الأخلاق علم معياري لا يبحث في حياة الإنسان الواقعية ويصف ما هو كائن بالفعل، بل هو علم يضع ما ينبغي أن يكون، ولذا فيجب أن يكون عاماً ومطلقاً يتخطى الزمان والمكان، ولا يختلف باختلاف الظروف والأحوال. وأن يكون ضرورياً أولاً لا يستقي من الواقع والتجربة، وإن كانا يدلان على صحته وثمرته^(١).

وعلم الأخلاق يتضمن جانبين:

أولاً: العلم بالفضائل والقواعد التي ترسم لنا طريق السلوك الحميد، وتحدد لنا بواعثه وغاياته، وهو أمر نظري يتحقق بالعلم والمعرفة.

ثانياً: التخلي بما يعرفه الإنسان من الفضائل والقواعد الأخلاقية،

(١) ينظر: تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، للدكتور: محمد مهران رشوان، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط بدون، ١٩٩٨م، (ص ٢١).

وتطبيقها كسلوك في علاقاته المختلفة لا يحيد عنه، وهو أمر عملي، يعتبر الثمرة المقصودة من المعرفة والغاية التي يقصدها الإنسان بتعلمه للفضائل^(١).

وتمثل الأخلاق في المنظومة الإسلامية حلقة مهمة ورئيسة، إذ أولت المسألة الأخلاقية عناية خاصة، وأوجدت قاعدة عامة للقيم والأخلاق بل امتدت عنايتها لشرع تفاصيل كثيرة من القيم والأخلاق- طلباً أو دفعاً- ولم تترك أمر ذلك لأهواء البشر واستحساناتهم المتغيرة والمتجددة.

فجاءت النصوص المتكاثرة في فضل محاسن الأخلاق والرفع من شأن المتحليين بها، أو في النهي عن سيء الأخلاق ونزول درجة المتصفيين بها.

فكمال الإيمان مشروط بحسن الخلق، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»^(٢).

والقرب من منزلة الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ومنزلته في الجنة مرهون

بحسن الخلق، فكما زاد المسلم في حسنت أخلاقه كان أولى بالقرب من النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكلما ساء خلقه كان أبعد منه مجلساً قال

بل جعل رسولنا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إتمام مكارم الأخلاق وصالحها مهمته

الأساس ووظيفته الأولى، فقال: عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»^(٣).

(١) ينظر: الأخلاق ومعيّارها بين الوضعية والدين، لحمدى عبد العال، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ط ٣، ١٤٠٥هـ، (ص ٢٣).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، برقم الحديث، (٤٦٨٢). بتحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، والحديث: حسن صحيح (٤/ ٢٢٠).

(٣) أخرجه، الإمام أحمد في مسنده، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ، (١٤/ ٥١٣).

وغير ذلك من النصوص الشرعية في الكتاب والسنة المتعلق بالأخلاق ومكارمها والحث عليها والتحذير من مساوئها والبعد عن سفاسف الأخلاق. علما أن بعض الأدلة مرت علينا في المباحث السابقة.

ووصف الله رسوله ﷺ بصفة سامقة عالية، فقال تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

يربط مفهوم الأخلاق في الإسلام بمفهوم الايمان وينبثق عنه، فأصول الأخلاق والقيم في الإسلام تستمد مصدريتها الأساس من الذين ارتضاه الله لنا، وبينه في كتابه المنزل وعلى لسانه نبيه المرسل، فلم تترك لاجتهادات البشر وتغيرات الزمان والمكان.



المبحث الرابع

الأخلاق ليست غاية، بل هي وسيلة، والرد عليه

من السّمات المشتركة بين المذاهب الفكرية المعاصرة اعتقاد أنّ الأخلاق ليست غاية بل هي وسيلة وسبب ذلك أن منبع الأخلاق عندهم غير الدين.

وسائل المذاهب الفكرية المعاصرة في محاربة الأخلاق والقيم:

للمذاهب الفكرية المعاصرة أساليب ووسائل مشتركة لمحاربة

الأخلاق والقضاء عليها فمنها ما يلي:

- ١- نقل قيم المجتمع الغربي الأمريكي خصوصًا ليكون القدوة والمثال.
- ٢- عقد المؤتمرات الدولية في مجال المرأة والشباب، والأطفال، والسكان، والتنمية البشرية، ما تخرج من توصيات ملزمة، أو مرفقة بمطالبة، كنموذج للحياة الاجتماعية الغربية^(١).
- ٣- نقل السلوكيات والعادات الغربية من خلال المواد الإعلامية في القنوات الفضائية، والشبكة العنكبوتية الانترنت مثل إحتفال بعيد الحب لأنها عادة غربية ذات أصول دينية وثنية، وأخلاقية، وقد بدأ ينتشر في الأونة الأخيرة في أوساط المجتمعات الإسلامية.
- ٤- ترويج الايدولوجيات الفكرية والثقافة الغربية وفرضها على الواقع من خلال الضغوط السياسية، والإعلامية، والاقتصادية والعسكرية أيضًا؛

(١) ينظر: وثيقة مؤتمر السكان والتنمية للحسيني سليمان جاد، (ص ٥٥).

وذلك في مجالات عدة كحقوق الإنسان، والديمقراطية والليبرالية وحقوق الأقليات، وحرية الرأي وغيرها.

٥- استغلال طلاب المنح أو البعثات الدراسية من أبناء المسلمين في تطبيق أخلاق الغرب ونقلها إلى بلدانهم وهذا ظاهرة خطيرة تعود نتيجتها السيئة إلى الأجيال القادمة ورجال الغد^(١).

اتجاهات المذاهب في غاية الأخلاق وعدمها؛

المتأمل في اتجاهات الفلسفية المتنوعة فيما يتعلق بغاية الأخلاق لا يخلو

من اتجاهات ثلاثة:

الاتجاه الأول: يرى أنّ الأخلاق غاية وليست وسيلة وهو مذهب الجمهور وغاية الأخلاق نيل السعادة.

الاتجاه الثاني: يرى أنّ الأخلاق ليست غاية وهو مذهب كانط^(٢) وأساس الخلاف يرجع إلى أنه كان هناك غاية للأخلاق فمعنى ذلك أنها وسيلة، وأنها تتغير وتتبدل وليست ثابتة، وهذا مذهب خطير؛ لأنه يؤدي إلى تجريد قدسية الأخلاق وعدم الإلزام والالتزام اللائقين بها.

الاتجاه الثالث: القول الوسط بين الاتجاهين السابقين عن طريق التوحيد بين الوسيلة والغاية فهو يعتبر الأخلاق مبدئياً وسيلة عامة لتوجيه سلوك الإنسان في الحياة وتحقيق مطالبه فيها ويعتبرها في الوقت نفسه غاية؛

(١) ينظر: دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة، لأحمد بن علي عبد العال، (ص ٢٤٤، ٢٤٥).

(٢) سبق ترجمته.

إذ لا توجد لغاية أخلاقية سوى وسيلة واحدة تخصها ولا توجد منفصلة عنها؛ ولأن الوسيلة والغاية لا تنفك إحداها عن الأخرى.

ومن هنا نرى أن الأخلاقيين اتفقوا جميعاً على اختلاف اتجاهاتهم سواء كانوا من الأول الاتجاه الروحي أو الثاني الاتجاه المادي أو الثالث الاتجاه العقلي على أن الأخلاق تؤدي إلى السعادة سواء أكانت السعادة غاية لها أم لم تكن غاية.

يقول جان جاك روسو^(١): «إن مبادئ الأخلاق واحدة في كل مكان ومبادئ الخير والشر هي بعينها حيثما ذهبت»^(٢).

الرّد عليهم: الإسلام جاء بنظام متكامل متناسق متوازن بين حياة الدارين؛ كما أن الإسلام جاء ليحقق إخلاص العمل لله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** في الأعمال والأقوال والمقاصد فهو أساس وشرط قبول العمل الصالح؛ لكن إذا اختل شرط الإخلاص في العمل فإنه يكون مردود على صاحبه ويترتب عليه العقوبات الدنيوي والأخروي وعليه فإن غاية عمل الإنسان ولا سيما فيما يتعلق بالتخلق مع الله، لا بدّ يكون الإخلاص لله والمتابعة للرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فإذا لم يكن أساس أعمال الإنسان الإخلاص الكامل للإسلام بصرف النظر عما يترتب على التمسك به من النفع في الدنيا والآخرة فلا تعتبر هذه الأعمال أخلاقية ولا تجد قبولاً عند الله ومن ثم فلا تستحق جزاء منه.

(١) سبق ترجمته.

(٢) القيم الأخلاقية، دكتور عادل العوا (ص ٩٥). تجديد في الفلسفة، جون ديوي، ترجمة أمين مرسي قنديل، (ص ٢٨٣). علم الأخلاق الإسلامية، لمقداد ياجن محمد علي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ، (ص ٥٨ - ٣١٨).

يقول الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى^(١): «قد ظهر أن قصد الحظ الأخرى في العبادة لا ينافي الإخلاص فيها، بل إذا كان العبد عالماً بأنه لا يوصله إلى حظه من الآخرة إلا الله تعالى، فذلك باعث له على الإخلاص، قوي لعلمه أن غيره لا يملك ذلك»^(٢).

قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦].

إذا، مقصود الشارع بالشريعة جلب المصالح ودرء المفاسد، وهذا يحصل بما شرعه، وليس على المكلف النظر إلى المصالح والمفاسد المقصودة، وإنما عليه الالتزام بما شرع له. ولكن، هل يصح له أن ينظر إلى النتائج، وأن يسعى في تحصيلها؟ يقول الشاطبي: «ليس في الشرع دليل ناص على طلب القصد إلى المسبب»^(٣).

(١) هو: أبو محمد القاسم بن فيرة بن أبي القاسم الشاطبي الضرير المقرئ صاحب القصيدة التي سماها حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات، ولد في آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، وكان بارعا في القراءات والتفسير والنحو واللغة. وتوفي يوم الأحد بعد صلاة العصر، الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة. ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، (٤/ ٧١).

(٢) الموافقات، لإبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٧ هـ. (٢/ ٣٥٨).

(٣) المقاصد عند الإمام الشاطبي دراسة أصولية فقهية، لمحمود عبد الهادي فاعور، ط ١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، بسيوني للطباعة تليفون: ٠٣/ ٨٣٦٠١٤ صيدا - لبنان، (ص ٣٤٩).

وهكذا نجد الغاية نفسها تكون وسيلة من جهة وغاية من جهة أخرى، وهذه حقيقة يحس بها كل منا في حياته اليومية فنحن نتخذ في حياتنا الجارية أهدافاً ونتخذ لها وسائل حتى إذا ما حققناها نتطلع إلى أهداف أخرى أسمى منها ولكن لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق الأهداف التي هي أدنى منها، وهكذا تتسلسل الأهداف والغايات فكل غاية وسيلة بالنسبة إلى أعلاها وغاية بالنسبة إلى أدناها، فمتعلم الدين مثلاً يقصد من تعلمه أن يكون تدينه مقبولا عند الله ويقصد من ذلك أن ينال رضا الله ويقصد من الآخر الدخول في جنته.

إن الإسلام لم يبيح اتخاذ أية وسيلة لأية غاية أخلاقية بل اشترط أن تكون الوسائل أخلاقية كالغايات تماماً فالغاية في نظر الإسلام لا تبرر الوسيلة، ولهذا قال الأصوليون: الغاية لا تبرر الوسيلة، واتخذوا ذلك قاعدة تشريعية. والدليل على صدق ما ندعي قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥].

فالآية ترسم لنا طريقين للفلاح أو طريقاً. الواقع أن أول فساد حصل في أوروبا كان بسبب البعد عن الأخلاق والقيم وهو الذي أدى إلى مهالك ومأزق واضمحلال وفقد الثقة بين المجتمع وعمت الفوضى في كل شيء وتحيرت العقول والأذهان حتى ضاع عنهم السعادة والقيم الإنسانية.

ولهذا متى زاد الفساد في المجتمع فإن الله ينزل عليه البلاء الذي يعم الفاسدين وغير الفاسدين والعصاة وغير العصاة؛ لأن غير العصاة يعدون

عصاة؛ لأنهم رضوا بالفساد والعصيان وإن كان مقدار مسئولية أقل من مسئولية أولئك.

وإلى جانب اعتداد الإسلام بالجماعة مصدرًا للإلزام الأخلاقي يعتد أيضًا بالعقل والإدراك؛ لأن الإنسان عندما يدرك -عادة- أن عاقبة فعله ستكون أليمة فإنه يتجنبه وإذا كانت سارة فإنه يفعله. كذلك إذا رأى خيرًا من سلوك التزم به أما إذا كان الأمر على خلاف ذلك فإنه يتركه، ولما كانت الأخلاق وسيلة الخير في الدنيا والآخرة في حين أن التجرد منها وسيلة لشر، فإن العاقل يلتزم بها عقلاً؛ ولهذا سيقول أهل النار يوم القيامة: ﴿وَقَالُوا لَوْكُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

خلاصة المعايير الأخلاقية الإسلامية:

يمكن تلخيص معايير الأخلاق كالآتي:

- ١- حسن النية والقصد والغاية.
- ٢- وجود حاسة الضمير أو الحاسة الأخلاقية أو الوجداني.
- ٣- وعاء العقل السليم وتميزه بين المعروف والمنكر والحسن والقبيح والخير والشر في أمهات الأخلاق والقيم وهكذا.
- ٤- مراعاة السلوك والأفعال الأخلاقية المتفق عليها.
- ٥- عامل الناس بما تحب أن يعاملوك.
- ٦- ميزان العمل وصلاحيته في أوساط المجتمع وشؤون حياتهم.

٧- الجدية والالتقان في الاعمال.

٨- تقويم السلوك في ضوء ما يترتب عليه من خير أو شر أو نفع أو ضرر وذلك في ضوء التجارب العلمية أو الشخصية وفي ضوء روح الأصول الأخلاقية وقواعدها ومبادئها التي ذكرنا بعضها^(١).



(١) علم الأخلاق الإسلامية، لمقداد يالجن محمد علي، (ص ٣٢١).
محمد يوسف موسى الفقيه الفيلسوف والمصلح المجدد، لمحمد الدسوقي، دار القلم-دمشق،
الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ، (ص ١٠٧).

المبحث الخامس

فصل الأخلاق عن الدين والرد عليه

إنّ من السّمات الأخلاقية المشتركة بين المذاهب الفكرية الفصل التّام بين الأخلاق والدين وإنّ العصر الحاضر لا تنطبق بالأخلاق الدينية والقيم الدني لمبررات وحجج واهية ضعيفة وبنوا أسس الأخلاق وقواعدها وأجندتها بالمنفعة والمصلحة الشخصية وأنها تتغير من عصر إلى عصر ومن شخص إلى شخص ويعتبر شيء نسبي.

وهذه سمة عامة في المذاهب أو أغلبها من العلمانية والعقلانية والبرالية والديمقراطية والبرجماتية والوجودية والحداثيّة وغير ذلك التي حاربت الأخلاق والقيم وأزاحت عن جميع مجالات الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية.

فمن سمات المذاهب هدم الأخلاق وفصلها عن الدين مطلقاً.

﴿ أَتَوْا صَوَابَهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ [الذاريات: ٥٣].

واليك نماذج من أقوال المذاهب الفكرية في فصل الأخلاق عن

الدين:

قول: إنجلز^(١) رفيق المعلم الأول (كارل ماركس) للشيوعية وشريكه في ضلّالته: إننا نرفض شتى المحاولات التي تحاول أن تفرض علينا أخلاقاً

(١) سبق ترجمته.

تستند إلى المثاليات، ذلك لأننا نؤمن أن الأخلاق هي نتاج الأوضاع الاجتماعية، ولما كانت الأوضاع الاجتماعية متغيرة، فإن مفاهيم الأخلاق التي نؤمن بها هي كل عمل يؤدي إلى تحقيق انتصار مبدئنا مهما كان هذا العمل منافيا للأخلاق.

وقول: ستالين^(١) في مدحه لإخلاق الشيوعية واعتقاده أنها أخلاق فاضلة.

وقول: زكي نجيب محمود^(٢): (إن من صفات العصر أنه عصر علمي وعصر تقني وعصر مدار الأخلاق على المنفعة)^(٣).

وقول أركون^(٤): هناك حاجة ملحة الآن لبلورة أسس فلسفية جديدة من أجل التوصل إلى روحانية حديثة وإلى أخلاق عملية محسوسة قابلة لأن تندمج في ممارستنا السياسية والاقتصادية والقانونية. فالروحانية والأخلاق التقليدية عفا عليها الزمن ولم تعد بقادرة على التأثير في الحياة الحديثة... وقد ذكر أن هناك لجان خصصت لأجل بلورة أخلاق جديدة تتناسب مع التقدم العلمي للمجتمع وتكون قادرة على حماية الشخص البشري...

وقول أدونيس^(٥): «هدم البنية التقليدية السائدة في الفكر الغربي، وذلك يعني هدم التراث كله، الدين واللغة، والقيم، والأسرة، حتى يتم

(١) سبق ترجمته.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) ينظر: ثقافتنا في مواجهة العصر، للدكتور: نجيب محمود، (ص ٢٠٣-٢٠٤).

(٤) سبق ترجمته.

(٥) سبق ترجمته.

تغيير المجتمع وتغريبه، وهي بهذا الهدف تلتقي مع الليبرالية»^(١).

وقول ديورانت^(٢): أن الأعراف الاجتماعية أو المصالح المادية تحلّ عادة محلّ الدين في توجيه سلوك الإنسان، وصناعة إطار لا أخلاقي خاص يدهس الأخلاق في طريقه.

جاء في نشرة المشرق الأعظم الماسوني الفرنسي لسنة ١٩٢٣ قولهم: على الإخوان أن يتغلغلوا في صفوف الجمعيات الدينية وغيرها، بغية التفرقة بين الفرد وأسرته، عليكم أن تنتزعوا الأخلاق من أسسها، لأن النفوس تميل إلى قطع روابط الأسرة، والاقتراب من الأمور المحرمة، لأنها تفضل الثروة في المقاهي على القيام بتبعات الأسرة، وأمثال هؤلاء من الممكن إقناعهم بالدرجات والرتب الماسونية، ويجب أن يلحق هؤلاء بصورة عرضية متاعب الحياة اليومية. وعليكم أن تنتزعوا هؤلاء من بين أطفالهم وزوجاتهم، وتقذفوا بهم إلى ملاذ الحياة البهيمية^(٣).

ومن عناصر العلمانية السياسية هي: فصل الأخلاق عن الدين، وكذلك فصل العلم عنه إقامة دولة ذات مؤسسات سياسية على أساس غير ديني^(٤).

(١) ينظر: المختصر في المذاهب الفكرية المعاصرة، للدكتور: عيسى بن عبد الله السعدي، (ص ٣٣).

(٢) سبق ترجمته.

(٣) المرجع السابق (ص ٨٣).

(٤) الفصل في شرح آية لا إكراه في الدين، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، الباحث في القرآن والسنة، (٧/٣).

ولما أيقن أعداء الدين من المذاهب الفكرية والصلبيين أن البؤرة التي تجتمع أسس الأخلاق ومقومات مجتمع المسلم هي المحافظة على العرض والنسل عمدوا إلى تدمير ومواجهة تلك الأخلاق والميزة عن طريق فساد المرأة المسلمة لأنها المسؤولة أولاً وآخرًا وهي مدرسة مثمرة. كما جاء في جواهر الأدب).

من لي بتربية النساء فإنها في الشرق علة ذلك الإخفاق
الأم مدرسة إذا أعدتها أعددت شعبًا طيب الأعراق^(١)

جعلوا كل مخططاتهم الماكرة والدفينة بثورة عارمة وحيثة لسلب ميزة الأخلاق والقيم من المرأة المسلمة وحشمتها وعفافها ومحاربة حجابها تحت شعار حرية المرأة وحقوق المرأة وغير ذلك من الشعارات البراقة المزيفة^(٢).
قول هيوم^(٣) وغير ذلك من أقوال أصحاب المذاهب الفكرية المتعلقة في فصل الأخلاق عن الدين^(٤).

كثير من مبادئ المذاهب الفكرية يسعى لتحقيق اللذة والرّفاهية والمصلحة التي تعود على الفرد أو الجماعة دون نظر إلى أسس في القيم والأخلاق ويضعون نظمًا وقوانين ينطبق ويتوافق مع هدفهم ويحقق آمالهم

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي اشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت، (٢/٢٤٩).

(٢) ينظر: العدالة في أنظمة المجتمع الاسلامي، إعداد: الدكتور محمد أحمد عبد الغني، ١٤٢٤هـ/ (ص١٦٩).

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) ينظر: قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم، لمحمد أركون، (ص٢١٧)، (٢١٨).

وأمنياتهم وملذاتهم تحت غطاء حقوق الإنسان والحرية المطلقة، فلا معيار عندهم في الأخلاق يفصل بين الخير والشر والنافع والضار والصواب والخطأ والحلال والحرام سوى معايير تحقيق اللذة ورغائب النفوس ومتعتها ونيل متاعها بأي وسيلة كانت^(١).

الرد عليهم:

تميز الدين الحنيف بأنه دين شامل في جميع مجالات الحياة وأنها جاءت لإتمام مكارم الأخلاق وتقعيد أسسها ومبانيها والحفاظ على ما يشوبها ويدنسها دين تنادي بمعالي الأمور وأمّهات القيم وتنكر سفاسف الأخلاق ورذائلها «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»^(٢).

وأن الأخلاق ثمرة للدين قال تعالى: ﴿ أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ابْتَغِ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

- الدين هي المصدر الأهم والأساس لإصلاح أخلاق المجتمع.

دعا الإسلام إلى مكارم الأخلاق من الرفق واللين وحسن القول والتعامل الحسن والخلق الجميل الذي لا يوجد غير دين الإسلام؛ لأنها دين الربانية والرحمة والعالمية والشاملة صالحة لكل زمان ومكان. وكما أن

(١) موقف اللبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين، للدكتور: صالح بن محمد بن عمر الدميحي، (ص ٨٦١، ٨٦٢).

(٢) أخرجه، الإمام أحمد في مسنده، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١ هـ، (١٤/ ٥١٣).

الإسلام أكرم بني آدم وفضّل من على وجه الأرض إذا امتثل أمواره الله واجتنب نواهيه واستقام على الطريم المستقيم والمنهج القويم في الأخلاق المعاملات الحسنة.

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال تعالى لنبيه موسى وهارون **عَلَيْهِمَا السَّلَامُ**: ﴿فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤]، مع أن فرعون طغى وبغى وتجبر على وجه الأرض.

وقال تعالى عن صفات عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

وغير ذلك من النصوص الدالة على مكارم الأخلاق والآداب الكاملة التي جاء بها الإسلام على أكمل وجه من بر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان وإكرام الجار كيف ما كان جنسه أو لونه أو دينه وإطعام الطعام وإفشاء السلام وإكرام اليتامى والرفق بالضعفاء وإقامة العدل بين الناس^(١) وكلها تحدث القرآن بالتفصيل وطبقها رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في حياته لأنه بعث ليتمم مكارم الأخلاق كما سبق الإشارة إليه، فلا يحسن التكرار والإعادة.

والأخلاق جوهر الدين وبدونها لا تقوم معاش الناس ومعادهم وشؤونهم الدنيوية والأخروية.

ووظيفة الدين، كما يقول دوركايم^(٢) لا تقتصر على حماية الأخلاق؛ بل على رعايتها وتعهدها في النفس والمجتمع معاً.

(١) ينظر: الإسلام والمذاهب الاشتراكية، لأبي شبيب محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: السنة الثالثة - العدد الثاني - ١٣٩٠ هـ، (ص ٨).

(٢) سبق ترجمته.

وبناء عليه: فإنه قد خرج عصابة تحمل أفكاراً أجنبية غريبة من أبناء المسلمين يندسون ويشوهون ويفسدون القيم والأخلاق الإسلامية باسم الحرية والتّقدم والحضارة المطلقة، وشعار العولمة وغير ذلك من الشعارات الموهمة المزيفة التي لا يتأملها ولا يدركها إلا دعاة الإسلام المخلصين الصادقين وقد ينتبه بعض عقلاء المسلمين وحذاقهم.

وأصحاب المذاهب الفكرية سواء زعموا أنهم مسلمون أو من الغرب أصالة بذلوا قصارى جهودهم بكل ما عندهم من النفيس والتمين لإقامة الحياة على غير الأخلاق والقيم.

«بعيداً عن كل ما يتصل باسم الدين والحرية الأخلاقية التي كان يقصد بها في المقام الأول الإباحية والدعارة، وهدم كل الأخلاق والقيم، بطرق يهودية حاقدة وفي غاية القذارة، على يد فرويد ومن سلك طريقه وأما عن علمنة الإعلام لقد أمسك دعاة العلمانية بزمام معظم وسائل الإعلام، وعاث فيها فساداً، مثل: التلفزيون والإذاعة والصحف والمجلات والسينما والفيديو، وقد ظهرت أضرار تلك الوسائل في تحطيم الأخلاق والسلوك الطيب»^(١).

(١) ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، لغالب العواجي، (٢/ ٧٣٥-٧٥٠).

الفصل السّابع

الآثار السّلبية لانتشار سمات المذاهب الفكرية في العالم الإسلامي، وسبل تحصين المجتمعات الإسلامية

وتحتّه أربعة مباحث:

المبحث الأول: عوامل انتقال السّمات المشتركة بين المذاهب في العالم الإسلامي.

المبحث الثاني: الآثار السّلبية لانتشار سمات المذاهب إلى العالم الإسلامي.

المبحث الثالث: سبل تحصين المجتمعات الإسلامية من المذاهب الفكرية.

المبحث الرابع: الوسائل المعاصرة للسّمات المشتركة بين المذاهب الفكرية.

المبحث الأول

عوامل انتقال السّمات المشتركة بين المذاهب إلى العالم

التمهيد

يهدف منهج الدّعوة القويم إلى الحفاظ على المجتمع المسلم من كل طارئ يؤثر عليه أو تيار يريد اقتحامه أو فكر يحاول اختراجه ومن لوزم تلك المحافظة العناية بتحصن المجتمع أفرادًا وأسرًا ومجتمعات، وبخاصة في العصر الحاضر الذي كثرت فيه المذاهب والتيارات الفكرية المنحرفة التي تبث سمومها في اوساط المجتمعات وخاصة في الاقليات الإسلامية لأن نشأة المذاهب الفكرية هدفها الكبير التفلت من طغيان الكنيسة ورجالها واستبدادهم واستعبادهم. والخروج من مأزقها، والآن حان الحديث عن عوامل انتقال السّمات المشتركة بين المذاهب الفكرية الى المجتمعات الإسلامية وشيوع أفكارها الهدامة الضالة في بيئة الأمة الإسلامية، وبيان أن السّمات تندرج تحت عوامل الانتقال لأنها واحدة وثابتة لا تتغير ولا تتبدل في كل عصر ومصر وفي كل حين.

وتتمثل «هذه الآثار في جوانب عديدة؛ منها ما يتعلق بالدين، ومنها ما يتعلق بالحكم، ومنها ما يتعلق بالأخلاق والسلوك وجوانب اخرى في حياة الناس»^(١).

(١) ينظر: ملخص المذاهب الفكرية المعاصرة، للدكتور: إبراهيم بن رافع الغامدي، (ص ١٤).

والواجب على الأمة الإسلامية حفظ دينها وعقيدها وأخلاقها وقيمها ليكن حصناً حصيناً وسداً منيعاً لا تسمح بتسلل المذاهب الفكرية الغربية المعاصرة؛ لأن الإسلام دين الفطرة الربانية العالمية الشاملة المهيمنة على العقول والأفكار بقوة الحق وبراهينه وعلى النفوس والقلوب صالحة لكل زمان ومكان ملبية لكل حاجات الناس أفراداً وجماعات وحل جميع مشكلات الحياة وهو الدين الحق والهدى والنور محروس من التغيير والتبديل والتحريف والزيادة والنقصان دين قام على أسس راسخة منيعة بالحق والعدل والفضيلة.

دين الأمن والطمأنينة والاستقرار والرّفاية والتّقدم والحضارة والازدهار. وغير ذلك من سمات دين الإسلام ولا يقبل الله ديناً غيره قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣] مع ساحة الإسلام ويسره وجماله ورونقه وشموله ورحمته إلا أنّ هناك عوامل هيأت مناخها لتقبل الشّعوب الإسلامية لانتقال المذاهب الفكرية المعاصرة إلى المجتمعات الإسلامية بما فيها من زيغ وضلال وباطل.

ومن الهدف السّامي للدّعوة إلى الله الحفاظ على المجتمع المسلم من الأفكار الغربية المسمومة أو أي تيّار يريد اقتحام.



المطلب الأول

عوامل داخلية

يقصد العوامل الداخلية العوامل الذاتية وهي ممهدة وثمره من العوامل الخارجية، لأن الأمة الإسلامية إذا استقامت على الصراط المستقيم والتزمت بدينها لا يغلبها أي أفكار ولا يؤثرها أي عامل خارجي لكن تأتي العوامل الخارجية عند التقصير والإعراض عن تعاليم الإسلام ومبادئه وقيمه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

والعوامل الذاتية تتمثل في:

١ - البعد عن دين الله وترك التمسك والاعتصام به: وحينذاك ينزل غضب الله على المسلمين ووكلمهم إلى أنفسهم وهذا نتيجة ما على المسلمين اليوم من ذل ومهانة واستكانة وضعف وزعزعة؛ لأن النصر بيد الله ينصر من ينصره ويخذل من يتخلى عن دينه ويتهاون في الالتزام به، ولقد نصر الله تعالى المؤمنين في مواطن كثيرة.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾

[التوبة: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

[الحج: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّصْرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾

[محمد: ٧].

وغير ذلك من الآيات الدالة على نصر الله بالمؤمنين وذلك بالتزامهم بدين الله وشرعه في أنفسهم وهذه القاعدة ماضية في خلق الله لكل من قام بنصرة الدين فإن الله ينصره عاجلاً أو آجلاً.

٢- انتشار الفساد ومجالس اللهو وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

أورد ابن كثير في تفسير هذه الآية قول أبي العالية: «من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض، لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة»^(١).

٣- تفرق المسلمين وتناحرهم وأحزابهم وشدة باسهم بينهم:

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

يقول ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى**: «فأمر تعالى بالثبات عند قتال الأعداء والصبر على مبارزتهم، فلا يفروا ولا ياكلوا ولا يجبنوا، وأن يذكروا الله في تلك الحال ولا ينسوه بل يستعينوا به ويتكلوا عليه، ويسألوه النصر على أعدائهم، وأن يطيعوا الله ورسوله في حالهم ذلك. فما أمرهم الله تعالى به ائتمروا، وما نهاهم عنه انزعجوا، ولا يتنازعوا فيما بينهم أيضا فيختلفوا فيكون سبباً لتخاذلهم وفشلهم. أي: قوتكم وحدتكم وما كنتم فيه من الإقبال»^(٢).

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢٨٧/٦).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٧٠/٤).

٤- انتشار الجهل بالإسلام بين عامة المسلمين.

٥- تأثر المسلمين بالحضارة الأوروبية المادية وتطلعات تقدمهم المادي.

٦- تفلت بعض النفوس من المسلمين إلى حبّ الشهوة واتباع الهوى وملذات نفوس الحيوانية، لأن النفوس البشرية.

تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: نفس سهاوية علوية فمحبّتها منصرفة إلى المعارف واكتساب الفضائل.

القسم الثاني: نفس سبعية غضبية فمحبّتها منصرفة إلى القهر والبغي والعلو في الأرض والتكبر والرئاسة على الناس بالباطل فلذتها في ذلك وشغفها به.

القسم الثالث: نفس حيوانية شهوانية فمحبّتها منصرفة إلى المأكّل والمشرب والمنكح وربما جمعت الأمرين فانصرفت محبّتها إلى العلو في الأرض والفساد^(١).

كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤].

اتباع الهوى وحبّ الشهوات أصلان من أصول الضلالة والانحراف عن الهدى والصراط المستقيم؛ فكل من لم يتع سبيل الرشاد والهدى فإنه يسلك يسلك سبيل الغواية والهلاك والضلال قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٤٠٣هـ، (ص ٢٥٩).

لَكَ فَأَعْلَمَ أَنَّ مَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيًا هَدَىٰ مِنْكَ اللَّهُ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ [القصص: ٥٠].

فالهداية كل الهداية والسعادة كل السعادة والخير كله في اقتفاء هدي
سيد الأنام محمد بن عبد الله صلوات ربي وتسليماته عليه، والضلال كل
الضلال والشقاوة كل الشقاوة والشر كله هو الميل عن منهجه وطريقه.

وهذه من أهم العوامل الذاتية الداخلية في تسرب المذاهب الفكرية
وسماتها الخبيثة إلى ديار المسلمين وتأثرهم في مجتمعاتهم، والناظر المتمعن في
هذه العوامل يجد أنها ذاتية داخلية من جانب وإن كان لا تخلوا من تأثير
خارجي والحديث في المطلب الثاني عن العوامل الخارجية.



المطلب الثاني

عوامل خارجية

المقصود بالعوامل الخارجية التي وفدت من الخارج من أعداء الإسلام والمسلمين وخاصة الأفكار المسمومة التي جاءت من الغرب عجرها وبجرها فتأثر بها المسلمون في حياتهم ومن أهم تلك العوامل:

أولاً: الغزو الفكري.

ثانياً: الغزو العسكري

ثالثاً: الاستعمار الصليبي.

رابعاً: سهولة الاتصال بين الأمم والشعوب، وتوفر وسائله.

خامساً: وجود أقليات غير مسلمة في دول المسلمين وبين شعوبهم.

سادساً: البعثات الخارجية لأبناء المسلمين إلى الغرب الصليبي.

سابعاً: وجود المؤسسات اليهودية المشبوهة في المجتمعات الإسلامية^(١).

وإليك بعض تفاصيلها:

أولاً: الغزو الفكري: هو مصطلح حديث يعنى مجموعة الجهود التي تقوم بها أمة من الأمم للاستيلاء على أمة أخرى أو التأثير عليها حتى تتجه وجهة معينة. وهو أخطر من والغزو العسكري لأن الغزو الفكري ينحو إلى السرية وسلوك المسارب الخفية في بادي الأمر فلا تحس به الأمة المغزوة ولا تستعد لصدّه والوقوف في وجهه حتى تقع فريسة له وتكون نتيجته أن

(١) مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، للدكتور: محمود محمد مزروعة، (ص ١٠٢-١٠٧).

هذه الأمة تصبح مريضة الفكر والإحساس، تحب ما يريد لها عدوها أن تحبه وتكره ما يريد منه أن تكرهه.

وقيل الغزو الفكري: استيلاء على الفكر والقلب وهو أمكن من الاستيلاء على الأرض فالمسلم الذي لم يلوث فكره لا يطيق أن يري الكافر له الأمر والنهي. وهو داء عضال يفتك بالأمم ويذهب شخصيتها ويزيل معاني الأصالة والقوة فيها، والأمة التي تتبلى به لا تحسّ بها أصحابها ولا تدري عنه ولذلك يصبح علاجها أمراً صعباً وإفهامها سبيل الرشد شيئاً عسيراً^(١).

ثانياً: الغزو العسكري: كانت الأمة الإسلامية أمة واحدة تستظل براية واحدة وتخضع لقيادة واحدة فكانت ذات شوكة ومنعة ثم لم تلبث أن سرت فيها أمراض فتاكة خلخلت بناءها وأفسدت أبنائها فضعفت قوتها وذلت عزتها فسهل على أعدائها القضاء عليها وتمزيقها إلى دويلات واستولت على كثير منها فترات طويلة استطاعت فيها أن تفسد عقائدها وأخلاقها وتغير ولائها.

يقول برنارد لويس^(٢): «وفي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين تعدلت وتغيرت الولاءات التي كانت قائمة للخلافة الإسلامية القديمة والتي كانت تحكم العرب والعجم والترك وحلت محلها أفكار ممزقة مبعثرة أوروبية هي مزيج من الوطنية والقومية ونظريات خيالية عن الوطن والقوم حجبت الحقائق القديمة الواقعية في الدولة والعقيدة».

(١) الغزو الفكري ووسائله، للشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط ١٥، العدد التاسع والخمسون، رجب، ١٤٠٣هـ، (ص ١١٥).

(٢) سبق ترجمته.

فأصبحت بعد ذلك الأمة الواحدة أما مختلفة ومجتمعات متعددة لكل منها شعاره ومذهبه فتمزقت وحدة الأمة وتعددت ولاءاتها بحسب شعاراتها ومذاهبها.

وكان هذا كله بسبب الغزو العسكري الذي احتل بلاد المسلمين فترات متفاوتة ركز خلالها على إفساد عقيدة الأمة وأخلاقها وقسمها بعد ذلك إلى دول ومناطق أقام لكل واحدة منها حاكماً مستقلاً^(١).

ثالثاً: الاستعمار الصليبي: وحقيقته قيام الغرب النصراني باحتلال بلاد المسلمين في القرون المتأخرة التاسع عشر والعشرين، وهذا الاحتلال إنما هو امتداد للحملات الصليبية التي شنتها أوروبا على المسلمين من خلال قرنين من الزمان إلى انتهت تلك الحروب الصليبية على يد صلاح الدين الأيوبي، وحينئذ تناوحت صيحات النصارى منادية بخطر الاسلام، داعية الى وجوب القضاء عليه في عقر داره.

أسباب إعلان الحروب الصليبية:

الأسباب التي حملت أوروبا على إعلان الحرب الصليبية ترجع إلى غرضين هما:

١- رد الفعل النصراني المشبع بالحق ضد العالم الإسلامي.

(١) الوحدة الإسلامية أسسها ووسائل تحقيقها، لأحمد بن سعد حمدان الغامدي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة السابعة عشر-العدد (٦٥-٦٦)-محرم-جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ، (ص ٥١).

٢- دوافع الطمع والكسب، الذي اختلفت أنواعه وأشكاله^(١).

أهداف الاستعمار:

وأعمال المستعمرين يكون كالآتي:

١- القضاء على الاسلام والمسلمين.

٢- رد المسلمين عن دينهم بالتنصير أو التبشير أو غير ذلك من وسائل الانتكاس والارتداد عن دين المسلمين بمصداق قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

٣- الرغبة في إذلال المسلمين.

٤- الانتقام مما حصل للنصارى ابان الحروب الصليبية.

٥- تعويق انتشار الإسلام وعرقلته ويأبى الله ذلك قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

٦- قطع حاضر المسلمين عن ماضيهم.

٧- نهب ثروات المسلمين من بلادهم وخيراتهم وسلب وراثتها وكنوزها ماديًا ومعنويًا.

بعض أعمال المستعمرين يتلخص فيما يلي:

١- الغزو العسكري لاحتلال بلاد المسلمين ونهب ثرواتها وخيراتهم.

(١) الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، لحمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، (ص ٢٩).

٢- إبعاد الحكم الشرعي في حياة الناس واستبداله بالقوانين الوضعية الأرضية.

٣- السيطرة على مناهج التعليم وإرداتها بوزارة الاوقاف الاسلامية ويشهد هذا قول القائد الفرنسي الجنرال بيير كيللر^(١) في قوله عن المعاهد الفرنسية في لبنان: «التربية الوطنية كانت بكاملها تقريبا في أيدينا، بداية حرب بين عامي ١٩١٤-١٩١٨م كان أكثر من اثنين وخمسين ألف تلميذ يتلقون دروسهم في مدارسنا، وكان بين هؤلاء فتیان وفتيات ينتمون إلى عائلات إسلامية عريقة^(٢)».

٤- إحياء الطوائف المنحرفة الضالة، ونش العقائد الباطنية ونشر كتبهم المزيفة.

٥- تقسيم بلاد المسلمين إلى دولات صغيرة؛ لكسر شوكتهم وذهاب ريحهم.

قال تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأأنفال: ٤٦].

٦- اصطناع العملاء من أبناء المسلمين، كما قال زويمر^(٣): «تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم؛ لان الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها»^(٤).

(١) هو: القائد الفرنسي الجنرال «بيير كيللر» مبعوث إلى الشام وأثر فيها وله كتاب القضية العربية في نظر الغرب، ينظر: الموسوعة الحرة: تاريخ الزيارة، ١/ ٦/ ١٤٤٢هـ.

(٢) ينظر: «القضية العربية في نظر الغرب»، (ص ٣٤).

(٣) سبق ترجمته.

(٤) ينظر: مقدمات في الأديان، للدكتور: محمد بن ابراهيم الحمد، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط ١، ١٤٣٥هـ، (ص ٤٢٢-٤٢٤).

والاستعمار الصليبي لم ييأس، ووضع الخطط الماكرة لتوهين العقيدة في نفوس المسلمين، واستطاع أن يربي على سموه الخبيثة هذه أجيالا لا تعرف من الإسلام إلا اسمه، وإلا أنه علاقة بين العبد وربّه لا صلة لها بالسلوك العملي، ولا علاقة لها بشؤون المجتمع وشؤون الحياة، أو لا تعرف عنه إلا أنه رجعية وجمود وتأخر، ينبغي الانسلاخ منها للحاق بركب الحياة.

٧- وقد انتشرت هذه الأفكار وراجت هذه المفاهيم في العالم الإسلامي على أيدي طائفة من الكتاب المثقفين والباحثين الذين أوكل إليهم الاستعمار مهمة التوجيه والتأثير، وقيادة الفكر والثقافة وأمور التربية والتعليم.. وكانت الدوائر التبشيرية والاستشراقية هي المحاضن الأساسية التي أنفق عليها المستعمرون نفقات كبيرة، ورصدوا لها أضخم الميزانيات، وزودوها بجيش من الخبراء؛ فأصبحت المؤسسات الثقافية التابعة لهذه الدوائر الاستعمارية الصليبية تضم بين جنباتها مئات الألوف من أبناء العالم الإسلامي في آسيا وإفريقيا.

أهم السّمات الفكرية المعاصرة للحرب الصليبي:

يتجلى في النقاط التالية:

- ١- إبعاد الحكم الشرعي عن شؤون الحياة.
- ٢- تولية مقاليد الأمور في شؤون الحياة.
- ٣- السيطرة على التعليم الأساسي وبرامج الابتعاث.
- ٤- ترويج أفكاء المذاهب الفكرية على أيدي نشطاء ومثقفين وكتاب من المسلمين.

- ٥- محاولة إضعاف شوكة المسلمين واللجوء إلى اليأس والقنوط.
- ٦- نشر التنصير والتبشير في المجتمعات الإسلامية.
- ٧- نشر الإلحاد والزندقة.
- ٨- تشكيك مصادر التشريع.
- ٩- فتح مدارس خاصة للمذاهب الفكرية المعاصرة في الدّول الإسلامية لاستقطاب أبنائها.
- ١٠- الاستعمار يريد للمذاهب الفكرية.
- ١١- تهوين العقيدة في نفوس المسلمين.



المطلب الثالث

الوسائل والأساليب للسّمات في الغرب الصليبي

أهم الأساليب والوسائل التي استخدمها الغرب الصليبي لنشر الفكر الغربي المنحرف في أوساط المسلمين ما يلي:

١- إرسال البعوث، وتكثير الإرساليات التبشيرية لنشر مكامن التنصير في كل مكان، وتشكيك الشباب المسلم في دينه وعقيدته، وإحاطته بسياج من أوهامها وضلالاتها، ومن وسائلهم فتح المستشفيات والمستوصفات، ودور التمريض لنفس الغرض الخبيث.

٢- إرسال أكبر قدر ممكن من شباب المسلمين وأبنائهم إلى ديار الغرب، لينهلوا من ثقافته المسمومة هناك، ويعودوا إلى ديارهم وقد ودّعوا هناك دينهم وخلقهم ومبادئهم.

٣- فتح المدارس الأجنبية في ديار المسلمين وتكثيرها وتنويعها، وإرسال القسس والرهبان ليشرفوا على هذه المدارس، ويربوا أجيال المسلمين على أعينهم^(١).

٤- نشر الكتب المفسدة العابثة المضللة التي تشغل الشباب عن ثقافتهم الأصيلة، وتلهيهم بالعبث والخيال الماجن الذي سيجرهم إلى المجنون والجنون^(٢).

(١) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، (ص ٣٩، ٤٠).

(٢) المرجع السابق (ص ٣٩، ٤٠).

ومن هذه المخططات السيطرة قدر المستطاع على برامج التعليم في الديار الإسلامية، وتوجيه التعليم توجيهًا علمانيًا لا يؤمن بدين، ولا يصدق برسول، وينطلق نحو الإلحاد والفساد.

٥- نشر المجالات الخليعة والسينمات المسمومة، والتلفزيون المشحون بما يثير غرائز الشباب ويشغلهم بالتفكير في إشباع غرائزهم عن التفكير في مصالح أمتهم ومستقبل دينهم وعقيدتهم، وحرية أوطانهم وأمتهم.

٦- العمل المتواصل لإفساد شبابنا ورجالنا بزجاجة الخمر، وفتاة الهوى، والصورة الخليعة والقصة الماجنة، وإرسال القينات والفانات أفواجًا أفواجًا إلى ديار المسلمين ليفسدن باسم الفن، ويهدمن باسم الحرية، ويخربن بسم الترفيه.

٧- فتح نوافذ للحضارة والثقافة الغربية وتمجيدها، والدعاية لها.

٨- السيطرة الاقتصادية والتحكم في الأسواق، وامتصاص أكبر قدر ممكن من ثروة البلاد الإسلامية، وإشاعة الفقر والبطالة بين المسلمين.

٩- تمجيد وإحياء الحضارات القديمة وتسليط الأضواء عليها لينبهر بها الشباب المسلم، وينسى حضارته الإسلامية الأصيلة..

١٠- ومنها العمل على إلغاء المحاكم الشرعية في ديار المسلمين ونشر القوانين الوضعية ودراستها.

١١- إضعاف سلطان الإسلام في نفوس المسلمين.

١٢- توجيه الأدب والأدباء والصحافة وجهة علمانية لا دينية، والسيطرة على دور النشر والتوزيع.

١٣- تشويه التاريخ الإسلامي والتشكيك فيه وحوادثه، وإبراز الجوانب الضعيفة أو المؤسفة فيه.

١٤- إنشاء المذاهب والمبادئ الهدامة.. وإشغال المسلمين بها، وإخراجهم من دينهم بواسطتها^(١).

١٥- العمل على إفساد المرأة المسلمة ثم إخراجها باسم الثقافة والحرية والديمقراطية سافرة متبرجة، وجعلها أحبولة الفساد في المجتمعات الإسلامية، ومن ثم تعطيل الأسرة وهدم كيان المجتمع الإسلامي.

١٦- محاربة اللغة العربية الأصيلة، والدعوة إلى العامية، أو الدعوة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية، لقطع الصلة بين ماضي المسلمين وحاضرهم، وضياع كنوزهم العلمية التي تركها سلفهم الصالح وكانوا بها خير أمة أخرجت للناس.

اتفاق الاستعمار على مكافحة الإسلام، ووضع قدم للاستعمار في فلسطين قلب البلاد الإسلامية بواسطة اليهود.

١٧- إحياء العاطفة القومية، وإثارة النعرات القومية بين المسلمين^(٢).

(١) ينظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، (ص ٣٩، ٤٠).

(٢) المرجع السابق (ص ٣٩، ٤٠).

المطلب الرابع

خطة السّمات في المذاهب الفكرية

يتلخص خطة السّمات في النقاط التالية:

العنصر الأول: اصطناع المناخ المناسب: من طبيعة أعداء الإسلام بكل اتجاهاتهم ومذاهبهم ويوصي بعضه بعضاً لإيجاد مناخ مناسب لهم في بث سموم أفكارهم الإلحادية والمادية المتطرفة، تمهيداً لنشر النصرانية؛ لأن إزاحة الإسلام بالفكر المادي الإلحادي سيهيئ المناخ لتقبل دعوة المبشرين بالنصرانية بين أبناء المسلمين الذين ألدوا.

العنصر الثاني: تسخير أو استغلال مفكرين تابعين: لوضع فلسفته مزخرفة، أو نظام فكري، بغية الإيهام بصحة الفكرة الباطلة التي يراد تزيينها للناس، وجعلها مذهباً اعتقادياً أو عملياً فردياً أو اجتماعياً، سياسياً أو غير سياسي، ومن أمثلة ذلك، تسخير «ماركس، وإنجلز»، لوضع فلسفة للشيوعية، ونظام فكري لتطبيق الاشتراكية.

وتسخير فرويد لوضع أفكار في علم النفس.

ودفع داووين والداروينية، لوضع ما يسمى بنظرية التطور، وأفكار النشوء والارتقاء الذاتيين.

وتسخير دوركايم لوضع أفكاراً علم الاجتماع يعطل صلة الدين بعالم الغيب.

العنصر الثالث: إعداد الجنود المأخوريين أو المخدوعين، ودفعهم بمختلف الوسائل المتاحة لتوجيه الدعاية الواسعة، للفكرة أو المذهب الرماد نشرهما وفتنة الناس بهما، واستخدام كل وسائل الإعلام لذلك.

العنصر الرابع: التليس.

العنصر الخامس: استخدام طريقة الاقناع الجدلي، للتأثير على الناس بصحة المذهب الباطل، أو الأفكار التي يراد التّضليل لها. ويكون ذلك بتزين مقدمات قائمة على المغالطات، والكذب والتستر بشعارات التقدم العلمي، ومنهجية البحث السليم، ومنجزات العلم.

العنصر السادس: استخدام طريقة التوجيه غير المباشر. ويكون عادة بأساليب متوارثة. متسترة غير صريحة، أو فيها بعض التواري والتستر.

العنصر السابع: الاستدراج، ويكون باستخدام أسلوب الخطوات المتدرجة، التي تنحدر بالمستدرج خطوة فخطوة حتى يسقط أخيرا في حبال الفكرة.

العنصر الثامن: الإيهام بأنّ الفكرة قد غدت من المسلمات العلمية، والحقائق التي لا تقبل النقض ولا النقد.

العنصر التاسع: استخدام الآداب والفنون المختلفة لتأكيد الفكرة ونشرها، كاستخدام القصص، والتمثيلات، والشعر، والتصوير، والغناء، والرقص التعبيري والنكتة الساخرة، والمضحكات. ونحو ذلك.

العنصر العاشر: ستر العناصر المأجورة أو المدفوعة لوضع الفكرة أو المذهب أو الترويج لهما ونشرهما، بمختلف أنواع الستر وصوره.

العنصر الحادي عشر: إظهار أصحاب المذاهب المادية بمظهر العلماء الأذكياء.

العنصر الثاني عشر: استغلال وسائل الاعلام.

العنصر الثالث عشر: تحديد المجتمعات المستهدفة.

العنصر الرابع عشر: إستغلال التعليم في نشر المذاهب الإلحادية^(١).

من الأمور البديهية لدى الدارسين للعلوم الشريعة الغراء أنّ الصراع بين الحقّ والباطل والإسلام والكفر والزندقة كان قديماً وأنّ أعداء الغرب للشرق طويل مع مدّ الإسلام وانتشاره. فالعدو دائماً يتبرص الدوائر للمسلمين و ينتظر نقطة الضعف والذلّ ليكون مناخاً مناسباً لنشر أفكاره الهدامة والباطلة بين المجتمع الإسلامي، وفي القرون المتأخرة ظهرت حروب متنوعة فكرية وعسكرية من قبل أعداء الإسلام وأوله كان الحروب الصليبية وصبوحها الاستسراق وتلاها التبشير والتنصير والزندقة والاحادية وهو إنكار وجود الله وكلها وفدت من الغرب إلى العالم الاسلامي وتغلغلت في نفوس المجتمع الاسلامي ظاهراً وباطناً لعدم التزام الدين أو قلة التدين أو غزو فكري، والخوف الرهيب من أوروبا بامتدادها الأمريكي بالسيطرة العالم، ومع الاحتلال تتسرب مجموعة من الأفكار والمذاهب والمعتقدات

(١) مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، للدكتور: محمود محمد مزروعة، (ص ١١٣-١٢٥).

السّائدة لديهم، بل الخرافات؛ كخرافة الطبيعة الخالقة، والمادة الأزلية الأبدية المتطورة، فتنصب في أذهان الشعوب المغلوبة، إما عن طريق التسرب التلقائي، الذي ينشأ من تقليد المغلوب للغالب كما يقول العلامة ابن خلدون (أن المغلوب مولع أبداً بالإقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه إمّا لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي إنما هو لكمال الغالب فإذا غالطت بذلك واتّصل لها اعتقادا فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبّهت به وذلك هو الاقتداء أو لما تراه^(١).

وإما عن طريق الغزو الفكري المنظم الذي بيّته الغالب في فكر المغلوب ليضمن تبعيته له، وعدم خروجه على طاعته وليس ذلك فحسب بل ربما أهم منه هو غياب البديل الإسلامي، الذي يمكن أن يأخذ مكان هذه الأفكار والمذاهب والخرافات الوافدة، بل الذي يحول أصلاً دون تقبلها واتباعها في حال وجوده، ونعني به الإسلام الحقّ.



(١) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، (ص ١٨٤).

المبحث الثاني

الآثار السلبية لانتشار سمات المذاهب الفكرية المعاصرة في العالم الإسلامي

المطلب الأول

إفساد العقيدة في المجتمعات الإسلامية

أولاً: تعريف العقيدة لغة: من عقد وهو الربط والابرام والحكم والتوثق أو الوثاق والشدة، والعقد نقض الحل. والعقيدة ما يدين به الإنسان سواء كانت عقيدة صحيحة أو باطلة.

العقيدة: الحكم الذي لا يقبل الشك^(١).

تعريف العقيدة عند أهل السنة والجماعة: الإيمان الجازم بالله، وما يجب في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح، رضوان الله عليهم أجمعين والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بالطاعة والتّحکم والإتباع^(٢).

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (عقد)، ومعجم مقاييس اللغة، (٤/٨٦).

(٢) بحوث ودراسات في عقيدة أهل السنة، لناصر العقل، دار الوطن الرياض، ط١، (ص١١).

وقد عبّر القرآن عن العقيدة بالإيمان، وعن الشريعة بالعمل الصالح في غير ما آية من كتاب الله **عَزَّجَلَّ** منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

وقد ورد لفظ العقيدة في السّنة النبوية في الحديث الذي أخرج الدارمي عن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان عن أبيه: وفيه: «لا يعتقد قلب مسلم على ثلاث خصال إلا دخل الجنة، قال: قلت ما هي؟ قال: إخلاص العمل والنصيحة لولاة الأمر ولزوم الجماعة»، الحديث^(١).

فانطلقت تسري في أوصالها كل موبقات الحضارة الأوروبية حتى وصلت في ظل الاحتلال إلى مرحلة الشيوع والاستعلاء، ثم إلى مرتبة الاستقرار والاستحسان، ثم وصلت إلى درجة أصبحت فيها تحت حماية القوانين الوافدة، ودخل في روع المغلوبين أن الانحلال والفساد من ضروريات التحضر والمدنية في جوانبها الصحيحة، وقد ظهر هذا الانحلال في البداية في السلوك الفردي، فأنحرف الناس عن نهج الدين واستهوتهم مظاهر الحياة الغربية، فأقبل كثير منهم على الخمر والفجور والقمار والربا ونحو ذلك، ثم دب ديب^(٢).

(١) أخرجه الدارمي في سننه، باب الاقتداء بالعلماء، رقم الحديث: (٢٢٩). الناشر: دار الكتاب

العربي-بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ، قال المحقق: اسناده صحيح، (ص ٨٦).

(٢) تحصيل المجتمع المسلم ضد الغزو الفكري، للدكتور: حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط ٦، (٣٥) العدد (١٢١) ١٤٢٤هـ، (ص ٣٦٣).

وبعد أن تمكن الأعداء من الهيمنة من خلال الغزو العسكري لأقطار وأقاليم العالم الإسلامي، وفي ظل الضعف الفكري والعسكري والاقتصادي للمسلمين، بادروا إلى بث الآثار العقدية للسّمات ما يلي:

- ١- إحياء الفكر الشّعوبي والباطني.
- ٢- إحياء الفكر المعتزلي.
- ٣- إحياء الفكر الصّوفي والفلسفة التي رافقت قيام وظهور ذلك الفكر.
- ٤- تسخير أوروبا المسيحية لضرب العالم الإسلامي.
- ٥- التستر تحت شعار الإخاء والحرية والمساواة.
- ٦- هيمنة اليهود على مقاليد السياسة العالمية.
- ٧- نشر الفساد الخلقي باستخدام النساء^(١).



(١) ينظر: أصالة الإسلام في مواجهة التحدي الفكري، لعميد الركن: محمد بن مهنا آل علي، ط١، عام: ١٤١٨هـ، الناصر، دار المؤيد، (ص ٢٦٨).

المطلب الثاني

الآثار السلبية للسّمات بين المذاهب

إن الآثار السلبية النّاجمة لانتشار المذاهب الفكرية المعاصرة بين المسلمين في الوقت الحاضر بدأت منذ سقوط الخلافة الإسلامية، التي كانت بمثابة جدار منيع في وجه التيارات الغربية الوافدة^(١) وردع كل فكرة ضالة ترد في بيئة المسلمين وتدنس أخلاقهم وقيمهم وترزعزع كيانهم.

وقد برزت تلك الآثار السلبية ظاهرة في تغلغل حياة المسلمين، الدّينية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والأخلاقية والقيم، ولم تذر تلك المذاهب الفكرية الغربية مدخلاً من شؤون المسلمين وتصرفاتهم اليومية؛ إلا تركت أثارا سيئة جذرية في حياة المجتمعات الإسلامية في أقطار العالم التي أدت إلى ويلات ومصائب ومحن وتناحر وفتن وهوان وضعف وتشتت وزعزعة ورهبة من أعدائهم؛ نتيجة للإعراض عن المنهج القويم الذي ترك لنا رسولنا محمد ﷺ على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «أي: مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فإنما هو عن سيئات تقدمت لكم»^(٢).

(١) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة في ميزان الإسلام، للدكتور: محمد عبد رب النبي سيد محمد (ص ٦٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير القرشي، (٧/ ٢٠٧).

وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾

[الروم: ٤٠].

يقول السعدي **رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى** أي: استعلن الفساد في البر والبحر أي: فساد معاشهم ونقصها وحلول الآفات بها، وفي أنفسهم من الأمراض والوباء وغير ذلك، وذلك بسبب ما قدمت أيديهم من الأعمال الفاسدة المفسدة بطبعها.

هذه المذكورة ليعلموا أنه المجازي على الأعمال فعجل لهم نموذجاً من جزاء أعمالهم في الدنيا عن أعمالهم التي أثرت لهم من الفساد ما أثرت، فتصلح أحوالهم ويستقيم أمرهم. فسبحان من أنعم ببلائه وتفضل بعقوبته وإلا فلو أذاقهم جميع ما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة^(١).

وما زال خطر الغزو الفكري يزحف ويشدد، ويتعاضد يوماً بعد يوم حيث يشغل ليلاً ونهاراً ويخطط بمخططات مستقبلية على مدى البعيد، لكن مكرهم وكيدهم يكون وبالا عليهم وحسرة وندامة في حياتهم الدنيوية ومستقبلهم الآخرة تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

يقول ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى**: «فقد أخبر تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم ليصدّوا عن اتباع طريق الحق، فسي فعلون ذلك، ثم تذهب أموالهم،

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ص ٦٤٣).

﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أي: ندامة؛ حيث لم تجد شيئاً؛ لأنهم أرادوا إطفاء نور الله وظهور كلمتهم على كلمة الحق، والله متم نوره ولو كره الكافرون، وناصر دينه، ومعلن كلمته، ومظهر دينه على كل دين. فهذا الخزي لهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب النار، فمن عاش منهم، رأى بعينه وسمع بأذنه ما يسوءه، ومن قتل منهم أو مات، فإلى الخزي الأبدي والعذاب السرمدى؛ ولهذا قال ^(١): ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

والنصوص في هذا الباب كثيرة ومتنوعة وهذا نموج منها وليس حصراً مراعاةً لطبيعة البحث وقوابله وخوفاً من الاستطراد والاطناب والاسهاب.

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤/ ٥٣).

المطلب الثالث

الآثار السلبية للسّمات المتعلقة

ببهمر أحكام الشريعة الغراء



إنّ من سمات المذاهب الفكرية المعاصرة إقصاء الشريعة عن مجال الحياة وفصلها عن شؤون الحياة مطلقاً بحجة أنّ الشريعة دين الجمود والتخلف والرجعية والتأخر؛ ولذا فلا بدّ أن تكون الحياة منفصلة ومجانبة لأحكام الشريعة سياسياً واجتماعياً وأخلاقياً واقتصادياً؛ وكل ما له علاقة في شؤون الإنسان وحقوقه، معتقدين ومغرورين أنّ نبد الشريعة يتحقق فيها التطور والحضارة والتقدم والازدهار، والحرية المطلقة. ومحاكات الغرب.

يقول العلماني علي عبدالرزاق: ردّ الإسلام إلى دائرة الروح، ورد الحياة السياسية والاجتماعية بعد تحريرها من الدين، إلى دائرة العلم الوضعي، هما السبيل إلى التقدم، وإلى مسابقة الأمم في طرق الرقي، وهذا ما تعنيه هذه العبارة، لا شيء في الدين يمنع المسلمين أن يسابقوا الأمم الأخرى وأن يهدموا ذلك النظام العتيق ذلوا له واستكانوا إليه^(١).

وهذه حجة داحضة وهراء ومحاجة في الله. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا أَسْتَجِيبَ لَهُ، مُجْتَنِّهِمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: ١٦].

(١) ينظر: التغريب والمأزق الحضاري، للدكتور: سليمان الخطيب، دار هجر، ابها، ط ١، ١٤١٥ هـ، (ص ٦٣).

قال ابن عباس، ومجاهد: جادلوا المؤمنين بعد ما استجابوا لله ولرسوله، ليصدوهم عن الهدى، وطمعوا أن تعود الجاهلية^(١)...

فالدعوة إلى تنحية الشريعة عن مجالات الحياة دعوة باطلة مخالفة للفطرة السليمة والعقل السليم والنصوص والواقع.

أما دليل مخالفتها للفطرة قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

وأما من أدلة بطلان عدم إمكانية تطبيق الشريعة في العصر الحاضر

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣].

وأن الدين شامل في أمور الدنيا والآخرة وصالح لكل زمان ومكان قال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقد جاءت الشريعة الغراء لتطبيق وحفظ الضروريات الخمسة حفظ النفس، وحفظ الدين، وحفظ العقل، وحفظ المال، وحفظ العرض، وهذا من مقاصد الشريعة، وقد أحاطت بسياج في كل حد من حدود الشريعة فكان لحفظ النفس القصاص، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١٩٦/٧).

وكان لحفظ الدين حد الردة، وقد ورد في الصحيح من حديث عكرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من بدل دينه فاقتلوه»^(١).

ولأجل حفظ العقل جعل الشارع حد لمن شرب الخمر أربعين ما رواه أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ضرب في الخمر بالجريد والنعال، وجلد أبو بكر أربعين»^(٢).

ولحفظ المال كان حد السرقة قطع يده قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

ولأجل حفظ العرض والنسل شرع حد الزنى قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

وهكذا فإن لكل حكم حدّ وما يترتب عليه من عقوبات ليرتدع الناس عن الإجرام والتّعدي على الآخرين وممتلكاتهم ونسلهم وغير ذلك لكن لما أهدرت تطبيق الشريعة عمداً أو تساهلاً أو غلبة للشهوة أو غير ذلك من أسباب حبّ الدنيا وزخرفها.

فإنّ الفساد والفوضى عمت في البرّ والبحر وساد البلاء، والفتن والمحن والوباء واضمحلت الأخلاق والقيم فلم يستقر وضع المسلمين في يوم واحد في جميع مجالات الحياة.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم الحديث: (٦٩٢٢). باب حكم المرتد والمردة واستتابتهم، (١٥/٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، (٦٧٧٣). باب ما جاء في ضرب شارب الخمر، برقم الحديث، (١٥٧/٨).

نتيجة ترك تطبيق أحكام الشريعة الغراء وهي أحسن حكماً وبيّناً وعدلاً.
قال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَهْلِیَّةِ یَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ یُوقِنُونَ ﴾

[المائدة: ٥٠].

نماذج من تنحية تطبيق الشريعة وتحكيم القوانين الوضعية لدى المذاهب:

يقول نصر أبو زيد: «إن المطالبة بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية واعتبارها مطلباً أولياً في الفكر الديني الحديث مع التسليم بصحة منطلقاتها النظرية وثب على الواقع وتجاهل له، خاصة إذا تم اختزاله في مسألة تطبيق الحدود كما هو الأمر عند كثير من الجماعات التي تطلق على نفسها امس الإسلامية إن حصر غاية الدين واهدافه ف يرجم الزاني، وقطه يد السارق، وجلد شارب الخمر... أمر بتجاهل مقاصد الشريعة، واهداف الوحي في تشريع هذه الحدود»^(١).

هذا العلماني يتكلم عن واقعه وأصحابه من الزنادقة والعلمنة الذين يجاربون بتطبيق الشريعة وينادون بمحاكاة الغرب وتقليده في جميع مجالات الحياة.

وأما زكي نجيب محمود فقال في تجديد الفكر العربي هذا التراث كله بالنسبة إلى عصرنا قد فقد مكانته، لأنه يدور أساساً على محور العلاقة بين الإنسان والله.

(١) مفهوم النص، دراسة في علومك القرآن، لنصر أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط ١، ٢٠١٤م، (ص ١٤).

ويقول أيضًا: إنّ الشريعة شريعة الأسلاف والماضي لم تعد تصلح لواقعنا المعاصر، ثم علينا أن نبني حضارتنا على النموذج الغربي المادي الحديث، دونما التفات إلى أي أسس أخلاقية أو قيمة ثقافية أو عقدية^(١).

وغير ذلك من أقوال منظري المذاهب الفكرية في محاربة تطبيق الشريعة تحت شعار الحرية والتقدم والحضارة والرفي كأن قلوبهم تشابهت قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١١٨].

فقد تواسى أصحاب المذاهب الفكرية سلفاً وخلفاً عن التحرر بالشريعة وإبعادها عن مجال الحياة وعدم الانقياد لتعاليمها وغرس نفوس المسلمين بأن الشريعة لا تصلح لهذا العصر ولا تتماشى معه في شؤون الحياة وبناء حضارتهم على النموذج الغربي والسعي وراء الغرب في كل شيء، ولكل قوم وارث. قال تعالى: ﴿اتَّوَاصُوا بِهٖ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣].

(١) العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام، لأبي سفيان مصطفى باخو السلاوي المغربي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة، الأولى، ١٤٣٣هـ، (ص ٤٤).

المطلب الرابع

الآثار السلبية المتعلقة بالتفكك الاجتماعي

لقد اتفق دعاة العلمنة والزندقة الحاملين أفكار المذاهب الفكرية الدّعوة إلى إعلان الفاحشة ونشر تفكك الاجتماعي وتفشي الإباحية والإنحلال بين المسلمين.

وقد ظهر أثر تلك الدّعوات في انتشار الاختلاط في المدارس والمؤسسات الحكومية وغير ذلك أماكن المجمعات والشواطئ والنوادي المختلطة بأزياء خليعة من غير خجل ولا حياء، وقد صاحب ذلك انتشار موانع الحمل واستخدام وسائل الإجهاض من الدواء وغيرها كلها ينطبق بالتفكك الاجتماعي.

نماذج من أقوال التفكك الاجتماعي بين المسلمين:

جاء في كتاب كيف نفهم الأطفال الذي صدرته مؤسسة أمريكية تحت إشراف الدكتور: عبدالعزيز القوصي المستشار بوزارة التعليم بمصر، حيث يقول في كتابه:

الطبيعة الجنسية ليست بالشذوذ ولا المشوهة ولا تعتبر عيباً على الفرد والمجتمع بل إنها الحياة الجنسية التي تقوم عليها الأسر، تلك الأسر التي تعتمد عليها ثقافتنا، والشيء الطبيعي الصائب أن يحب الفتيان الفتيات وأن تحب الفتيات الفتيان.

ثم يقول: فالشوق إلى القبلة، أو بعض الغزل الرقيق، أو الانصات إلى قصة فيها تلميحات جنسية، كل هذه ليست أمورًا شائنة، فليهدأ الشباب بالآ، فليس كل ما يدور حول الجنس يدخل في باب المحرمات^(١).

وقد حصل بين المجتمعات الإسلامية تفكك خلقي، ونشر للدعارة، والزنى، وتجارة الإعراض وغير ذلك مما أفرزته العلمانية بقوانينها الوضعية المنحرفة.

تشكيك الشباب في عقيدتهم:

إن أقوى سلاح يستخدمون أعداء الإسلام لمحاربته والنيل من بغيتهم هو: التشكيك في مصدرية الدين الكتاب والسنة هما الحصن الحصين للمجتمع المسلم من تسلل الأفكار الغريبة ودفع شبهاتهم والتفنيذ من مخططاتهم والدفاع عن وسائلهم وأساليبهم السلبية.

وأعداء الدين توجهت سهامهم الى الطعن والتشكيك في مصدرية التشريع، وأنه لا يصلح هذا العصر وغير ذلك من التشكيك والانتقاص لقاعدة المسلمين وأساسهم.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

تشكيك الشباب في عقيدتهم:

يقول المنصر صموئيل زويمر^(٢): (أيها الإخوان الأبطال والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام،

(١) ينظر: كيف نفهم الأطفال - سلسلة دراسات سيكولوجية - مؤسسة فرانكلين الامريكية، بإشراف، د. عبدالعزيز القوصي، (ص ٧٢-٧٥).

(٢) سبق ترجمته (ص ٥٦١).

فأحاطتهم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس، لقد أديتم الرسالة التي نيّطت بكم أحسن الأداء، ووفقتم لها أسمى توفيق، وإن كان يخيل إلي أنه مع إتمامكم العمل على أكمل الوجوه، لم يفتن بعضكم إلى الغاية الأساسية منه. إني أقركم على أن الذين أدخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين لقد كانوا كما قلت أحد ثلاثة: إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ما هو الإسلام، أو رجل مستخف بالأديان، لا ينبغي غير الحصول على قوته، وقد اشتد به الفقر ولقمة العيش، وآخر ينبغي الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية، ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية لها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، وهذا ما قمتم به في الأعوام السالفة خير قيام وخير عمل يذكر ويشكر^(١).

إنّ من الآثار السيئة التي خلفت المذاهب الفكرية فساد القيم والأخلاق؛ ذلك لأن مؤسسي المذاهب الفكرية قد عرفوا بالشذوذ في أفكارهم، وسفاسف الأخلاق وسوء سلوكهم، واللهث من ورواء الشهوات والمغريات والتفلت من كل القيم وكرامة الإنسان^(٢).

(١) ينظر: موقف أصحاب الأهواء والفرق من السنة النبوية ورواتها جذورهم ووسائلهم وأهدافهم قديماً وحديثاً، لأبي ياسر محمد بن مطر بن عثمان آل مطر الزهراني، مكتبة الصديق للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١١هـ، (ص ٥١).

(٢) ينظر: ملخص المذاهب الفكرية المعاصرة، للدكتور: إبراهيم بن رافع الغامدي، (ص ١٤).



كما أنّ المذاهب الفكرية تنشر بمحاربة العدالة والإنصاف والمساواة والشفقة والعطف والرّحمة والأخوة الإيمانيّة والرّابطة الإسلامية والسّعادة الصّحيحة والأمن والاطمئنان والحياة الطيّبة^(١).



(١) ينظر: جهود العلماء والباحثين في المملكة العربية السعودية في مواجهة التيارات الفكرية المعاصرة، للدكتور: حمد بن عبدالله بن حمد الصقعي، (ص ٣٢٤).

المطلب الخامس

دور العلماء في الرد على السّمات

قد تحقق للعدو واحدًا من أهم أهدافه التي يسعى إليها، وهي تفريق الأمة وتشتيت بجهود أبنائها، وتمزيق أوصال مجتمعتها، في حين تحقق اللادينية العلمانية، والحدّاة، والقومية والشيوعية والإشتراكية، هدفًا هامًا يتمثل في نزع الإسلام من صدور أبنائه، وإقصاء الإسلام كدين وكمنهج وكنظام وكنظام شمولي لحياة المسلمين، بحث يصيرون مغترين في عالم مادي متعارض ومتصارع مع الإسلام^(١).

فند نفد العلماء شبّهات المذاهب وقاموا ببيان بطلان أفكارهم والرد عليها ومن هؤلاء العلماء.

سمّاحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «هذه نداءات باطلة، القومية والعروبة، أو الإشتراكية أو الشيوعية أو أي دعوة سوى الإسلام كلها دعاوى باطلة ونعرات جاهلية يجب أن يقضى عليها، ولا يجوز أن تبقى أبدًا، يجب على أعيان البلد ورؤسائها وعلمائها أن يحاربوا هذه الدعوات، والعروبة خادمة لشرع الله وليست أساسًا يطلب التجمع حوله، ولقد نزل القرآن بلغة العرب؛ لينفذوا حكم الله وليخدموا شريعته بما أعطاهم الله من اللغة والقوة، أما هم فليسوا بشيء بدون الإسلام وبدون الحكم بالإسلام كانوا متمزقين في غاية من الجهالة والتناحر والاختلاف، فجمعهم الله

(١) ينظر: أصالة الإسلام في مواجهة التحدي الفكري، (ص ٢٦٠).

بالإسلام والهدى وابتاع الرسول ﷺ لا بعروبتهم، فإذا ضيعوا هذا ضاعوا وهلكوا^(١).

مع هذا البيان من العلماء لم تدرس أفكار المذاهب الفكرية ولم تتوقف جهودها في إفساد عقيدة المسلم وتلوّث أخلاقه ومبادئه أو تشكيك ثوابت الدّين وليس هذا جديداً من الأعداء بل كان الصّراع موجوداً ومستمرّاً منذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا لكن قويت شكوته في العصر الحاضر لضعف المسلمين وتشتتهم وتفريقهم، وغفلة كثير من المسلمين في سموم هذه الأفكار الهدامة وعدم المعرفة لخطورتها وما تحمل في طياتها. فازداد مكر الأعداء وتنفيذ مخططاتهم، لاستخدامهم الوسائل الدقيقة وخطط محكمة، تحت شعارات براقة خداعة لا يعرفها إلى المتفطن والمتأمل والحاذق.

وتزاد الخطورة العقدية لهذه الأفكار في أنها أفكار إحادية تدعوا إلى إقصاء الدين، وإبعاده عن التدخل في شؤون الحياة، وتحارب عقيدة الولاء والبراء الذي يفرق بين المسلم والكافر والمنافق. والنداء ينادون ليلاً ونهاراً بالتقارب الأديان وتوحيدها الإسلام، واليهودية والنّصرانية ولأجلها أسس محمد عبده وتلميذه جمال الدّين الأفغاني جمعية التّأليف والتّقريب، مقصودها التقريب بين الأديان الثلاثة، وقد دخل هذه الجمعية بعض الإيرانيين وبعض الإنجليز واليهود^(٢).

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، (٣/ ٢٨٤).

(٢) ينظر: جهود العلماء والباحثين في المملكة العربية السعودية، للدكتور: حمد بن عبد الله الصقعي، (ص ٢٦٥، ٢٦٦).

أهمّ نقاط في بطلان السّمات ينحصر في العناصر الآتية:

- ١- الإلحاد.
- ٢- تقديس العقل.
- ٣- الشك والريب.
- ٤- إلغاء عقيدة الولاء والبراء.
- ٥- تلويث الأخلاق والقيم.
- ٦- استخدام شعارات براقة ملبّسة بثوب جديد.
- ٧- التّغير والتّبدل.
- ٨- كثرة التّناقض في المذاهب؛ بل في مذهب واحد من الناحية ابعاده وحدوده ومعاله.
- ٩- فصل الدّين عن الحياة.
- ١٠- الانفرادية.

وغير ذلك من العناصر التي تدل على بطلان المذاهب الفكرية لكن اختصرت هنا لأنني ذكرت سابقاً في طيّات البحث.



المبحث الثالث

سبل تحصين المجتمعات الإسلامية

التمهيد

من تحصين المسلم ضدّ المذاهب الفكرية معرفة المفهوم الصحيح والمنهج القويم للإسلام مصاحباً بالصّدق وحسن النّية الخالصة؛ وحينها يكون إيمانه واعتقاده سبيلاً لتحصين نفسه من الأفكار الغربية الهدّامة والتيارات المشبوهة التي تسمم العقول وتحرف السّلوك.

والتحصين من كل فكرة وافدة ضالة ترد على المسلم من قوالب الشّبّهات وواردتها.

والتحذير من كل ما يفسد إيمانه وعقيدته ويضعف أو تنادي التزامه بالدين وثوابت الشريعة ويدنس أخلاقه وقيمه ومبادئه، وثوابت الشريعة. فالله لا يرضى ولا يقبل من العباد إلا الإيمان الذي رسمهم وورد بيانه في القرآن الكريم وعلى لسان رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

وما عدا ذلك من أفكار ومذاهب فكرية ونظريات وفلسفات وآراء رجال مخالف لما جاء به عن الله وعن رسوله فهو غير مقبول ومعرض للأفكار الهدامة الغربية؛ لأنه لم يتحقق له بوسائل التحصين وآلياته الحسية والمعنوية. فالتحصين العقدي بمثابة جهاز المناعة للإنسان من تسرب الأمراض وقد تكون لقاحاً للإنسان من الأوبئة والأمراض الخطيرة، وهكذا المسلم يحتاج

جهاز مناعة يفظ عقيدته ويحيط بها ويرعاها من تلقي الأفكار الهدامة وشبههم فيقع في قلبه الزيف والمي عن الجادة خدعة وغرورًا وغفلة منه.
يكون ماله الهلاك والخيرة والضلال.

بحيث يحمي كل الشبهات والشهوات فالتحصين العقديّ يُشبه إلى حدّ كبير جهاز المناعة الواقعي، الذي يحمي جسد الإنسان من أن يتسرّب إليه شيء من المرض، فيفسده ويخلّ به. وهكذا المسلم، فإنّه محتاج لما يحيط عقيدته ويرعاها حقّ رعايتها من أن تتلقّى شيئاً من شبه أهل الضلال، فيقع في قلبه شيء من الانخداع بها، فيزيغ قلبه فيهلك مع الهالكين.

وبناء عليه فإنّ سبل تحصين المجتمعات الإسلامية تنقسم إلى قسمين معنوية وحسية أما المعنوية، والحديث عنها يكون في المطالب الآتية:



المطلب الأول

التحصينات المعنوية للوقائية

من السّمات المشتركة للمذاهب

المسألة الأولى

التّحصين العقدي المبني على التّأصيل

إن من أقوى حصن من الأفكار الهدامة الغربية التّمسك بالعقيدة الصحيحة السّلفية وتربيته النّشئ عليه والجيل وتعليمها ونشرها في المجتمعات الإسلامية يكون سبباً قوياً للحماية من الغلو والتفريط والإفراط كمذاهب الخوارج وأمثالها، وحصناً حصيناً من المذاهب الفكرية المعاصرة التي تحمل الإلحاد والكفر والزّندقة والآراء الضالة والمناهج البعيدة عن المنهج القويم والصّراط المستقيم.

وهو المنهج المتين كالجبال من خلال الفهم الصحيح لكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ووقاية الفكر والعقل عن كلّ ما يخلُّ بهما من الآراء الفاسدة، المخالفة لمنهج أهل السنّة والجماعة في التّلقي والاستدلال، وكل يدعي أنّه على الحقّ والصواب.

الأساس المتين والأصول المعنوي الذي يساهم الوقاية والحصانة والحيلة من انتشار المذاهب الفكرية في المجتمعات الإسلامية والثبات على المنهج القويم.

يتمثل في البنود الآتية:

السبيل الأول: سؤال العبد ربه الهداية والإعانة والثبات على الإسلام

والسنة.

وفي ذلك أدلة كثيرة من الكتاب والسنة، فمن الكتاب:

- قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].

ومن السنة ما رواه أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر أن يقول: «اللهم ثبت قلبي على دينك»، فقال رجل: يا رسول الله، تخاف علينا وقد آمنا بك، وصدقناك بما جئت به، فقال: «إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن عَزَّ وَجَلَّ يقلبها» وأشار الأعمش بإصبعيه ^(١).

السبيل الثاني: الثقة التامة لوعود الله وحكمه وأوامره عن حفظ الدين من شبهات المغرضين والضالين أو لبسه إياه، ومن ثم الصبر على مكائد المنفذين والمسوغين للشبهات، فإنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وقد قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين» ^(٢).

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، باب دعاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، برقم الحديث: (٣٨٣٤) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، وصححه الألباني، (١٢٦٠/٢).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، ٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، (١٥٣/٢).

السبيل الثالث: تلقّي العلم عن العلماء الربّانيين، وإرجاع المسائل المشكلة إليهم، فإنّ الله تعالى يقول: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وعن محمد بن سيرين، قال: «إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم»^(١).

وعن عثمان الحيري^(٢) يقول: «من أمرّ السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ومن أمرّ الهوى على نفسه نطق بالبدعة»^(٣). لقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ الْمُبِينِ﴾ [النور: ٥٤].

ويقول الإمام أحمد **رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى**: «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالّ تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم. ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا عقول الفتنة

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب في أن الإسناد من الدين، (ص ١٤).

(٢) هو الإمام المحدث الواعظ القدوة، شيخ الإسلام، أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور النيسابوري، الحيري، الصوفي، مولده سنة ثلاثين ومائتين بالري. ينظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايّاز الذهبي، دار الحديث- القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ (١١/٤١).

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، السعادة- بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ، (١٠/٢٤٤).

فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم»^(١).

السبيل الرابع: التعلّق بكتاب الله قراءةً وفقهاً وتدبراً وعملاً، ولو أقبل الخلق على كتاب الله والانتهاج بنهجه، لأجارهم - سبحانه - من الفتن، فالقرآن شفاء لما في الصدور، ومن يُعرض عنه فسيصيبه من العذاب بقدر ابتعاده عنه، ورضي الله عن ابن عباس إذ قال: «قال ابن عباس: «من قرأ القرآن فاتبع ما فيه هداه الله من الضلالة في الدنيا، ووقاه يوم القيامة الحساب»^(٢).

وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هَذَا فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣].

السبيل الخامس: مجاهدة القلب واصلاحه ومن حاول ذلك وجدّ واجتهد في تحصيله، فليبشر بالهداية واليقين، فالله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

السبيل السادس: معرفة مقاصد الشريعة، ومرامي الدين الإسلامي، لأنها تمنح المسلم قوّة منهجية كبيرة، ولقاحاً ضدّ الانحرافات.

السبيل السابع: فهم نصوص الكتاب والسنة، واستنباط الأحكام والعبر والمواعظ.

(١) الرد على الجهمية والزنادقة، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات للنشر والتوزيع، ط ١، (ص ٥٥).

(٢) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني، في مصنفه، باب تعليم القرآن وفضله، رقم الأثر: (٦٠٣٣). بتحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي - الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٢، ١٤٠٣ هـ، (٣/ ٣٨١).

السبيل الثامن: استنباط براهين الحق ودلائل التوحيد ومعجزات النبي ﷺ وغير ذلك من العقائد بالتدبر لآيات الله المنزلة من عند الله والتفكر في آيات الله الكونية المشاهدة وغير المشاهدة.

السبيل التاسع: بيان محاسن الإسلام وسلامة نظمه وتشريعاته من النقائص، وأنها هي المصلحة لحياة الناس.

السبيل العاشر: الدّفاع عن الإسلام وتفنيد الشبهات المثارة حوله، وبيان بطلان الأفكار المنحرفة والأديان الضالة.

السبيل الحادي عشر: استكشاف الأسرار التي وضعها الله في خلقه، وسخرها^(١).

السبيل الثاني عشر: إيضاح مخاطر التيارات الفكرية المعاصرة وما فيها من سوء وانحراف وبطلان وتفكك وشهوات مادية منحرفة، وشبهات فكرية ضالة، مع بيان الأحكام الشرعية المترتبة على كل ذلك.

السبيل الثالث عشر: بيان حقيقة الإسلام للمجتمع، ومدى ما تضمنته عقيدته وشريعته وأخلاقه وآدابه من خير وفضل للناس مع تفوقه على غيره.

السبيل الرابع عشر: دعوة الناس إلى التمسك بالإسلام والإنقياد لشريعته والتأديب بآدابه وعدم الخروج على أحكامه ونبد العادات والتقاليد السيئة^(٢).

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، لعبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، (٢/٥٤١).

(٢) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، إصدار، المجلس العلمي بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، العدد ١٨، (ص١٢). بواسطة: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، للدكتور: عبد الرحيم المغذوي، (ص٢٥٥).

المسألة الثانية

مجانبة أصحاب السوء

من أهم وسائل التحصين للمجتمع المسلم من خطر المذاهب الفكرية
مجانبة أصحاب السوء وصحبتهم ويدل على ذلك أدلة من القرآن الكريم
والسنة المصطفى **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ
حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ **إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهمُ** إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي
جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿[النساء: ١٤٠].

نهى الله تعالى عن الجلوس مع المنافقين أو أصحاب السوء والأهواء
وكل من نحى نحوهم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا
فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿
[الأنعام: ٦٨].

وبناء على ما سبق من الأدلة القرآنية: يدل على البعد عن أصحاب
المعاصي، وترك مجالستهم إلا على وجه التذكير والنصح كما فعل النبي
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما مر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين واليهود
فجلس يذكرهم ويعظهم **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** ^(١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب تفسير القرآن، ١٨٦ برقم: (٤٥٦٦).

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١) عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مثل المجلس الصالح والسوء، كحامل المسك وناfox الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، وناfox الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة»^(٢).

فالحديث اشتمل على الحث على اختيار الأصحاب الصالحين، والتحذير من ضدهم.

ومثل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذين المثالين، مبيناً أن المجلس الصالح: جميع أحوالك معه وأنت في مغنم وخير، كحامل المسك الذي تنتفع بما معه من المسك: إما بهبة، أو بعوض. وأقل ذلك: مدة جلوسك معه، وأنت قرير النفس برائحة المسك.

وأقل ما تستفيده من المجلس الصالح -وهي فائدة لا يستهان بها- أن تكف بسببه عن السيئات والمعاصي.

وأما مصاحبة الأشرار: وهم مضرّة من جميع الوجوه على من صاحبهم، وشر على من خالطهم. فكم هلك بسببهم أقوام. وكم قادوا أصحابهم إلى المهالك من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون. ولهذا كان من أعظم نعم

(١) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر. ثم أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبيشة، ثم قدم مع أهل السفيتين ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخير. ومات بالكوفة في داره بجانب المسجد سنة اثنتين وخمسين. الاستيعاب (٤/١٧٦٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، رقم الحديث: (٥٥٣٤). (٩٦/٧).

الله على العبد المؤمن، أن يوفقه لصحبة الأخيار. ومن عقوبته لعبده، أن يبتليه بصحبة الأشرار.

صحبة الأخيار ترفع العبد إلى أعلى عليين، وصحبة الأشرار تنزله إلى أسفل سافلين.

صحبة الأخيار توجب له العلوم النافعة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة وصحبة الأشرار تحرمه ذلك أجمع^(١).

ولهذا إذا وفق الله المسلم صحبة صالحة تدلّه على الخير وتدفعه عن الشر فهي من أعظم نعم الله عليه والمقصود هنا أن يحذر كل الحذر من أصحاب السوء والوسائل المؤدية إلى ذلك.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا أيها الناس، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يقعدن على مائدة يدار عليها الخمر»^(٢).

وفي حديث قاتل التسعة والتسعين نفساً: إن هذا القاتل لما أتم المائة قال له العالم: «اترك أرضك فإنها أرض سوء، واذهب إلى أرض كذا وكذا فإن بها قومًا يعبدون الله فاعبد الله معهم»^(٣).

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، لعبد الرحمن بن ناصر بن حمد آل سعدي، تحقيق: عبد الكريم بن رسمي ال دريني، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط: ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، (ص ١٥٦).

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط. وقال: حسن لغیره، (١/ ٢٧٧).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله برقم الحديث: (٨). (٢١١٨/٤).

المسألة الثالثة

ملازمة الجلوس مع الصالحين

والمتتمين لمنهج أهل السنة، وقد نهانا رسول الله ﷺ عن صحبة ضعاف الإيمان، وأمرنا بصحبة المؤمنين لحديث أبي سعيد^(١) عن النبي ﷺ، قال: «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي»^(٢).

ومن أفضل الوسائل التي ينبغي أن يستخدمها الدعاة أو المراكز الإسلامية التقنية الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعي، مثل الإنترنت، والجوالات كي يسهل التحصين والحفاظ ويكون الاتصال أسبوعياً حسب الطاقة والإمكانية، ويعطى من خلال تلك التقنيات دروس إيمانية وفضل الصحبة الصالحة.

وغير ذلك من سبل تحصين المجتمعات الإسلامية في كل أقطار العالم حيث أنّ الأفكار والتيارات الغربية تتجدد يوماً بعد يوم بوسائل متعددة متنوعة قد يكون مباشر أو غير مباشر حسب البيئة والمجتمع والمناخ؛ لكن جذورها وأصولها ترجع إلى الأفكار القديمة اليونانية والفلاسفة. ولكن

(١) هو: سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبحر. وهو خدرة بن عوف بن الحارث ابن الخزرج الأنصاري الخدري، كان أبو سعيد من الحفاظ الكثيرين العلماء الفضلاء العقلاء، وأخباره تشهد له بتصحيح هذه الجملة، مات سنة أربع وسبعين: ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، (٤/ ١٦٧١).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، باب من يؤمر أن يجالس، برقم الحديث: (٤٨٣٢). وحسنه الألباني في تعليقه في السنن، (٤/ ٢٥٩).

حصن المسلم من هذه الأفكار هو الرجوع إلى دين الله تعالى والتمسك بصراطه المستقيم وحبله المتين قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْنِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

كيفية تحصين المسلم من المذاهب الفكرية المعاصرة:

يتلخص في العناصر الآتية:

- ١- عدم قراءة كتبهم والاستقراء فيها لمن ليس له علم يدفع به شبهاتهم.
- ٢- عدم متابعتهم من خلال الوسائل الاجتماعية مثل اسناب وتويتر وغيرها.
- ٣- عدم نقل أفكارهم ونشرها بدون علم بمحتواها.
- ٤- عدم الاغترار بشعاراتهم البراقة.
- ٥- عدم مشاركة دوراتهم وندواتهم وجلساتهم.
- ٦- الردّ على شبهاتهم.
- ٧- التحذير من زيوفهم وأباطلهم.
- ٨- عدم مشاركة مدارسهم ومنشآتهم الفكرية.
- ٩- كشف عوار مبادئهم وقواعدهم.



المطلب الثاني

الوسائل الحسية لتحسين المجتمعات الإسلامية من المذاهب الفكرية

وتحتة عشرة مسائل:

المسألة الأولى: الدراسة الواعية والنّاقدة للأفكار والملل والنحل:

المغايرة لمنهج أهل السنّة، مع الحذر من أهلها، وتمكين العقليّة الإسلاميّة من أدوات الفهم والنّظر والمعرفة لرصد الانحرافات الفكرية، ومعالجتها على ضوء الشريعة، ومما بيّن أهميّة ذلك أنّ الله تعالى فصّل لنا وسائل وأساليب وحجج المجرمين، وردّ عليها داحضاً لها، فمعرفة وفقه المداخل التي يدخل بها أهل الزيغ والهوى لإقناع من يريدون ضمّه إليهم، أصل نبه عليه تعالى فقال: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٥٥].

ولهذا يقول حذيفة بن اليمان: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني»^(١). فمعرفة الشرّ وأهله منهج أساس لأهل السنّة والجماعة وكشف خدعه، كما يقول قائلهم: قال الشاعر: أبو فراس الحمداني^(٢):

- (١) أخرجه البخاري في باب: كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، برقم الحديث: (٧٠٨٤). بتحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ، (٥١/٩). وأخرجه مسلم في صحيحه، في باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، برقم الحديث: (٥١) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، (١٤٧٥/٣).
- (٢) أبو فراس الحمداني، ٣٢٠-٣٥٧ هـ/ ٩٣٢-٩٦٧ م، الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الربعي، أبو فراس، شاعر أمير، فارس، ابن عم سيف الدولة. له وقائع كثيرة، قاتل بها بين يدي =

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه^(١)

المسألة الثانية: البقاء في ديار المسلمين وعدم الإقامة في بلاد الكفار إلا

للضرورة:

وردت نصوص من القرآن العزيز في التحذير من إقامة بين ظهرائي الكفار والمشركين وهو قادر على الهجرة ومن تلك النصوص قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمُتَكِبِينَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧].

يقول ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى**: (الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهرائي المشركين وهو قادر على الهجرة، وليس متمكنا من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع)^(٢).

عن ابن جريج قال: كان يقال: الإسلام درجة، والهجرة درجة في الإسلام، والجهاد في الهجرة درجة، والقتل في الجهاد درجة^(٣).

= سيف الدولة، وكان سيف الدولة يحبه ويحمله ويستصحبه في غزواته ويقدمه على سائر قومه، وقلده منبج وحران وأعمالها، فكان يسكن بمنبج ويتنقل في بلاد الشام، جرح في معركة مع الروم، فأسروه وبقي في القسطنطينية أعواماً، ثم فداه سيف الدولة بأموال عظيمة، قال الذهبي: كانت له منبج، وتملك حمص وسار ليمتلك حلب فقتل في تدمر، وقال ابن خلكان: مات قتيلاً في صدد (على مقربة من حمص)، قتله رجال خاله سعد الدولة. ينظر: الكتاب: معجم الشعراء العرب، المؤلف: تم جمعه من موقع الموسوعة الشعرية، (ص ٤٠٧).

(١) (الحماسة المغربية) مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب لأبي العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي، تحقيق: محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، ط ١، ١٩٩١ م، (٢/ ١٢٥٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢/ ٣٨٩).

(٣) فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاني اليمني، (ص ٥٨٢).

قال السعدي **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى**: «ينطبق الوعيد الشديد لمن ترك الهجرة مع استطاعته عليها حتى مات، فإن الملائكة الذين يقبضون روحه يوبخونه بهذا التوبيخ العظيم»^(١).

تحصين المجتمع المسلم ضدّ الغزو الإعلامي الجاهليّ، والمخططات الخبيثة الماكرة الهادفة لتذويب الأمة، ومحو هويتها. هذه هي أهداف الإعلام الإسلامي تشعُّ نبلاً، ونوراً، وتنشر علماً نافعاً، ومعرفة مفيدة، ووعياً صحيحاً، وعملاً صالحاً، ترتفع به أمتنا، وتزدهر به شتى مناحي الحياة^(٢).

المسألة الثالثة: تربية النشء على ما يُرضي الله:

محاورتهم ببيان فساد شُبُهات أهل الزيغ والهوى، مع قوّة الإقناع، وأدب الحوار، فالتنشئة الصحيحة على التحصين العقدي هي أول عملية في التربية، بتربيتهم على العقيدة الصحيحة، وحماية ذواتهم من العبث الفكريّ، وبناء الشخصية الإسلامية التي لا تؤثر فيها تيّارات التشكيك، وإرسالهم إلى المربّين الثقات لتربيتهم على أصول ديننا، وقد قال أيوب السخيتاني: (إن من سعادة الحدث -أي: من سعادة الغلام الصغير- والأعجمي أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة). يعني: من أعظم نعمة عليك أن توفق إلى رجل من أهل السنة يعلمك السنة ويجنبك البدعة^(٣).

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ السعدي، (ص ١٩٥).

(٢) صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم، إشراف فضيلة الدكتور: حاتم محمد منصور مزروعة، الناشر: رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية (ماليزيا)، عام النشر: ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م، (ص ٤٤).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة - السعودية، ط ٨: الثامنة، ١٤٢٣ هـ، (١/ ٦٦).

المسألة الرابعة: رياضة النفوس في أداء الفرائض:

إنّ من هدي النبي ﷺ الزيارة لأصحابه وأقاربه وجيرانه والمرضى وغيرهم، تأليفاً لقلوب الناس والزيارة لها دور كبير في نفوس المسلم وزيادة إيمانه على عقيدته ودفع الشكوك والدعايات الباطلة عنه، وحماية من سموم المناوئين للدعوة. فإنّ من الوسائل التي كان رسول الله ﷺ يستخدمها زيارة المدعوين في أنديةهم، ومجالسهم، وبيوتهم، وأماكن عملهم، ومحافلهم، وأسواقهم، لغرض وهدف واحد وهو: هدايتهم ودعوتهم إلى الإسلام^(١).

أهميتها:

- ١- ملتقى للمسلمين في جميع أنحاء العالم.
- ٢- تكفير السيئات والذنوب.
- ٣- زيادة الإيمان.
- ٤- الدعاء لنفسه وللمسلمين.
- ٥- الاستثمار من موسم العبادات والطاعات.
- ٦- النشاط في الطاعات لكثرة المعتمرين والزوار والطائفين والعاكفين.
- ٧- حماية من سموم المناوئين للدعوة.
- ٨- شعور روح الإسلام وسماحته.
- ٩- الألفة والمحبة بين المسلمين.

(١) وللمزيد في موضوع الزيارة وأنه وسيلة حسية للدعوة إلى الله ينظر: دعوة حديثي العهد بالإسلام في العصر الحاضر، للباحث، (ص ٢٧).

١٠- موسم الصدقات والتبرعات.

١١- مساعدة الملهوفين والمعوزين من الفقراء والمساكين.

المسألة الخامسة: إقامة برامج الرحلات الدعوية والتوعوية المستمرة؛

إنّ من وسائل تحصين المجتمع من المذاهب الفكرية وسمومها وشبهاتها، الرحلات الإيمانية، والأنشطة الترفيهية؛ لأنّ ذلك عامل من عوامل البناء الذاتي والعملي والتربوي للردع عن الشبهات ومناقشتها ووسيلة من وسائل الجذب والألفة والمحبة، والاستقامة في الدين والمشاركة الفعّالة في نشر الدّعوة، وإنّ من أهمّ تلك الرحلات التي تثبت وتقوّي إيمان عبد المسلم الرّحلة إلى مكة المكرمة لأداء الحجّ والعمرة، والرّحلة إلى المدينة المنورة لزيارة المسجد النبوي، ولها من الآثار الإيمانية الشيء الكثير وهو داخل في الاهتمام بأرواحهم وأنفسهم؛ لأنّها تثبت فؤاد وتزيد إيمانهم وترسيخ تمسكهم بعقيدة، وعبادة، وأخلاقاً، ومعاملةً؛ فإنّ من أعظم فوائد الحجّ والعمرة، التّقوى وزيادة الإيمان والثبات على الإسلام، وهذا هو «الزّاد الحقيقي المستمر نفعه لصاحبه، في دنياه، وأخراه، فهو زاد التّقوى الذي هو زاد إلى دار القرار، وهو الموصل لأكمل لذة، وأجل نعيم دائم أبداً، ومن ترك هذا الزّاد، فهو المنقطع به الذي هو عرضة لكل شرّ، وممنوع من الوصول إلى دار المتّقين»^(١).

المسألة السادسة: إقامة برامج المسابقات تحفيزاً للجيل الناشئ؛

إنّ من الوسائل المؤثرة المعينة على الثّبات، برامج المسابقات العلميّة، فالمسابقات العلميّة المتقنة في مضمونها، وأسلوبها، وحوافزها من أهمّ

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، (ص ٩١).

الوسائل لتعليم الجيل الناشئ وترسيخ إيمانهم وتثبيت عقيدتهم، وتصحيح أخطائهم.

المسألة السابعة: التحصين بظلال الأخوة الإيمانية من المذاهب الفكرية^(١).

المسألة الثامنة: أثر قيام أفراد المجتمع بالحقوق المفروضة لبعضهم على بعض في قوة الرابطة الإيمانية قلة اثره الواقع في النفوس.

المسألة التاسعة: التسليح بالعلم الشرعي؛

وهو العلم الشرعي المستقاة من الكتاب والسنة وفهم سلف الصالح رضوان الله عليهم اجمعين.

المسألة العاشرة: وجوب الابتعاد عن خصائص الديانات السابقة والتشبه بأصحابها^(٢)؛

وغير ذلك من الوسائل التي تساهم في تحصين المجتمعات الإسلامية من المذاهب الفكرية وطرقها ووسائلها وبث سمومها في أوساط المجتمع المسلم والتحذير منها ظاهراً وباطناً.

(١) دراسات في المجتمع العربي، تأليف نخبة من أساتذة الجامعات، الفصل الأول بعنوان: المجتمع الإنساني طبيعته ومقوماته، د. حسان محمد الحسن، (ص ١٧).

(٢) إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها وفرضها، لماجد عرسان الكيلاني، ط ١، ١٤٦١هـ، (ص ٧١، ٧٢)، وكتاب: دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، لإسحاق بن عبدالله السعدي، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط ١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣ م، (٢/ ٩٦٠).

المبحث الرابع

سبل مواجهة السمات المشتركة بين المذاهب الفكرية

المطلب الأول

وسائل الثبات (الإنترنت)

الإنترنت تعريفه، وتاريخه، ومجالاته

أولاً: تعريف الإنترنت، وتاريخه:

الإنترنت: وهي عبارة عن شبكة ضخمة عملاقة من أجهزة الحاسب الآلي، والشخصية والمتوسطة والعملقة المرتبطة ببعضها البعض، والمنتشرة حول العالم والتي تعمل ضمن بروتوكول شامل وموحد يمكن الدخول إليه أو التعامل معه من أي جهاز حاسب آلي مربوط بهذه الشبكة، وباستخدام برامج وأنظمة مفتوحة ومتداولة. ومتداولة. وتتبادل هذه القنوات فيما بينها البيانات والمعلومات بأشكال مختلفة صوت، صورة، بيانات، رسوم توضيحية.. وغير ذلك^(١).

وقيل عن الإنترنت هي: شبكة ضخمة من أجهزة الحاسب المرتبطة ببعضها البعض والمنتشرة حول العالم^(٢).

(١) ينظر: الإنترنت فوائدها أخطارها، لسلطان الثقفي، (ص ٤).

(٢) المرجع السابق (ص ٤).

وتاريخها:

يرجع تاريخ الانترنت في عام: ١٩٦٩ م. عند ما انشأت وزارة الدفاع الامريكية وكالة مشاريع الأبحاث المتقدمة وكان الهدف منها هو ربط المواقع الحكومية والعسكرية مع بعضها البعض، وتعتبر هذه هي المرحلة الأولى من مراحل تأسيس الإنترنت. أما المرحلة الثانية فقد بدأت عام ١٩٨٩ م عندما أصبحت هي اللغة الرسمية للإنترنت. أما المرحلة الثالثة فقد بدأت عام ١٩٨٩ م، وذلك عندما تم تأسيس مركز البحوث في الانترنت وتأسيس وحدة مهندسي الانترنت لكن الثورة الحقيقية لهذه الشبكة بدأت في المرحلة الرابعة سنة: ١٩٩٣ م، والتي تم فيها اختراع الشبكة العنكبوتية^(١).

والإنترنت يتطور يوماً بعد يوم في برامج وخدماته وتسهيلاته ويأتي بالجديد والمفيد سواء كان فائدة أو خسارة. في أسهل الخدمات وأروع الجودة والدقة العالية وكل ما يحتاجه الانسان من مجالات الإنترنت المسموعة والمقروءة والمكتوبة فلم يتوقف تطويره إلى يومنا هذا منذ نشأته وظهوره في العالم فيمضي قدماً في التطوير والتقدم وتوسيع مجالاته حتى يسيطر على العالم ويتحكم سياسياً وفكرياً.

كما أنّ له منافع وخدمات كذلك له مضار ومفاسد فهو سلاح ذو حدين يستخدم الخير والشر لكن الشر أكثر وفساده أكثر من نفعه.

ويجب تحصين المجتمع المسلم من الأفكار الغربية عبر النت وخدماته المتوفرة المشاهدة والمسموعة سواء كان البث مباشر أو غير مباشر الذي

(١) مقدمة في الحاسب والانترنت، لعبدالله بن عبدالعزيز الموسى، المملكة العربية السعودية، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر، الرياض، ط ٥، ١٤٢٨ هـ، (ص ٦٠٠).

يعدّ من أحدث الوسائل المعاصرة لنشر الدعوة الصحيحة السلفية والمنهج القويم للدعوة إلى الله عن طريق قنوات والمواقع الالكترونية والتقنيات الحديثة والصفحات المتعددة مثل صفحة فيسبوك أو يوتوب، أو تليجرام أو صفحات أخرى لأن أكثر مواقع وقنوات الإنترنت الشبكة العالمية يدير أو يسيطر عليها أعداء الإسلام وأهله من الزنادقة والعلمنة والعقلانية والحدائية والليبرالية والماركسية والماسونية وغيرهم من المذاهب الفكرية المعاصرة بوسائل متعددة مباشرة أو غير مباشر لكن هدفهم محاربة الدين وأخلاق المجتمعات الإسلامية في عقر دارهم؛ ولذا ينبغي للدعاة استثمار هذه الوسيلة المعاصرة عن طريق انشاء مواقع وصفحات لتوعية وتحسين المجتمع المسلم من المذاهب الفكرية الغربية وهذا أثر فعال في دعوتهم وتوعيتهم وتوجيههم، والتّصدي لشبهات المغرضين والعقلانيين وغيرهم الذين يبثون سمومهم وأفكارهم في أوساط المجتمعات الإسلامية.

مسوغات الوسائل المعاصرة للسّمات عبر الإنترنت وغيره من التقنيات الحديثة.

لقد اشتملت شبكة الإنترنت على عدة مسوغات تجعله أرضاً خصبة للاستثمار الدعوي ومن هذه المسوغات ما يلي:

أولاً: جاذبية الإنترنت:

إقبال الناس المتزايد على استخدام الإنترنت؛ إذ يبلغ عدد المستخدمين حوالي ٣٥٠ مليوناً، وينضم إليهم شهرياً أكثر من مليون مستخدم، وأصبح

الإنترنت اليوم مرجعاً لكل باحث عن معلومة معينة ومقصداً لكل طالب علم ديني أو دنيوي لقد كان من الصعوبة فيما مضى الحصول على معلومات صحيحة وشاملة عن الإسلام في كثير من بلدان العالم، أما اليوم فقد اختلف الوضع تماماً وصار الإسلام يقتحم بيوت الناس ومعاهدهم بل وغرفهم الخاصة^(١).

ومن شواهد ذلك: أن شاباً نيوزلندياً اسمه أحمد أسلم منذ ٣ سنوات ووالداه كافران لا يعلمان عن إسلامه شيئاً! وشاهد آخر: جميلة هي فتاة أمريكية أسلمت عبر الإنترنت من خلال قيامها بطباعة الكتب الإسلامية من الإنترنت أثناء العمل لتسهر على قراءتها في عطلة نهاية الأسبوع وفي البرازيل اعتنقت الإسلام فتاة يابانية، وهي الآن داعية للإسلام عبر الإنترنت. والأمثلة كثيرة، وفي كل يوم يصل إلى بريد المحتسين للدعوة عبر الإنترنت الكثير من الأسئلة والاستفسارات حول الإسلام، بل وصل الأمر إلى أن طلاب الجامعات الغربية الذين يدرسون الإسلام الثقافات وأساتذتهم يسألون المسلمين عما أشكل عليهم، والأمثلة في ذلك كثير جداً.

ثانياً: قلة التكلفة:

لو فكر إنسان بطباعة كتيب صغير لـ ١٠,٠٠٠ شخص فهو يحتاج إلى ٦٠,٠٠٠ ريال لنشر كتيب صغير الحجم وتوزيعه أما في الإنترنت فيمكن أن يُطبع الكتاب ويُرسل إلى ملايين الأشخاص دون تكلفة تذكر. كما أن كثيراً من الخدمات التي تقدمها الشركات العالمية أصبحت مجانية، ومعظم

(١) استخدام الإنترنت في الدعوة إلى الله ونشر الإسلام، لسليمان العمري، عن طريق موقع.

www.awda-dawa.com تاريخ الزيارة: ٨/٥/١٤٤٢ هـ. الساعة: ٢١:٦م.

هذه الخدمات هي نفسها التي يستخدمها الدعاة إلى الله من الوسائل المقروءة والمرئية والمسموعة^(١).

ثالثاً: سهولة استخدام الإنترنت:

إن استخدام الإنترنت سهل جداً، ويمكن للشخص التعرف على الإنترنت واستعماله خلال جلسات محدودة وهذا يحفز الدعاة على استخدام هذه الوسيلة الفعالة التي لا تحتاج إلى دورات علمية معقدة طويلة الأمد.

رابعاً: عالمية الإنترنت:

الإنترنت متوفر في كل دول العالم تقريباً، ولذا فإن الدّاعية ليس محصوراً في مكان معين، أو مدرسة معينة أو مسجد معين؛ إذ يمكن أن يدعو في أي مكان بمجرد وجود شبكة إنترنت حتى في المقاهي المخصصة لذلك، ويستطيع أن يدعو وهو بعيد.

ميادين الإنترنت في تحصين المجتمعات الإسلامية من السمات:

ينحصر في الآتي:

أولاً: مواقع البريد الإلكتروني: تُعدّ هذه الوسيلة باباً واسعاً للدعوة إلى الله تعالى؛ فهي من أكثر الخدمات التي تُقدمها شبكة (الإنترنت) شهرةً واستخداماً وفائدة، لاسيما وأنه «يمكن بواسطته إرسال واستقبال رسائل كتابية أو مسموعة أو مُشاهد مرئية، أو مزيج من أمور مقروءة ومسموعة

(١) استخدام الانترنت في الدعوة إلى الله ونشر الإسلام، لسليمان العمري، عن طريق موقع.

www.awda-dawa.com تاريخ الزيارة: ٨ / ٥ / ١٤٤٢ هـ. الساعة: ٦:٢١ م.

ومرئية «والبريد الإلكتروني خدمة عظيمة النفع متى تم استخدامها بحكمة ودراية لاسيما وأنها سهلة الاستعمال وقليلة التكلفة وتوفر الكثير من الوقت والجهد، وهي واسعة الانتشار بشكلٍ مُذهِلٍ جدًّا فقد أشارت بعض المصادر إلى أن «متوسط الرسائل اليومية عبر الإنترنت في مُختلف المجالات نحو ثمانية مليارات رسالة، وهو رقمٌ مُرشح للنمو باضطراد خلال الأعوام الثلاثة المُقبلة وليس هذا فحسب؛ فالبريد الإلكتروني^(١).

ويتميز بالسرعة الفائقة، فالرسائل تصل إلى المرسل إليهم في ثوانٍ معدودات فتوفر الجهد والوقت الذي تتطلبه الرسائل البريدية العادية وإذا كان البريد الإلكتروني يُقدم هذه الخدمة العظيمة فإن الحاجة ماسةٌ جدًّا لاستخدامه في إرسال الرسائل الدعوية المختلفة إلى المدعوين على اختلاف فئاتهم ومستوياتهم وجنسياتهم؛ ومن ثم فتح باب التواصل معهم، ومراسلتهم، ومحاولة الرد على أسئلتهم واستفساراتهم عن أمور الدين والدنيا. كما أنه يمكن الاستفادة من هذه الوسيلة في الدعوة إلى الله تعالى عن طريق مراسلة المشتركين في قوائم البريد الإلكتروني

الموجودة في المواقع المختلفة؛ إذ إن هناك بعض الشركات التي لها قوائم بريدية تتجاوز أحيانًا خمسون مليون عنوانًا بريدًا ويتم الاتفاق مع هذه الشركات مقابل مبلغ معين لتوصيل رسائل دعوية متنوعة لهؤلاء المشتركين عن طريق الإنترنت، وهذه وسيلةٌ جيدةٌ جدًّا متى أُحسن استخدامها والاستفادة

(١) ينظر: استخدام الإنترنت في الدعوة إلى الله ونشر الإسلام، للشيخ سليمان العمري، عن طريق موقع . www.awda-dawa.com تاريخ الزيارة: ٨ / ٥ / ١٤٤٢ هـ. الساعة: ٦:٢١ م.

منها في هذا الشأن وقد أشار أحد الباحثين إلى إمكانية استخدام هذه الوسيلة في الدعوة إلى الله تعالى بقوله: «لقد قام بعض المخلصين باستخدام هذه الوسيلة وهي تجربةٌ دعويةٌ ناجحة من حيث المبدأ، خصوصًا إذا ما توافرت فيها العناصر الكافية. وهي فكرةٌ تقوم على الدعوة إلى الله عن طريق البريد الإلكتروني؛ حيث يقوم بإرسال رسائل مُنظمة إلى المشتركين في القائمة البريدية. «وهنا تجدر الإشارة إلى أنه لا بُد من مراعاة بعض الأمور التي يمكن من خلالها ضمان التحصين في المجتمعات من خلال البريد الإلكتروني ومنها ما يلي:

- ١- أن تكون الرسائل الدعوية متنوعةً في موضوعاتها وطرحها حتى لا تكون مُملةً ومكررة.
- ٢- أن يكون إرسال الرسائل الدعوية باعتدال، وفي فتراتٍ معقولة، وبطريقةٍ غير مُزعجة أو مُكثفة.
- ٣- أن تكون الرسائل الدعوية مُختصرةً وغير مطولة في محتواها حتى لا تُمل أو تُهمل.
- ٤- أن تكون موضوعات الرسائل الدعوية مختارةً بعنايةٍ واهتمام، وأن تكون ذات معلوماتٍ موثقةٍ وواضحة.
- ٥- أن تكون الرسائل الدعوية مناسبةً في موضوعاتها للظروف والمناسبات الزمانية والمكانية المُختلفة قدر الإمكان حتى يوافق المقال المقام.

٦- أن تكون الشركة التي يتم الاتفاق معها لتقوم بمهمة الإرسال عبر شبكة الإنترنت من الشركات الموثوقة في هذا المجال من حيث صحة العناوين التي ترسل إليها الرسائل، ومدى التزامها بتنفيذ المهمة، ونحو ذلك^(١).

ثانياً: مواقع برامج المحادثات أو المجموعات البريدية: وهي إحدى التطبيقات التي تتيح التواصل في الإنترنت مع عدد كبير من الأشخاص من خلال الكتابة وتعرف المجموعات البريدية بأنها: موقع يقدم خدمة تواصل عبر البريد الإلكتروني (الإيميل) من مجموعة من الأفراد؛ بهدف نشر معلومات، والتفاعل فيما بينهم ومن مواقع البريد موقع gmail-hotmail الاشتراك في أي مجموعة بريدية، وإرسال أية رسالة بريدية لديه إلى جميع أعضاء المجموعة^(٢).

ومن صور الاستفادة من المجموعات البريدية في دعوة المتبنين للمذاهب الفكرية أو المتأثرين بها:

١- تكوين مجموعة بريدة لرصد التجاوزات والانحرافات لا سيما المستجدة منها والتي تصدر عن المواقع الخاصة بالمذاهب الفكرية.

٢- تكوين مجموعة بريدية ممن يلمس عليهم ميل أو يخشى منهم التأثير بهذه المذاهب ممن يغشون مواقعاً، ويلمس عدم تحصنهم عن أفكارها، دون

(١) استخدام الانترنت في الدعوة إلى الله ونشر الإسلام، للشيخ سليمان العمري، عن طريق موقع.

www.awda-dawa.com تاريخ الزيارة: ٢٩/٦/١٤٣٦هـ. الساعة: ٦:٢١م.

(٢) ينظر: اللائحة التنفيذية لنشاط النشر الإلكتروني، الصادرة عن وزارة الثقافة والاعلام، والإنترنت والاتصالات، لعادل عبد اللطيف، (ص٧).

أن يبدو عليهم التعصب لها وتزويديهم بالكتب النافعة والمحاضرات التي تكشف خطورة هذه المذاهب.

٣- ضم الدعاة المتخصصين بالرد على المذاهب الفكرية بمجموعة بريرية وتزويديهم بما يصدر من أتباع هذه المذاهب من تجاوزات وما صدر من مواد مقروءة أو مسموعة أو مرئية للرد عليهم^(١).

ثالثاً: مواقع المنتديات الكتابية.

رابعاً: موقع تويتر.

خامساً: موقع فيسبوك.

فكرة موجزة عن (فيسبوك): هو مجتمع شبابي على الإنترنت وأصبح اليوم من أكثر المواقع زيارة في العالم، وترجع نشأة الموقع إلى مارك زوكربيرغ الذي روادته الفكرة منذ أن كان طالباً في جامعة هارفرد الأمريكية، كان هدفه إقامة شبكات تضم طلبة الجامعة في موقع واحد، وسرعان ما انتشرت أصداء الفكرة في جامعات أخرى، ولاتزال أعداد مستخدمي الموقع في ازدياد حتى وصل إلى ٦٤ مليون مستخدم نشط في سبتمبر ٢٠٠٦م إلى سبتمبر ٢٠٠٧م وترتيبه المركز السابع حسب موقع أليكسا ويجتذب الموقع الأمريكيين بالدرجة الأولى بنسبة ٣٨٪ من عدد الزوار، وتأتي في المرتبة الثانية كندا، ثم بريطانيا في المركز الثالث، وتأتي مصر في المركز الرابع من حيث حجم الزوار ويتكون الموقع من مجموعة والمدرسة، وبإمكان، من الشبكات تتألف من أعضاء،

(١) نشاط المذاهب الفكرية المعاصرة على الإنترنت، لعبد الله بن موسى الكحيل، (ص ١٩٤، ١٩٥).

وتصنف المجموعات على أساس الإقليم، ومكان العمل، والجامعة المشترك الجديد أن يختار أحد تلك التصنيفات ثم يبدأ بالتصفح واختيار مجموعة للإشتراك فيها داخل المجموعات والتعليقات، وهناك مساحة للتداول^(١).

سادساً: برنامج واتساب: في الآونة الأخيرة انتشر برنامج الواتس آب بشكل سريع وواسع، وأصبح متاح لكل من يمتلك هاتف متنقل تقريباً، ولكن لا يدعم هذا البرنامج جميع الأجهزة المتاحة في الأسواق، وفي ما يلي أهم المعلومات التي تحتاجها لتشغيل الواتس آب على هاتفك.

ما هو الواتس آب؟: إن الواتس آب تطبيق يتم تحميله على الهواتف المتنقلة فقط، ولم يتم إصدار أي نسخة منه للحواسيب أو لأجهزة التابلت، وكما أن لا يوجد أي نية لإصدار مثل هذه النسخ في المستقبل، يستخدم برنامج الواتس آب في التواصل عن طريق الرسائل القصيرة أو المصورة وكما يمكن إرسال مقاطع فيديو عن طريقه، عند تحميل هذا البرنامج، يطلع على قائمة الأسماء الموجودة مسبقاً في الهاتف، و بشكل تلقائي يضيف كل من يستخدم هذا البرنامج لقائمة الأسماء الخاصة بالبرنامج، ويعتمد برنامج الواتس آب على خدمة الإنترنت في الهواتف بشكل أساسي، حيث يتوجب وجود اتصال بشبكة الإنترنت لكي يعمل البرنامج، وعند إرسال الرسائل أو استقبالها لا يوجد أي تكلفة إضافية يتم اقتطاعها من قبل شبكة الهاتف المتنقل التي تزود الخدمة،

(١) <http://www.saaaid.net/Anshatah/dawah/r.ht> تاريخ الزيارة: ٨ / ٥ / ١٤٤٢ هـ. الساعة:

حيث يتم احتساب فقط خدمة الإنترنت، و لتجنب التكلفة الإضافية، يمكن الاشتراك بالحزم التي تقدمها مختلف شركات الهواتف المتنقلة.

ما هي الهواتف التي يمكنها تحميل الواتس آب؟ يغطي برنامج الواتس آب العديد من الهواتف المطروحة في الأسواق في الوقت الحاضر، في الواقع إن نظام التشغيل المستخدم في الهاتف هو المعني في ما إذا يمكن للواتس آب أن يعمل أم لا، يمكن للواتس آب أن يعمل على جميع الهواتف التي تعمل بنظام الأندرويد و السيمبيان، وكما يعمل على هواتف الآي فون (iPhone)، ويمكن لهذا البرنامج العمل على أجهزة البلاك بيري والأجهزة التي تستخدم نظام الوندوز، ولتحميل البرنامج و التأكد من يدعم هاتفك المتنقل.

خامساً: التحصين عن طريق التعليم عبر الإنترنت.

الإنترنت بحاجة إلى أشخاص يبذلون فيه نفائس أوقاتهم وخاصة ممن يتمسكون بالكتاب والسنة في الاعتقاد والسلوك، والذي يُحزن القلب أن أصحاب المذاهب الباطلة بدأوا يتواجدون عبر مواقع الإنترنت وساحته بصورة كبيرة، ينشرون معتقداتهم وأفكارهم، أما أهل الحق والمنهج الصحيح فهم قلة إذا ما قورنوا بغيرهم^(١).

سادساً: إمكانية الحوار غير المباشر مع الآخرين عبر الإنترنت من خلال:

١- التحصين عبر ساحات الحوار: وهي ساحاتٌ حواريةٌ على شبكة الإنترنت، تُسمى بالإنجليزية Forums، وتوجد في غالب شركات البحث

(١) <http://www.saaaid.net/Anshatah/dawah/r.ht> تاريخ الزيارة: ٨ / ٥ / ١٤٤٢ هـ. الساعة: ٥٤:٥٥ م.

الكبرى التي يمكن من خلالها التّحاور مع الملايين من البشر عن كل ما قد يدور في الذّهن من أمور دينية أو دنيوية. وهي وسيلةٌ دعويةٌ يمكن من خلالها الوصول إلى الناس في أي مكان لتعليمهم أمور دينهم، أو دعوتهم إلى الله تعالى.

٢- تحصيل السمات عبر إنشاء مجموعات الأخبار أو مجموعات النقاش (News Groups): التي تُعرّف بأنها «أداة اتصالٍ مُهمّةٌ على الشبكة، وهي مُشابهةٌ لقوائم مناقشة البريد الإلكتروني، فهي مُتّدىّ عام للمناقشة لمن يشتركون في نفس الاهتمامات».

وهنا لأبّد من مراعاة بعض الضوابط التي تكفل تحقيق المطلوب من هذه الوسيلة في خدمة الدعوة إلى الله تعالى، ومنها:

١- ضرورة التحلي بالحكمة والأناة والذكاء وعدم الاندفاع أو الحماس الزائد عند المشاركة في هذه الحوارات والنقاشات المفتوحة.

٢- أن تكون المشاركات مختصرةً ومركزةً في أنٍ واحد، وبعيدةً عن الإطالة المملة التي ربما تجعل الكثيرون يعزفون عنها.

٣- أن يكون في المشاركة مجالٌ للنقاش والحوار الهادئ، وسماع الرأي الآخر واحترامه.

٤- أن تكون المشاركات، والطروحات، والردود مُتّسمةً بالعلمية القائمة على الإقناع بالدليل والبرهان. وأن تكون مناسبةً لمستوى المدعوين الذين قد يحتاجون إلى مخاطبة المنطق وإزالة الشكوك والأوهام ونحو ذلك^(١).

(١) Monthly Active Users 200.000.000 نسخة محفوظة ٢٣ سبتمبر ٢٠١٨ على موقع واي

سابعاً: تحصيل السمات أسلوب الحوار عبر غرف الدردشة (Chat) هو بابٌ واسعٌ للخير والدعوة إلى الله تعالى، ولكنه في الوقت نفسه كثير الأخطار والمحاذير إذا لم يُحسن استخدامه وتوظيفه^(١).

ثامناً: تحصيل السمات عبر برنامج تليجرام.

تليجرام أو تلغرام (بالإنجليزية: Telegram): هو عبارة عن تطبيق للتراسل الفوري، حرّ ومجانيّ ومفتوح المصدر جزئياً ومتعدد المنصات ويُرکز على الناحية الأمنية^(٢).

يعودُ تأسيس تليجرام إلى عام ٢٠١٣ على يد الأخوين نيكولاي وبافيل دروف مؤسّسا موقع فكونتاكتي أكبر شبكة اجتماعية روسية^(٣).

فيما يفسر بافيل دروف السبب في أن هذا يساعد على تفادي قيام أطراف ثالثة بعمليات نسخ احتياطي غير آمنة، ويُمكن المستخدمين من فتح الرسائل والملفات من على أي جهاز كان^(٤).

(١) استخدام الانترنت في الدعوة إلى الله ونشر الإسلام، للشيخ سليمان العمري، عن طريق موقع. www.awda-dawa.com تاريخ الزيارة: ٨/٥/١٤٤٢ هـ. الساعة: ٦:٢١ م.

(٢) «Durov's Channel Telegram». مؤرشف من الأصل في ٠٢ مايو ٢٠١٩. اطلع عليه بتاريخ ٠١ أكتوبر ٢٠١٧.

(٣) «Telegram Messenger on Twitter: «@i282s Telegram is EU-based» HQ in Berlin». نسخة محفوظة ٠٣ مارس ٢٠١٦ على موقع واي باك مشين.

(٤) «Why Isn't Telegram End-to-End Encrypted by». (14-08-urov, Pavel (2017 Default?». Telegraph. مؤرشف من الأصل في ٠٩ مايو ٢٠١٩. اطلع عليه بتاريخ ٠١ أكتوبر ٢٠١٧.

كما انتقد خبراء علم التعمية أو التشفير لجوء تليجرام إلى استعمال بروتوكول تشفير خاص لم يثبت مدى أمانه وموثيقته.

تعرض تليجرام في بعض البلدان للرقابة مثل حجه في روسيا وكذا في إيران أو حتى الحجب على ضوء الاتهامات التي واجهها التطبيق بمساعدته على تسهيل حصول أنشطة مخالفة للقانون مثل الإرهاب بالإضافة إلى الطلب المتناقص لتسهيل وصول الحكومة إلى بيانات الأفراد واتصالاتهم ومعلوماتهم الشخصية^(١).

تاسعاً: تحصين السّمات عبر تطبيق إنستغرام أو إنستغرام أو إنستغرام بالإنجليزية: (Instagram) هو تطبيق مجاني لتبادل الصور وشبكة اجتماعية أيضاً، وأطلق في أكتوبر عام ٢٠١٠ ومستحوذ حالياً من فيسبوك.

طرق تحصين المجتمع المسلم عن السّمات عبر الانترنت يتلخص

كالآتي:

١- إنشاء مجموعات توعية و تحصينية وإرشادية في بيان خطورة المذاهب الفكرية المعاصرة.

٢- إرسال روابط المجموعات إلى الأشخاص المعنيين للانضمامهم إلى الغرف العلمية التحصينية من المذاهب الفكرية.

٣- مراعات أحوال المدعوين عبر استخدام تليجرام والواتساب.

(١) <https://ar.wikipedia.org/wik> تاريخ الزيارة: ٢٩ / ١٠ / ١٤٤١ هـ، الساعة: ٦:٣٥ م.

ما هو Zoom:

هو برنامجٌ مختصّ بالمكالمات الفيديوية، حيث يستضيف أحد المتصلين المكالمة، ويملك كامل الصلاحيات ضمنها، وقد تحوي المكالمة أكثر من ١٠٠ متصلٍ آخر كما يمكن مشاركة الصلاحيات مع متصلين آخرين^(١).

يناسب هذا البرنامج لقاءات العمل الجماعية والتي تحوي مضيفاً ومشاركين معه في اللقاء، ويمكن لكلٍ منهم أن يشارك صورة الشاشة الخاصة به في أي وقتٍ، لذا فهو يجعل التواصل بينهم أفضل وأسرع.

إلى جانب ذلك، من المهم أن برنامج زوم يتيح إمكانية اتصال عدد كبير من الأشخاص معاً، حيث يمكن أن يصل العدد كما ذكرنا إلى أكثر من ١٠٠ متصل دون التأثير على جودة الخدمات التي يقدمها البرنامج وبشكلٍ مجانيٍّ، ويمكن أن يصل عدد المتصلين إلى ١٠٠٠ متصلٍ في الخدمة المدفوعة منه، كما لا يوجد حدٌّ لعدد الفيديوات التي يمكن عرضها في وقتٍ واحدٍ مما يجعله خياراً مميزاً^(٢).

مجالات التّحصين من السّمات عبر زووم (ZOOM).

يبدل الداعية جهده في استغلال آلة (زوم) لكثرة خدماتها وبرامجها المهيئة للقاءات والندوات والدورات والمؤتمرات حيث يمكن الانضمام أكبر

(١) What's a Zoom Meeting? What's a Zoom Webinar?، من موقع: it.cornell.edu،

اطّلع عليه بتاريخ ٨-٨-٢٠١٩.

(٢) ZOOM REVIEW، من موقع www.businessnewsdaily.com، اطلع عليه بتاريخ ٨-٨-

٢٠١٩م.

عدد ممكن بالصّوت والصّورة والفيديوهات بدون انقطاع أو ضعف لدقة جودته وتطور برنامجه وبناء عليه يتلخص مجالات الاستفادة عبر زوم في التّحصين المجتمع المسلم خطورة المذاهب الفكرية المعاصرة أهمها ما يلي:

(١) فتح برنامج زووم برنامج عالمي يستهدف منصاتٍ مختلفة، حيث يمكن للمتصلين مشاركة شاشات هواتفهم وحواسيبهم مع إمكانية التعليق والتوضيح الصوتي والمكتوب عليها.

(٢) توعية المجتمعات عبر الزووم في أوقات المناسبة لهم مراعاة لظروفهم وأحوالهم.

(٣) الاستفادة من آلة الزوم في كشف عوار المذاهب الفكرية المعاصرة وبيانها للمجتمع المسلم حتى يكونوا على حذرٍ.

(٤) التدريس في كتب العقيدة عبر الزوم تحصيلًا وتوعية وتعليمًا للمجتمعات الإسلامية.

(٥) إقامة مؤتمرات ودورات وندوات علمية حول بيان خطورة المذاهب الفكرية المعاصرة عبر الزوم.

(٦) يوجد تجارب دعوية من التدريس ونشر الدّعوة وإقامة دورات علمية عبر زوم في عهد (كوفيد ١٩) الجائحة العالمية.

نسأل الله السلامة منه وجميع الأوباء والأمراض المزمنة والأسقام. وغير ذلك من الوسائل الاستفادة من التّواصل الاجتماعي الإلكتروني تيسرًا وتسهيلًا في إيصال الناس للخير والتّحذير من الأفكار الضّالة والتيارات الفكرية الغربية.

المطلب الثاني

دور وسائل الإعلام للسّمات

وسائل الإعلام فسح المجال بشتى صورها وألوانها، للمتيمين لمدرسة أهل السنة بالخروج الإعلامي، وعرض رأيهم تجاه الآراء الأخرى، وبخاصة من الأقوياء المتمكّنين منهم، وإنّ ممّا يؤسف له، أن تجد بعضاً من وسائل الإعلام، تستضيف رجلاً بأفكار منحرفة، وتقابله بآخر من المنتسبين لمنهج أهل السنة لا يكون مستواه في الطرح الفكري بتلك القوة اللازمة، ممّا يؤثر سلباً تجاه الناظرين لتلك المحطّات الإعلامية لطرح هذا الرجل الشّني، كما أنّه من اللازم حقيقة لبعض أهل العلم ألاّ ينأى بنفسه عن تلك المواجهات، بل يغلب جانب المصلحة العظمى والكبرى في نصرة أهل السنة وقضاياهم، على عدم الخروج بسبب بعض السّليبيات أو المفاصد الصّغرى، مع الإدراك والمعرفة بأنّ كثيراً من المهيمين على الوسائل الإعلامية يأتوننا بمفكرين ومنتسبين للعلم، ليفضّلوا لنا إسلاماً على المزاج الغربي، أو ما يسمّونه بالإسلام الليبرالي وما الدّعوات السيئة التي تخرج منهم أو من بعض أذناهم بما يسمى بـ: تطوير الخطاب الديني إلاّ ليصدوا المسلمين عن تمسّكهم بدينهم الحقّ، وليستبدلوا به الانهزامية والتراخي، والذي لن ينصر حقاً ولن يكسر باطلاً، بل مقصوده الأساس تحريف المفاهيم لدى المسلمين، وتحريف المفاهيم أشدّ خطراً من الهزيمة العسكريّة، ومن هنا كانت مخطّطات أعداء

الإسلام لأنّ هزيمة الأمّة في أفكارها تجرّها من الحصانة، وتتركها فريسة لأيّ مرض أو وباء فيسهّل بعد ذلك احتواؤها وتفكيك معتقديها.

وفيما يلي بيان لوسائل الإعلام في التّحصين من السّمات:

التّحصين الأول: تصميم مواقع دعوية متخصصة في الرد على السّمات.

ومن تصنيفات المواقع على الإنترنت الواردة بلائحة الإلكتروني الإعلام ما يأتي:

١- الصحيفة الإلكترونية: موقع الكتروني له عنوان ثابت يقدم خدمات النشر الصحفي على الشبكة (المواقع التي تنشر الأخبار والتقارير والتحقيقات، والمقالات...)

تصدر في مواعيد منتظمة، أو غير منتظمة.

٢- موقع عرض الموارد المرئية والمسموعة، بث المواد المرئية والمواد المسموعة على الموقع.

٣- إعلان الإلكتروني: تقديم خدمات النشر الإعلاني عبر مختلف الوسائل الإلكترونية.

٤- البث عبر الهاتف المحمول؛ كما سبقت اة إليها في برنامج الجوالاات الواتساب وغيرها.

٥- الموقع الشخصي؛ كما في البريد الإلكتروني.

٦- المجموعات البريدية، وقد سبقت الإشارة إليها.

٧- الارشيف الإلكتروني.

٨- غرف الحوارات بأنواعها المختلفة ومحاروة أصحاب الفكر المنحرف
وتقويم مفاهيمهم.

الصفحات التالية.

الليبرالية وتدير الأمة.

لماذا فشلت الليبرالية الشيوعية الماسونية والإسلام.

العلمانية الليبرالية الشيوعية الماسونية.

مكافحة العلمانية.

حقيقة الليبرالية.

قاهر الإلحاد.



المطلب الثالث

بيان خطورة السّمات في مجال التعليم

تدريس المذاهب الفكرية في المعاهد والمدارس والجامعات يساهم في تحصين المجتمع وكشف عوارهم وأسرارهم وبيان الوسائل والأساليب التي تستخدمها المذاهب الفكرية لبثّ سمومها وأفكارها الغربية؛ موضحًا لخطرهم على الأمة الإسلامية وغزوهم في جميع مناحي الحياة؛ وذلك يتحقق ببيان المعتقد الصحيح السفلي ومنهجهم في العقيدة وترسيخه في قلوب المجتمعات الإسلامية وجيلها الناشئ وزرع الثقة في قلوبهم بالافتخار والاعتزاز بدينهم وأخلاقهم وقيمهم ومبادئهم وأن الدين الصحيح هي دين الإسلام المرضي والمقبول عند الله، وكيفية الذّب عن كل ما يخلل عقيدة المجتمع من أفكار غريبة ملوثة ومسمومة. ولذا يساهم التدريس للمذاهب الضّالة والأفكار الهدّامة معرفة وبيان العقيدة الصحيحة السلفية وسبيل من سبل الثّبت والتحصين والحفاظ على عقيدة المجتمع المسلم من أفكار الغربيين وزيف الضالين وتفنيد شبهاتهم.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر، وأهل السنة المتمسكين بعروتها المعروفين بها المقتدي بهم فيها من لدن أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى يومنا هذا، وأدركت عليها من علماء الحجاز والشام وغيرهما عليها فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو

عاب قائلها؛ فهو مخالف مبتدع وخارج عن الجماعة زایل عن منهج السنة وسبيل الحق»^(١).

وقد ألف العلماء قديماً وحديثاً كتباً في الاعتقاد الصحيح والمنهج القويم وبيان أهل الاعتقاد الفاسد والانحراف العقدي والصد عن سبيل الشيطان.

وقابل الحجة بالحجة وقمعوا الباطل والزّيع والضلال، وعليه جرى علماء المعاصرون في تصنيفاتهم لردّ شبهات أهل الضلال والانحراف وبيان الحقّ لتحسين المجتمعات الإسلامية. وهذا يصدق حديث أسامة ابن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»^(٢).

ولذلك فإن الرابطة الإيمانية المبنية على العلم والبيان أهم الأسس التي يقوم عليها المجتمع المسلم، هي أهم وأقوى الحصون التي تحصن المجتمع من كيد أعدائه وأفكارهم المسمومة، وتخطيطاتهم الخبيثة.

(١) صفات رب العالمين لابن المحب الصامت، من بداية (باب الرزق)، إلى نهاية (باب نزول الله جلّ ثناؤه يوم القيامة)، المؤلف: شمس الدين ابن المحب الصامت، تحقيق: فواز بن فرحان بن راضي الشمري، رسالة: ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى بمكة المكرمة، إشراف: أ. د/ هشام بن إسماعيل الصيني، عام النشر: ١٤٣٦ هـ، (ص ٢٧٧).

(٢) أخرجه صلاح الدين أبو سعيد عبد الله الدمشقي العلائي في *بُغْيَةِ الْمُتَمَسِّ فِي سُبَاعِيَّاتِ حَدِيثِ* الإمام مالك بن أنس، حققه وعلق عليه: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٥ هـ، هذا حديث حسن غريب صحيح، تفرد به من هذا الوجه معان بن رفاعه، وقد وثقه علي بن المديني ودحيم، وقال فيه أحمد بن حنبل: لا بأس به، (ص ٣٤).

ومن الوسائل المعاصرة المحصنة للمجتمعات من المذاهب الفكرية المعاصرة والأفكار الضالة المنحرفة التي تشوه سمة الإسلام وتزعزع ثوابتها ومبادئها إنشاء مراكز الأبحاث والدراسات المعنية برصد الانحرافات الفكرية، والتعقيب عليها بتنفيذ الشُّبه، والجواب عن الشكوك والشُّبهات التي يثيرها بعض المارقين من قيم الإسلام ومبادئه، والجهاد الفكري ضدها، من منطلق قوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].



المطلب الرابع

وسيلة التأليف والمحاضرات والندوات للسّمات

المقصود بالتأليف القيام بالكتابة في بعض الموضوعات التي تخدم الإسلام والمسلمين، وتهدف إلى نشر الدّعوة ومنها الكتب التي تحذر أفكار المذاهب الغربية وتحصين شبهاتها ومبادئها في المجتمعات الإسلامية.

ثانيًا: أنواع المصنّفات والمؤلفات.

تتنوع المصنّفات والمؤلفات إلى أنواع كثيرة ومن ذلك.

- ١- الرّسائل.
- ٢- المؤلفة.
- ٣- المعاجم.
- ٤- لموسوعات.

وقد حثّ الإسلام على العلم والمعرفة، والتّزود من ذلك، كما قال تعالى: ﴿فَنَعْلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

والعلماء الباحثون هو الذين يتّصرون لتصنيف وتأليف الكتب والرسائل العلمية النافعة التي توضح معالم الدين، وتبيّن أصوله، وتشرح عقيدته، وتقرب مفاهيمه للناس^(١).

وأول من تكلم خطورة السّمات المشتركة بين المذاهب وبطلانها وحذر منها، الدكتور: أحمد بن عبد العزيز الخلف في كتابه الوجيز في المذاهب الفكرية المعاصرة، للدكتور.

(١) ينظر: كتاب البحث العلمي ومصادره الدراسات الإسلامية، للدكتور: عبد الوهاب أبو سليمان، (ص ١٦١).

والخلاصة: أنّ التّأليف والتّصنيف له أهمية كبرى في نشر الدّعوة الإسلامية وتحصين المجتمعات الإسلامية من السمات وبيان خطورتها وتنويه مرماها وهدفها وبيان الحق ودحض الباطل وقلع جذورها، وتوضيح مسائل العقيدة الصحيحة للناس وما يتعلق بها، وخاصة، سواء كان التّأليف في المطويات، والكتيبات الصغيرة خفيفة الحمل أو الكتب والرسائل العلمية والموسوعات في جميع اللغات العالمية والمحلية، والعناية بالترجمة الحية أو الفورية أن احتيج وغير ذلك.

المحاضرات والندوات:

تضم الإنترنت عدد كبير من المحاضرات المسجلة في المساجد وفي مناسبات مختلفة، أو الملتقيات في القنوات التلفزيونية، أو غرف الحوار بالإنترنت أو غير ذلك وهناك مواقع تشتهر بخدمة هذه الوسيلة الدعوية منها:

١- موقع طريق الإسلام، موقع الشبكة الإسلامية، موقع فرسان السنة.

٢- قنوات الدّعاة على مواقع مشاركة الملفات مثل يوتيوب.

٣- المواقع الشخصية لبعض الدّعاة التي تحرص على نشر دروسهم ومحاضراتهم.

وغير ذلك من المواقع التي ترد وتنقد على المذاهب الفكرية المعاصرة.

الندوة: الجماعة، ودار الندوة منه أي دار الجماعة، سميت من النادي، وكانوا إذا حزّبهم أمر ندوا إليها فاجتمعوا للتشاور^(١).

(١) لسان العرب، (٣١٥/١٥).

ندوة مفرد: وجمعها ندوات وندوات ومعناها: جماعة يلتقون في ناد أو نحوه للبحث والمشاورة في موضوع معين دار الندوة: كل مكان يجتمع فيه الناس للبحث والمشاورة.

الندوة: النادي والمنتدى فإن تفرق القوم فليس بنديّ ومنه سيمت دار الندوة^(١).

واصطلاحًا: الندوة: عبارة عن لقاء يضم اثنين فأكثر، لمناقشة مسألة من المسائل، أو موضوع من الموضوعات التي تهتم المجتمع، بطريقة علمية منظمة ومرتبطة ومحددة^(٢).

مميزات الندوة: تتميز الندوة ما يأتي:

- ١ - التفاعل بين المتدين والجمهور.
- ٢ - استماع الجمهور لأكثر من رأي وفكر للمتدين.
- ٣ - تمكن الندوة الداعية من مواجهة المدعوين، والتعرف على آرائهم مباشرة، وتقبل آرائهم واستفساراتهم.
- ٤ - تنوع موضوعات الندوة، وتنوع المتدين فيها^(٣).

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، (٣/ ٢١٨٩).

(٢) الدعوة الإسلامية، الوسائل والأساليب، لمحمد خير يوسف، المملكة العربية السعودية، الرياض، دار طريق، ١٤١٤هـ، (ص ١٢١).

(٣) الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، لمحي الدين عبد الحليم، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٠هـ، (ص ٦٠).

دور الندوات والمحاضرات في تحصين المجتمعات من السّمات:

للندوة أهمية كبرى في التصدي على السّمات، بوسائل عدّة منها:

١- تناول كل ما يهم المدعوين ويفيد الإسلام والمسلمين حول التحذير من السّمات المنحرفة

٢- تنفيذ ندوات متخصصة في السّمات وبيان خطورتها للجمهور.

٣- تسجيل الندوات المتعلقة بالتحذير والتفنيد عن شبهات السّمات، عبر الوسائل التسجيل مثل الكاسيت أو سي دي وتقريبها للناس عن طريق الإهداء والتوزيع أو حتى عن البيع في المحلات الخاصة.

٤- الاهتمام بالندوات وتفعيلها في نشر الدعوة إلى الله سواء ذلك في المجتمعات الإسلامية أم في مجتمع الأقليات الإسلامية أم في المجتمعات غير الإسلامية.

٥- تفرغ بعض الندوات الناجحة في التصدي على السّمات ونشرها عبر وسائل النشر المتعددة كالكتيبات والصحف والمطويات والمجلات^(١).

الدراسات والبحوث المتصلة بالسّمات:

أصدرت الجامعات السعودية العديد من الرسائل العلمية الخاصة بالسّمات، منها ما اختص بمذهب بعينه ومنها ما تناول المذاهب الفكرية بصورة عامة، ومن تلك البحوث والرسائل التي تقدمت ونوقت ما يأتي:

(١) ينظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، لعبدالرحيم المغذوي، (٢/ ٨٤٨-٨٤٩).

١- رسالة ماجستير بعنوان «موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ» مقدمة لجامعة أمى القرى من الباحث: أحمد عبد الحسين العوايشة ونوقشت عام: ١٣٩٩هـ.

٢- رسالة ماجستير بعنوان: «الليبرالية في السعودية والخليج دراسة وصفية نقدية» مقدمة لجامعة الملك سعود من الباحث: وليد بن صالح الرميزان: ونوقشت عام: ١٤٢٨هـ.

٣- رسالة دكتوراه بعنوان: «الليبرالية وموقف الإسلام منها قدمت لجامعة أم القرى من الباحث عبدالرحيم بن صمايل الاسلمي، نوقشت عام: ١٤٢٨هـ.

ومن صور الاستفادة من هذه الرسائل والبحوث في دعوة المتأثرين

بالمذاهب الفطرية ما يلي:

- ١- العمل على نشر ههذ الرسائل والبحوث على أوسع نطاق ممكن.
- ٢- الرجوع لها للاستفادة من المعلومات القيمة التي تضمنتها عند محاورة أو مناظرة بعض المتأثرين بهذا المذهب.
- ٣- السّعي إلى تكوين قاعدة بيانات خاصة للدراسات والبحوث التي أعدت ليسهل الرجوع من قبل الدّعاة أو من قبل طلاب الحق من المعجبين بهذه المذاهب.

وغير ذلك من الرسائل التي قدمت إلى الجامعات السعودية^(١).

(١) نشاط المذاهب الفكرية المعاصرة على الإنترنت، (ص ١٨٥، ١٨٦).

المطلب السادس

جهود الجامعة الإسلامية في مواجهة السّمات

مدخل عن الجامعة الإسلامية

الجامعة الإسلامية هي جامعة عالمية رائدة عريقة لمعت أنجمها في جميع القارات وشعّ نورها في مشارق الأرض ومغاربها ولم تترك الجامعة الإسلامية بيت مدر ولا وبر إلا دخلت وأثمرت وأتت ثمارها اليانعة، وهي متميزة عن غيرها من الجامعات في العالم في الأهداف والمنهج الوسطي بين الغلوّ والجفاء والتفريط والإفراط وتفوقت تاريخها ورسالتها ورؤيتها عن غيرها، والتزمت بالجودة والتطوير والإنجازات والإتقان لثقلها العظيم في الموقع-مدينة رسول الله ﷺ في طيبة الطيبة مهجر رسول الله ﷺ ومنطلق دعوته ومأزر الإيمان والدعوة والتربية وتدريب الدعاة مهبط الوحي ومنبع الرسالة- والتاريخ والصّرح العلمي المحلي والعالمي.

وقد نهل الجامعة من معينها الصافي ومنهجها القويم دعاة كثيرون انتشروا إلى العالم ما بين مدرس وإمام وداعية وخطيب وسفير وموجه ومعلم ومدرس نفع الله بهم العباد والبلاد وأنا من ثمار خريجي الجامعة وما أصدق المقولة المشهورة التي تقول: «الجامعة التي لا تغريب عنها الشمس».

وإن إطلاق اسم الجامعة الإسلامية على الجامعة إحياءات وحكم، وقد يكون أول اسم أطلق على جامعة تقريبًا.

(وما زالت الجامعة تستقبل طلابها في شتى بقاع الأرض وتؤتي أكلها وتصدر ثمارها اليانعة النافعة إلى دول العالم ويكاد الدعاة العالميون يجمعون على أن الجامعة غيرت حياة المسلمين في جميع من البلدان، وأحدثت فيها تغييرًا جذريًا وانقلابًا في وجات نظر الشباب المسلم، وأخذوا يفدون إليها لأخذ علوم القرآن والسنة والعلوم التابعة لها من أئمة العلوم والفنون ثم رجعوا إلى بلادهم متعاقدين مع جهات حكومية وغير حكومية في المملكة للقيام بالدعوة إلى الله عملاً^(١) بقول الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].



(١) ينظر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ودورها الرائد في نشر الوسيطة الإسلامية، لعبد الله بن إدريس أبو بكر ميغا، بحث قدمه إلى المؤتمر العالمي الأول عن جهود المملكة العربية السعودية في خدمة القضايا الإسلامية (ص ٤٠٦).

المسألة الأولى

تعريف موجز عن الجامعة، وتأسيسها،

وأهدافها، ورسالتها ورؤيتها



يعدُّ من أهم مشروعات الاستراتيجية التطوعية لدى المملكة العربية السعودية تجاه خدمة الإسلام تأسيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بمبادأة الملك سعود رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى^(١).

بإشارة مفتي المملكة العربية السعودية آنذاك الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى^(٢).

فأمر الملك بإنشائها عام: ١٣٨١هـ. لنشر رسالة الإسلام في العالم انطلاقاً من مدينة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٣).

(١) هو: الملك سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ولد في عام ١٣١٩هـ وكانت وفاته في سنة: ١٣٨٨هـ. ثاني ملوك المملكة العربية السعودية وتقلد الحكم بعد والده ودام ملكه لمدة ١١ سنة (١٣٧٣-١٣٨٤هـ). ومن أهم أعماله انشاء الجامعة الإسلامية المباركة العريقة العاملة المباركة. ينظر: الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية، لأحمد عطية الغامدي، وآخرون، (ص ٨٣). بتصرف.

(٢) هو: الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ مفتي المملكة العربية السعودية ورئيس قضائها، ولد سنة ١٣١١هـ وتوفي سنة ١٣٨٩هـ. كان ذا شخصية علمية راسخة في العلم وأخلاق عالية وصرامة في الحق، جمعت رسائله وفتاويه في ثلاثة عشر مجلداً. ينظر: الدعوة في عهد ملك عبدالعزيز، لمحمد بن ناصر الشثري، (ص ٦٥١-٦٦٤).

(٣) جهود الجامعة الإسلامية في مجال إعداد الكفاءات الدعوية ورعايتهم، لسلطان بن عمر الحصين، معهد البحوث والدراسات الاستشارية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١، ١٤٣٨هـ، (ص ٩-١١).

تعريف الجامعة:

الجامعة الإسلامية مؤسسة إسلامية عالمية من حيث الغاية، عربية سعودية من التبعية، ذات شخصية اعتبارية مستقلة، ولها ذمة مالية، تعطىها حق التملك والتصرف، وتتمتع باستقلال مالي وإداري^(١).

أنشئت بالأمر الملكي رقم ١١ وتاريخ ٢٥/٣/١٣٨١هـ وتلاه الأمر الملكي ذو الرقم ٢١ المؤرخ في ١٦/٤/١٣٨١هـ بالمصادقة على نظام المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة، وبدأت الدراسة فيها يوم الأحد ٢ من جمادى الآخرة في العام نفسه.

وفي ١٨/٥/١٣٨٦هـ صدر المرسوم الملكي رقم م/١٨ بالموافقة على نظام الجامعة. ثم صدر نظام آخر للجامعة؛ وفقاً للرسوم الملكي ذي الرقم م/٧٠ المؤرخ في ٧/٨/١٣٩٥هـ.

الرسالة: مؤسسة سعودية عالمية تقدم العلوم الشرعية والعربية والمعارف الأخرى للطلاب من دول العالم وتعني بالبحوث العلمية والخدمات المجتمعة المتميزة مع التوظيف الأمثل للتقنية إسهاماً في نشر رسالة الإسلام الخالدة.

الرؤية: منارة إسلامية عالمية رائدة في المعرفة والتنمية.

القيم: انطلاقاً من رسالة الجامعة الإسلامية وأهدافها حددت القيم

الحاكمة كما يأتي:

(١) جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله تعالى في الخارج من خلال الجامعة الإسلامية، للدكتور: عبدالله بن صالح العبود، ط ١، ١٤٢٤هـ، (١/٢٥٦).

- (١) الالتزام بالكتاب والسنة على منهج السلف
- (٢) الدّعوة إلى الإسلام بالحكمة.
- (٣) الوسطية.
- (٤) الاحتساب.
- (٥) الإبداع والابتكار^(١).
- (٦) الإتقان والجودة - التعاون - الشّفاية.

الأهداف:

وقد تضمن أن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة مؤسسة إسلامية عالمية من حيث الغاية عربية سعودية من حيث التبعية. كما حدد أهدافها بالتالي:

* تبليغ رسالة الإسلام الخالدة إلى العالم عن طريق الدعوة والتعليم الجامعي والدراسات العليا.

* إعداد البحوث العلمية وترجمتها ونشرها وتشجيعها في مجالات العلوم الإسلامية والعربية بخاصة، وسائر العلوم وفروع المعرفة الإنسانية التي يحتاج إليها المجتمع الإسلامي بعامة

* غرس الروح الإسلامية وتنميتها وتعميق التدين العمل في حياة الفرد والمجتمع، المبني على إخلاص العبادة لله وتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ.

* تثقيف من يلتحق بها من طلاب العلم من المسلمين من شتى الأنحاء، وتكوين علماء متخصصين في العلوم الإسلامية والعربية وفقهاء

(١) <https://www.iu.edu.sa/index> تاريخ الزيارة: ٣/ ١١/ ١٤٤١هـ، الساعة: ٥:٢٠م.

في الدين متزودين من العلوم والمعارف بما يؤهلهم للدعوة إلى الإسلام، وحل ما يعرض للمسلمين من مشكلات في شؤون دينهم ودنياهم على هدى الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح.

✱ إقامة الروابط العلمية والثقافية بالجامعات والهيئات والمؤسسات العلمية في العالم وتوثيقها لخدمة الإسلام وتحقيق أهدافه.

✱ تجميع التراث الإسلامي والعناية بحفظه وتحقيقه ونشره^(١).



(١) أنظمتها الجامعة الثلاثة التي تشمل التعريف بها وبيان أهدافها، بواسطة: جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله تعالى في الخارج من خلال الجامعة الإسلامية، للدكتور: عبدالله بن صالح العبود، ط١، ١٤٢٤هـ، (١/٢٥٧-٢٥٨). وينظر: صفحة الجامعة الإسلامية. <https://www.iu.edu.sa/index> تاريخ الزيارة: ٣/١١/١٤٤١هـ، الساعة: ٢:٥٥م.

المسألة الثانية

جهود الجامعة الإسلامية لتحسين أبنائها من السمات

تقوم الجامعة الإسلامية وسائل وأساليب تحسين من وسائل عدة المجتمع الإسلامي والتصدي لأفكار الهدامة الغربية؛ وذلك تحقيقاً لرسالتها ورؤيتها وأهدافها السّامية.

ومن الوسائل الحسيّة التي تقوم الجامعة عليها في ذلك دراسة المذاهب الفكرية المعاصرة في الجامعة والفرق الإسلامية التي تنسب إلى الاسلام، وبيان خطورة كل فرقة ونشأتها وتوضيح معالمها، وأصولها.

والمذاهب الفكرية مادة مستقلة ويدرس المقرر في الجامعة في كلية الدعوة وأصول الدين مرحلة الدراسات العليا، الدبلوم الدّعوي، ماجستير، والدكتوراه في كلية الدعوة وأصول الدين- ويكون تخصص مسارين **المسار الأول:** قسم الدعوة والثقافة الإسلامية.

المسار الثاني: قسم الفرق والأديان والمذاهب الفكرية.

كما اعتنت الجامعة بالرسائل العلمية المتعلقة بالمذاهب الفكرية ونشرها وطباعتها.

ولها كوادر متخصصين لدراسة المذاهب سنوات طويلة، ولهم مؤلفات، وكتابات، ورسائل، وكتيبات وغير ذلك من مساهمتهم في التصدي ومواجهة لأفكار الغربية والتيارات الهدامة.

ويتلخص التحصين الفكري في العناصر الآتية:

- (١) التدريس.
 - (٢) التأليف.
 - (٣) إقامة دورات علمية في التحذير عن المذاهب الفكرية المعاصرة.
 - (٤) الرسائل العلمية المتعلقة بكشف عوار المذاهب الفكرية.
 - (٥) تخصيص بمسار مستقل لدراسة المذاهب الفكرية.
 - (٦) التحذير من وسائل وسموم المذاهب الفكرية.
 - (٧) توعية من القنوات والمواقع في خطورة المذاهب الفكرية.
 - (٨) استغلال التواصل الاجتماعي في نشر العقيدة الصحيحة.
 - (٩) دراسة عقيدة السلف الصالح المستقاة من الكتاب والسنة.
 - (١٠) متابعة المستجدّ والحديث عن ظهور المذاهب الفكرية بطرق وآليات مختلفة جديدة.
 - (١١) صمود الجامعة الإسلامية أمام تحديات أعداء الإسلام.
 - (١٢) دور الجامعة الإسلامية في التحذير من مخططات المذاهب الفكرية المعاصرة، ودحض شبهاتهم دفاعاً عن دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.
- وغير ذلك من الأمثلة التي تبرز دور الجامعة الإسلامية في بيان خطورة المذاهب الفكرية ورسم معالمها والوسائل التي تستخدم بين الفينة والأخرى وترتدي بلباس جديد ووجه جديد يحمل لوائها من ينتسب إلى الإسلام زوراً وبهتاناً ومن أبنائه الذين صحبوا جسراً يعبر إلى بثّ سموم المذاهب الفكرية المعاصرة.

دور الجامعة الإسلامية في إعداد طلابهم وتكوينهم؛

قد خرجت الإسلامية بالمدينة المنورة أعدادا كبيرة من الطلاب المنتمين إلى جنسيات متخلفة وبلدان متنوع بعد إعدادهم علمياً وعملياً ودعويّاً وتربوياً وقد حققوا طلاب الجامعة انجازات كبيرة وجهود جبارة في الدفاع عن الإسلام وأدار رسالة الإسلام الخالدة والحفاظ على هوية الإسلام في بلدانهم مع تحديات وعقبات تعيق أو تضعف على سير الدعوة من المناوئين والمغرضين وأعدا الإسلام.

وفتحوا مجال للحوار والمناقشة والمناظرة بمستوياته المختلفة الدينية والفكرية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية والخبرة الروحية؛ وذلك من خلال مناقشة المسائل المتعلقة بالإيمان والحياة والأخلاقيات والتقاليد ومشاركة الآخرين لتجاربه الروحية والتاريخية الذاتية والسعي إلى خلق مجتمع عادل ومستقر^(١).

فدور خريجي الجامعة الإسلامية يغطي جانبين:

الأمر الأول: الدور التربوي.

الأمر الثاني: الدور الدعوي^(٢).

(١) الحوار مع الآخر، أسسه ومتطلباته، ومنهجه وآدابه، لإبراهيم أمين أبوبكر، بحث مقدم إلى مؤتمر العالمي الإسلامي، تحت إشراف رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، الفترة: ٢٦-٢٨-جمادى الأولى: ١٤٢٩هـ، الموافق: ٢-٤-٢٠٠٨م. (ص ٤٠٤).

(٢) الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ودورها الرائد في نشر الوسيطة الإسلامية، لعبد الله بن إدريس أبوبكر ميغا، بحث قدمه إلى المؤتمر العالمي الأول عن جهود المملكة العربية السعودية في خدمة القضايا الإسلامية (ص ٤٠٦).

سمات مشتركة بين خريجي الجامعة الإسلامية:

خريجو الجامعة يتميزون بمميزات عدة ومن أبرزها:

١ - سلامة المعتقد.

٢ - سلامة أسلوب الدّعوة إلى الله من الغلظة والشّدّة في غير موضعها.

٣ - سلامة منهج الدّعوة إلى الله من الزيغ والانحراف في القصد أو العمل أو الغاية والوسيلة، فلازم سلامة الغاية: سلامة الوسيلة، كما يلزم من سلامة القصد: سلامة القول ومطابقته للعمل.

٤ - وضوح الاتزان الفكري والمنهجي في دعوة خريجي الجامعة إلى الله تعالى، حيث يقومون بدعوتهم على أساس هداية الناس.

٥ - قدرتهم على حل ما يعرض لهم من مشكلات أو عقبات في الدّعوة إلى الله؛ وذلك بباتهم في المواقف والنوازل والمحدثات بحكمة وروية وتعقل ومشاورة، فلا يعرضون دعوتهم للتّحزب والعصبيات التي تؤدي لا نهيّار الدّعوة، وتفكك المجتمع وبث الفتن^(١).



(١) جهود المملكة العربيّة السّعودية في الدّعوة إلى الله تعالى في الخارج من خلال الجامعة الإسلامية، لعبدالله بن صالح العبود، (ص ٢ / ٨٩٠، ٨٩٢).

الخاتمة

وتتضمن: أهم النتائج، والتوصيات

أولاً: أهم نتائج البحث

الحمد لله والشكر له والثناء عليه الذي بنعمته تتم الصالحات أن وفقني إلى إتمام وختام هذا البحث والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا أفضل الأنبياء والمرسلين وخيرته من خلقه وعلى آله وصحبه اجمعين أما بعد:

فهذا ختام البحث حول السّمات المشتركة بين المذاهب الفكرية المعاصرة وأجل أهم ما جاء في هذا السفر من نتائج وتوصيات يكون كالآتي:

بعد معالجة الباحث لقضايا الموضوع أو البحث وما يتعلق به من دقائق البحث وتفصيلاته بعد التعمق والدراسة طيلة سنوات، توصلت إلى جملة من النتائج أهمها ما يأتي:

١- أن الإلحاد سمة مشتركة بين المذاهب الفكرية المعاصرة ويتجدد كل سنة بوجوه مختلفة وأساليب متنوعة ووسائل محدثة لا يتجاوز كلمة الإلحاد.

٢- الإلحاد في المذاهب الفكرية المعاصرة هو الإنكار عن وجود الله وماهيته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

٣- أن المصدر الرئيسي للسّمات هو إكبار العقل وتقديسه.

- ٤- أن السّمات تبحث عن السّعادة الحقيقية زعمًا.
- ٥- أنها سمات بشرية أرضية غربية علمانية صرفه.
- ٦- تنبني السّمات على الشك والريب والتغير والتبدل والتناقض والاضطراب في التعيد، والمبادئ والتأسيس والمنهج.
- ٧- اتحاد السّمات في عوامل النّشأة وظروفها القاهرة وهي الخروج من مأزق طغيان الكنيسة واضطهادها واستعبادها.
- ٨- أن تاريخ الغرب جملة ومرور عصورها لم تقرّ أعينهم الدّين الصحيح.
- ٩- أن جذور السّمات ترجع إلى خليط من الأفكار والعقائد والثّقافات الأجنبية من الأمم السّابقة من اليونان والفرس والهنود والبربرة وأهل الكتاب وهلمّ جر.
- ١٠- أن أعداء الإسلام والمناوئين والمغرضين للدّعوة السّلفية قد اتخذوا بعض أبناء المسلمين أو بعض علماء السّوء جسورًا لعبور أفكار المذاهب الفكرية المعاصرة وبثّ سمومها بين المجتمعات الإسلامية عملاً بمقولة زويمر «إن الشّجرة لا يقطعها إلا أحد أغصانها»
- ١١- أن جميع السّمات ينادون القاعدة المشهور عندهم « فصل الدّين عن الحياة»
- ١٢- إهمال الجوانب الروحية والتركيز على إشباع النّفس والجسد والروح.

- ١٣- أن جميع السّمات ينادون إلى تقديس الفردية والحرية المطلقة المتنافي للدين الإسلامي، وتحرير المرأة خارج حدود الشريعة الغراء.
- ١٤- أن السّمات تتفق شعارا الغاية تبرر الوسيلة والبحث عن الربح بأي وسيلة.
- ١٥- أنها سمات فلسفية إغريقية يونانية.
- ١٦- تقديم الحسّ على العقل عند التعارض.
- ١٧- أن السّمات مبنية على العقل والظنون.
- ١٨- أن سمات المذاهب الفكرية نفس سمات أسباب الكفر والعناد والتقليد والإعراض عن دين الله واتباع الهوى، ولكل قوم وارث.
- ١٩- أن أغلب سمات المذاهب الفكرية يغلب فيها الغشّ والغبن والتدليس في باب المعاملات والاعتماد على الربا.
- ٢٠- أن من سمات المذاهب الفكرية استخدام شعارات باطلة موهبة ملبسة ظاهره يختلف عن باطنه، مثل الديمقراطية والحرية.
- ٢١- أن من سمات المذاهب الفكرية اعتقاد أو مبدأ أن الأخلاق تتغير وتتبدل وأنها من وضع الإنسان.
- ٢٢- أن من السمات بين المذاهب أن الأخلاق ليست غاية بل هي وسيلة.
- ٢٣- أن السّمات تنادي على الاباحية والعري والتبرج والسفور.
- ٢٤- من سمات المذاهب الفكرية اختلاف أصل الإنسان وخلقته.

٢٥- أن أغلب مؤسسي المذاهب ماتوا بسبب الاضطراب النفسي والقلق والانتحار وعدم النيل عن السّعادة.

٢٦- أن جميع السّمات مبنية على الإيمان بالمادّة والطبيعة والدهر في تصرّف شؤون الحياة من الموت والحياة والبؤس والرخاء.

٢٧- ترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوس أبناء المسلمين حصن حصين من السّمات

٢٨- إنّ من مقتضيات العصر الحاضر في الدّعوة إلى الله البصيرة بالسّمات لنقدها وكشف عوارها وتحذير خطورتها للمجتمع الإسلامي.

٢٩- دراسة السّمات دراسة دقيقة شاملة في جميع جوانبها وأبعادها والمتابعة في مستجداتها ونوازلها في أوساط المجتمع.

٣٠- محاربة الدين السماوي وتديرها في أي وجه من الوجوه وفساد المتدينين وإبادتهم بأي وسيلة من الوسائل سمة مشتركة بين المذاهب الفكرية.

٣١- إحياء الفرق الضّالة والمنحرفة عن الصراط المستقيم والمنهج القويم في أوسط المجتمع الإسلامي دأب وأصل أصيل للسّمات.

٣٢- الدّعوة إلى الإباحية وإلغاء الزواج المشروع سمة مشتركة بين المذاهب الفكرية المعاصرة.

٣٣- التزام العدل والإنصاف من أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً في الرّد على المخالفين بأسلوب مناسب متسمّاً بالحكمة والمجادلة الحسنة.

ثانياً: أهم التوصيات للبحث

ومن التوصيات التي يوصي بها الباحث ما يأتي:

١- تقوى الله عَزَّجَلَّ في السرّ والعلن التي هي وصية الله للأولين والآخرين ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

٢- إنّ موضوع السّمات، من الموضوعات التي تستدعي البحث فيها بحثاً رصيناً ومزيداً في مسارات الدراسات العليا في الجامعات، والتعرّف على السّمات المشتركة بينها؛ لأنّها مما تعم به البلوى، وهي من مشكلات العصر الحاضر.

٣- ينبغي تخصيص مادة، أو حصة خاصّة - حول دراسة السّمات - في المعاهد والمدارس والجامعات والمساجد لبيان خطورتها وما تحمل من أفكار غريبة سلبية، وتفنيد شبهاتها.

٤- إقامة مزيد من الدورات والورش العلمية في منقشة قضايا المذاهب الفكرية ومسماتها وكشف عوارها وإبزاز خطورتها لدى المجتمعات الإسلامية وخاصة في الجيل الناشئ.

٥- نشر العقيدة الصحيحة وترسيخها في قلوب المسلمين لتكون حصناً حصيناً للسّمات والدفاع عن شبهاتها وتشكيكها.

- ٦- يوصي الباحث تأليف بمؤلف مستقل أو رسالة علمية في الرأسمالية والاشتراكية وفشلها في إدارة الاقتصاد المالي.
- ٧- التأليف في السّمات المشتركة بين المعتزلة القديمة والعقلانية الحديثة والفرق بينهما يبادر طالب علم متمكن في ردود الشبهات حلّ العضلات.
- ٨- التركيز على نشر المطويات والمجلات المتعلقة في مشكلات السّمات وخطورتها تجاه المجتمع الإسلامي.
- ٩- إقامة دورات ودروس مكثّفة حول عناية المرأة في الإسلام ودورها الكبير في تحقيق نجاح المجتمع وتقدمه وازدهاره.
- ١٠- يوصي الباحث بتفريغ دعاة مختّصين في جمع السّمات ودراساتها دراسة دقيقة في أنحاء العالم بلغات مختلفة.
- ١١- تفريغ داعيات متخصصات بالسّمات ودراساتها في المدارس والجامعات تحذيرًا لخطورة هذه الأفكار الهدامة.
- ١٢- الاهتمام بدعم القائمين والمتخصصين في جمع السّمات دعمًا ماديًا ومعنويًا.
- ١٣- ضرورة العناية في طباعة البحوث ونشرها المختّصة بالسّمات والرّد عليها وبيان مشكلاتها وسلبياتها في الحاضر والمستقبل.
- ١٤- ربط الجيل الناشئ وشبابهم للعلماء الرّبانيين في توعيتهم وتوجيههم وتحصينهم للأفكار الضّالة والتيارات المنحرفة وضروة التّواصل

مع مكاتب وزارة الشؤون الإسلامية والشؤون الاجتماعية تعزيزاً لمواجهة السّمات ومالفاً لفها.

١٥- بتنوع الوسائل الدّعوية مثل المسابقات واللقاءات الدّعوية لمواجهة السّمات المعاصرة واستخدام التقنيات الحديثة.

١٦- نشر أخلاق الإسلام وقيمه بين المجتمعات الإسلامية ليكون سمة ثابتة بين الناس وعادة محكمة.

١٧- يوصي الباحث الاهتمام بالجيل الناشئ وحفاظهم من السّمات وعدم تأثرهم.

١٨- يوصي الباحث العناية بالأقليات المسلمة من السّمات والتقاط مبادئها وقواعدها.

١٩- يوصي الباحث تخصيص برامج إذاعية يبث في اوقات مناسبة للسّمات وما تحمله من سموم وانحرافات فكرية موجهاً للشباب الأمة الإسلامية.

٢٠- دراسة السّمات في المراكز الإسلامية في الغرب (أمريكا وأوروبا) لبيان خطورة السّمات وعدم تأثر الأقليات المسلمة.

٢١- التصدي للسّمات في المناقشات والحوارات بلغتهم الخاصة تفنيداً لشبهاتها أما المجتمع.

٢٢- إيصال الدّعوة الإسلامية لمنظري السّمات بالحكمة والموعظة الحسنة بأسلوب مناسب.

٢٣- يوصي الباحث للدّعاة الاستفادة من فشل السّمات في الغرب في جميع ميادين الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية، وأن أنظمة بنوك الغرب أو العالم الغربي قد باء بالفشل في تطبيقه نظام الرأسمالية والاشتراكية.

٢٤- إقامة ندوات ومؤتمرات دولية تناقش خطورة السّمات وكشف عوارها وإيجاد الحلول لها.

٢٥- إنشاء قنوات ومواقع إسلامية خاصة بالسّمات بلغات متنوعة، تهتمّ وتعالج شبهات السّمات وإجابة تساؤلاتهم واستفتاءاتهم وحلّ مشاكلهم من تشكيك الناس في عقيدتهم وتخلل ثوابتهم.

٢٦- يوصي الباحث بضرورة التّعاون بين الجامعات الإسلامية في العالم وخاصة الجامعة الإسلامية في المملكة العربية التّصدي للسّمات في مجالات البحث العلمي عرضاً ونقداً.

٢٧- إجراء عمل بحثي ميداني تتعلق بالسّمات وأسباب ظهورها وانتشارها في العالم.

٢٨- إعداد موسوعة بحثية علمية بالسّمات من متخصصين رجالاً ونساءً لتكون مرجعاً معتمداً لدى الباحثين والمثقفين والمهتمين بها يترجم باللغات الحية المشهورة لدى المجتمعات.

٢٩- إنشاء قسم خاص بالسّمات ويكون من ضمن مسارات قسم الدّعوة والثّقافة الإسلامية.

٣٠- التصدي لسبل الإلحاد وقطع دابرها؛ لأنه من السّمة العامة المشتركة بين المذاهب الفكرية المعاصرة.

ولا يسعني في خاتمة هذا البحث إلا أن اعتذر وأعترف عن جميع الإيرادات والأنظار وكل خطأ وزلل ونقص وتقصير ومثالب حصل في أثناء الكتابة وجمع المعلومات والمادّة العلميّة، وهذا من لوازم العمل البشري والكمال لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** (ولعل من يأتي بعدنا ممن يؤيده الله بفكر صحيح وعلم مبين يغوص من مسأله على أكثر مما كتبنا فليس على مستنبط الفن إحصاء مسأله وإنما عليه تعيين موضع العلم وتنويع فصوله وما يتكلم فيه والمتأخرون يلحقون المسائل من بعده شيئاً فشيئاً إلى أن يكمل^(١)).

كما أسأله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن يتقبل هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وأن يجعله لي في الدنيا ذكرى، وعلم ينتفع به بعد موتي وفي القبر مؤنسا وفي الآخرة نوراً وذخراً، وحجاباً وسترًا من النّار، وأن ينفعني به ووالدي ومشائخي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله تعالى.



(١) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبد الرحمن ابن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، (ص ٨٤٠).

فهرس الموضوعات

٥	المقدمة
٩	شكر وتقدير
١٣	التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث
١٥	البحث الأول: مفهوم المذاهب الفكرية المعاصرة، وتسميتها
١٥	المطلب الأول: تعريف المذاهب لغة واصطلاحاً
٢٢	المطلب الثاني: أهمّ المذاهب الفكرية المعاصرة
٢٣	المسألة الأولى: الوضعية
٢٥	المسألة الثانية: الإنسانية
٢٧	المسألة الثالثة: البرجماتية (pragmatism)
٢٩	المسألة الرابعة: الديمقراطية
٣٢	المسألة الخامسة: الرأسمالية (Capitalism)
٣٥	المسألة السادسة: الوجودية
٣٨	المسألة السابعة: الماركسيّة (Communism)
٤٢	المسألة الثامنة: العلمانية
٤٦	المسألة التاسعة: القوميّة والوطنية (Nationalism.nationality)
٥٢	المسألة العاشرة: الماسونية والصهيونية Free-mason
٥٧	المسألة الحادي عشر: الليبرالية (Liberalism)

- المسألة الثانية عشر: الحداثة..... ٦٠
- المسألة الثالثة عشر: العولمة (Globalization)..... ٦٥
- المسألة الرابعة عشر: نظرية الدارونية (التطور والارتقاء)..... ٧٠
- المسألة الخامسة عشر: عبادة الشيطان Satanism..... ٧٣
- المبحث الثاني: مفهوم السّمات بين المذاهب الفكرية المعاصرة..... ٧٧
- المطلب الأول: مفهوم السّمات..... ٧٧
- المطلب الثاني: أهمّ السّمات المشتركة بين المذاهب الفكرية المعاصرة... ٨١
- المبحث الثالث: مفهوم المعاصرة..... ٨٥
- المطلب الأول: تعريف العصر لغةً واصطلاحًا..... ٨٥
- المطلب الثاني: تسمية المذاهب الفكرية المعاصرة..... ٨٧
- المبحث الرابع: العلاقة بين الموضوع ومسار الدّعوة..... ٨٩

الفصل الأول: السّمات المشتركة بين المذاهب الفكرية في عوامل

- النشأة..... ٩٥
- التمهيد..... ٩٧
- المبحث الأول: الاشتراك في عوامل النّشأة وظروفها..... ٩٨
- المطلب الأول: الدّين المحرّف..... ٩٨
- المطلب الثاني: طغيان الكنيسة ورجالها..... ١٠٢
- المطلب الثالث: أنواع طغيان الكنيسة..... ١٠٤
- المطلب الرابع: الصّراع بين الكنيسة والعلم..... ١٢٦
- المطلب الخامس: دور اليهود في إفساد أوروبا..... ١٢٨

- المطلب السادس: الثورة الفرنسيّة ١٣٣
- المطلب السابع: الرجوع إلى الفلسفات القديمة الإغريقية ١٣٥
- المبحث الثاني: سمة (عصر النهضة) ١٣٧
- المطلب الأول: مفهوم النهضة، وأعلامها ١٣٧
- المطلب الثاني: عوامل النهضة الأوروبيّة، وتحتة مسألتان ١٣٩
- المسألة الأولى: المشارب والمنابع ١٣٩
- المسألة الثانية: أقسام المشارب والمنابع ١٤٠
- المطلب الثالث: نتائج النهضة الأوروبيّة وسماتها ١٤٩
- المبحث الثالث: جذور السّمات المشتركة بين المذاهب ١٥٢
- المبحث الرابع: مصادر السّمات المشتركة بين المذاهب ١٦٩
- المطلب الأول: مصادر السّمات المشتركة بين المذاهب ١٦٩
- الفصل الثاني: السّمات المشتركة بين المذاهب الفكرية في الأهداف ... ١٩١**
- المبحث الأول: إبعاد الدّين عن مجال الحياة ١٩٣
- المطلب الأول: مفهوم الهدف، لغةً واصطلاحًا ١٩٣
- المطلب الثاني: مفهوم إبعاد الدّين عن مجال الحياة ١٩٥
- المطلب الثالث: مسوغات إبعاد الدين عن الحياة في المذاهب الفكرية ١٩٨
- المطلب الرابع: أمهات المذاهب الفكرية المشتركة في إبعاد الدّين عن
مجال الحياة ٢٠٠
- المطلب الخامس: نماذج من أقوال بعض المنظرين للمذاهب الفكرية ٢٠٨
- المطلب السادس: نقد إبعاد الدّين عن مجال الحياة ٢١١

- المبحث الثاني: السّعي لإشباع النّفس والجسد الماديّ ٢١٧
- التمهيد ٢١٧
- المطلب الأول: النّفس لغةً واصطلاحًا، وأقسامها ٢١٩
- المطلب الثاني: مفهوم الرّوح والجسد لغةً واصطلاحًا، وإطلاقها في القرآن الكريم ٢٢٢
- المطلب الثالث: شواهد إشباع النّفس والجسد من المذاهب الفكرية المعاصرة ٢٢٦
- المطلب الرابع: نقد إشباع النّفس والجسد ٢٣٣
- المبحث الثالث: إهمال الجوانب الروحية ٢٣٩
- المطلب الأول: نماذج من محاربة الجوانب الروحية ٢٣٩
- المطلب الثاني: أمثلة للمذاهب في إهمال الجوانب الروحية ٢٤٧
- المطلب الثالث: الآثار النّاجمة للعناية بالجوانب الروحية ٢٥٤
- المطلب الرابع: مفهوم الجوانب الروحية وعلاقة الجسد بالروح ٢٥٧
- المطلب الخامس: نقد إهمال الجوانب الروحية ٢٦١
- المبحث الرابع: بطلان دعوة البحث عن الحقيقة ٢٦٥
- المطلب الأول: التعريف عن الحقيقة لغةً واصطلاحًا ٢٦٥
- المطلب الثاني: طرائق العقل ٢٦٩
- المطلب الثالث: نماذج من البحث عن الحقيقة ٢٧٣

الفصل الثالث: المصادر المشتركة بين المذاهب الفكرية المعاصرة

والردّ عليها	٢٧٧
المبحث الأول: الفلسفات	٢٧٩
التمهيد	٢٧٩
المطلب الأول: مفهوم الفلسفة	٢٨٠
المطلب الثاني: منافذ وصول الفلسفة اليونانية إلى الغرب	٢٨٢
المطلب الثالث: عقائد اليونانيين ومبادئهم	٢٨٤
المطلب الرابع: الردّ على الفلسفة	٢٩٠
المبحث الثاني: الحسّ والعلوم التجريبية	٣٠٧
المطلب الأول: مفهوم المحسوس	٣٠٧
المطلب الثاني: أنواع المحسوسات باعتبارات مختلفة	٣١١
المطلب الثالث: أقوال المذهب الحسي أو التجريبي	٣٢١
المطلب الرابع: نقد الحسّ أو التجربة	٣٢٤
المبحث الثالث: التّخرص	٣٢٩
المطلب الأول: مفهوم التّخرص في معاجم اللّغة العربية	٣٢٩
المطلب الثاني: التّخرص في القرآن الكريم	٣٣١
المطلب الثالث: التّخرص في المذاهب الفكرية	٣٣٤
المطلب الرابع: موقف الإسلام من التّخرص	٣٣٦
الفصل الرابع: السّمات الفكرية المشتركة بين المذاهب، والردّ عليه ...	٣٣٩
المبحث الأول: الإلحاد، والردّ عليه	٣٤١

- المطلب الأول: مفهوم الإلحاد لغةً واصطلاحًا، وأنواعه ٣٤١
- المطلب الثاني: الأسباب والوسائل المرتكزات للإلحاد ٣٥١
- المطلب الثالث: نقد الإلحاد ٣٥٩
- المبحث الثاني: العقل وموقف الإسلام منه ٣٦٧
- التمهيد ٣٦٧
- المطلب الأول: مفهوم العقل لغةً واصطلاحًا، وأنواعه، وتسميته، وأهميته وبداية العقل ووجوده، والفرق بين العقل والنقل ٣٦٩
- المطلب الثاني: منزلة العقل في القرآن الكريم ٣٨١
- المطلب الثالث: حدود العقل ٣٨٥
- المطلب الرابع: المذهب الفكري العقلاني ٣٩١
- المطلب الخامس: نماذج من أقوال المذاهب الفكرية في مصدرية العقل ٣٩٣
- الفصل الخامس: السّمات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، المشتركة بين المذاهب وموقف الإسلام منها عرض ونقد ٣٩٧**
- المبحث الأول: السّمات الاجتماعية المشتركة للمذاهب ٣٩٩
- المطلب الأول: مبدأ تقديس الفردية عرض ونقد ٣٩٩
- المطلب الثاني: حرية الرأي ٤٠٩
- المطلب الثالث: المساواة وعدم التفريق ٤١٥
- المسألة الأولى: مفهوم المساواة لغةً واصطلاحًا، والفرق بين المساواة والعدل ٤١٥
- المسألة الثانية: نماذج من السّمات للمذاهب في مبدأ المساواة ٤١٧

- المسألة الثالثة: نقد المساواة ٤٢٢
- المطلب الرابع: مبدأ (المنفعة) ٤٢٨
- المبحث الثاني: السّمات الاقتصادية المشتركة للمذاهب الفكرية المعاصرة ... ٤٣٥
- المطلب الأول: الاعتماد على الربا في جميع المعاملات المالية ٤٣٥
- التمهيد ٤٣٥
- المسألة الأولى: تعريف الربا لغة وشرعا، وأقسامه وحكمته وحكمه ٤٣٧
- المسألة الثانية: نماذج من المذاهب الفكرية في الاعتماد على الربا ٤٤٠
- المسألة الثالثة: موقف الإسلام من الاعتماد على الربا ٤٤٤
- المطلب الثاني: البحث عن الربح بأي وسيلة ٤٤٨
- المسألة الأولى: أهم الأفكار والمعتقدات للمذاهب الفكرية في
الاقتصادية ٤٤٩
- المسألة الثانية: الرد على البحث عن الربح بأي وسيلة ٤٥٠
- المطلب الثالث: المزاحمة في الأسواق ٤٥٢
- المسألة الأولى: سلبات المزاحمة في الأسواق ٤٥٣
- المسألة الثانية: موقف الإسلام من مخاطر الشيوعية والاشتراكية
في الاقتصاد ٤٥٥
- المطلب الرابع: محاربة التكافل الاجتماعي ٤٥٧
- المسألة الأولى: نماذج من محاربة التكافل الاجتماعي عند المذاهب
الفكرية المعاصرة ٤٥٧
- المسألة الثانية: وسائل التكافل الاجتماعي في الإسلام ٤٥٩

- المبحث الثالث: السّمات السّياسية للمذاهب الفكرية المعاصرة ٤٦٣
- المطلب الأول: مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة) وموقف الإسلام منها ... ٤٦٣
- المسألة الأولى: مفهوم مبدأ الغاية تبرر الوسيلة ومنبع الفكرة ٤٦٣
- المسألة الثانية: أضرار قاعدة الغاية تبرر الوسيلة ٤٦٦
- المسألة الثالثة: الرّد على مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة) ٤٦٨
- المطلب الثاني: مبدأ فصل الدين عن الدولة وموقف الإسلام منه ... ٤٧٠
- الفصل السادس: السّمات الأخلاقية المشتركة بين المذاهب ٤٧٣**
- المبحث الأول: مصادر الأخلاق في المذاهب الفكرية ٤٧٥
- المطلب الأول: الفلسفة اليونانية ٤٧٥
- المطلب الثاني: نظريات برجسون في الأخلاق ٤٧٧
- المطلب الثالث: الأخلاق في الفلسفة الحديثة والفلسفة الهلنستية والرواقيين ٤٧٩
- المبحث الثاني: سمة الأخلاق غير ثابتة بل هي تتغير وتبديل ٤٨٣
- المطلب الأول: تعريف الأخلاق لغة واصطلاحًا ٤٨٣
- التمهيد ٤٨٣
- المسألة الأولى: تعريف الأخلاق لغة واصطلاحًا ٤٨٥
- المطلب الثاني: الأخلاق عند المذاهب الفكرية المعاصرة ٤٨٨
- المطلب الثالث: الرّد على السّمات الأخلاقية الغربية ٤٩٤
- المبحث الثالث: الأخلاق من وضع الإنسان والرّد عليه ٤٩٧
- المبحث الرابع: الأخلاق ليست غاية، بل هي وسيلة، والرّد عليه ٥٠٣

- المبحث الخامس: فصل الأخلاق عن الدين والرّد عليه ٥١١
- الفصل السّابع: الآثار السّلبية لانتشار سمات المذاهب الفكرية
- في العالم الإسلامي، وسبل تحصين المجتمعات الإسلامية..... ٥١٩
- المبحث الأول: عوامل انتقال السّمات المشتركة بين المذاهب إلى العالم ٥٢١
- التمهيد ٥٢١
- المطلب الأول: عوامل داخلية..... ٥٢٣
- المطلب الثاني: عوامل خارجية ٥٢٧
- المطلب الثالث: الوسائل والأساليب للسّمات في الغرب الصليبي ... ٥٣٤
- المطلب الرابع: خطة السّمات في المذاهب الفكرية..... ٥٣٧
- المبحث الثاني: الآثار السلبية لانتشار سمات المذاهب الفكرية المعاصرة
- في العالم الإسلامي ٥٤١
- المطلب الأول: إفساد العقيدة في المجتمعات الإسلامية..... ٥٤١
- المطلب الثاني: الآثار السّلبية للسّمات بين المذاهب..... ٥٤٤
- المطلب الثالث: الآثار السلبية للسّمات المتعلقة بهجر أحكام الشريعة
- الغراء ٥٤٧
- المطلب الرابع: الآثار السلبية المتعلقة بالتّفكّك الاجتماعي ٥٥٢
- المطلب الخامس: دور العلماء في الرّد على السّمات..... ٥٥٦
- المبحث الثالث: سبل تحصين المجتمعات الإسلامية ٥٥٩
- التمهيد ٥٥٩

- المطلب الأول: التحصينات المعنوية للوقائية من السّمات المشتركة للمذاهب ٥٦١
- المسألة الأولى: التّحصين العقدي المبني على التّأصيل ٥٦١
- المسألة الثانية: مجانية أصحاب السّوء ٥٦٦
- المسألة الثالثة: ملازمة الجلوس مع الصالحين ٥٦٩
- المطلب الثاني: الوسائل الحسية لتحصين المجتمعات الإسلامية من المذاهب الفكرية ٥٧١
- المسألة الأولى: الدّراسة الواعية والنّاقدة للأفكار والمِلل والنحل ٥٧١
- المسألة الثانية: البقاء في ديار المسلمين وعدم الإقامة في بلاد الكفار إلا للضرورة ٥٧٢
- المسألة الثالثة: تربية النشء على ما يُرضي الله ٥٧٣
- المسألة الرابعة: رياضة النفوس في أداء الفرائض ٥٧٤
- المسألة الخامسة: إقامة برامج الرّحلات الدّعوية والتّوعية المستمرة .. ٥٧٥
- المسألة السادسة: إقامة برامج المسابقات تحفيزاً للجيل الناشئ ٥٧٥
- المسألة السابعة: التّحصين بظلال الأخوة الإيمانية من المذاهب الفكرية ٥٧٦
- المسألة الثامنة: أثر قيام أفراد المجتمع بالحقوق المفروضة لبعضهم على بعض في قوة الرابطة الإيمانية قلة اثره الواقع في النفوس ٥٧٦
- المسألة التاسعة: التسلح بالعلم الشرعي ٥٧٦
- المسألة العاشرة: وجوب الابتعاد عن خصائص الدّيانات السابقة والتشبه بأصحابها ٥٧٦

- المبحث الرابع: سبل مواجهة السمات المشتركة بين المذاهب الفكرية ٥٧٧
- المطلب الأول: وسائل الثبات (الإنترنت) ٥٧٧
- المطلب الثاني: دور وسائل الإعلام للسمات ٥٩٣
- المطلب الثالث: بيان خطورة السمات في مجال التعليم ٥٩٦
- المطلب الرابع: وسيلة التأليف والمحاضرات والندوات للسمات ٥٩٩
- المطلب السادس: جهود الجامعة الإسلامية في مواجهة السمات ٦٠٤
- المسألة الأولى: تعريف موجز عن الجامعة، وتأسيسها، وأهدافها،
ورسالتها ورؤيتها ٦٠٦
- المسألة الثانية: جهود الجامعة الإسلامية لتحسين أبنائها من السمات ٦١٠
- الخاتمة ٦١٥
- أولاً: أهم نتائج البحث ٦١٥
- ثانياً: أهم التوصيات للبحث ٦١٩
- فهرس الموضوعات ٦٢٥

